المجلس الأعلى للثقافة

مثنوي

مولانا جلال الدين الرومي

ترجمه وشرحه وقدّم له : د. ابراهيم الدسوقي شتا

المشروع القومي للترجمة

الكتاب الخامس

25

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومي

الكتاب الخامس

ترجمه وشرحه وقدم له

دكتور

إبراهيم الدسوقي شتا

١٤١٨هـ.

١٩٩٧م .

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

مقدمة المترجم

الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية

لن أخوض في تاريخ هذه المشكلة وفي أصولها من القرآن والسنة عامدا ، إذ يكفي للقاريء الذي يريد أن يلم بهذه التفصيلات أن يفتح كتابا من كتب علم الكلام الإسلامي ليجد فيه بغيته من التفصيلات حول المشكلة التي قتلت بحثا في علم الكلام : مشكلة الجبر والإختيار .

ولا يوجد مفكر عرفاني دق على مشكلة الحرية الإنسانية في مقابل الإرادة الإلهية مثل مولانا جلال الدين ، فمبحث الحرية عند مولاناجلال الدين الرومي من المباحث الجديرة بأن تجلى وحدها وتفرد لها الأبحاث . وتتميز آراؤه في هذا المجال بالشمول والعرض الحيوي الذي يتقصى جوانب الموضوع ويقدم التعبير عن الفكرة في أكثر من مستوى ، كما كان يحرص على تقديم أمثال هذه القضايا في صورة حوار بين معتنقي وجهات نظر مختلفة حول نفس الموضوع أو نفس الفكرة ، وكان هذا التناول في حد ذاته ينقل القضية من مجرد قضية كلامية جافة وجامدة إلى قضية حية ، فلا شك أن القضايا تظل حية ما دامت تشغل أذهان الناس وتثير الحوار بينهم ، فإذا كفت أذهان الناس عن الإنشغال بها، وكفت ألسنتهم عن التحاور حولها ، إنقلبت إلىقضايا كتب يناقشها الصفوة في مجالسهم الخاصة .فضلا عن أن مولانا عندما كان يختار الشخصيات التي تناقش قضية ما، كان يختار معارض وجهة النظر التي يتبناها هو نفسه من نفس درجة مؤيدها ومستواه وذلك من ناحية الثقافة والقدرة على الجدل . وربما لم تأخذ قضية كلامية أخرى من مولانا جلال الدين كل هذا الإهتمام الذي أخذته منه قضية

الجبر والإختيار أو قضية الحرية الإنسانية ، وكأن مولانا كان يستشرف بنظرته المستقبلية النفاذة أن هذه القضية سوف تكون من قضايا المواجهة بين الشرق والغرب ، وأن الغربي عندما سيتسلط على المسلم سوف يقدمه كشخصية مستكينة إلى الجبر ، قشة في مهب الريح ، معدوم الحركة والإرادة في مواجهة قوة عاتية عمياء ، كما أن وقتا سوف يأتي يتهم فيه الفكر الإسلامي بأن قضية الحرية لم تطرح فيه أساسا . ولا يكاد كتاب واحد من كتب المثنوي الستة يخلو من حديث عن مشكلة الجبر والإحتيار ، حديثا لا يتصل بأبعادها الكلامية فحسب ، بل يتناولها كعادة مولانا عند تناوله لكل مشكلاته أبعادها الحياتية المعاشة ، فكأن مولانا في طرحه لقضية الجبر والإختيار يطرح في الأصل قضية الحرية على النحو التالي :

١- ينطلق مولانا جلال الدين في تناوله لقضية الجبر والاختيار من أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الكائنات كلها ، منح الإنسان وحده من بينها منحة الحرية ، فالحرية بالنسبة له عطية إلهية . ولم يكن جلال الدين الرومي أول من وضح هذه الفكرة ،إذ وردت من قبله عند كل الصوفية ، فالفكرة تكاد تكون موجودة بنصها عند سنائي الغزنوى الذى قال :

- إن الإنسان مختار بين العقل والهوى ، وهذا هو تفسير آية " كرمنا " .

- فلا تذل الإنسان ، ولا تشعره بالهوان ، فهو في الغيب ، صار جوهرا من بين الناشئين في العيب .

- ومن بين العباد الذين وراء الحجاب ، إختارك أنت الإختيار .-إلا أنك عن طريق الغضب والاحتيال ، تصبح وحشا ، أو تصبح دابة .(١)

---

(١) سنائي الغزنوي : حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور - الأبيات ٥٤٦١-٥٤٦٤ وشروحها - القاهرة - دار الأمين للطباعة والنشر- ١٩٩٥

فكأن الصوفية كانوا يجمعون بين الاختيار والكرامة التي منحها الله للإنســـان ، وأن مما يترتب على هذا التكريم الإلهي ألا يتعرض الإنســـان للمهانــة والإذلال من إنســـان ، أو تسلب منه هذه الحرية التي منحها له الله تعالى . لخص سنائي وجهة نظره في عدة أبيات . لكن جلال الدين كعادته في الاستفاضة وكشف نقـاط جديدة في القضايا التي تناولها الصوفية من قبله ، ينطلق إلى آفاق أبعد وأوسـع ، فالاختيار عنده هو ملح العبادة ، فما فائدة عبادة يكون الإنسان مجبرا عليها وتكون قدرا عليـــه :

– والاختيار هو ملح العبادة ، وإلا فالفلك وحده يدور بالرغم منه .

– فإن دورانه لا طمعـــا في ثواب ولا خوفا من عقاب ، والاختيــار فضلٌ عند الحســاب.(١)

بل بقدر جهد الإنســـان تكون رحمة اللـــه به :

– إن هذا الجهد والدعاء بقدر الهمـــة ، وليس للإنســـان إلا ما سعى .(٢)

ويطيب لمولانا جلال الدين أن يبين دائمـــا أن أول من قــال بـالجبر هـو إبليس اللعين ، وأن أول من قال بالاختيار هو آدم عليه السلام :

– وتعلــم من أبيك يـا وضـاء الجبيــن ، إذ قــال قبـل الآن " ربنـا ظلمنـــا أنفسنـــا " .

– فلا هو تعلل ، ولا هو احتـــال ، كما أنه لم يرفع لواء المكر والحيلـــة .

– ثم إن إبليس هو الذي بدأ الجدل قائلا : لقد كنت أحمر الوجه " عزة " وجعلتني أصفره " ذلا " .

---

(١) مثنـــوى :٣/٣٢٨٧-٣٢٨٨

(٢) مثنـــوى : ٤/٢٩١٢

- فاللون منك وأنت الذي قمت بصباغتي ، وأنت إذن أس جرمي وآفتي وجرحي .

- فانتبه ، وأقرأ " رب بما أغويتني " ، حتى لا تتحول إلى جبري ، وحتى تقلل من طوافك بالإلتواء .

- فحتام تقفز على شجرة الجبر ، وحتام تلقي باختيارك جانبا .

- مثل إبليس وذرياته ، فهو مع الله - جل وعلا - في حرب وجدال ؟

- وكيف يكون إكراه وجبر وأنت بسعادة بالغة ، لا زلت تشمر رداءك في العصيان ؟

- فهل يمكن أن يمضي أحد سعيدا هكذا فيما هو مجبر عليه ؟! وهل يمكن أن ينغمس أحدٌ راقصا في الضلال ؟

- وكنت تقاتل بقوة عشرين رجل في ذلك الأمر ، بينما كان الآخرون يقومون بنصحك .

- وكنت تجادل قائلا : هذا هو الصواب ، وهذا هو الطريق الحق فحسب ، فمن الذى يعيب علي ، إلا ذلك الذي لا يساوي شيئا .

- ومتى يقول الشخص الذي يكون مكرها مثل هذا ؟ وكيف يقاتل هكذا الذي لا يملك طريقه ؟

-إن لك الاختيار في كل ما طلبته نفسك ، وكل ما أراده عقلك ، فأنت مضطر فيه !!(١)

٢- ويرى مولانا جلال الدين أن الإنسان نفسه يحس في داخله بأنه مختار ، والدليل على هذا تردده بين أمرين ، وهذا الإحساس يسميه مولانا الإدراك الوجداني:

---

(١) مثنوى :٤/١٣٨٩-١٤٠١

- يكون هناك إدراك وجداني بدلا من الحس ، وكلاهما يجريـــان في جدول واحد ياعمـــاه .

- وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف ، وما يجـــري ، وما يقـــال .

- وقول: ترى ماذا أفعل غدا ؟ أأفعل هذا الأمر أو ذاك الأمـر ، هو دليلٌ على الاختيار أيها الوسيم الحسن .

- وذلك الندم الذي يعتريك أنك أكلت من ذلك " الطعام" السيء ، قد صرت مهتديا إليه من جراء إختيارك أيضـــا .

- وكل القرآن أمر ونهي ووعيـــد ، فمن ذا الذي رأى حجرا من المرمر قد وجه إليه أمـــر ؟

- ولا يوجد عاقل أو عاملٌ قط يغضب على حجر أو مدر ، أو يحقد عليـــه .

- قائلا لهما : لقد قلت لكم : إفعلوا هذا أو إفعلوا ذاك ، فكيف لم تقوموا بفعله أيهـــا الأموات العجزة ؟!

- ومتى يحكم العقل على الحجر أو على الخشب ، ومتى ينشب الإنسان مخالبه في صورة مخلب ؟!

- أو أن يقول : أيهـــا الغلام مقيد اليد والقدم ، هيا خذ الرمح وتعال صوب الوغـــى !!

- والخالق الذى يخلق الكواكب والأفلاك ، كيف يقوم بأمر أو نهي يدل على جهـــل ؟!

- لقد محوت إحتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته - جل وعلا - جاهلا ذاهلا سفيهـــا . !!- والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليـــه ، فإن الجهل يكون أقبح من العجز .(١)

---

(١) مثنـــوى : ٥/٣٠٢٢-٣٠٣٣

أثمة عجز وجهـــــل ، ثم يكون أمر ونهي ؟ كيـف يمكـن أن يكـون ذلـك متأتيـــا من العدالة الإلهيـــة ؟ وكيف تجيز على الخـالق تعـالى مـا تستنكف نسبتـــه إلى بشر ممن خلق ؟!

– والعدل قســـام وجدير بالقسمة وقابل لها ، وهذا هـو العجـب ، فـلا جبر ولا ظلـــم .

– فـإن كـان ثم جبـــر ، متـى كنـت نادمـا ؟ ، وإن كـان ظلـم ، متـى كـان حافظـــا ؟(١)

ويعود مولانا إلى هذه النقطة كثيرا يتناولها من جوانب متعددة ، فقد كان يرى أن شعور الندم والحياء مـن الحق والتضـرع إليـه والتوبـة والإنابــــة هـي الدليـل الأكبـــر على أن الإنســـان مختار في فعلـــه ، ويقدم تفصيلا وافيا لهـا فـي الأبيات التاليـــة :

– وأعد من القرآن تفسير البيت ، في قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ .

–فإن أطلقنا السهم فليس هذا منا ، فنحن القوس والرامي هو اللـــــه .

– وهـذا ليس جبرا ، لكنـه معنـى الجبارية ، والجباريـة تعـن عنـد ذكـر العجـز والمسكنة .

– وصراخنا ونواحنا دليل على الاضطرار ، وخجلنا صار دليلا على الاختيار .

– وإذا لم يكن اختيار ، فما هذا الخجل وما هذا الأسف وهذا الندم ؟

– ولمـــاذا يعـاقب الأسـاتذة تلاميذهم ؟ ، ولمـاذا يكـون تحويـل الخـواطـر عـن تدابيرها ؟

---

(١) مثنـــوى : ٤/١٦٤٣-١٦٤٤

- وإذا قلت أنه آنذاك يكون غافلا عن جبره ، وأن قمر الحقيقة يكون مختفيا خلف سحابه ؛

- فإن لي على هذا الاعتراض جوابا حسنـــــا ، إن استمعت إليه ، تترك الكفر وتدخل في الدين .

- فالحسرة والضراعة تكون عند المرض ، وأوان المرض كله يقظـــــة .

- وأنت عندما تسقط مريضـــــا ، تقوم بالاستغفار عن جرمك .

- ويبدو في داخلك قبح الذنب ، وتنوي قائلا : سوف أرجع إلى الطريق القويـــم .

- وتأخذ على نفسك العهود والمواثيق وتقول : لا يكون لي اختيار في الأمور من بعد إلا الطاعة .

- ومن ثم صار من المؤكد أن مرضك يهبك الوعي واليقظـــــة .

- فاعلم هذا الأصـــل إذن يا باحثا عن الأصـــول ، إن كل من أحس بالألم ، ظفر برائحة " تقوده إليه ".

- وكل من هو أكثر يقظة ، يكون أكثر ألمـــا ، وكل من هو أكثر وعيـــا ، يكون أكثر شحوبـــا .

- فإذا كنت منتبها إلى جبره ، فما ضراعتك ؟ ، وأين رؤيتك لغل الجبارية الحديدي ؟

- وكيف يفرح المقيد بالغل الحديدي ؟ وكيف يزاول نزيل السجن الحريـــة ؟

- وإن كنت، ترى أن قدمك قد قيدت ، وأن عسكر الملك قد وقفوا على رأسك ؛

- لا تزاول إذن مع العاجزين ما يفعله العسكر ، فليس هذا من طبع العاجز أو من شيمـــه .

– فـــإذا كنـت لا تـرى جبره ، لا تتحـدث عنـه ، وإن كنـت تـراه ، فـأين دليـل الرؤية ؟

– وفي كل أمر تكون ميالا إليـــــه ، لا تفتأ ترى قدرتك عيانا ؛

– وما لاميل لك فيه أو رغبة ، تجعل نفسك جبريا ، وتقول أنه من الله .

– فالأنبياء جبريون في أمور الدنيـــــا ، والكفار جبريون في أمور العقبى .

– وللأنبياء اختيـــــار في أمـــــور العقبـى ، وللجهـال احتيـار فـي أمـور الدنيـــــا .(١)

ويكرر مولانا نفس هذا المثـــال في الكتاب الذى بين أيدينـــــا :

– لقد قمت بحرفة ما طوعـــــا واختيارا قائلا : إن لي اختيـــــارى وفكرى ؛

– وإلا كيف اخترت هذه الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيـــــان ؟!

– وعندما تأتي نوبة النفـس والهـوى ، يكـون عنـدك اختيـار بقـدر مـا يكـون مـن عشرين رجل .

– وعندما يبخسك رفيقك مقدار حبة ، فإن اختيار العراك قد تفتح في روحك .

– وعندما تأتي نوبة شكر النعم ، فلا اختيار لك ، وتكون أقل من حجر .

–ويقينا إن الجحيم سوف يعتذر لك قائلا : أعذرني في حرقي إياك هكذا .(٢)

ويفسر مولانـا هـذا النـدم تفسيرا منطقيـــــا آخـر ، إن هـذا النـدم هـو الآخـر قضـــــاء مثل العمل الأول الذى كان قضـــــاءً بدوره ، وأن هناك أمـورا تتدخـل في اختيارك ، وأمورا أخرى تتدخل في ندمك علـى هـذا الاختيـار ، والأمـر هنـا يشبه موقفا آخر اتخذه مولانا جـلال الديـن قـد يكـون قدريـــــا فيـه ، وإن كـانت

---

(١) مثنـــــوى : ١/٦١٩-٦٤٢

(٢) مثنـــــوى : ٥/٣٠٦٩-٣٠٧٤

النظرة النفاذة في هذه الأبيات توحي بأن " الاختيار اختيار الله والقضـــاء قضـــاء الله " :

- والأمر الذى تندم عليه في نهايته، لو كان هذا حاله من البداية ، متى كنت تسرع في أثـــره ؟

- ومن ثم فقد أخفاه في البداية عن أرواحنا ، حتى نقوم بهذا الأمر كما قضي علينا " أن نقوم به " .

- وعندما نفذ حكم القضـــاء ، فتحت العين لكي يحدث النـــدم .

- وهذا الندم قضـــاءٌ آخر ، فاترك الندم إذن ، وكن عابدا للحق .

- وإن تتعـــود على الندم ، تصير من هذا الندم أكثـــر ندمـــا .

- فيمضي نصف عمرك في التشتت والاضطراب ، ويمضي نصفـــه الآخر في الندم .

- فاترك هذا النمط من الفكر والندم ، وابحث عن حال أفضل ورفيق أفضل وعمل أفضـــل .

- وإن لم يكن في يدك عملٌ أفضل ، لفوت أى شيء إذن يكون ندمك ؟

- وإن عرفت طريقـــا طيبا فاسلكه واعبد اللـــه ، وإن كنت لا تعرف ، فكيف تعرف أن هذا " الذى أنت فيه" ســـيء ؟

- إنك لا تعرف الشر ما لم تعرف الخير ، إن الشيء يمكن رؤيته بضده أيها الفتى .

- وما دمت عاجزا عن التفكير في ترك هذا الندم ، فأنت آنذاك عاجز عن ترك إرتكاب المعصيـــة.

- وإذا كنت عاجزا ، فمم يكون الندم ؟ ابحث ثانيـــــة جذب من كان ذلك العجـــــز . (١)

هكذا تطور مولانا جلال الدين ببيانه المقنع ليصل إلى النقطة التي يدق عليها : هب أن الأمور قضـــاءً ، فلماذا الندم ؟ وإذا كنت عاجزا وكانت المعصيـــة مفروضة عليك ، فلماذا إذن الندم عليها ؟ وهل يندم المرتعش الذى تهتز يداه من مرض مثلما يندم الذى يهز يديه عمدا وقصـــدا ؟(٢)

٣- وفي هذا المجال من الممكن أن تقسم كل مظاهر الخليقة إلى قسمين : ما هو قابل للتغير ، وما ليس قابلا للتغير ، والإنسان في تعامله مع ما ليس قابلا للتغير مجبـــور ، لكنه مختار في الأمور التي تقبل التغيير ، بل ومطالب بتغييرها إلى الأفضل . وعندما يسوق مولانا حوارا بين الأنبيـــاء الذين يقولون أن الإنسان مختار والكفار الذين يقولون أن كفرهم قدر مقدور ، ويضربون الأمثال بأن الحجر يظل حجرا والقديم يظل قديمـــا والماء على صفاته منذ الأزل والطين أيضـــا على صفاته ، وكل شيء قد خلق هكذا كقدر مقدور لا يقبل التحول :

-قال الأنبيـــاء : أجل ، لقد خلق الله صفاتٍ لايمكن تحويلها أو تبديلهـــا .

- كما خلق - جل شأنه - صفات عارضة ، بحيث يصير المبغوض محبوبـــا

- فإن قلت للحجر كن ذهبا فهذا عبث ، أما أن تقول للنحاس كن ذهبـــا ، فهناك سبيل .

---

(١) مثنـــوى : ٤/١٣٣٦-١٣٤٧

(٢) مثنـــوى : ١/١٥٠٦-١٥٠٩

– وإن قلت للرمل كن زهـــرا فهو عاجز ، أما أن تقول للتراب : كن زهـرا ، فهذا جائـــز .(١)

فالأنبياء وإن اعترفوا بأن كل شيءٌ ليس قابلا للتغيير والتبديل ، إلا أنهم قالوا بأن الأمراض الموجودة في النفس البشريـــة قابلة للعلاج ، والواقع أن الصوفية جميعا كانوا من أنصار الاختيار ، لأنه لو كان ثم جبر ، لما كان هناك طريق أو سلوك أصلا ، وهذا ما يسميه همائي بالفرق بين جبر العوام وجبر الخواص ، ففي الطريق ، وأثناء السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى يظل السالك مشغولا بالجبر أو الاختيار ، لكنه عندما يصل إلى المعية والفنـــاء ، حيث تفنى تعيناته ويستهلك في المطلق ، لا يبقى له اختيـــار ، بل يكون وجوده هو عين وجود الحق ، كقطرة لحقت ببحرهـــا ، وهذا هو جبر الخواص (٢) :

–وكل من كان حائرا مستغرقا في تردده ، همس الحق في أذنه بلغز من الألغـــاز .

– وذلك حتى يجعله سجينا بين ظنين ، قائلا : ترى أأفعل ما همس لي به أو أقوم بعكســه ؟

– ومن الحق أيضا يرجح أحد الظنين ، ومن كنف لطفه ، يختار واحدا من الإثنين .– وإذا لم تكن تريد أن يظل لب الروح في هذا التردد ، فقلل من ضغطك على هذه القطنة في أذن الروح .

– حتى تفهم كل ألغـــازه ، وحتى تدرك المعميات والواضحـــات .

---

(١) مثنـــوى : ٣/٢٩١١-٢٩١٤

(٢) جلال الدين همائـي : مولوى نامـــه ١/٩٨-٩٩

– فتصبح الأذن موضعا لوحي الحق ، وما هو الوحي ؟ إنه الجدير بالقول عن طريق الحس الخفي .

–فعين الروح وأذنها غير هذه الحواس الظاهرة ، وعين العقل وأذن الظن يفتقران إليه .

– ولفظ الجبر جعل العشق مني نافد الصبر ، ومن ليس بعاشق سجين في نطاق الجبر .

– إنها معية مع الحق وليست جبرا ، إنها تجل للقمر ، وليست سحابا .

– وإن كان هذا جبرا فليس جبر العامة ، وليس جبر تلك الأمارة تابعة هواها

– وهم يعرفون حقيقة الجبر يا بني ، فقد فتح الله أبصار قلوبهم .

– ولقد صار الغيب والآتي ظاهرين لهم ، وصار ذكر الماضي هباءً عندهم .

– واختيارهم وجبرهم من نوع آخر ، فالقطرات في الأصداف تتحول إلى درر .

– وهي خارج الصدف مجرد قطرات صغيرة أو كبيرة ، لكنها في الصدف درر صغيرة وكبيرة .

– وهؤلاء القوم يتصفون بطبع نافجة الغزال ، ظاهرهم دم ، والمسك في بواطنهم .

– ولا تتساءل : إنه من الواضح أن هذه المادة دم ، فكيف تصبح مسكا عندما تصل إلى النافجة ؟

– ولا تقل : لقد كان نحاسا ، وإن إختفى ظاهره ، وإلا فكيف يتحول في قلب الأكسير إلى جوهر ؟

- فالاختيار والجبر كانا فيك مجرد خيـــــال ، وعندما إنتقلا إليهم ، تحولا إلى نور لذي الجلال .(١)

والإنســـان الذي لا يدرك الاختيـــار يكون في عدم إدراكه لهذا الاختيـــار أقل من حيوان :

- ولو أن جمالا قام بضرب جمـــل ، فإن ذلك الجمل يهاجم الجمال الضارب

- ولا ينصب غضب الجمل على العصـــا التي ضربته ، إذن فقد فهم البعير شيئا عن الاختيـــار .

- وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينثني عليك أنت بالهجوم .

- وإن أبدى بعض الغضب على الحجر ، فلأنك بعيد ، ولا تنالك يداه .

-وإذا كان عقل الحيوان قد فهم الاختيـــار ، فلا تقل هذا القول يا عقل الإنســـان ، واخجـــل .

- إن هذا شديد الوضـــوح ، لكن طمعـــا في السحور ، يغمض ذلك الأكل عينيه عن النور .

- ولما كان كل ميله منصبا على تناول الطعـــام ، فإنه يتجه إلى الظلام قائلا : لم يطلع النهار .

- وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهان ؟!(٢)

٤- ويجد الجبر مصداقيته ما دام متوافقا مع القوانين الإلهية ، وهناك اختيـــار فردى وليس الأمر قدرا مقدورا ، وصورة الشريعة أى كلياتها لا تتغير لكن محتواها حر وقابل للتغيير ، وفي هذه المصالحة بين الشريعة والاختيار نلتقي

---

(١) مثنـــوى : ١/١٤٦٦-١٤٨٤

(٢) مثنـــوى : ٥/٣٠٥٠-٣٠٥٧

بأكثر التصورات في فلسفـــة إقناعا ومنطقيـة . فـالدين وهـو الجوهـر الأصلـي لتصورالشرع أبدي ولا يتغيــــــر ، وطبيعته دائمـا مـا هـي علـى نسـق واحـد ، ومن هنا فهي بلغة العرفـان " خارجـة عن حـدود الزمـان والمكـان " وبلغـة علـم الأديـــان"مقدرة وجبرية " ، ومن هنا فإن البنية التحررية للشخصية تكـون فـي حاجة إلى نسقية معنوية وعلمية وعلية معنوية ، ولقد كتب قلم التقدير مرة واحـدة وإلى الأبد أن لكل عمل جزاء خاصـا بـه ، فـإن إختـرت طريقـا معوجـا ، فـإن القانون الأزلي الذى لايرحم للقضـــاء سوف يأخذك إلى طريق الخطأ ، والحـق والباطل كلاهما مطيع لهذا القـانون ، فـإن قلـم التقديـر لا تحركـه إرادة مسـتبدة ، فمن المقدر أن يكون للخير والشر نتائجهما التي لابد منها ، الميزان الإلهي يـزن الذرة ، والكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها .(١)

ويتجلى هذا المعنى في تفسير مولانا جلال الدين للحديث النبوي [جف القلـم بمـا هو كائن إلى يوم القيامة ، رفعت الأقلام وطويت الصحـف] ويضيـف مولانـا : جف القلم ألا تستوى الطاعة والمعصيـة ، لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفران ، جف القلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين :

– وهكذا أيضـــا تأويل قد جف القلـم ، إنهـا مـن أجل التحريـض علـى الشـغل الأهــــم .

– إذن فقد كتب القلم إن لكل فعل ما يليق به من تأثير وجـــزاء .

– تسير معوجـا ، يأتيك الإعوجـاج ، جف " بهـذا " القلـم ، وإن أتيت بـالصدق والآستقامة ، تتولد لك السعادة.

---

(١) خليفة عبد الحكـــم : عرفان مولوى – ترجمة أحمد محمدى وأحمد مير علائي – تهران١٣٥٢صـ ١٠١وصـ١٠٢

- وإن ارتكبت الظلم فأنت مدبر" سيء الحظ ، جف القلم بهذا ، وإن عدلت ، فأنت ذو نصيب من هذا "العدل" ، جف القلم .
- وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمر فقد ثمل ، جف القلم .(١)

ثم يعود مولانا إلى الفكرة في موضع آخر :

- إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، هذا هو معنى جف القلم .
-فلن تجد لسنتنا تبديلا من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .
- بل الشر للشر ، جف القلم ، والوفاء للوفاء ، جف القلم .(٢)

الحق والباطل إذن كلاهما مطيع لقانون ، وحكم التقدير لا يجري كيفما أُتفق ، والاختيار موجود وكامن وفي حاجة إلى من يحركه ، داعي الخير أو داعي الشر :

- وهناك اختيار كامن في باطنك ، ما لم ير مثيلا ليوسف ، لا يقوم بجرح اليد .
-كان الاختيار وكان الداعي موجودا في النفس ، ورأى وجهه ففتح الجناح والقوادم .
- والكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط ، بصبص بذنبه .
- والحصان يصهل عندما يرى الشعير ، والقطة تموء عندما يتحرك اللحم
- فإن الرؤية تحريك لهذا الاختيار ، كالنفخ يثير من النار الشرار .
- ومن هنا فقد تحرك اختيارك ، عندما صار إبليس رسول غرام ، وأتاك برسالة من محبوبك .

---

(١) مثنوى : ٥/٣١٣١-٣١٣٥

(٢) مثنوى : ٥/٣١٨٢-٣١٨٣

- وعندما يُعرض الشيء المشتهى على امريء ما ، فإن الاختيار النائم يتمطى، وتتفتح أعطافه .

- ثم إن ملائكة الخير برغم أنف الشيطان ، تعرض هي الأخرى " ما لديها " وتقيم ضجة في القلب .

- حتى يتحرك اختيار الحق لديك ، فقبل العرض تكون هاتان الخصلتان نائمتين داخلك .

- إذن فالملاك والشيطان كلاهما عارض " عليك " ، وذلك من أجل أن تتحرك عروق الاختيار فيك.(١)

الإنسان إذن ليس مترددا بين مستحيلين ، بل إن كل واحد منهما ممكن ، ومعروض ، بل ومعروف العاقبة ، تأمل الإنسان بينهما ، تلك اللحظة الفاصلة قبل الاختيار ، قدرته على شيء وعدم قدرته على شيء ، وهو في هذه الفجوة ، هذا هو خير دليل على الإختيار ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وإن قلت أن اختيارك للشر قضاء ، فإن هذا لن يعفيك من المسئولية والعقاب ، فالله تعالى أمر بأن يعاقب الشرير :

- قال لص للشرطي : أيها العظيم ، إن ما ارتكبته ، كان من حكم الإله .

- قال الشرطي : وما أفعله أنا من عقاب ، هو حكم الله أيضا يا نور عيني .(٢)

---

(١) مثنوى : ٥/٢٩٧٥-٢٩٨٤

(٢) مثنوى :٥/٣٠٥٨-٣٠٥٩

وهكذا ، فإن أكل أحدهم ثمرة من شجرة على أساس أن " عبد الله يأكل من حديقة الله " ، فإن حبل الله أيضا موجود ليوثق بـــــه ، وعصا الله موجودة ليضرب بها ، جبرك في الشر من الممكن أن يُقابل بجبر في العقاب(١) هذا هو منطق العدالة الإلهيـــــة .

٥- ولكن : هل يعني الاختيـــــار هنا أنه اختيـــــار على إرادة الله ؟ وهذا يعني أن الله يريد وأن الإنســـــان يريد ، وما دام الإنسان مختارا فإن له بالفعل إرادة مستقلـــة ؟ بالتأكيد لا يستطيع مسلم فضلا عن صوفي وعارف أن يجيب على هذا السؤال بالإيجاب . وخروجا من هذا التناقض يجيب مولانا بأن اختيار البشر جزءٌ من اختيـــــار الخالق ، وهو اختيار أصغر أمام الاختيار الأكبر ، ويفسر هذا ببيانه العظيم قائلا:

- إن اختياره هو الذي اختار كل أنواع الاختيـــــار ، واختياره كالفارس " مخفي" في الغبار .

- وإن اختياره هو الذي يقوم باختيارنا ، ومن ثم صار الأمر مستندا علـى الاختيـــــار .

- والتسلط على صورة بلا اختيار ، موجود عند كل مخلوق عند قدرته عليها .

- حتى ليُجـــر الصيد دون اختيار من هذا الصيـــد ، وحتى يسحب أحدهم زيدا جارا إياه من أذنيه .

- لكن صنع الصمد " يستطيع " بدون آلة قط ، أن يجعل اختياره وهقـــا له .

- فإن اختياره يقيد زيدا ، ويصيده الحق دون كلب أو فخ .

---

(١) مثنـــــوى :٥/٣٠٧٧-٣٠٨٤

- والنجار يكون مسلطـــا علـى الخشـب ، وذلـك المصـور يكـون حاكمـا علـى الجمال الذى صوره .

- كما أم الحداد قيم على الحديد ، والبناء مسيطر على آلة عملـــه .

- والعجيب أن كل هذه الاختيارات ، تسجد أمام اختياره هو كالعبيد .

- وقدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أى منها .

- ومن ثم فقدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقوم بنفي الاختيـــار عنها .

- فداوم على القول بأنها مشيئةُ الله على وجه الكمـال ، فليـس فيهـا نسبة الجـبر والضلال .(١)

لكن إياك - إستنادا على هذا القـول - أن تقـول إن كفـري مشيئـــته ، إنـه مـن مشيئتـــه ، وهو أيضا من مشيئتك ، فلا كفر بلا مشيئـــة :

- وما دمت قد قلت : إن كفري مشيئتـــه ، إعلم أن مشيئتك أيضـــا موجودة

- ذلك أن كفرك لا يكون دون مشيئـــة منـك ، إن الكفـر بـلا مشيئة منـك قـول متناقض .

-فالأمر للعـاجز قبيـــحٌ وذميم ، والغضـب " عليـه " أقبـح ، وبخاصـة عندمـا يكون من الرب الرحيم .

- إن الثـــور الذى لايقبل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا قط لم يُحقر ، لأنـه لم يطر .

- وإن لم يكن الثور معـذورا فـي فضـول الفعـل والقـول ، فمـن أى شـيء يكـون صاحب الثور الوقح معذورا .(٢)

---

(١) مثنـــوى : ٥/٣٠٨٧-٣٠٩٩

(٢) مثنـــوى :٣١٠٠-٣١٠٣

نعم : قد يتدخل اختيـــــار الله سبحانه وتعالى ، فينقـض مـا اختـار العبـد ، وهـو المعروف " بفسخ العزائم ونقضها من أجـل إعـلام الإنســـــان أنـه هـو المـالك والقاهر " يقول مولانا تحت هذا العنوان :

– إن العزائم والمقاصـــــد في الحوادث ، تصح لك بين الحين والآخــــــر .

– حتى يلوى قلبك طمعــــا ، ثم يحطم قلبك مرة أخـــــرى .

– ذلك أنه إذا جعلك بلا مراد كلية ، لصرت قانط القلب ، فمتى غرسـت غـرس الأمـــــل ؟

– فهو وإن كان ينقش الأمل فـي قلـب كـل إنســـــان ، فمتـى كـان قهـره يبـدو عليـــــه من إنتفاء هذا الأمل ؟

–لقد صار العشـــــاق من صدهم عن مرادهم عارفين بمولاهم .

– وصارت الخيبة دليلا إلى الجنة ، فاستمع إلى "حفت الجنة" يا حسن الجبلة .

– وكل مراداتك كسيرة القدم ، ومن ثم يلزمك شخص" موفق الخطــــــى .

– ومن ثم صار هؤلاء الصادقون كسيرين ، لكن أين هو انكسار العاشقين .

– وإن العقـلاء كسـيرون لـه اضطـرارا ، لكـن العشـاق كسـيرون لـه بمائـة اختيـــــار .(١)

وهكذا عندما يصل مولانا جلال الدين إلى نقطة الصعوبـة فـي القضيـــــة ، يقـدم حله المعهـود : العشق ، عندما تكون عاشقـا ، لن تقول إرادتي وإرادتــــه ، بـل سوف تذوب الإرادات كلها ، إن صار لك ثم إقتران بالنور الإلهي ، فلا جبر ولا اختيار ، بل ذوبان تام في كل ما اختاره اللـــــه :

– وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتكون آنذاك متجردا عن ذاتـك بـلا اختيـــــار .

---

(١) مثنـــــــوى : ٣/٤٤٦٥-٤٤٧٣

–وعندمـا تصبح تلك الخمر هي اختيـارك الكلـــــي ، تكـون معـذورا علـى الإطلاق ، كالثمـــل .

– وكل ما تدقه يكون مدقوقـــا بتلك الخمر ، وكل ما تكنســــه ، يكون مكنوسا بهــــا .

– ومتى يفعل ذلك الثمل إلا العدل والصـــــواب ، لقد شـرب مـن كـأس الحق الشراب .(١)

اختيار البشر في هذه الحالة موجود ، لكن كظل لما اختاره اللـــــه [ومن أشرف على حسن اختيار الله ، لم يتمـن إلا مـا اختـار اللـه لـه] فـي قـول منسـوب إلـى الحسين بن علي رضي الله عنهمـــا .(٢) وهذا يتفـق مـع نظريـة جـلال الديـن الرومـي الشـاملة التـي تعتبر كـل الموجـودات ظــلا لشـمس الحقيقـة الكـبرى ، والمقصـود بـالطبع أن الإرادة الإلهيـة عندمـا تغلـب ، لا يكـون هنـاك اختيـــــار لمخلوق ، ومن ثم تتكرر عند مولانا دائمـــا عبارة " إن جـاء القضـــــا ، ضـاق الفضــــا " :

– وعندما يحم القضـــــاء ، تضيق هـذه الدنيـــــا ، ومـن القضـــــاء تصـير الحلوى ألما للفم .

–لقد قيل : إذا جاء القضاء ضاق الفضا، تحجب الأبصــــار إذ يأتي القضـــاء .

– وعندما يحـم القضـــاء ، تعمـى الأبصـــــار ، بحيث لا تـرى العيـن كحـل العين .

---

(١) مثنــــــوى : ٥/٣١٠٥-٣١٠٨

(٢) الهجويــــرى : كشف المحجوب – الترجمة العرية بمشـــاركة كاتب هذه السطور – صـ ٢١١

-إن مكر ذلك الفارس أنه أثـــار الغبار ، وذلك الغبار هو الذى أبعدك عن الاستغاثـــة .

-فامض نحو الفارس ، ولا تمض نحو الغبـــار ، وإلا أطبق عليك مكر هذا الفارس .(١)

يريد مولانا أن يقول : حذار أن تتبجح وتترك الضراعة ، وأن تظن أنك مسلط على مصيرك ، وأن يرديك هذا الظن فتنصرف عن العبودية والتضـــرع والعبادة :

- وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر اختيار أبي البشر وفره ؟

-وموضع السمع فيه قطعتان من العظـــام ، وموضع إدراكـــه قطرتان من الدم ، أى القلب .

- وقطعة من اللحم أداة للحديث عنـــده ، وقطعة من الشحم هي موضع بصـــره .

- إنه مجرد دودة صغيـــرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب .(٢)

والمقصود بالطبع أن تكريم الإنســـان بالاختيار ، لا ينبغي أن يكون سببا في تجبره وادعائه ، وأن يدعي أنه " خلف شغاف القلب محبوب معتز برأيـــه "(٣) هذا الاختيار اختيار غير كامل ، يعبر عنه مولانا بأنه اختيار ذو شقين ، أى بين طريقين من الشك والخوف والهول والتردد الذي يعذب البشر في أعمالهم

---

(١) مثنـــوى :٣/٣٨٠-٣٨٤

(٢) مثنـــوى : ٥/١٨٥٢-١٨٥٥

(٣) جلال الدين همائـــي : مولوى نامه - ١/٩٠

وأفعالهم ، ومن ثم يجد المرء نفسه – بالرغم من الكرامة التي أعطيت له – متضرعا إلى الخالق أن ينجيه من شر هذا الاختيار ، هي مسئولية الحرية التي لا تزال تعذب الحر ، لكن المناجي هنا يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يصطفي روحه ويجعلها له ، ويسقيها من دن الغيب شرابا ينقلها إلى قدرية الجنون والسكر الإلهي(١) :

– ومن أكون أنا ؟ إن هذا الفلك ذا المئات من أنواع الحشمة والجلال ، قد صرخ أكثر من هذا الحقير من جراء الاختيار .

– قائلا : أيها الإله الكريم الحليم ، ارحمني من هذا الاختيار ذى الشقين .

– إن الجذب إلى طريق واحد هو الطريق المستقيم ، أفضل من طريقي التردد أيها الكريم .

– ومهما كنت أنت المقصود من هذين الطريقين ، لكن انتزاع الروح جاء من الإثنينية .

– وليكن لي أى هذين الطريقين بعزمك أنت ، لكن القتال فيك لم يكن قط كاللهو .

– واستمع إلى بيانها من القرآن الكريم ، في الآية الكريمة ﴿ أشفقن منها ﴾ .

– وهذا التردد في القلب كأنه جمر الوغى ، أى الأمرين بالنسبة لي أفضل ، يا ترى .(٢)

---

(١) المصدر السابق : صـ ٩١

(٢) مثنوى : ٦/٢٠٢-٢٠٨

وحتى في هذه الحالة ، تظل العظمة الإلهية منوطة بكون الإنسان مختارا ليس مجبرا هذا كما تقاس العظمة الحقيقية لأى حاكم بأنه يحكم شعبا من الأحرار لا شعبا من العبيد ، فأية مزية حقيقية للحكم والسلطة على مخلوقات كقطع الشطرنج . وهذا أمر شديد الوضوح ،. والاختيار على مراحل ، وهو ظاهرة ليس لها وجود عيني كالأجسام في الخارج ، ظاهرة - والرأى لمحمد تقي جعفرى صاحب التفسير الكبير لمثنوي جلال الدين -(١) ذات حالتين : الحالة الأولى وهي القوة الموجودة قبل اختيار العمل والقيام به ، وفي هذه الحالة لا يتنافى الإختيار ولا يصطدم بأى اختيار آخر ، ما دام لم يدخل في حيز العمل بعد ، وهناك تتنافس مئات الأنواع من الاختيارات مادامت كلها لم تنتقل إلى حيز العمل أو تنتقل من القوة إلى الفعل أو من الفكرة إلى التنفيذ هذه الحالة تشغل حيزا من الوجود لا يمكن لفكرة أخرى أن تشغله ، ومن البديهي أن النقيضين لا يجتمعان ، ومن ثم فإن كون الله سبحانه وتعالى مختارا مطلقا فوق اختيارات الإنسان ، لا يتنافى مع اختيار الإنسان ، لأن الاختيار الإلهى ليس حقيقة عينية تتصادم مع حقائق عينية أخرى ، وهذا يشبه تماما قولنا أن وجود الله وإحاطته بكل الوجود لا يتنافى مع كون الإنسان موجودا ، بل إن اختيار الله سبحانه وتعالى يستلزم وجود اختيار آخر لكى يجرى مشيئته عليه ، وهو ما عبر عنه مولانا بأن قدرة الإنسان على الجماد لا تنفي جمادية الجماد(٢) وهو ما سبق أن ذكرناه ، ليس هذا

---

(١) محمد تقي جعفرى : تفسير ونقد وتحليل مثنوى جلال الدين محمد مولوى - جـ١٢- صـ ٤٠٧-٤٠٩- تهران - اسلامي -١٣٦٣هـ.ش.

(٢) المصدر السابق : صـ ٤٠٨

فحسب ، بل إن منتهـى الاختيـار أن يمحـى هـذا الاختيـار الجزئـي الإنسـاني فـي الاختيـــار الكلـــي الإلهـــي :

– قال داود عليه السلام : لقد كنت مغلوبـــا لك ، ثملا بك ، كانت يداى مقيدتين بيدك .

– أليس كل مغلوب للمليك مرحومـــا ؟ وأليس المغلوب كالمعدوم ؟

– قـال سبحانه وتعـالى : أيـن ذلـك المعدِوم المغلـــوب ؟ أيقنـــوا أنـه ليس معدوما إلا بشكل نسبي .

– إن مثـل هـذا المعـدوم الـذي غـاب عـن وعيــــه ، هـو أفضـل الموجـودات وأعظمهـــا .

– إنه فان في صفات الحق ، وفي الحقيقة فإن البقاء لـــه في هذا الفنـــاء .

– وكل الأرواح فى تدبيـــره ، وكل الأشبـــاح في مرمى سهمـــه .

– إن من هو مغلوب فى لطفنـــا ، ليس مضطـرا " مجبورا" ، بـل هـو مختـار بالولاء والمحبـــة .

– ومنتهى الإختيـــار يصبح لمن يكون اختياره مفتقـــدا هنـــا .

– وليست هنـــاك لذة عند المختـــــار ، إن لم يصـر لـه محـو الأنيـة فـي نهايـة الأمر .(١)

وكما أن " جف القلم " لا تعني استسلاما ، بل تعني أن هناك ثوابت في الحساب الإلهي ، فإن القول الآخر [ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن] لا يعنـي أن يترك الإنســـان نفسه مثل قشـــة في مهب الريح ، فالمشيئة مشيئته تعنـي أن الرضـــا رضاه سبحانه وتعالى والغضب غضبـــه ، فالزم طاعته ، ولا تطلب رضا الآخرين ، واطلب رضـــاه :

---

(١) مثنـــــوى : ٤/٣٩٥-٤٠٤

- إن قول العبد " ماشاء الله كان " ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساســـه .
- لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أى زد في العبادة ، وكن مستعـــدا .
- فإن قيل لك أن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعل فعلك ، فقم به حسب هواك .
- يجوز حينذاك أن تكاســـل ، فإن كل ماتريده أو تقوله هو الذى يصير .
- وعندما يقال : ماشاء الله كان ، يعنى أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .
- وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبوديـة حول بابـــه ؟
- لقد قلت هذا الكلام وصرت كســـولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك .
- فالأمر أمر السيد فلان ، ماذا تعني ؟ تعني قلل الجلوس مع غيـــره .
- وطف حول السيد مادام الأمر لـــه ، إنه يقتل العدو ، وينجي الصديق .(١)
٦- ولا يعني الجد أو السعي الذى يدق عليه مولانـا جلال الدين كثيرا أن على الإنسان أن يقاوم مـا لا سبيل إلـى مقاومتـه ، أو أن يحاول الخروج عن نطاق القضـــاء ، أو بتعبير خليفة عبد الحكم " أن يدق رأسه في جدار القضاء" فالجد والسعي والكدح في حد ذاته جزءٌ من قدر الإنســـان (٢) :
- والجهاد ليس من قبيل مغالبـــة القضـــاء ، فهو أيضـــا ما كتبه علينا القضـــاء .(٣)
كما يرى خليفة عبد الحكم أن التصور الأصلي للواحديــــة الذى يعزى إلى فلسفة فيختنـــه ، جاء به مولانا جلال الدين من قبله ، وفحواه أن ما يبدو

(١) مثنـــــوى : ٥/٣١١١-٣١١٦و٣١٢٠-٣١٢١
(٢) خليفه عبد الحكم : عرفـــان مولوى - صـ ١٠٤
(٣) مثنــــــوى : ١/٩٨٠

لأنظارنا مما نسميه مقاومة خارج حدود النفس هو في الواقع ينبع من النفس ، والنفس تبسط في هذه المقاومة عن طريق المغالبة الدائمة ، وما ورد في القرآن الكريم عن ابتلاء الله البشر وتمحيصه إياهم عن طريق المصائب ، انعكس في نظرية مولانا بشأن الشر ومقاومته كوسيلة لتحقيق إمكانات الذهن البشرى وما يمكن أن يقوم به من معجزات ، والمقاومة فحسب والصبر هما اللذان يهبان الوجود الإنساني استعدادات جديدة ، وهذا هو مصير الإنسان ، لكنه في الوقت نفسه لا يناقض الاختيار . من هنا لا يكون الاختيار هدفا في حد ذاته ، بل يكون وسيلة لاتخاذ قرارات حرة جديرة بالنفس الإنسانية وعلوها وتساميها . الهدف من الاختيار سمو الانسان وعيشه حرا ، وكون الإنسان مجبوراهوفي حد ذاته عبودية ، إنه يتربى ويتسامى ويسلك الطريق حتى يصل إلى أن يصبح جديرا بالاختيار، وكرامة الاختيار أنه يجد حريته باختياره[1] ومن هنا فالاختيار يبين نوعية البشر ، وهو المحك :

- فالحق يسلط الحار والبارد والتعب والألم على أجسادنا أيها الرجل الشجاع
- فالخوف والجوع ونقص الأموال والبدن ، كلها من أجل ظهور نقد الروح .
- ولقد وجه كل هذا الوعد والوعيد ، من أجل هذا الخير والشر اللذين مزجهما معا .
- وما داموا قد مزجوا الحق بالباطل ، فقد صبوا في الهميان الصحيح والزائف .
- ومن ثم ينبغي له محك منتقى في الحقائق ، اجتاز كثيرا من الامتحانات .

---

(١) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى – صـ ١٠٥

– حتى يصبح فارقـــا بين هذه الأمور المـزورة ، وحتـى يصبـح دستورا لتلك التدابيــــر .

– فلترضعي موسى يا أم موسى وألقي بـه فـي اليـــم ، ولا تخشـين مـن البـــلاء .(١)

الاختيـــار إذن هو قدر الإنســـان الحقيقي ، والإنســـان بقدر اختيـــاره ، وهو السبيل إلى بيان الزائف مـن الصحيح والتبن مـن القمح ، ويكون الإنسان إنسانا بقدر اختياره ، ويعطى رحمة الله بحسب هذا الاختيـــار ، وتظل العطايا بقدر القابليات ، والقابليات بقدر الجهد ، فكرة تتردد كثيرا عند مولانا جلال الدين وهو يلاحظ الإنسان ميدان عمله الأول بين ضعفه وقوته وتساميـــه وتدنيـــه

– إن هناك بين الخلائق أرواحا طاهرة ، كما أن من بينها أرواحا كدرة علاها الطين .

– وهذه الأصداف ليست كلها في مرتبة واحـدة ، فبعضها يحتوي على الدر ، وبعضها الآخر ليس فيه إلا سبـــــه .

– ومن الواجب أن تفصل بين الصالح والطالح ، مثلما تقـــوم أنت بفصل القمح عن التبن .

– لقد خلق هذا العالم من أجل إظهـــار " هـذه الحكمـة " ، وذلك حتـى لا تبقى كنوزها مدفونة مخفيـــة .(٢)

---

(١) مثنـــــوى : ١/٢٩٧٤-٢٩٨٠

(٢) مثنـــــوى : ٤/٣٠٢٥-٣٠٢٨

الإنســـان الحر كنز ، والامتحـــان الإلهي كنز ، والمسئوليـــة هي الوجه الآخــر للحريــة ، فليس هناك عبد مسئــول ، والامتحان يكون لبيان صدق اختيار المرء :

- وإذا لم يكـن هنـاك امتحـان لكـل شـرير ، لكـان كـل مخنـث بطـلا فـي الوغـى كرستـــم .

-فافترض أن المخنث مدرع فـي الحديـد ، لكنـه عندمـا يـرى الطعـــان يسـقط كالأسيـــــر .

- وكيف يصير ثمل الحق مفيقـــا من ريح الدبـــور ، إن ثمل الحق لا يفيـق ولو بنفخ الصور .[1]

وصور هذه الامتحانات كثيرة التردد في المثنوى ، حيث يصور مولانا آفـــة الإدعاء ، وافتضاح المدعين في بيان قل أن يوجـــد مثلـه عنـد شـاعر صوفـي آخــــر .

٧- ويعالج مولانا التناقض الظاهر في بعض الأحـاديث النبويـــة بشكل أدبـي لكنـه شـديد العمـق ، فهنـاك حـــديث [الرضـــا بـالكفر كفـر] وهنـاك حديـث آخــــر [من لم يرض بقضائـــي فليبحث عن رب سواى]

-بالأمس سألني سائـــل كان مغرمـــا بالجدل .

- قال : هناك حديث يقول : الرضا بالكفر كفـر ، وقـد قالـه المعصـوم ، وكلامـه ختم " لكلام الأنبيـــاء " .

- لكنه قال في موضع آخر : على المسلم أن يكون راضيـــا بقضــــاء اللـــه

- أليس الكفر والنفاق من قضــــاء اللـــه ؟ وإن رضيت بهما ، فهذا شقــــاق

---

(١) مثنـــــوى : ٣/٦٨٦-٦٨٨

- وإن لم أرض بهمـــا فهـذا هو الخسران ، فمـا حيلتـي إذن بيـن هذيـن الحديثين ؟

- فأجبت : إن الكفر مقضيٌّ وليس قضـــاء ، فهـذا الكفر حقيقـة مـن آثــار القضـــاء .

- ولتعلم إذن القضــاء من المقضي أيهـــا السيـــد ، حتـى يرفع الإشكال لديك في التو واللحظـــة .

- فأنا أرضى بالكفر من حيث أنه قضـــاء ، لا مـن حيث يكون نتيجـة جدالنـا وخبثنـــا .

- والكفر من حيث إنه قضــاء ليس كفرا ، فلا تسم الحق كافرا ، فهذا أمر جلل

- فالكفر جهل ، والقضـــاء بالكفر علـــم ، ومتى كانا سواءً الحلم والجهل ؟

- وقبح الخط لايعني قبح الخطاط ، لكنه أبدى القبح من ناحيتـــــه .

- والقـــوة في النقاش أنـه يستطيــــع أن يصـور القبـح كمـا يستطيـــع أن يصور الجمـــال .(١)

ومولانا يعني بالمقضي نفاذ قضـــاء الله تعالى في العبد بما يتناسب مع أعمـال العبد وأفكاره واتجاهاتـــه ، أى أن القضـاء هو مـافي علـم اللـــه ، فـإذا نفذ سهمه أصبح مقضيــــا ، ومن هنـا قد يتغير مصيرالعبد بالدعاءأو بـالعمل الصالح أو بالتوبة أو ما إلى ذلك من أعمال العبد التي تجعل منه شريكا في قـدره محددا لمصيره ، وهذا ما جعل مولانا جـلال الدين يرفض تلك الفكـرة الجبريـة الممعنة في الجبر التي تجعل من الإنســان مجرد بعير أعمى مرخي الزمـــام

---

(١) مثنـــــوى : ٣/١٣٦٣- ١٣٧٤

وهي في رأيـــه تسد الطريق إلى الخالق جل شأنه تماما ، وتقطـع العلاقـة بيـن الخالق والمخلوق وتضيـــع قيمة العمـــل ويضيع الأمـــل :

– فهل تجيز وهل يكو في الأصـــل جائزا أ يكو الحق معزولا عن حكمه الذى سبق ؟

– أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدى ، فـلا تلجأ إلـيّ كثيـــرا وكفـاك تضرعا إلي " .

– لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندى سيـــان ، العدل والظلـــم .

– ولقد فرقت ما بين الخير والشـــر ، لكني أيضـــا فرقـت مـا بيـن السـيء والأســـوأ منه .

– فلو أن عندك ذرة من الأدب أكـثر ممـا لـدى رفيقـك ، فإنمـا يعلمهـــا فضـل الرب .

– فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها الجبـــل .

– والملك الذى لايكون هناك فرق أمام عرشه بين الأمين وبين الظلوم " الخئون "

– ولا يكون هناك فرق بين من يرتعـد خوفـــا مـن أن يـرد لديــــه ، وبيـن ذلك الذى يسخر حتى من جده " وإقبالـــــه" .

– وكلاهما يكونان عنده ســـواء ، لايكون ملكا ، بل أحثُ التراب الكدر علـى رأســـه .

– فلـو أن مثقـــال ذرة تزيـــد مـن جهدك ، فإنهـا تكـون موزونـــة فـي ميزان اللـــه .(١)

---

(١) مثنـــــوى : ٥/٣١٣٦-٣١٤٥

ومن ثم فالمسئوليـــــة عمل يقابلها في الطرف الآخــــر عدالـــــة مطلقـــــة ، ينالها العبد مهما تأخرت فليس عنـــد الله زمـــــان .

٨-وهناك قضية أخرى ذات ارتباط بقضية الجبر والإختيار هي قضيــة " الكسـب والتوكـل " . والقضيـة ذات أصـول من القرآن والسنة والمــوروث الصوفــي ، ويصل فيها التناقض في المواقف حدا جعل الإمام الغزالي يقـول " التوكـل وهـو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق مـن حيـث العمـل ، ووجـه غموضـه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد ، والتثـاقل نها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع " ويقول التسستري " من أنكر الكسـب فقد أنكـر السـنة ، ومـن أنكـر التوكـل فقد أنكـر الإيمـان " أو كمـا يقـول السـرى السقطي ما معناه أن المرء يستطيع أن يكـون فـي السـوق دون أن يشـغل لحظـة واحدة عن الله تعالى .[1] وهكذا فبالرغم من أنه " لا رهبانية في الإسـلام " إلا أن نظرات الصوفية تختلف فـي هـذا المجـال اختلافـا يصـل إلـى حـد التنـاقض ، فالدنيا خلقت بالحق وعلى وجــه الحكمـة ، وتسـير وفقـا لنظـام منطقـي مرسـوم ، وليست عبثا أو لهوا أو لعبا ، ومع ذلك توجد آيات أخرى تتحدث عن الدنيا كلهـو ولعب ومتاع غرور . وفي الواقع أن التناقض هنا تناقض صـوري ، فلفـظ الدنيـا يوحـي بتصـورات مختلفـة ، إذ يمكـن اعتبـار الدنيـا مكانـا جديـرا بـالعيش برغـم كراهة أهل الدنيا المتمسكين بها المتكالبين عليها ، وهناك دنيا للبشـر ودنيـا للـه ، وما هو مرفوض حقيقة هو الدنيـا التـي فـي سـبيلها يـداس علـى كـل شـيء حتـى

---

(١) عن خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى صـ ١٠٨-١٠٩

علىأوامر الله ونواهيه ، الدنيا الخالية من الله ، والحياة " بدون الله "(١)
أو ما عبر عنه مولانا بالماء تحت السفينة وليس الماء في السفينة .(٢)
وهناك ملمح جدير بالإهتمام في فكر مولانا جلال الدين وهو أن نفس هذه الروح الصوفية التي يعتبرها الجميع تحث على ترك الدنيا وهجر كل نشاط فيها ، هي عند مولانا جلال الدين من أعظم عوامل حث الفرد على النشاط والبناء ، وأنواع الذنوب تحط بأدرانها على النفس وعلى حرية الإنسان في نفس الوقت ، فهي عامل تدمير بالنسبة لتربية الشخصية الإنسانية . والمثنوى في هذا المجال وثيقة صوفية ضد ترك الدنيا وضد الجبر ، وسجل حافل بعوامل تربية الشخصية وتربية الإرادة الإنسانية الحرة(٣) .

---

(١) المصدر السابق : صـ ١١٣

(٢) مثنوى : ١/ ٩٩٠ . والتعبير مأخوذ من سنائي : حديقة الحقيقة الأبيات ٥٩٩٩-٦٠٠١

(٣) في ندوة أقامتها مجلة كيهان فرهندى " كيهان الثقافية " شارك فيها عدد من أساتذة الجامعات الإيرانية المهتمين بالتصوف وكاتب هذه السطور ، وجه لي أحدهم سؤالا هو : من دراستك لجلال الدين هل تراه من القائلين بوحدة الوجود أو القائلين بوحدة الشهود ؟ وأجبت : عندما بدأت قراءة جلال الدين لم أهتم بوحدة الوجود أو وحدة الشهود ، وإنما كان أول ما لفت نظري ذلك السعي الدؤوب في تربية الشخصية الإسلامية المثالية ، وتتبع أمراض النفس الإنسانية ، والإهتمام بمصير الإنسان على الأرض كمرحلة أولى وأساسية من مراحل عروجه إلى السماء . وتأكد لي أن الغرب قدم لنا جلال الدين قدم لنا جلال الدين الرومي الغائب التائه المغرب في الحديث عن وحدة الوجود ووحدة الشهود لكى يصرفنا عن الاستفادة منه ، ليس الاستفادة منه وحده بل من التراث العرفاني كله ، وإلا هل يستطيع أحد أن يقول أن سنائي والعطار ومولانا جلال الدين كانوا غائبين في ملكوت الله ؟ . وكان الأستاذ جعفر

ويقف مولانا جلال الدين كثيرا عند الأحاديث التي تحض على العمل ، والحرص على قوام الشخصية في المجتمع ، والدنيا لازمة تماما ، فبدونها لا عروج ولا تصفية ولا تنقية ، وسخر مولانا من أولئك الصوفية والزهاد الذين يتنطعون في التوكل ، ويتظاهرون ، ويبالغون في محاولة الخروج عن الطبيعة البشرية وما تقتضيه الحياة (١) والاهتمام بالدنيا في رأى مولانا مهم من أجل عمار سوق هذه الدنيا:

- إن شهوة الدنيا على مثال المستوقد ، يكون حمام التقوى مشتعلا منه .

- لكن نصيب المتقي من هذا المستوقد هو الصفاء ، فهو موجود في الحمام وفي النقاء .

- والأغنياء مثل حملة البعر والقمامة ، من أجل إشعال النار عند الحمامي .

- لقد وضع الله الحرص في نفوسهم ، حتى يبقى الحمام رائجا معمورا .(٢)

طبيعة الحياة نفسها في حاجة إلى كل هذه المتناقضات ، ولولاها ما قامت :

- وإذا لم يوجد جاه فرعون وكبرياؤه ، فمن أين تجد جهنم ما يغذيها ؟

= شهيدى من حضور الندوة ، فقال : أوافقك تماما ، نحن في حاجة إلى قراءة جديدة لتراثنا نابعة منا نحن ، ولم يوجهنا فيها أحد .

(١) حكاية الدرويش الذى نذر ألا يأكل إلا من الثمار التي تسقطها الريح في الكتاب الثالث ، وحكاية الدرويش الذى نام متوكلا في حضن جبل ناء عن الناس الواردة في الكتاب الخامس " البيت ٢٤٠١وما بعده .

(٢) مثنوى : ٢٣٨/٤-٢٤١

- فسمنـــــــه ثم أقتله أيهـــــا القصـــــاب ، وذلك أن الكلاب في جهنم بقيت بـلا زاد .

- وإذا لم يكن هناك خصم وعدو في الدنيـــــا ، لمات الغضب إذن بين الناس .

- وذلك الغضب هـو جهنـم ، ويلزمـه خصـم حتـى يعيـش ، وإلا قتلتـــــــه الرحمـــــة .

- ولبقي إذن لطفٌ بلا قهر أو شر ، ومتى كان كمال الملك يتـــم آنذاك ؟! (١)

ويستمر مولانا في هذه الفكـــرة : العالم قائم علـى الأضـداد ، علـى الصـراع ، ومن الطبيعي أن يحتوى على عدة ألوان ، ومـن المحـال أن يكـون لونـا واحـدا ، والغفلة مكروهة ، ولولاها ما قام هذا العالم :

- وأنت جمل أعمـى مشدود الزمـام ، فـداوم النظـر إلـى الجـذب ولا تنظـر إلـى الزمــــام .

- ولو صـار الجـذب محسوســـا والزمـام ، لمـا ظلـت الدنيـا توصـف بأنهـا دار الغــــرور .

- ولرأى المجوسي أنه يسير فـي أثـر كلـب ، لكـي يصبـح مسـخرا للشيطـــــان الأكبـــــر .

- ومتى كان يمضي في أثره إذن كالمخنث ؟ بـل لكـان المجوسـي قـد إرتـد عـن متابعته سريعـــا .

- وإذا كانت البقرة تفهم ما يريده منها القصابـــون ، فمتـى كـانت تتبعهـم حتـى الحانوت ؟

- وتأكل النخالة من أيديهـــــم ، وتدر لهم اللبن عندما يتحسسون ضرعها ملقا

---

(١) مثنــــــوى : ٤/١٠٧٥-١٠٧٩

- ومتى كانت تهضم علفها إن أكلت ؟ إذا فهمت ما هو المقصود من هذا العلف

- ومن هنا فإن عماد هذه الدنيـــا هو الغفلة ، وما هي الدولة المسماة بالفارسية " دُولَت " ، إنها من "دو" بمعنى السعي ثم " لت " بمعنى الضرب .(١)

وهل يمكن أن تثبت حرية اختيـــار إن لم يكن ثم ما يمكن الاختيـار من بينه ؟ فما قيمة الجهاد إذن إذا اختفى الشر من الدنيـــا ؟

- وعندما لا يكون عدو فالجهـــاد محـــال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هناك امتثـــال .

- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميـــل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالإحتيـــال

-فانتبـــه ، ولا تجعل من نفسك خصيـــا، ولا تصر راهبـــا ، ذلك أن العفة رهينة بوجود الشهوة .

- ولا يمكن النهي عن الهوى إن لم يوجـــد هوى ، ولا يمكن القيـــام بالغزو ضد الموتـــى .

- لقد قال " أنفقـــوا " إذن " فاكسبـــوا " أولا ، ذلك أنه لا نفقـــة دون أن يسبقها دخـــل .

- فإذا كان قد قال " أنفقوا " على الإطـــلاق ، فاقرأها أنت اكسبوا ثم انفقوا .

- وكذلك عندما قال إصبـــروا ، ينبغي أن تكون هناك رغبـــة ، حتى تشيح عنها بالوجـــه .

- إذن فإن " كلوا " من أجل شراك الشهـــوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هي العفـــة .(٢)

---

(١) مثنـــوى : ٤/١٣٢٣-١٣٣٠

(٢) مثنـــوى : ٥/٥٧٥-٥٨٢

مولانا جلال الدين إذن – في رأى الخليفة عبد الحكم – هو الوحيد من بين الصوفيــة الذى جاهد في إدراك طبيعة الشر من نواحيه الأخلاقية والمادية والاجتماعيــة ، فالشر مهما كان نسبيــا ، له وجود حقيقي ، والأمور في حد ذاتها ليست خيرا محضــا وليست شرا محضــا ، فلا قيمة للأشيــاء في حد ذاتها ، لكنها تقيم من ناحية تلقي البشر لها ، والأمر الواحد ربما يكون لأحدهم خيرا وللآخر شرا (١) ويكون شرا في ظروف معينــة وخيرا في ظروف أخــرى :

– ومن هنا فليس هناك شــر مطلق في هذه الدنيا ، إعلم إذن أن الشر نسبي .

– ولا يكون أبدا سم وسكر في وقت واحــد ، لا يكونان قوة لأحد وقيدا لآخــر .

– فما يكون قوة لأحد يكون قيدا لآخر ، يكون سما بالنسبة لأحد ولآخر كأنه السكــر .

– وسم الحية يكون حياة لتلك الحيــة ، لكنه بالنسبة للإنسان موت .

– والبحر بالنسبة لأحيــاء البحر كالحديقة ، لكنه لمخلوقات الأرض موت ومصيبــة . (٢)

حتى المعرفة ليست خيرا في حد ذاتها ، بل تكون خيرا إن وضعت في خدمة الروح ، وشرا إن أُتخذت وسيلة لكسب الجاه والتسلط على الخلق :

---

(١) الفكرة وردت أيضا عند سنائي في الحديقــة لبيت ٤٦١:

الموت لهذا هلاك ولذاك مئونة ، والسم لذاك غذاء ولهذا موت .

(٢) مثنــوى : ٤/٦٥-٦٩

- إن علوم أهل الدين حاملة لهم ، وعلوم أهل الحس أحمال على كواهلهم .

- والعلم حين يطرق القلب يكون معينا ، والعلم حين يحط على الجسد يكون وقرا . (١)

كل ما في الكون ضروري ، ولا يهم أن تكون بعض السلع معيبة ، فهذا العيب ضروري من أجل أن تتبين جودة السلع الأخرى ، بل إن الله - بتعبير سنائي- عندما خلق الكون لم يخلق شرا على الإطلاق (٢)

ويقول مولانا :

- وإذا لم تكن البضائع المعيوبة موجودة في الدنيا ، لكان كل التجار بلهاء .

- ولكانت معرفة البضائع إذن أمرا شديد السهولة ، فإن لم يكن ثم عيسى ، فسواء العزيز والخسيس .

- وإن كانت كلها ذات عيوب ، فلافائدة للمعرفة ، فما دام كله خشب ، فليس ثم عود هنا .

- وذلك الذى يقول كلهم على الحق أحمق ، وذلك الذى يقول كلهم على باطل شقي .(٣)

فالحيوان وهو أدنى من البشر لامفهوم عنده للخير والشر ، والملاك لا يعرف ما هو الشر ، الإنسان فحسب هو الحر في الاختيار بين أن يكون ملاكا أو

---

(١) مثنوى : ١/٣٤٦٠-٣٤٦١

(٢) حديقة الحقيقة : الأبيات ٤٥٤-٤٦٠

(٣) مثنوى : ٢/٢٩٥٠-٢٩٥٣

يكون شيطانا ، وهذه هى الجدلية الرئيسية في العرفـــان ، وكل ما يتعرض لـه الإنســـــان محك له وضبط لعيـــاره وبيان لحقيقته واختبار لأصلـــه ومدى قابليتـــه :

– وكل إنســـان يدعي الحسن والملاحة ، فإن حجر الموت بالنسبة لـه محك ملاحـــة . (١)

– وعندا اختفى المحك بين الرجال والنســـاء ، أدخل في الصف أيها الزيـف ، وتتفج الآن بالادعـــاء .

– وما دام المحك غائبا أثناء تتفجك وادعائك ، فافهم أنهم يحملونك معززا يدا بيد

– ويقول الزيف بعنجهيــــة : متى كنت أقل منك أيها الذهب في أية لحظـــة ؟

– فيقول الذهب : بلى أيها الرفيق ، لكن استعد فالمحك قـــادم في الطريـــق .(٢)

ولعل سائلا يتســاءلأ : أين مفهـوم الحرية عـند جلال الدين ؟ لقد كان كل ما عرض هنا قضية كلاميـــة ليس أكثر ، أين الحريات المكفولة في المجتمعات الحديثة ؟ حرية الاعتراض على الحاكم وحرية الرأى والتعبير ؟ أين الحريات المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنســـان ؟ والرد : أيمكن أن يوجد فكر يعترف بحرية الإنســان وحقه في الاختيـــار تجاه خالقـــه ، ثم يحاول أن يثبت قضية بدهية هي حرية الإنســـان في مواجهة مخلوق مثلـــه ؟

---

(١) مثنـــوى :٤/١٦٧٤

(٢) مثنـــوى : ٤/١٤٧٧–١٤٨٠

كان مولانا جلال الدين يرى أن حرية الإنســـــان لا يتم لها التحقـق إلا إذا كـان حرا من الداخل مسيطرا على نفسه التي بين جنبيه وعلى شهواته ومطامعه التـي تحد من انطلاقه الروحي ، فعبد الشهوة أسوأ من العبد الرقيق :

– وعبد الشهوة أسوأ عند الحق ، من الغلمان والعبيد المسترقين .

– فإن هؤلاء يصيرون أحرارا بلفظ واحد من السادة ، وذاك يعيش عيشا حلـوا ، ويموت ميتة شديدة المرارة .

– وعبد الشهوة لا يجد خلاصا في حد ذاته ، إلا بفضل الله وبإنعام خاص .(١)

حرية الإنســـان الحقيقية إذن تنبع من داخله، وحلم الإنسان المستمر هو الحرية ، ولا يستطيع أى طاغية أن يسلب من الإنسان حريته إن كـان حـرا مـن الداخـل . أما أولئك الذين يريدون رأى مولانا في طغيان السلطة فليلتمسوه مـن مقدمـــــة الترجمة العربية للكتاب السادس .

---

(١) مثنــــــوى : ١/٣٨٣٠-٣٨٣٢

النــص

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

وبه نستعين ، وعليه نتوكل ، وعنده مفاتيح القلوب ، وصلى الله على خـير خلقـه محمد وآله وصحبه أجمعين .

هذا هو المجلد الخامس من دفاتر المثنوي والتبيان المعنوى في بيـان أن الشـريعة كالشمع تبدي الطريق ، وذون أن تحصل على الشمع لا تصبـح سـالكا للطريـق ، وعندما تسير في الطريق، فسيرك هذا هو الطريقة، وعندما تصل إلى المقصـود ، تكون الحقيقة . ومن هنـا قيـل : لـو ظهـرت الحقـائق بطلـت الشـرائع ، فلـو كـان النحاس قد تحول إلى ذهب ، أو كان المعدن ذهبا في الأصل ، لما كانت به حاجة إلى علم الكيميـــاء الذى هو بمثابـة الشـريعة ، أو أن يعـرض علـى هـذا العلـم ، وعرضه هذا هو الطريقة ، كما قيل : [طلب الدليل بعـد الوصـول إلـى المدلـول قبيـح ، وتـرك الدليل قبل الوصـول إلــى المدلـول مذمـوم] .. . الخلاصــة أن الشريعة بمثابة تعلم علم الكيمياء من أستاذ أو من كتاب ، والطريقة هي استخدام الأدواء وتعريض النحاس للكيميـــاء ، أما الحقيقة فهي تحول النحاس إلى ذهب . وعلمـاء الكيميـاء فرحـون قـائلون : نحـن نعلمهـا ، والعـاملون فـي علـم الكيميـاء فرحون قائلـــون : ونحن نمارسهــــا ، ومـن وجـدوا الحقيقـة سـعداء بالحقيقـة قائلون : لقد صرنا ذهبا وتحررنا من علم الكيمياء أو العمل به ، فنحن عتقـــاء الله ﴿ كـل حـزب بمـا لديهـم فرحـــون ﴾ .... أو أن مثـل الشـريعة كمثـل تعلـم الطب ، ومثل الطريقة كمثل التطبب والتوقي على مقتضى الطب ، والحقيقة هـي إدراك الصحة الأبديــــة والفـراغ مـن التعلـم والممارســة ،. وعندمـا يمضـي المرء عن هذه الحياة ، تنقطع عنه الشريعة والطريقة وتبقى الحقيقة ، فـإذا كـانت لديه الحقيقة فهو لا يفتأ يصيح ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ﴾ ، وإن

لم يدركها صاح ﴿ يا ليتني لم أوتَ كتابيه ، ولم أدر مـا حسـابيه ، يـا ليتهـا كـانت القاضيـــة ، مـا أغنـى عنـي ماليـه ، هلـك عنـي سـلطانيه ﴾ فالشـريعة علـم ، والطريقة عمل ، والحقيقة هي الوصول إلى الله، ﴿ فمـن كـان يرجـو لقـاء ربـه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربـــه أحدا ﴾ . وصلـى اللـه علـى خـير خلقه محمد وآله وعترته وسلم تسليمـــا.

- إن الملك حسام الدين وهو نور الأنجم ، طالبٌ لبدء السفـــــر الخامس .

- يا ضيــــاء الحق ، ويا حسام الدين العظيم ، يا أستاذا لأساتذة الصفــــــاء .

- لو لم يكن الخلق محجوبين مدنسين ، ولو لم تكن الحلوق ضيقة ضعيفـــــــة؛

- لأعطيت الكلام حقــــه في مدحك ، ولتفوهت بغير هذا المنطق .

٥- لكن طعام البازى لا يكون لتلك الصعوة ، وما من حلٍ الآن سوى أن يمزج الماء بالزيت .

- وإن شرح أحوالك مع أهل الدنيا يكون من قبيل الغبن ، فلأكتمه في داخلي كأنه سر العشق .

- فالقيام بمدحك مع السجناء إهدارٌ لــــه ، فعليّ أن أنطلق في هذا المديح في محفل أهل الروح .

- وما المدح إلا تعريف وكشف للحجاب ، والشمس في غنى عن التوضيح والتعريف .

- ومادح الشمس هو في الحقيقة مادح لنفسه ... كأنه يقول: إن عينيّ مبصرتان وليستا بالرمداوين .

١٠- وتوجيه الذم إلى شمس الكون هو ذم للنفس،كأنك تقول : عيناى عمياوان مظلمتان كليلتان .

- ولتلتمس العذر لإنسان يكون في هذا الكون حاسدا للشمس المضيئــــة .

- فهل استطاعت عين قط أن تخفيها بأن تغمض " أمامها " ، أو هل قدرت على منعها من منح النضرة للأشياء المهترئـــــــة .

- أو أن تقلل من نورها الذى لاحدود لــــــه ، أو أن تنهض منكرة سطوتها وجاههــــا ؟

– إن من يكون حاسدا للكون ، يكون هذا الحسد له بمثابة الموت الأبدى .

١٥– لقد جاوز قدرك إدراك العقول ، وكل ما يبديه العقل في تفسير أحوالك ، مجرد فضول .

– فإذا كان العقل عاجزا عن البيـــان ، وجبت الحركة بعجز في هذا المجال .

– " إن شيئا كله لا يدرك ، إعلموا أن كله لا يتـــرك " .(١)

– فإذا كـــان لا يمكن شرب طوفان السحاب ، فكيف يمكن ترك شرب المـــاء ؟(٢)

– وإذا كنت لا تستطيع أن تعبر عن الســـر في بيان ، فهيا جدد المدارك من مجرد قشوره .

٢٠– إن أنواع المنطق بالنسبة لك كلها قشور ، لكنها بالنسبة للآخرين لباب طيب

– والسماء بالنسبة للعرش شديدة الدنو ، لكنها بالنسبة لأكداس للتراب شديدة العلو

– وأنا أتحدث واصفا إياك ليسلكوا الطريق ، قبل أن تأخذنهم الحسرة من فواته .

– فأنت نور الحق ، وأنت حقيقة جاذب الروح ، والخلق "تائهـون" في ظلمات الوهم والظن .

– ولكي يصير هذا النور الطيب مكحلة للعميـــان ، عليهم في البدايـــة أن يقوموا بتعظيمه .

٢٥– وإنما يجد النور ذلك المستعد حاد السمع ، ذلك الذى لا يكون عاشقا للظلام وكأنه الفأر .

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج ١١/١٢٠– محمد تقي جعفرى – تفسير ونقد وتحليل مثنوي جلال الدين محمد مولوى – مجلد ١١– ط ١١ –تهران ١٣٦٣ هـ ش. : وإذا لم يكن في الإمكان شرب ماء البحر ، يمكن لك أن تشرب منه بقدر ما يسد ظمأك .

– وضعاف البصر الذين يتجولون ليلا ، متى يمكن لهم الطواف حول مشعلة الإيمان .

– والنكات المشكلة دقت على فهم رهين الطبع ، ذلك الذى عمي " بصره " عن الدين .

– والعين لا تستطيع أن تحملق في ضوء الشمس ، ما لم يزين الفضل سداها ولحمتها .

– وذلك الذى حفر الأرض جحورا كأنه الفأر ، لا يستطيع أن يتسامق بفروعه كأنه النخل .

٣٠– وهناك أربعة أوصاف ضاغطة على قلوب البشر ، والعقل قد صار مصلوبا على هذه الأربعة .

تفسير ﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾

– إنك خليلُ زمانك يا ساطع الذكاء ، فاقتل هذه الطيور الأربعة قاطعة الطريق .

– ذلك أن كل طائر منها وكأنه الغراب ، يقوم بسلب العقل ، واختطافه من العقلاء .

– وإن ذبح هذه الأوصاف الأربعة في الجسد كطيور الخليل ، يعطي الروح " نحو الارتقاء" السبيل .

– فيا أيها الخليل ، من أجل الخلاص من خيرها وشرها ، قم بذبحها حتى تزال السدود من أمام قدمك.

٣٥- إنك كل ، وكلها أجزاء منك ، أطلقها ، فإن قدمك مشدودة إلى أقدامها .

- وعالم الروح في عذاب منك ، وفارس واحد يكون ظهيرا لمائة جندى .

- ذلك أن هذا الجسد قد أصبح موطنا للخصـــال الأربعة ، وصارت أسماؤها لطيور الأربعة الباحثة عن الفتنة

- وإذا كنت تريد الحياة الأبدية للخلق ، فاقطع رؤوس هذه الطيور الأربعة المشئومة السيئة .

- ثم أحيها بعد ذلك ، نشأة جديدة ، نشأة لا يكون منها بعدها ضرر .

٤٠- وهذه الطيور الأربعة المعنوية قاطعة الطريق ، قد اتخذت لها في قلوب الخلق موطنـــا .

- وما دمت أميرا على كل القلوب السوية ، فأنت خليفة الحق في هذا العصــــر؛

- فاقطع إذن رؤوس هذه الطيور الأربعـــة ، واجعل العمر العابر سرمديـــا

- إنها البط والطاووس والغراب والديك ، إنها مثال على هذه الخصال الأربعة في النفوس .

- فالبط هو الحرص ، والديك هو الشهوة ، والجاه كالطاووس ، والغراب هو الأمنيــة .

٤٥- إن منيته أن يكون راجيا صانعا للرجاء ، طامعا في التأبيد أو العمر الطويل

- والبط هو الحرص لأن منقاره " دائما" في الأرض ، لا ينفك يبحث عن الدفين في الأخضر واليابس .

- ولا يتوقف حـلقه هذا لحظــة واحـدة ، إنه لا يسمع من حكم الإله إلا أمره ﴿كلـــوا﴾ .

- إنه مثل لص يقتحم منزلا ، ويأخذ في ملأ خرجه بكل ما أوتى من سرعة .

- ويكدس في كيسه الغث والسمين ، حبات الدر وحبات الحمص معا .

٥٠- حتى لا يفاجـــأ بمجيء لص آخـــر ، يأخذ في تكديس الأخضـر واليـابس في كيسه .

- إن وقته ضيق ، ومهلته قصيرة ، والخوف " طـاغ " عليـه ، فهو يضـع تحت إبطه كل شيء دون توقف .

- وليست لديه ثقة في سلطانه ، وأن لصـــا آخر لن يجـرؤ علـى الهجـوم عليـه والتصدى له .

- لكن المؤمن - إعتمادا على الحياة الأخرى - يهجم حين يهجم بتمهل وأناة .

- فهو آمن من أن يفوته شيء ، ومن مغير آخر ، فهو يعلم قهر مليكه لعدوه .

٥٥- وهو أيضا آمن من الأتباع الآخرين ، ومن أن يأتوا منافسين له ومنتفعين .

- لقد رأى عدل المليك في ضبط الحشم حيث لا يجرؤ أحد على ظلم أحـــد .

- فلا جرم أنـه لا يتعجـــل ، ويكـون سـاكنا ، وهـو آمـن تمامـا مـن أن يفوتـه حظـــه .

- ومن هنا فهو يتأنى ، ويصبر ويصابر ، فهو شبع العيـن ، يؤثـر علـى نفسـه ، وطاهر الجيب .

- فهذا التأني نورٌ من الرحمن ، وتلك العجلة من هزة الشيطــــان .

٦٠- ذلك أن الشيطان يخوفـــه من الفقر ، فيقوم بعقر مطيـــة الصـــبر .

- واستمع من القرآن أن الشيطان في وعيده ، يقوم بتخويفك من الفقر الشديد .

- حتى تختطف كل قبيح وتأكله من عجلتك ، فلا مروءة ولا تأن ولا ثواب .

- فلا جرم أن الكافر يأكل في سبعة بطون ، فإن قلبـه ودينـه واهيـان ضعيفـان ، والبطن ضخمة .

في سبب ورود هذا الحديث للمصطفى صلوات الله عليه وهو { الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في معى واحد }

– نزل بعض الكفـــار ضيوفا على الرسولﷺ ، وجاءوا إلى المسجد وقت العشاء

٦٥– وقالوا : لقد نزلنا أيها المليك ضيوفا عليك ، يا من أنت المضيف لكل سكان الأفق .

– فنحن بلا زاد وجئنا من طـــريق بعيد ، فهيا أنثرعلى رؤوسنا الفضـــل والنور .(١)

– فقال : القسمة يا صحابتي ، فأنتم ممتلئون بي ، ومن ديدني ، وعلى نفس خصالـــي .

– إن أجساد الجنود تكون ممتلئة من الملك ، ومن هنا فهم يضربون بسيوفه أعداء جاهه .

–إنك تضرب بهذا السيف بغضب الملك ، وإلا فأى غضب عندك على إخوانك ؟

٧٠– وتضرب أخا بريئا بدبوس الحرب ذى الأمنان العشرة ، إنعكاسا لغضب الملك .

– فالملك روح واحدة ، والجيش مليء به ، والروح كالماء وهذه الأجســـاد كالجدول .

– وإذا كانت روح الملك حلوة عذبة ، فإن كل الجداول تمتلىء بالماء العذب .

–فالرعية على دين ملوكها فحسب ، هكذا قال السلطان الذى نزلت عليه " عبس "

---

(١) ج :١٣١/١١ واستعلامي :١٢/٥ بيت زائد : – إلتفت إلى صحابته ذلك السلطان العظيم ، الآخذ بأيدى كل الملوك والعباد .

- واختار كل صحابي ضيفا من الضيوف ، وكان من بينهم رجل ضخم لا نظير له "في جرمه ".

٧٥- كان ضخم الجسد ، فلم يستضفه أحد ، وبقي في المسجد كما تبقى الثمالة في قاع الكأس .

-فاصطحبه المصطفىﷺ عندما تخلف عن الجميع ، وكان في قطيعه ﷺ سبع من الماعز الحلوب .

- وكانت الماعز موجودة في الدار ، وذلك من أجل الحلب عند الطعام .

- وأكل ذلك الجدير بأن يسمى " أبو قحط عوج بن غز " كل ما نتج عن هذه الماعز السبعة من حساء ولبن وخبز.

- فغضب كل أهل البيت ، فقد كانوا في حاجة إلى بعض لبن الماعز .

٨٠- لقد جعل معدته الشرهة الأكول كأنها الطبل ، وأكل وحده نصيب ثماني عشرة شخصا .

- وعند النوم مضى وجلس في الحجرة ، فأغلقت الجارية الباب عليه من الغضب .

- لقد أغلقت الباب بالسلسلة من الخارج ، فقد كانت غاضبة عليه متألمة منه .

- وفي منتصف الليل أو قبيل الفجر ، عندما عنت لذلكَ المجوسي حاجة ، وتحرك ألم بطنه ؛

- أسرع من فراشه نحو الباب ، وعندما حاول فتح ، وجده مغلقا .

٨٥- وجرب كل أنواع الحيل ذلك المحتال لكي يفتح الباب ، لكن الباب لم يفتح

- واشتدت حاجته ، وكثرت مطالبه ، والمنزل ضيق ، فبقي حائرا مسكينا ، قد أسقط في يده .

– فلجأ إلى النوم كحل أخير ، ورأى نفسه في المنام كأنه في خرابـــــة .

– ذلك أن الخرابة كانت في خاطـــره ، فعن له نفـس منظرهـا عندمـا راح فـي النوم .

– وعندما رأى نفسه في خرابة خاليـــة ، وكان في شدة الحصر ، غاط في التو واللحظـــة .

٩٠– واسـتيقظ مـن النـوم ، ورأى ملابسـه وفراشـه مليئيـن بالغـائط ، وجـن مـن الإضطراب .

– وخرجت من باطنه مائة صيحـة ، مـن مثـل هـذه الفضيحـة ، التـي لا يغطيهـا التراب .

– وقال : إن نومي أسوأ من يقظتي ، فأنـا آكـل مـن هـذه الناحيـة ، وأغـوط مـن الأخرى .

– وأخذ يصرخ : وا ثبوراه ، وا ثبوراه ، كأنه الكافر في قاع القبر .(١)

– وظل منتظرا متسائلا : متى تنقضي هذه الليلـة ؟ حتـى يتصـاعد صـوت فتـح الباب .

٩٥– وحتى ينطلق هو كما ينطلق السهم من القـوس ، وحتـى لا يـراه أحد وهـو على هذه الحال .

– إن القصة طويلة ، لكنى أختصر فيهـا ، ولقـد انفتـح البـاب ، وخلـص هـو مـن الألم والكرب .

---

(١) عند جعفرى : ١٣٢/١١: كا يفعل الكفار يوم النشور وهو أصح .

فتح المصطفى عليه السلام باب الحجرة للضيف ، واخفائه صلى الله عليه وسلم نفسه ، حتى لا يرى الضيف خيال من فتح الباب ، ولا يخجل ويخرج بجـــــرأة

- لقد جاء المصطفى ﷺ في الصباح وفتح الباب ، وعندما أسفر الصبح ، أعطى الطريق لذلك الضال .

- فتح المصطفى الباب واختبأ ، حتى لا يخجل من رؤيته ذلك المبتلى .

- وحتى يخرج ، ويمضي بجرأة ودون تردد ، ولا يرى وجه من فتح الباب أو ظهره .

١٠٠- فإما أن المصطفى ﷺ قد اختبأ خلف شيء ما ، أو أن ستر الله قد أخفاه عنه .

- إن صبغة الله تقوم أحيانا بالستر ، وتضع حجابا لا كيفية له أمام ذلك الناظـــر .

- بحيث لا يرى الخصم إلى جواره ، وقدرة الله سبحانه وتعالى أكثر من ذلك بكثير .

- كان المصطفى ﷺ يرى أحواله بالليل ، لكن أمر ربه كان يمنعه ؛

- من أن يفتح الباب قبل اكتمال الفضيحة ، وقبل أن يسقط ذلك الضيف من الفضيحة في البئر .

١٠٥- كانت الحكمة وأمر السماء ، وحتى يرى الضيف نفسه على ذلك الحال .

- وما أكثر العداوات التي تكون عونا ، ورب هدم يكون تعميـــــرا .

– وجاء أحد الفضوليين إلى الرسول ﷺ ، بفراش النوم المليء بالحدث .

– قائلا : أنظر ، ماذا فعل ضيفك ، فضحك " الذى أرسله الله " رحمة للعالمين .

– وقال : آتنا بهذه المطهــــرة ، حتى أغسل هذا الفراش كله بيدى .

١١٠– فأخذ كل من في المكـان يهب واقفا صائحــــا : بالله ، لتكن أرواحنا وأجسادنا فداءً لك ؛

– لنقم نحن بغسل هذا الحدث فاتركه لنا ، فهذا العمل من أعمال الأيدى ، لا من أعمال القلوب .

– ولعمرك ، أليس الله قد أقسم بعمرك ، ثم جعلك خليفة ، وأجلسك على كرسي " النبوة " ؟

– إننا نعيش من أجل خدمتك ، وعندما تخدم أنت ، فماذا نكون نحن ؟

–قال : إنني أعلم ذلك ، لكن قيامي بنفسي بالغسل هذه اللحظة فيه حكمة .

١١٥– فانتظروا ، لأن القول قول نبي ، حتى تتكشف هذ ه الأسرار ، وماذا تكون .

– وأخذ يغسل بجد ذلك الغائط ، بأمر من الله ، لا تقليدا ، ولا ريــــاءً .

–فقد كان قلبه يقول له : قم أنت بغسلـــــه ، فهنا تكمن حكمة مضاعفة .

سبب رجوع ذلك الضيف إلى منزل المصطفى ﷺ في تلك اللحظة التى كان فيها المصطفى ﷺ يغسل فيها فراشه الملوث بيده ، وخجله ، وقيامه بتمزيق ثوبــه ، ونواحه على نفسه ، وعلى أحوالــه

– كان للكويفر تعويذة على سبيل التذكار ، افتقدها فاشتد اضطرابه .

– وقال : لقد تركت التعويذة من غفلتي في تلك الحجرة التي قضيت فيها الليل .

١٢٠- وبالرغم من أنه كان خجلا ، فإن الحرص قد قضى على خجله ، والحرص أفعى ، وليس بالشيء الهين

- ومن أجل التعويذة أخذ في العدو مسرعا ، وعاد إلى منزل المصطفىﷺ ، ورأى ما يجرى .

- رأى أن يد الله يغسل الغائط بيده ، وهو سعيد راض ، ألا فلتبتعد عنه عين السوء .

- فنسي تعويذتــــه ، وأصابه هيــاجٌ شديـــد ، وشق جيبـــه .

- وأخذ يلطم وجهه ورأسه بيديه ، ويدق رأسه بالجدار والباب .

١٢٥- بحيث سال الدم من أنفه ورأســه ، فرق له ذلك العظيــــم .

- وجأر بالصياح ، وتجمع الخلق حوله ، والمجوسي يصيح : يا أيها الناس احذروا .

- أخذ يلطم رأسه قائلا : يا رأسا بلا عقل ، ويضرب صدره قائلا : يا صدرا بلا نور .

- وطفق يسجد قائلا : يا كل التراب ، لتخجل من هذا الجزء المهين منك .

- إنك وأنت كل خاضع لأمره ، وأنا الجزء ظالم وقبيح وغــــوى .

١٣٠- إنك وأنت كل ذليل ومرتعش من الحق ، وأنا الجزء منبت وفي خلاف .

- وأخذ كل لحظة يتجه إلى السماء قائلا : ليس لي وجه يا قبلة العالـــم .

- وعندما جاوز الحد في ارتعاشــــه وخفقانه ، أخذه المصطفى ﷺ بين أحضانه .

- هدأه ، وزاد في ملاطفتــه ، وفتح عينيه ، ووهبه المعرفـــة .

- فما لم يبك السحاب ، متى تضحك الرياض ؟ وما لم يبك الطفل ، متى يجيش اللبن ؟

١٣٥- إن الطفل الذى يبلغ من العمر يوما واحدا يعرف الطريق، ويقول لنفسه : لأبكِ حتى تجيء المرضعة الحنون .

- وأنت لا تعرف أن حاضنة الحواضن ، قليلا ما تعطيك اللبن مجانا وبلا بكاء .

- لقد قال الله : فليبكوا كثيرا ، فاستمع ، حتى ينصب عليك لبن فضل الخالق .

- وإن بكاء السحاب وحرقة الشمس ، هما عماد الدنيا ، نفس هذان الخيطان المجدولان .

- فإن لم تكن حرقة الشمس ، وإن لم يكن بكاء السحاب ، فمتى كانت الأجساد والأعراض ضخمة عظيمة ؟

١٤٠- ومتى كانت تعمر هذه الفصول الأربعة ، إن لم تكن تلك الحرقة ، وذلك البكاء الأصلي .

- وما دامت حرقة الشمس وبكاء سماء الدنيا يجعلان منها حلوة الفم ؛

- فاجعل شمس العقل في حرقة دائما ، واجعل العين كالسحاب ، شارقة بالدمع .

- وتلزمك عين باكية كالطفل الصغير ، وقلل إذن من أكل هذا الخبز ، فإنه يضيع ماء وجهك .

- وعندما يكون الجسد ذا زاد منه ليل نهار ، فإن أغصان الروح تكون متساقطة الأوراق ، في خريف .

١٤٥- وزاد الجسد نقص في زاد الروح ، فعليك أن تقلل منه سريعا ، وتزيد في زاد الروح .

- و﴿ أقرضوا الله ﴾ تعني : أقرض الروح من زاد الجسد ، حتى تنبت روضة في قلبك على سبيل العوض .

- فاقرض ، وأنقص هذه اللقيمات في جسدك ، حتى يبدو لك ما لا عين رأت .

- وعندما نخلص الجسد نفسه من بعره ، يملؤه بالمسك والدر الإجلالي .

- إنه يعطي هذه الأوضـــــار ويأخذ الطهر ، ويصبح الجسد ذا نصيب من قوله تعالى ﴿ يطهركم ﴾ .

١٥٠- لكن الشيطـــــان لا يفتأ يخوفك ، ويقول لك : إنتبه ، سوف تحزن وتندم إن فعلت .

- إنك تذيب البدن في سبيل هذه المهاوس ، وسوف يحل بك الندم والحزن الشديد

- هيا ، كل هذا ، فهو حار وعلاج للمزاج ، واشرب ذاك من أجل النفع والعلاج

- وهذا الجسد أيضا بمثابة المركب ، وما اعتاد عليه ، هو الأصوب له .

- فهيا ، لا تغير العادة ، فمن ذلك يتأتى الخلل ، وتتولد في القلب والدماغ مئات العلل .

١٥٥- وهذه التهديدات يأتي بها الشيطــــان الدني ، وهو ينفث في آذان الخلق مئات الوساوس .

- ويجعل من نفسه جالينوس في " وصف " الدواء ، حتى يخدع نفسك الضعيفة المريضة .

- قائلا: في هذا الشيء نفع لك و"علاج" من الألم والحزن ، وبالنسبة لحبة قمح ، قال نفس الشيء .

- وهو لا يفتأ ينفث وسوسته في أذنيـــك ، وبالخطــــام يلوي شفتيــــك ؛

- كشفتي الفرس عند تركيب سنابكه ، وذلك ليبدى لك الحجر الرخيص كأنه الياقوت .

١٦٠- وهو يأخذ بأذنيك ، كما يؤخذ بأذني الفرس ، ويجرها صوب الحرص ، وصوب الكسب .

- ويضع في قدمك سنبكا خطـأ ، بحيث تعجز في الطريق من الألم الذى يسببه لك .

- أتدرى ما هو هذا السنبك ؟ إنه التردد بين أمرين ، فلا تزال قائلا : أفعل هذا أو أفعل ذاك ، فانتبه .

- فافعل ما فعله المختار من النبي ، ولا تفعل ما فعله المجنون أو الصبـي .

- لقد حفت الجنة ، فبأى شيء صارت محفوفة ؟ بالمكاره التي منها زاد المحصول .

١٦٥- وإن له مائة وسوسة من حيلته ودهائه ، مثلها ما ينطلق من سلة مملوءة بالأفاعي .(١)

- وإن كان هناك ماء جار سد الطريق أمامه ، وإن كان ثم حَبر زمان ، ضحك عليـه .

- فاجعل العقل رفيقا لعقل صديق ، واقرأ ﴿ أمرهم شورى بينهم ﴾ ثم اعمـل .

ملاطفة المصطفى ﷺ لذلك الأعرابي الضيف وتهدئته إياه من إضطرابه وبكاء ذلك الأعرابي ونواحه على نفسه خجلا وندما وبتأثيـر نـار القنـوط

-- إن هذا الكلام لانهاية لـه ، وذلك الأعرابي بقى مندهشا من ألطاف هذا الملك .

---

(١) ج/١١-١٤٣:- فإن كان ثم جبل اختطفه كأنه قشة ، وذلك حتى يبدى لك سلطانه وتسلطـه .

– وكاد يجن ، وفر عقله من رأســـــه ، لكن يد المصطفي ردته .

١٧٠– وقال له : أقبل على ، ففعـل مـا أمـر بـه ، وكأنـه شـخص يقـوم مـن نـوم ثـقيـل .

–قال له : عد إلى هنا ، لا تفعل ، عد إلي وعيك ، فمن هنا تحدث أمور معكوسة

– ورش وجهه بالماء ، فانطلق في الحديث قائلا : يا شاهد الحق ، إعرض علـى الشهادة .

– حتى أشهد ، وأخرج منطلقا في هذه الصحراء ، فلقد سئمت من الوجـــود .

– إننا مقيمون في دهليز قاضي القضاة ، من أجل قضية " ألست " و " بلـــى "

١٧٥– فإذا كنا قد قلنـا لـه بلـى علـى سـبيل الإمتحـان ، فأقوالنـا وأفعالنـا شـهود وبيـــان .

– وإلا فلأى شيء نستسلم في دهليز قاضي القضـاة ؟ أليـس لأننـا جئنـا هنـا مـن أجل الشهادة ؟

– فحتام تظل محبوسا في دهليز قاضي القضاة أيها الشاهد ، هيا قدم شهادتك عند انبلاج الصبح .

– ولقد دعيت إلى هنا لكي تعطي هذه الشهادة ، ولا تبدي عتوا " واستكبارا " .

– ومن عنادك ، قبعت في هذا المضيق ، وقد عقدت يدك ، وضممت شفتيك .

١٨٠– ومـا لـم تـؤد الشـهادة أيهـا الشهيـــد ، متـى تكتـب لـك النجـاة مـن هـذا الدهليـــز .

– إنه عمل لا يستغرق سوى لحظـــة ، قم به وانطلق ، ولا تجعل العمل اليسـير صعبا على نفسك .

– وأد هذه الأمانـــة ، سواءً في مائة عام أو في لحظة واحدة ، وهيـــا ، أنـجُ بنفسك .

بيان أن الصلاة والصوم وكل الأعمال الظاهرة شهود على النور الباطنـــــــي

- إن هذه الأعمال من صلاة وصيـــام وحج وجهاد ، هـي شـهود أيضـا علـى الإعتقـــاد .

- وهذه الزكاة والهَـــدى وترك الجسد ، شهود أيضُــا على سرك .

١٨٥- والمائدة والضيافة من أجل إظهار الحق ، وهي تعنى : أيها العظـام ، لقد صرنا صادقين معكـــــم .

- وأنواع الهدى والعطايا والصـــلات ، كلها دليل يقول : لقد صرت معك طيبـا مؤتلفا .

- وكل إنســـان يجاهد بمال أو بمجرد قول لا جدوى منه ، لـم ؟ لكـي يقـول : لدى جوهر في داخلي .

- لدى جوهر من التقوى أو من السخاء ، وهذه الزكاة والصوم كلاهما دليل على الخصلتين .

- فالصوم يقول : لقد اتقى الحلال ، فاعلم إذن ألا صلة له بالحـــرام .

١٩٠- وقالت زكاته : إنه يعطي من ماله ، فكيف يسرق من أهل مذهبـــه ؟

- وإن كان ما يفعله رياءً وحيلة،فإن هذين الشاهدين قد جُرحا فـي محكمـة عـدل الإلـــه .

- والصيـاد إذ ينـثر الحـب ، لا يكـون مـن الرحمـة والجـــود ، بـل مـن أجـل الصيــــد .

- والقطة النائمـــة في صيامها ، قد تناومت من أجل صيد " الفأر " الساذج .

- ولقد جعل مائة قوم سيئي الظـن مـن هـذا الإعوجـــاج ، وجعـل أهـل الجـود والصوم سيئي السمعة .

١٩٥- وفضل الحق ينصب على ذلك الذى يمشي باعوجاج ، ويطهره من ألـوان اعوجاجه في النهايـــة.

- ولقد سبقت رحمته ، ووهب ذلك الغدر نورا لا يكون للبـــــــدر .

- ولقد طهر الحق جهاده من هذا الإختـلاط ، وغسلته الرحمـة من هـذا التخبـط واللتواء .

- وحتى يبدى " الإله " غفرانه ، بحيث يكون مغفره غافرا لرأســـــه .(١)

- ومن هنا فقد سقط المطـــــر من أعـالي السماء ، حتـى يطهـر الدنسين مـن الخبث .

تطهير الماء لكل أنواع الدنس ، ثم تطهير الله سبحانه وتعالى للماء من القذر ، فلا جرم أن الله سبحانه وتعالى هو القدوس

٢٠٠- عندما سعى الماء ، وصار نجســـا ، بحيث أن الحسّ صار يرد هـذا الماء " النجس" .

- حمله الحق مرة ثانية إلى بحـر الصـواب ، حتـى غسـله من كرمـه مـاء المـاء "ذاك" .

- وفي العام التالي ، عاد " الماء إلينا " مطيعا ، و" سألناه" : أين كنت ؟ "فأجاب": في بحر الطيبين .

- لقد مضيت من هنا نجســا وعدت طـاهرا ، تلقيت خلعـة " الإكـرام " وعـدت نحو التراب .

- فهيا ، هلموا إليّ أيها الدنسين ، فإن طبعي قد أخذ من طبع الإلـــه .

٢٠٥- إنني أتقبل منكم كل قبحكم ، وأطهر الشيطان ، فيصبح كالملَك .

---

(١) عند جعفرى : ١٥٢/١١: بحيث تغفر كل ذنوبه . ويبدو أصـــح .

- وعندما أصير قذرا أعود إلى ذلك المكان ، وأمضي إلى أصل أصل الطهر .
- وهناك ألقي بالدلق الملوث من فوق رأسي ، فيهبني من جديد الخلعة الطاهرة .
- إن هذا هو عمله ، وعملي هو هذا ، إنه من زين العالم ، رب العالمين .
- فلو لم تكن هذه الأقذار " عالقة " بنا ، متى كان منهاج الماء يكون هكذا ؟
٢١٠-- إنه يسرق أكياس الذهب من الأحد ، ويسرع في كل صوب صائحا : هل من مفلس ؟
-فإما أن ينصب على نبات ينمو ، أو يغسل وجه من لم يغسل وجهه .
- أو يحمل على رأسه كالحمال ، سفينةً لا قدم لها ولا يد ، فوق البحار .
- وهناك مئات اللآلاف من الأدواء كامنة فيه ، ذلك أن كل دواء يشتق منه .
- وهو روح كل ذرة ، وقلب كل حبة وبذرة ، يمضي في الجدول ، وكأنه خزانة الدواء .
٢١٥- ومنه تكون التربية والرعاية ليتامى الأرض ، والسير والمشي لأولئك المقعدين المتيبسين .
- وعندما يصبح بلا قيمة ويتكدر ، ويصبح حائرا مثلنا فوق الأرض ؛

استعانة الماء بالحق جل جلاله
بعد تكدره

- يطلق " آنذاك " الأنين من أعماقه مناديا : يا الله ، لقد أعطيت ما أُعطيت ، وبقيت متسولا .
- لقد صببت كل ما عندى على الطاهر والدنس ، فأعد إليّ رأسمالي ، أيها المليك ، هل من مزيد ؟

- فيقول للسحاب : احمله إلى موضعه الطيب ، وأنت أيتها الشمس ، اجذبيه إلــى أعلى .

٢٢٠- ويسوقه من طرق مختلفـــــة ، حتى يبلغ به البحر الذى لاحد له .

- إن غرضي من هذا الماء هـو أرواح الأوليــــاء ، فهـي التـي تغسـل الأكـدار عنهـــــم .

- وعندمـا تصـير كـدرة مـن غـدر أهــل الأرض ، تعـود إلــى واهــب الطهــر "المستوى" على العرش .

- فيردها من تلك الناحية راضية جارة أذيالها، قد وعت درس الطهر من موطنه

- ومن اختلاطها بالخلق تصاب بالاعتلال ، فتبحث عن ذلك السفر ، " وتهتف" : أرحنا يا بلال .

٢٢٥- يا بلالا حسن النغم حلو الصــــــوت ، اصعد فوق المئذنــة ، ودق طبـول الرحيل .

- فلقد سافرت الروح والجسد في قيام ، ولذلك فهي تقول عند رجعتها : السلام .

- فتقوم : أرواح الأولياء " بتحرير الجميع من التيمم ، و" تخلص " طلاب القبلة من التحري .

- إن هذا المثل كأنه الواسطة أثناء الكلام ، والواسطة ضرورة من أجل أن يفهم العوام .

- فكيف يمضي إلى النار أحدٌ دون واسطة ، اللهم إلا السمندل الذى خلـص مـن العلائق .

٢٣٠- إنك تتخذ مـن دخولـك الحمـام واسـطة ، حتـى يستطيب طبعـك السـخونة والنار .

– وما دمت لا تستطيع الدخول إلى النار " مباشرة " كالخليل ﷺ ، فقد صار الحمام رسولا للماء إليك ودليلا .

– والسير من الحق ، لكن أهل الطبع ، متى يحسون بالشبع دون واسطة من الخبز ؟

– واللطف من الحق ، لكن أهل الجسد ، لا يجدون اللطف دون رياض ، وهي "مجرد" حجاب .

– وعندما لا تبقى واسطة الجسد بلا حجاب ، يجد المرء النور من جيبه ، كما حدث مع موسى ﷺ .

٢٣٥– وكل هذه الفنون التي يبديها الماء ، شاهدة على أن باطنه مليء بلطف الرب .

دلالة الفعل والقول الخارجيين على الضمير والنور الداخلي

– إن القول والفعل شاهدان على الضمير ، فاستدل من هذين على ما يوجد في الباطن .

– فإن لم يوجد لسرك نفاذ إلى الباطن ، فانظر إذن من الخارج إلى بول المريض

– والفعل والقول بمثابة البول من المريض ، فهو برهان للطبيب الذى يعالج الأجساد .

– لكن طبيب الروح ذاك يمضي إلى داخل روحه ، وعن طريق الروح ينفذ إلى داخل إيمانه .

٢٤٠– فلا حاجة به إلى الفعل والقول الظاهريين ،" ومن هنا قيل : إحذروهم هم جواسيس القلوب " .

- فاطلـــب دليل القـول والفعـل مـن ذلـك الـذى لا يكـون متصــلا بـالبحر وكأنـه الجدول .[1]

في بيان أن النـور في حد ذاتـه مضيء من داخل المرء دون أن يفسره قول أو فعل ويدل على نوره

- لكن نور السالك الذى فاق الحد ، امتلأت بضوئه الصحارى والأوديــــة .
- وإن شهوده لفارغ من الشهود ، ومن أنواع التكلف ومن التضحية بـالروح فـي الوجود .
- ونور هذا الجوهر عندما تلألأ على ظاهره ، فرغ من كل التدرج والتسلسل .

٢٤٥- إذن لا تطلب منه دليل الفعل والقول ، فقد تفتحت الداران منه ، كالوردة .

- وما هو هذا الدليل ؟ إنه إظهار الخفي ، سواء بـالقول أو بـالفعل ، أو بغيرهمـا من الوسائل .
- فالغرض هو إظهار ســـــر الجوهر ، فالوصف ثابت ، وهذا العرض ، عـابر غير مستقر.
- وعلامة الذهب لا تبقى فوق المحك ، ويظل الذهب ، حسن الاسم ، خاليـا مـن الشك .
- وهذه الصلاة ، وهذا الجهاد ، وهـذا الصيـام ، أمـور لا تبقـى ، وتبقـى الـروح حسنة الاسم .

---

(١) ج/١١-١٦٢:-فقوله وفعله شاهدان عليه ، ذلك الذى يكون متصلا بالبحر كأنه الجدول .-فانظر إلى قوله وفعله ، وماذا يوجد في ضميره وسره .- وما هي مراتب نوره ، وهل هو سخي أو ينثر الحب من أجل الصيد .- فإن كان صيادا ابتعد عنه ، ولا تستمع إلى وساوسه وقوله وفعله . - وإن كان صديقا ، لا ترفع يدك عنه ، حتى يبلغ بك البحار .

٢٥٠- ولقد أبدت الروح مثل هذه الأفعال والأقوال على محك الأمر ، وسحقت جوهر " الدليل " .

- قائلة : إنني صادقة الاعتقاد ، وهاك الدليل ، لكن هناك في الأدلة اشتباهات .

- فاعلم أن الجواهر في حاجة إلى تزكية ، وتزكيتها الصدق الذى يكون موقوفا عليها .

- وفي الدليل عن طريق القول ينبغي أن يحفظ اللفظ ، أما في الدليل عن طريق الفعل ، فينبغي حفظ العهد .

- فإن كان ثم اعوجاج في دليل القول فهو مردود ، وإن كان ثم سعي باعوجاج في دليل الفعل ، فهو مردود .

٢٥٥- وينبغي أن يكون قولك وفعلك خاليين من التناقض ، حتى تحصل على القبول في التو واللحظة .

- إن سعيكم لشتى ، وأنتم في تناقض ، إنكم تخيطون في النهار ، وتمزقون ما خطتم ليلا .

- ومن ذا الذى يستمع إلى شاهد متناقض ، اللهم إلا إذا زاول الحلم من لطفه ؟

- والفعل والقول إظهار للسر والضمير ، كلاهما يظهر السر الخفي المستور .

- وعندما زكى دليلك فقد قبل ، وإلا حبس في المهلة والتلكؤ والنكوص .

٢٦٠- وما دمت تعاند ، فهم يعاندون أيها الحرون ، فانتظرهم ، إنهم منتظرون .

عرض المصطفى عليه السلام الشهادة على ضيفه ذاك

– إن هذا الكلام لا نهايـــــة له ، لقد عرض المصطفىﷺ الإيمان على هذا الفتـى وقبلـــــه .

– وتلك الشهادة التى كانت مباركة عليـــــه ، قد فكت القيود المعقودة "عليـــــه "

– صار مؤمنا ، وقال له المصطفى ﷺ : كن ضيفـــا علينا الليلة أيضـــا .

– قال : والله إنني ضيفك إلى الأبد ، حيثما أكون وحيثمـــا أمضـــــي .

٢٦٥– إنني عتيقك ، وحارس بابك ، ومن صار حيا منك ، وأنا على مائدتك فـي الدنيا والآخرة .

– وكل من يختار سوى هذه المائدة المختارة ، فإن حلقه يتمـزق فـي النهايـة مـن العظام .

– وكل من يمضي صوب مائدة غير مائدتك ، اعلم أن الشيطان قد صــار جليسه وشريكه في طعامه .

– وكل من يمضي عن جوارك ، يصبح الشيطان بلا جدال جارا له .

– وإن مضى بدونك إلى سفر بعيـــــد، يكون الشيطان رفيقا له وجليس طعامه .

٢٧٠– وإن ركب جوادا أصيـــــلا ، ويكون حاسدا للقمر ، فإنه يردف الشـيطان خلفه .

– وإن تحمل منه قرينته المدللة ، فإن الشيطان يكون شريكا له في نسلـــــه .

– فإن الحق قد قال له في القرآن – يا شفقا" مليئا بالنور"– ﴿ شاركهم في الأموال والأولاد﴾ .

– ولقد قال الرسول ﷺ هذا جليا من الغيب ، في أقواله النادرة المثال مع على ﷺ

– يا رسول الله ، لقد أبديت لنا الرسالة بالتمام ، وكأنها شمس بلا غمام .

٢٧٥- وإن ما فعلته لم تفعله مائتا أم ، ولم يفعله عيسىعليه السلام مع عازر .

-ألم تنقذ روحي الآن من الأجل ؟! وإذا كان عازر قد بعث حيا فقد مات لتوه .

- وصار ضيفا على الرسولﷺ تلك الليلة ذلك الأعرابي ، فأكل نصف لبن ماعز واحدة ، وضم شفتيه .

-فألح عليه قائلا : كل الرقاق واشرب اللبن ، فقال : لقد شبعت والله ، بلا نفاق

- وليس هذا تكلفا أو حياءً أو تفضلا ، لقد صرت أكثر شبعا مما كنت بالأمس .

٢٨٠- فتعجب كل أهل البيت ، لقد امتلأ هذا القنديل بنقطة من الزيت .

- وما هو قوت لطير الأبابيل ، هل يملأ معدة مثل هذا الفيل ؟

- وكثر الهمس بين الرجال والنساء ، إن هذا الفيلي الجسد يأكل قدر ما تأكل بعوضة .

- لقد انتكس حرص الكفر وهمه ، وشبعت الأفعى من قوت نملة .

- ولقد ذهب عنه طمع المتكدين الموجود عند الكفار ، فسمن دسم إيمانه وتضخم .

٢٨٥- وذلك الذى كان يرتجف من الجوع الشديد المستمر(١) ، رأى ثمار الجنة مثلما رأتها مريم .

- لقد أسرعت فاكهة الجنة صوب جسده ، فسكنت معدته التي تشبه الجحيم .

- والإيمان في حد ذاته نعمة ودسم عظيم ، يا من قنعت من الإيمان بالقول .

---

(١) حرفيا : جوع البقر .

بيان أن النور الذى هو غذاء الروح يصبح غذاءً لأجسام الأولياء، حتى يصبح قرينا للروح مصداقا لقول الرسول ﷺ: أسلم شيطانى على يدى

- بالرغم من أنه - أى النور - طعام الروح والنظر ، فإن للجسد نصيبا منه أيضا يا بنى .(١)

- وإن لم يكن شيطان الجسم آكلا منه ، لما قال الرسول ﷺ : أسلم شيطاني .

٢٩٠- وما لم يأكل الشيطان من ذلك الدسم الذى يحيي الموتى ، فمتى كان له أن يصير مسلما .

- إن الشيطان عاشق للدنيا وأعمى وأصم ، وربما يقضي على العشق عشق آخر .

- إنه عندما يتذوق " قوتا " من منزل اليقين الخفي ، فإنه يحمل أحمال عشقه إليه قليلا قليلا.

-" يا حريص البطن عرج هكذا ، إنما المنهاج تبديل الغذا .

- يا مريض القلب عرج للعلاج ، جملة التدبير تبديل المزاج

٢٩٥- أيها المحبوس في رهن الطعام ، سوف تنجو إن تحملت الفطام

- إن في الجوع طعاما وافرا ، افتقدها وارتج يا نافرا .

- اغتذ بالنور كن مثل البصر ، وافق الأملاك يا خير البشر " (٢)

- وكالملك ، اجعل غذاءك تسبيح الحق ، حتى تنجو من الأذى كالملائكة .

---

(١) ج/١١-١٧٤:- حتام يا قانعا بالخبز والكراث ، عد إلى وعيك وتغذ بالنور .

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- وإذا كان جبريل لا يحوم حول الجيف ، فهو في قوته ليس ضاربا أقل من نسر (١) .

إنكار أهل الجسد لغذاء الروح وارتجافهم من أجل الغذاء الخسيس

٣٠٠- حبذا مائدة موضوعة في الدنيا ، لكنها خفية جدا عن عيون الأخساء .

- وإن صارت الدنيا بستانا مليئا بالنعمة ، فإن نصيب الفأر والحية منها والمصباح . هو التراب " فحسب " .

- إن نصيبها هو التراب ، سواءٌ في الشتاء أو الربيع ، فكيف تأكل التراب يا أمير الكون ، كأنك الحية ؟

- وفي قلب الخشب ، تقول دودة الخشب : لمن تكون يا ترى مثل هذه الحلوى الطيبة ؟ (٢)

- ودودة البعر بين ذلك الحدث ، لا تعرف نُقلا في الدنيا سوى الخبث . (٣)

مناجاة

٣٠٥- أيها الإله الذى لا نظير له ، آثرنا ، ما دمت قد أعطيت الأذن حلقة من هذا الكلام .

---

(١) ج/١١-١٧٤:- والفيل وإن كان وقورا على الأرض ، قل لي ، متى نجا من بعوضة ؟

(٢) ج/١١-١٧٩:- والحشرة الصغيرة تقول وسط التراب ، إن أحدا في العالم لم يأكل مثل هذه الحلوى .

(٣) ج/١١-١٧٩: ولا يعرف الغراب شيئا قط سوى النجاسة ، لقد صارت له النجاسة " عزيزة" كالعين والمصباح .

- خذ بآذاننـــا وجرهــا نحــو ذلــك المجلــس ، فمــن رحيقــك ، يشــرب أولئــك المنتشـــــــون .

- وما دمت قد أوصلت إلينا رائحة منـه ، لا تغلـق فوهـة تلـك القربـة ، يـا رب الدين .

- إنهم جميعا يشربون منك ، من ذكـور وإنــاث ، ذلـك العطـاء بـلا انقطـاع أيهـا المستغاث .

- يا من يستجاب منك الدعاء الذى لـم يقـل ، لقـد أعطيـت القلـب فـي كـل لحظـة كثيرا من الفتوح .

٣١٠- ولقـد نقشـت بضعـة حـروف ، و"جعلتهـا" كتابـة ، فصـارت الحجـارة مـن عشقها في " ليونة " الشمع .

- ولقد صورت الحاجب مثل حرف النون والعين مثل حرف الصاد والأذن مثـل حرف الجيم ، وجعلتها فتنة للعقول والألباب .

- ومن حروفك هذه صار العقل يجدل الخيوط الرقيقة ، فداوم علـى نسـجها أيهـا الأديب الذى يحسن الخطوط .

- وخليق بكل فكر ارتبط بالعدم ، لحظة بلحظة ، صورة خيال حسن الرسم .

- والحـروف العجيبـة علـى لـوح الخيـال ، إنمـا كتبتهـا العيـن ، وصفحـة الخـد ، والخـــــال .

٣١٥- فلأكن ثملا بالعدم ، لا بالموجود ، وذلك لأن معشوق العدم أكثر وفاءً .

- ولقد جعل العقل قارئا لتلك الأشكال ، حتى يطوى من جرائها كل التدابير .

تمثيل اللوح المحفوظ وإدراك كل إنسان من ذلك اللوح بالنسبة للأمر وقسمته ومقدار رزقه ، بإدراك جبريل عليه السلام كل يوم من اللوح الأعظم

- إن ذلك العقل يحمل كل صباح الدرس اليومي من اللوح المحفوظ ، وكأنه المَلك .

- فانظر من العدم إلى كتابات بلا بنان ، ومن علمها تحير أرباب الشهوات .

- فصار كل إنسان مغلوبا مضحكا بالنسبة لخيال ، صار طلعة " دؤوبا" من اشتهائه لكنز ما .

٣٢٠- فمن خيال صار أحدهم ممتلئا بالعظمة ، متجها إلى مناجم الجبال .

- ومن خيال ، اتجه أحدهم بجهده المرير إلى البحر من أجل الدر .

- وثالث قبع من أجل الترهب في كنيسة ، ورابع انطلق حريصا نحو الحقل .

- ومن خيال ، صار هذا قاطع طريق لمن نجا ، ومن خيال صار ذاك مرهما لكل جريح .

- وفي استدعاء الجن فقد هذا قلبه ، وفوق النجوم وضع آخر سنابك جواده .(١)

٣٢٥- وهذه الخيالات المختلفة ترى الظهور ، من تلك الخيالات المتنوعة الموجودة في الباطن .

- وهذا حائر : ترى على أى شيء عكف آخر ، وكل ذائق لشيء ، ينفي ما ذاقه آخر .

---

(١) ج/١١-١٨٣:- وآخر في السفينة من أجل الربح ، وأحدهم فاسق ، والآخر ذو صلاح .

- ولأن تلك الخيالات كلها غير مؤتلفة ، فإنها عندما ظهرت ، صارت مختلفة .

- وعندما خبئت قبلة الروح عن الأنظار ، فإن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحية ما .

تمثيل الأساليب المختلفة والهمم المتباينة باختلاف تحري المتحرين للقبلة في الظلام ، وبحث الغواصين في قاع البحر

- إن مثلهم كمثل القوم الذين يتحرون عن القبلة ، ويمضون على الظن نحو جهة ما .

٣٣٠- وعندما تسفر الكعبة عن وجهها في الصباح ، يتكشف لهم أنهم قد ضلوا الطريق .

- أو كالغواصين في قاع البحر ، يجمع كل منهم شيئا ما بعجلة .

- وعندما يخرجون من قاع البحر العميق ، يتكشف من هو صاحب الدر العظيم .

- وأن آخر قد حمل درا صغيرا ، وثالثا قد حمل حصى وسبه .(١)

٣٣٥- " هكذا نبلوهم بالساهرة ، فتنة ذات افتضاح قاهرة " (٢) .

- وهكذا فإن كل قوم كأنهم الفراش ، خافقون بأجنحتهم حول شمعة من شموع الدنيا .

- وإنهم ليكبون أنفسهم في النيران ، ويطوفون حول شموع النفس .

---

(١) سبه معرب شبه حجر رخيص وقيل الجزع اليماني .

(٢) بالعربية في المتن الفارسي .

- وذلك على رجاء نار موسوية الإقبـال ، من لهيبها يشتد اخضرار الأشجار .
- لقد سمعت كل جماعة عن فضل تلك النيران ، وظنوا جميعا كل شرارة إياها .
٣٤٠- وعندما يسطع فجر نور الخلود ، يبدو لكل منهم أى شـمع كـان " يطـوف حوله " .
- وكل من أحرق جناحه من شمع الظفر ذاك ، يعطيه ذلك الشمع السعيد ثمـانين جناحاً .
- وطائفة الفراش التي أغمضت كلتا العينين ، وبقيت تحت شمع السوء محترقـة الجنـــاح .
- تتقلب في الندم والحرقـــة ، وتطلق الآهات من الهوى الذى يغمض العينين
- ويقول له الشمع : مادمت أنـا نفسي قد احـترقت ، فمتـى أنجيك مـن الحرقـة والجـــور .
٣٤٥- إن شمعه باكٍ لايفتأ يقول : إنني محترق الرأس ، فمن أين لي أن أضـــيء للغير ؟

تفسيـــر : يا حسرتنا على العبـــاد

- إنه لا يزال يقول لـــه : إنني مـن منظـرك قد اغتررت ، لكـن مخـبرك قـد رأيته متأخرا .
- والشمع الميت الذى أضاعه الريح ، والذى سلب قلوبنا ، قد تمزق من اعوجاج رؤيتنـــا .
- " ظلـت الأرواح خســـرا مغرمـــا ، تشـتكي شكـــوى إلـى اللــه العمــــى

- حبذا أرواح إخوان ثقـــــات ، مسلمـــات مؤمنـــات قانتات "[1]

٣٥٠- إن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحيـــة مـا ، وأولئك الأعـزاء قـد اتجهـــوا إلى لا صوب .

- وكل حمامة تطير نحو جهة مـــا ، وهذه الحمامة تطير نحـو الجهـة التـي لا جهة فيهـــا .[2]

- فلسنا نحـن بطيـــور الهواء ولا طيـــور المنـازل ، وإن حبوبنـا هـي تلك الحبوب التي لا حبوب فيها .

-ومن هنا فقد صـــار رزقنا واسعـــا ، ذلك أن خياطة القباء بالنسبة لنا هـي تمزيقنا إياه .

سبب تسميـــة الفرجية بهذا الاسم من البدايـــة

- مزق أحد الصوفية جبته عند حرج ، فحدث له من بعد هذا التمزيق الفرج .

٣٥٥- فسمى تلك الجبة الممزقة بالفرجيـــة ، فشاع هذا اللقب مـن ذلـك الرجل النجي .

- لقد شاع اللقب ، وأخذ الشيخ صفاءه، أما الذى بقى في طبع الخلق فهو اللفظ ، وهو الثمالـــة .

-وهكذا فكل من كان له اسم صاف ، ترك هذا الاسم وكأنه الكدر .

- وكل آكل للطين قد أخذ الثمالـــة ، ومضى الصوفي حو الصفـاء دون دهشـة أو عجب .

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١١-١٩٠:- وكل عقاب يطير من مكان إلى أخـــر ، وجزاء هذه العقبان حقيقة هو اللامكان .

– وقال : لابد للكدر من صفـــاء ، ومن هنا فإن القلب يدل على الصفاء ، ويمضي إليـــه .

٣٦٠– إن الكدر عسر ، وصفاؤه هو اليسر ، والصفاء كالرطب ، والكدر كالبســر .

– واليسر مع العسر ، فانتبه ولا تكن قانطــا ، وفي هذا الممات ، لك طريق إلى المعاش .

– فإذا كنت تريد الرَوْح مزق الجبـــة ، حتى تطل برأسك من ذلك الصفاء سريعـــا .

– والصوفي هو الذى يكون طالبــا للصفاء ، ليس الصوفي من لباس الصوف وحياكته واللواطـــة .

–لقد صار الصوفي عند أولئك اللئــام : " الخياطة واللواطة والسلام "(١)

٣٦٥– وعلى خيال ذلك الصفاء والاسم الطيب ، يكون ارتداء الألوان طيبــا ، لكن :

– إذا مضيت على خيالـــه نحو أصلـــه ، لا على مثال عباد الخيـــال ، مرحلة بعد مرحلة " من الخيال"

– فالخيـــال هو حارس الغيرة ، يــدور حول مريـــم الجمـــال .

– وقد منع كل باحث ، قائلا له : لا طريق ، ، وكل خيال يقف دونه قائلا : قف

– اللهم إلا ذلك الحاد السمع الحاد الذهن ، الذى يكون له التأييد من جيش نصرته

٣٧٠– إنه لا يهلع من الخيالات ويصير ملكـــا ، يبدى سهم الملك ، ثم يمضي في الطريق .(٢)

---

(١) بالعربية في المتن الفارســي .

(٢) ج/١١–١٩٢ :– كل من يكون في يده سهـــم الملك ، يجد الطريق ويمضي نحو المنزل . ثم عنوان " مناجاة " يليه بيت :––

- فدبر من أجل هذا القلب الحائـــر الضال ، وهب تلك الأقواس المنحنيـــة سهمـــا .

- لقد سكبت جرعة من هذه الكأس خفيـــة ، على أرض التراب " من كأس الكرام " .(١)

- وعلى الوجه والجدائل دليل من جرعتـــه ، والملوك يلعقـــون التراب من جرائهـــا .

-إن جرعة الحسن في هذا التراب الجميل ، هي التي تقبلها أنت ليل نهار بمائـــة قلب .

٣٧٥- والجرعة الممتزجة بالتراب ، إذا كانت تصنع أمثال المجنون ، ماذا تفعل بك إذا كانت صافية "دون تراب " ؟!

- وكل امريء ممزق الثياب " وجدا وولها " أمام قطعـــة من المدر ، فإن هذا المدر تجرع جرعة من الحسن - فجرعة على القمر والشمس والحمـــل ، وجرعة على العرش والكرسي وزحـــل .

- أتسميها جرعة ويا للعجب أو كيميـــاء ؟! فمن تأثيرها يوجد العديد من البهـــاء !!

- فاطلب تأثيرها بجد يا ذا الفنون ، لا يمس ذاك إلا المطهـــرون .

٣٨٠- فجرعة على الذهب وعلى الياقوت والدرر ، وجرعة على الخمر وعلى النُقل والثمـــر .

- وجرعة على وجوه الحســـان الجميلات ، فما بالك إذن بما يكون رائقا صافيـــا ؟!

-أيها القديم ذو المنن العالم بالســـر ، نحن في طريقك عاجزون وممتحنـــون .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فإذا كنت تلعق هذه بلسانك ، فكيف بك إذا رأيتها دون طين ؟!

- وعند الموت عندما تنفصـــل جرعة الصفاء هذه عن الجسد بالموت ؛

- فإن ما يتبقى بعدهـــا تقوم بدفنه سريعـــا ، فكيف كان مثل هـذا القبح مع هذا " الجمال " ؟!

٣٨٥- وعندما تبدى الروح جمـالها بدون هـذه الجيفـــة ، فإنني لا أستطيع أن أعبر لك عن لطف ذلك الوصال .

- وعندما يبدى القمر لطفـــه بدون هـذا السحاب ، فإنـه لا يمكـن التعبير عن شأنه وأبهته .

- فما أجمله من مطبخ ، ذلك المليء بالشهد والسكر ، ويكون السلاطين لاعقين للأطباق فيـــه .

- وحبذا بيادر صحراء الدين هذه ، والتي يكون كل بيدر بالنسبة لها لاقط حب .

-وما أجمله من بحر للعمر هذا ، خالٍ من الأحزان ، والذى تكون البحار السبعة بالنسبة له قطرة طل .

٣٩٠- وعندما صب ساقي يوم العهد جرعة على هذا الحمأ المسنون الدني ؛

- جاش ذلك التراب وجشنا من ذلك الغليان ، فجرعة أخرى - ياإلهي - فقد قل منا الجهد .

- فلو كان جائزا لي ، لشكوت مر الشكوى من العـدم ، وإن لم يكن هذا بالذى يقال ، فقد سلمت .

- إن هذا هو بيان البط المنتشي من الحرص ، فتعلم من الخليل عليه السلام أن البط جديـر بالقتل .

- وفي البط غير هذا كثير من الخـير والشـر ، لكنـي أخشـى أن يفوتنـي الحديث "عن الطيور الأخرى" .

وصف الطاووس وطبعه وسبب قتل إبراهيم عليه السلام إياه

٣٩٥–لقد جئنـا الآن إلى الطـاووس ذي اللونيـن ، الـذى يتجلـى بالنسبة للشـرف وبالنسبة للعار .

– إن همته هى صيد الخلق من طيبين وأشرار ، لكنه غافل عن نتيجة هذا الصيد وفائدته .

– والشبكة لا علم لها عدما تأخذ الصيد ، فأى علم للشبكة بالمقصود من العمل ؟

– وأى نفع للشبكة من الصيد وأى ضـــر ؟ إنني في دهشة من أخذها هذا الذى لانفع فيه !!

– أيها الأخ ، لقد اتخذت كثيرا من الأصدقـــاء ، بـأنواع كثيرة مـن التحبب ، (١) ثم تركتهم ومضيت .

٤٠٠– وكان هذا عملك منذ أن ولدت ، كان صيد الناس بشبكة الوداد .

– ومن كل هذا الصيد ، والتكديس ، والكبرياء والوجود ، ابحث بيـدك فيـــه ، لن تجد خيطا واحدا ذا سدى ولحمة .

– لقد مضى أكثر الوقت ، واليوم في آخـــره ، وأنـت لا تـزال تجـد فـي صيد الخلق .

–فهيـــا داوم على أخذ هذا في شبكتك وترك ذاك ، وهيا صد ذلـك الآخر مثل اللئـــام .

– ثم اترك هذا وابحث عن آخر ، وهاك لعب الأطفـــال الغافلين .

---

(١) حرفيا : بمائتي تحبب .

٤٠٥- ويحط الليل ، ولا صيدٌ واحدٌ في شبكتك ، وليست شبكتك إلا صداع لـك وقيـــد .

- بل تكون قد صدت نفسك بالشبكة ، وبقيت حبيسا محروما من أمانيـــك .

- فهل يمكن أن يكون فـي هذا الزمـان أحمق مثلنـــا يكون صـاحب شبكة ، ويقوم بصيد نفســه ؟

- ولما كان صيد العوام كصيد الخنازير ، بعد تعب لا حد له ، يكون الأكـل منـه حراما .

- وإن ما يستحق الصيد هو العشق فحسب ، لكن متى تسعه شبكـــة أحد ؟

٤١٠- اللهم إلا أن تأتي أنت وتصبح صيدا لــــه ، وتترك شبكتك ، وتمضـي إلى شبكته .

- وإن العشق لا يفتأ يهمس لـي فـي أذنـي: أن تكـون صيـدا خـير مـن أن تكـون صيادا .

-فاجعل نفسك مخدوعـــا بي ، واغتر ، ودعك من تصور نفسك شمسا ، وكـن ذرة .

- كن ساكنا على بابي ، وكن بلا دار ، ولا تدع أنك شمعة ، وكن فراشـــة .

- وذلك حتى ترى طعم الحيـــاة ، وترى السلطنة مستترة في العبودية .

٤١٥- وإنك لترى الأمور مقلوبة في الدنيـــا ، وقـد لقبـت مـن هـم فـي الجبيرة بالملوك .

- فكثير من الحبال في عنقـه ، والتـاج مشـنقة ، وحولـه جماعـة مـن النـاس فـي صياح : هاكم الملك المتوج .

- إنه مثل قبور الكفار ظاهره مزدان بالحلل ، لكن في باطنه قهر الله عز وجل

- وعندما زينوا قبورهم بالجص ، أسدلوا عليها حجبا من الظن .

- وطبعك المسكين عليه قشرة جص من الفضل ، كأنه نخلة من الشمع ، لا وُرْقٌ ولا ثمرُ .

في بيان أن كل إنسان يعرف لطف الحق وكل إنسان يعرف قهر الحق ، وكلهم متعلقون بلطف الحق هاربون من قهر الحق ، لكن الحق تعالى أخفى أنواعا من القهر في لطفه وأنواعا من اللطف في قهره ، فهو قلب للزهر، ومكر من الله حتى يميز أهل التمييز الذين ينظرون بنور الله من الناظرين إلى الحاضر والظاهر ، مصداقا لقوله تعالى :﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾

٤٢٠- قال أحد الدراويش لدرويش آخر : كيف رأيت حضرة الحق ؟ أخبرني .

- قال : رأيتها بلا كيف ، لكن من أجل التعبير بالمقال ، لأذكر نبذة عنها ، وعلى سبيل المثال .

- رأيت على يساره نارا ، وعلى يمينه نهرا من الكوثر .

- على يساره ، رأيت نارا محرقة للدنيا ، وعلى يمينه ، رأيت نهرا من السعادة .

- ورأيت جماعة مدت الأيدى نحو تلك النيران ، وجماعة أخرى في سرور ونشوة من أجل ذلك الكوثر .

٤٢٥- لكن هناك لعبة مقلوبة تماما ، موجودة أمام قدم كل شقي وسعيد .

- فكل من كان يمضي صوب النار والشرر ، كان يرفع رأسه من بين الماء ،

– وكل من كان منهم يمضي نحو النهر ، كان يتواجد في النار في التو واللحظة .

– وكل من كان يمضي صوب اليمين والماء الزلال ، أطل برأسه من النار من ناحية الشمال .

– وكل من مضى صوب الشمال النارى ، أطل برأسه من ناحية اليمين .

٤٣٠– وقليل ما هم أولئك الذين أدركوا هذا السر المستتر ، فلا جرم أن قليلا هم الذين مضوا صوب تلك النار

– اللهم إلا ذلك الذى انصب على رأسه الإقبال ، فترك الماء وأسرع نحو النار .

– لقد جعل " الله " لذة الحاضر معبودة عند الخلق ، فلا جرم أن أصابهم الغبن من ذلك المكر .

– لأنهم من الحرص والغفلة محترزون من النار ، هاربون صوب الماء ، طائفة بعد طائفة ، وصفا بعد صف .

– فلا جرم أن أطلوا برؤوسهم من النار ، فيا أيها الغافل ، اعتبر ، اعتبر من هذا .

٤٣٥– وكانت النار تنادي : أيها الذاهلون المخدوعون ، إنني لست النار ، إنني نبع القبول .

– لقد وضعوا كمامة على العيون يا عديمي النظر ، هلموا إلىّ ، ولا تهربوا من الشرر .

– أيها الخليل ، لا شرر هناك ولا دخان ، ليس ما تراه هنا إلا سحر النمرود وخداعه .

- وإذا كنت أريبــــا ذكيا كالخليل فالنار ماءٌ بالنسبة لك ، وأنت فراشـــــة " تلك النار " .

- وروح الفراشة لا تفتأ تنادى وتهتف : وآسفاه ، ليته كان لي مائة ألف جناح .

٤٤٠- إذن لاحترقت كلها في النـــــار بلا استغاثـــــة ، برغم أنوف مـن ليسوا بأهل وقلوبهـــــم .

- إن الجاهل يشفق علىّ من حماريته ، بينما أشفق عليه أنا ، من قوة بصيرتـــــي .

- خاصة تلك النار التي هي روح المــاء ، وإن أمر الفَراش على عكس أمورنــــا .

- إنها ترى النور فتمضي إلى النــــار ، والقلب يرى النار ويمضي صوب النــــور .

- ومثل هذا المكر يأتي من الرب الجليـــــل ، حتى تعرف من هو من آل الخليـــل .

٤٤٥- لقد جعلوا النار على شكـــل الماء ، وفجروا عين ماء من داخـــل النيـــران .

- وإن الساحر ليبدى بفنه طبقا مليئا بالأرز كأنه مليء بالدود على رؤوس الأشهاد .

- ويبدى الدار مليئة بالعقارب من نفثات سحــــره ، ولا وجود فيها لعقرب واحد .

- وما دام الساحر يبدى هذا ومئات من أمثالــــه ، فكيف يكون إذن مكر خالق السحرة ؟!

- فلا جرم أنهم من سحر الخالق ، قد سقطوا قرنا بعد قرن مستسلمين ، استسلام المرأة لزوجها .

٤٥٠- وكان سحرتهم عبيدا وغلمانا ، وقد سقطوا كما تسقط الصعوة في الشبكة .

- فهيا ، واقرأ من القرآن ، وشاهد السحر الحلال ، وانقلاب أنواع المكر الذى كالجبال .

- ولست بفرعون حتى آتي نحو ماء النيل ، ولأمض نحو النيران كأنني الخليل .

- فهي ليست بنار ، إنها الماء المعين ، أما ذلك الماء فمن المكر ، تحول إلى ماء ناري .

- ومن ثم فما أطيب ما قاله ذلك الرسول الذى أحل الطيبات ، ذرة من العقل أفضل من الصوم والصلاة .

٤٥٥- ذلك أن العقل جوهر فيك وهذان عرضان ، ومن المفروض أن يكمل العقلَ هذان .

- حتى يكونا كالصقل بالنسبة لتلك المرآة ، فإن الصدر يشرح من الطاعة بالصفاء .

- لكن المرآة إن كانت فاسدة من الأساس ، فإن الصقل يؤتي أكله فيها متأخرا .

- لكن تلك المرآة المختارة حسنة الأصل ، يكفيها قليل من الصقل .

تفاوت العقـــول من أصل الفطرة خلافا للمعتزلـــة الذين يقولون أن العقول الجزئيـــة في الأصل متساوية ، وأن هذه الزيادة والتفاوت من التعلم والرياضـــة والتجربـــــــــة

– إعلم جيـــدا أن تفاوت العقول هذا " موجود " ، ومراتبه من الأرض حتى السمـــــاء .

٤٦٠– فهناك عقل مثـــــل قرص الشمس ، وهناك عقل أقـل من الزُهـرة والشهـــاب .

– وهناك عقل كمصبـــــاح عند ثمـــل ، وهناك عقل مثل نجـــم من النار .

– ذلك أن السحاب عندما ينقشع من أمام " المرء " ، فلينظـــــر إلى نور الله ، يهب " الناس " العقول.(١)

– ولقد أساء العقل الجزئـي إلى العقل " الكلـي " ، وشهـــوة الدنيـــا جعلت المرء محروما .

– فذاك العقل رأى من الصيـــد حسن الصيـــاد ، وهذا العقل لكونه صيادا يحمل هم الصيـــد .

٤٦٥– وذاك العقل من الخدمـــة ، وجد الدلال من المخدوم ، وهذا لكونـه مخدومـــا ، حاد عن طريق العز .

– وذاك العقل من فرعونيته صار أسيرا للماء ، وهذا من معاناته الأسـر ، صار من الأسباط وسيدا عليه .(٢)

---

(١) ج/١١–٢١٤:– وإن عقول الخلق على عكس عقله ، إن عقله مسك وعقول الخلق رائحته .– والعقل الكلي والنفس الكلية هو رجل الله ، فلا تعتبرن العرش والكرسي شيئا غيره .– وذاته الطاهرة هي مظهر الحق ، فاطلب الحق منه لا من غيره .

(٢) الترجمة هنا من نسخة جعفري لأنها أكثر وضوحا ومنطقية من نسخة نيكلسون .

- إن اللعب معكوس هنا ، وحصان " الشطرنج " مقيد تماما ، فقلل من احتيالك ، فالأمر أمر إقبال وحظ .

- وقلل نسج سدى " أعمالك " ولحمتها على المكر والحيلة ، فإن الغنى قليلا ما يعطي الطريق للماكر.

- ولتمكر ، لكن في سبيل حسن الخدمة ، حتى تجد " دور" النبوة في الأمة .

٤٧٠- ولتمكر حتى تتخلص من هذا المكر ، ولتمكر حتى تنفصل عن الجسد .

- ولتمكر حتى تصبح أقل العباد ، وتمضي في التواضع والقلة لتصبح سيدا .

- ولا تقوم بأعمال الثعالب أيها الذئب العجوز ، لا تقم بها أبدا قاصدا السيادة .

- لكن كن كالفراشة ، واهجم على النار ، ولا تتجاوز هذا الأمر ، والعب بطهر .

- واترك القوة ، وكن عاكفا على الضراعة ، فإن الرحمة تنصب على المتضرع أيها الفقير .

٤٧٥- ضراعة المضطر الظمآن إلى المعاني ، لا ضراعة ذلك الغوى الباردة الكاذبة .

- وإن بكاء إخوة يوسف ﷺ مجرد حيلة ، لأن بواطنهم كانت مليئة بالحسد والمرض .

حكاية ذلك الأعرابي الذي كان كلبه يموت جوعا ، بينما خرجه مليئ بالخبز ، وأخذ ينوح على الكلب وينشد فيه الشعر ، ويبكي ويلطم رأسه ووجهه ، بينما يبخل عن إعطاء الكلب لقمة من الخرج

– كان ذلك الكلب يحتضـــر ، وذلك الأعرابي كان منهمكا في البكاء ، كان يذرف الدمع ويصيح : واكرباه(١)

– فمر به أحدهم وســـأله : ماهذا البكاء ؟ ولماذا تنـــوح وتصـــرخ ؟

– قال : كان عندي كلب حسن الخصـــال ، وها هو الآن يحتضـــر وسط الطريق .

٤٨٠– كان صيادي في نهاري وحارسي في ليلي ، فهو حاد البصر ، آخذٌ للصيد ، خبير باللصوص .(٢)

– قال : مم يشكـــو ؟ وهل طعنه أحـد ؟ قال : بل الجوع قد هد من قـــواه .

– قال : فاصبـــر إذن على هذا الألم والخسارة والحَرَض ، فإن فضل الحق يهب الصابرين العوض .

– ثم قال له : أيها السيـــد الحر ، ما هذا الخرج المليء في يدك ؟

– قال : إنه خبز وزاد ولحم كتف من أجلي ، أحمله معي لكي يتقوى به بدني .

٤٨٥– قال : وكيف لا تعطي ذلك الكلب الخبز والزاد ؟ قل : إلى هذ الحد لم يبلغ بي العطاء والوداد .

– فالحصول على الخبز لا يتأتى دون دراهم ، أما دمع العينين فبالمجـــان .

---

(١) ج/١١–٢١٧:– ماذا أفعل ياترى ؟ وما التدبير يا رب ، وكيف أستطيع الحياة بدونك بعد ذلك ؟

(٢) ج/١١–٢١٧:– كان يصيد الصيد ويحتفظ به من أجلـــي ، ولم يكن يترك لصا يقترب منـــي .

- قال : ليفضحك الله أيتها القربة الممتلئة بالريح ، فإن لقمة الخبز أفضل لديك من الدمـــع !!

- والدمع دم ، حوله الحزن إلى ماء ، وألا يساوى الدم المسفوك هدرا التراب " الذى سفك عليه " ؟

- لقد جعله كله ذليلا مثل إبليس ، والجزء من هذا الكل ، لا يكون إلا خسيســا

٤٩٠- وأنا غلام لذلك الذى لا يبيــع الوجود ، إلا لذلك السلطان ذى الأفضال والجود .

- وعندما يبكي ، تكون السماء باكية من أجلـــه ، وعندما يشكو ، يكون الفلك داعيا معه .

- وأنا غلام لذلك النحاس العابد للهمة ، ذلك الذى لاينكسر ، إلا إذا عرض على الكيمياء .

- فارفع في الدعاء يدا كسيــرة ، ذلك أن فضل الله يمضي طائرا نحو الكسيـــر .

- وإذا كنت تريد النجـــاة من هذا الجب السحيق ، فامض أيها الأخ فوق النار دون تأخيـــر.

٤٩٥- وانظر إلى مكر الله ، ودعك من مكرك ، يا من مكره يزرى بمكر الماكرين .

- وعندما يفنى مكرك في مكر الرب ، فإنك تفتح كمينا شديد العجب .

- وأقل ما في هذا الكمين يكون البقـــاء ، وتظل إلى الأبد في عروج وارتقـــاء .[1]

---

(١) ج/١١-٢١٨:- وابذل جهـدا ما من أجل هذا الكمين ، حتى تشم شذى من العلم اللدنى .- وإن كنت تعلم أحوال عروجك جيـــدا ، فإن هذا يكون خيرا بالنسبة لك .

في بيان أنه لا توجد عين مؤذية للإنسان بقدر العين التي ينظر بها إلى نفسه بعجب ، اللهم إلا إذا بدلت عينه بنور الحق مصداقا لـ : بي يسمع وبي يبصر ، وصارت نفسه بلا نفس

- لا تنظـــر إلى جناح طاووسك وانظر إلى قدمـــه ، حتى لايفتح لك " سوء النظر" كمينا .

- فإن الجبل ينزلق من عيون الحاسدين ، واقرأ من القرآن ﴿ يزلقونك ﴾ واعلم .

٥٠٠- ومن نظرة انزلق أحمد ﷺ وهو كالجبـــل ، وذلك في طريق لا طين فيه ، ولا مطر .

- ولقد بقي مندهشا " متسائلا " : من أى شيء هذا الإنزلاق ؟ إنني لا أظن هذا الحال يخلو " من سر " .

- حتى نزلت الآية ، وعلم أن ذلك الذى حدث له من عين السوء ، ومن الحقد والحســـد .

- " وخاطبه ربه قائلا " : لو كان غيرك لفنى في التو واللحظـــة ، ولكان صيدا للعين وسخرة للفناء .(١)

---

(١) ج/١١-٢٢٢:- فاعلم معنى عين السوء آخر الأمر ، ومن عين السوء ، اقرأ﴿ وإن يكاد﴾

– لكن عصمة ساعية سابغة خفت إليك ، أما انزلاقك فكان من أجل إعطاء العلامة والدليل .

٥٠٥– فاعتبر ، وانظر إلى ذلك الجبل ، ولا تعرض قدرتك ، يا أقل من قشـــــة .

تفسير ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصــــارهم﴾

– يا رسول اللـــــه ، إن في هذا الجمع أناســــا ، يصيبون النسور " الطائرة " بعيونهم الحسود .

– ومن نظراتهم تنشق رأس أسد العرين ، بحيث يئن ذلك الأسد ويتوجــــع .

– إن أحدهم ليصب نظرة على الجمل كالحِمــــام ، ثم يرسل غلامـــه في أثره .

– ويقول له : إمض ، واشتر من شحم هذا الجمل ، فيرى الجمل وقد سقط في عرض الطريق .

٥١٠– وقد ذبح ذلك الجمل من مرض " عارض " ، وكان يسابق الجواد في عدوه .

– ومن الحسد ، ومن عين السوء بلا شك ، يحول الفلك سيره وطوافه .

– والماء خفي والساقية ظاهـــرة ، وفي الدوران يكون الماء هوأ صل العمل .

– والعين الطيبة دواء للعين الشريرة ، فإنها تفني عين السوء وتدوسها بالأقدام .

غ

– وسبق الرحمة حق وصـــدق ، وهي أى عين الرحمـة من الرحمـة ، وعيـن السوء نتيجة للقهر واللعنـة .

٥١٥– ورحمته تصير غالبة على نقمتـــه ، ومن هنـا انتصـر كـل نبـي علـى خصمه .

–ذلك أنه من نتاج الرحمـــة ، وخصمـه ذلـك القبيـح الخصـال مـن نتـاج القهـر واللعنة .

– وإن حرص البط لحرص واحد ، وحرص ذلك " الطـاووس" خمسـون طبقـة ، والحرص على الشهوة حية ، أما الحرص على المنصب فأفعـــوان .

– وحرص البط من شهوة الحلق والفرج ، وفي الرياسة يضمر عشـرون ضعـف لهذا " الحرص " .

– وإنه ليدعي الألوهية من جاهـه لاهيــا وعابثـــا ، ومتـى يُعافـــى ذلـك الطامع في الشركــة ؟

٥٢٠– ولقد كانت زلة آدم من البطن والبـــاه ، أمـا زلـــة إبليس فكـانت من التكبر والجاه .

– فلا جرم أن آدم قد سارع في الاستغفـــار ، بينمـا استكبر ذلـك اللعيـن عـن التوبـــة .

– إن حرص الفرج والحلق سوء جبلـــة ، لكنـه ليس تعاليـا واستكبارا ، إنـه تنزل .

–"ولحرص" الرياســـة هذا جذور وفروع ، إن تحدثت عنها تفصيلا ، للزم لهـا دفتر خاص .

– ولقـد سـمى العـرب الجـواد الشـموس شـيطانا ، وليـس الدابـة التـي تبقـى فـي مرعـاها

٥٢٥- والشيطنة لغة هي العصيـــــان والاستكبار ، ومن هنا استحقت هذه الصفة اللعينة .

- وإن مائة من الآكلين يستطيعون الجلوس حول مائدة واحدة ، لكن الدنيا لاتسع اثنين من طلاب الرئاسة .

- فكلاهما لايريد للآخر أن يظل على وجـــه الأرض ، حتى أن الملك ليقتل والده خوفا من منازعته إياه .

- ألم تسمع ما قيل من أن الملك عقيـــم ، إن طـالب الملك ليقطعن رحمه من الخوف .

- إنه عقيم ، لا نسل له ولا إبن ، كأنه النار لا علاقة له بأحـــد .

٥٣٠- وكل ما تجده تحرقـــه وتشتته بددا ، وعندما لا تجد ما تأكله ، تأكل نفسها .

- فكن هباءً ، وانجُ من بين مخالبها ، وقلل طلب الرحمة من قلبها الذى يشبه السندان .

- وما دمت قد صرت هباءً ، لاتخش السندان ، وخذ الدرس كل صباح من الفقر المطلق .

- والألوهيـــــة رداءُ ذى الجلال ، وكل من يرتديه ، ينقلب عليه وبالا .

- والتاج لـــــه ، ولنا حزام " الخدمة " ، وويل لذلك الذى يجاوز حــــده .

٥٣٥- وهو فتنة لك ذلك الجناح الطاووسي ، إنه " يقول لك " : لقد وجبت لك الشركة ، وجاز لك التقدس .

قصة ذلك الحكيم الذي رأى طاووسا ينزع جناحه الجميل بمنقاره ، ويجعل جسده عاريا أقرع قبيحا ، فسأله متعجبا : ألن تندم؟ قال : لأندم ، لكن الروح عندي أعز من الجناح ، وهو عدو لروحي

– لقد أخذ طاووس ينزع ريشه في واد من الوديان ، وكان أحد الحكماء قد ذهب متنزها إلى ذلك المكان .

– فقال : أيها الطاووس ، كيف تنزع هذا الجناح السنى من أساسه دون أن يعتريك ندم ؟

– وكيف يطاوعك قلبك على خلع هذه الحلل ، ثم تلقي بها هكذا في الوحل ؟

– إن كل ريشة منه يضعها الحافظون في المصحف إعزازا لها وقبولا .

٥٤٠– ومن أجل الاستروواح بالهواء النافع العليل ، يصنعون من ريشك هذا المراوح .

–فما كل هذا الجحود ؟ وما كل هذه الجرأة ؟ ألا تعلم من هو الذى صورك ونقشك ؟

– أو أنك ربما تعرف ، لكنك تبدى الدلال ، وتقوم عامدا بإزالة الزينة التي عليك !!

– وما أكثر المدللين الذين أسقطهم هذا الذنب من عين المليك .

– وإبداء الدلال يكون في طعمه أحلى من السكر ، لكن قلل من قضمه ، ففيه مائة خطر .

٥٤٥– وطريق الضراعة ذاك عمران آمن ، فاترك التدلل ، وتواءم مع هذا الطريق .

- وما أكثر المتدللين الذين قطعوا أجنحتهم وقوادمهم ، وصار ذلك في النهاية وبالا عليهم .

- وإذا كانت لذة التدلل قد رفعتك لحظة ، فإن الخوف والرعب الكامنين فيها لا يلبثا أن يذيباك .

- وهذه الضراعة بالرغم من أنها تصيبك بالنحول ، فإنها تجعل الصدر كأنه البدر الأنور .

- فإذا كان " الله سبحانه وتعالى " يخرج الحي من الميت ، فكل من صار ميتا ، صار له الرشد .

٥٥٠- فصر ميتا ، حتى يخرج الحى من هذا الميت ، المخرج الحي الصمد .

- وما دام يخرج الميت من الحي ، فإن نفْس الحي لا تفتأ تطوف حول الموتى .

- ولتصبح شتاءً لترى إخراج الربيع ، ولتتحول إلى ليل لترى ايلاج النهار .

- ولا تنزع هذا الجناح فهو لا يقبل الرفو والرتق ، ولا تخمش وجهك حدادا يا جميل الوجه .

- فإن مثل ذلك الوجه الذى يشبه شمس الضحى ، من الخطأ أن يتعرض للخمش .

٥٥٥- فإن آثار الأظافر على مثل ذلك الوجه من قبيل الكفر ، ذلك الوجه الذى يبكي فيه وجه لقمر من فراقه

- أولست ترى إذن وجهك هذا ؟ فاترك الطبع الباحث عن الجدل واللجاج .

في بيان أن صفاء النفس المطمئنة وبساطتها تصبح مشوشة من الفِكَر ، كما أنك إن كتبت شيئا على وجه مرآة أو رسمت شيئا عليـــه ، يبقى أثر عليها ونقصان ، مهما قمت بمحــــــــــوه

- إن وجه النفس المطمئنـــــــة فـي الجســـــد ، تقـوم بخمشهـــــا أظـافر الفكــــر .

-فاعلم أن الفكــرة السيئة أظافر مليئة بالســـم ، وهي تخمش وجه الروح بعمق .

- وهو مـن أجل أن يفك عقدة المشكــتلات ، جعل القوادم الذهبية ملقاة في الحدث .(١)

٥٦٠- فاعتبر العقدة محلولة أيها المنتهي ، إنها عقدة صعبة وشديدة على كيس فارغ .

- ولقد شخت في حل العقد ، فاعتبر عددا آخر من العقد قد حُل .

- والعقدة التي تصبح صعبة علىحلوقنـــا ، هى أن تعلم : هل أنت خسيس أو صاحب إقبـــال .

- وحل هذا الإشكال إذن إن كنت آدميـــا ، واجعل أنفاسك مصروفة على هذا ، إن كنت من نفَس آدم .

- واعتبر حدود الأعيـــان والأعراض أمورا معلومـــة ، لكنْ اعرف حدك ، فلا مناص لك من هذا .

---

(١) كما عند جعفرى " ٢٣٣/١١" وهي عند نيكلسون : ٣٨/٥" الفلس الذهبية ولا معنى لها ، كما أنه أمال كلمة بال بمعنى جناح لتكون بيل أى فلس دون داع من الوزن أو القافية .

٥٦٥- وعندما تعرف حدك، عليك بالفرار من هذا الحد، حتى تصل إلى اللاحد ، يا ناخلا للتراب .

- لقد ضاع العمر في الحديث عن المحمول والموضوع ، ويا فاقد البصيرة ، لقد ضاع عمرك في " المنقول " والمسمـــــوع .

- وكل دليل لا نتيجة منه ولا أثر له باطـــــل ، فأمعن النظر فيما نتج عنك .

- وإنك لـم تـر صانعـا إلا عـن طريـق مصنـــــوع ، وأنـت قـانع بقيـاس إقترانــــــي .

- والمشتغل بالفلسفة يزيد فـي الوسـائط ، لكـن الصفـي علـى عكسـه فيمـا يتعلـق بالدلائل .

٥٧٠- فهو يفر من الدليل ومـن الحجـــــاب ، ولقـد طأطـأ متفكرا ، رأسـه فـي جيبه ، من أجل المدلول .

- وإذا كـــان الدخــــان دليـلا علـى النـار ، فـأولى بنـا الدخـول فـي نـار بـلا دخــــان .

- خاصــــة تلك النـار التـي هـي مـن القـرب والـولاء ، تكـون أقـرب إلينـا مـن الدخــــان .

- ومن ثم فمـن سـواد الفعل ، المضـي عـن الـروح صـوب الدخـان ، مـن أجـل تصورات هذه الروح .

في بيان قول الرسول ﷺ: لا رهبانية في الإسلام

- لا تقتلع الجناح ، بل اصرف قلبك عنه ، ذلك أن شرط هذا الجهاد هو " وجـود " العدو .

٥٧٥- وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هنـاك امتثـــــال .

- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالإحتيال .

-فانتبه ، ولا تجعل نفسك خصيـــــا ، ولا تصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينـة " بوجود " الشهوة .

- ولا يمكن النهي عن الهوى إن ام يوجد هوى ، ولا يمكـن القيام بـالغزو ضـد الموتى .

- لقد قـال " أنفقـوا" ، إذن " فاكسبوا " أولا ، ذلك أنـه لا نفقـة دون أن يسبقها دخـــــل .

٥٨٠- فإذا كان قد قال " أنفقوا" علـى الاطـلاق ، فاقرأهـا أنـت " إكسبوا " ثـم أنفقوا " .

- وكذلك عندما قال " اصبروا " ، ينبغي أن تكون هناك رغبة ، حتى تشيح عنهـا بالوجه .

- إذن فإن " كلوا " من أجل شراك الشهــــوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هـي العفـــــة .

- وعندما لا يكون هناك محمول بـه لـدى " المـرء " ، لا يكـون ممكنـا أن يوجـد المحمول عليه .

- وعندما لا تكون لديك مشقة في الصبر ، ليس شرطا أن ينزل عليك الجزاء .

٥٨٥- حبذا ذلك الشرط ، وما أسعده ذلك الجزاء ، ذلـك الجـزاء الـذى يلاطـف القلب ويزيد في الروح .

في بيان أن ثواب عمل العاشق من الحق هو الحق نفسه

- إنه هو فرح العاشقين وترحهم ، وهو أيضا الأجر ، وثواب الطاعة والخدمة
- وإذا كان غير المعشوق قابلا للرؤية ، لا يكون هذا عشقا ، بل شهوة عابثة
- والعشق هو تلك الشعلة التي عندما تشتعل ، تحرق كل ما تبقى غير المعشوق
- لقد سل سيف "لا" في سبيل قتل ما سوى الحق ، فانظر ماذا تبقى من بعد " لا"

٥٩٠- لقد تبقى " إلا الله " ، ومضى كل ما هو سواه ، فلتهنأ أيها العشق العظيم ، يا مهلك الشرك .

- بل إنه هو نفسه الذى يبقى أولا وأخيرا ، ولا تعتبر الشرك إلا من نظرة الأحول .
- فواعجبا ، هل ثم حسن دون أن يكون انعكاسا من حسنه ؟ فليس للجسد حركة من غير الروح .
- وذلك الجسد الذى تكون في روحه الخلل ، لا يكون حلوا ، وإن نقعته وربيته في العسل .
- ويعلم ذلك الشخص أنه كان حيا ، في ذلك اليوم الذى اختطف فيه كأسا من كف روح الروح .

٥٩٥- وذلك الذى لم تر عيناه ذلك الوجه ، تكون حرارة الدخان روحا بالنسبة له

- وما دام لم يـر عمر بن عبد العزيز ، فإن الحجاج يكون أيضا عادلا في رأيه .
- وما دام لم ير ثبات حية موسى(ع) ، فإنه يظن حياة في حبال السحر .
- والطائر الذى لم يشرب من الماء الزلال ، يخفق بجناحيه في الماء المالح .

– ولا تمكن معرفة الشيء إلا بضده ، وعندما يـذوق " المرء" الجراح ، يعـرف الملاطفـــة والإكرام .

٦٠٠– فلا جرم أن الدنيا قد قُدمت ، حتى تعرف قدر إقليم " ألست " .

– وعندما تنجو من هذا المكان تمضـي إلـى هنـاك ، وتصـير شـاكرا فـي مصنـع سكر الأبد .

– فتقول : لقد كنت هناك أقوم بنخل التراب ، وكنت هاربا نفورا من هـذا العـالم الطاهر .(١)

– وآسفاه ، ليتــه كـان قـد عجـل لـي فـي الأجـل ، حتـى يقـل عذابـي فـي الوحـل والوجل .(٢)

في تفسير قول الرسولﷺ : ما مات من مات إلا وتمنى أن يموت قبل ما مات ، إن كان برا ليكون إلى وصول البر أعجل ، وإن كـــان فاجرا ، ليقل فجـــوره

– ومن هنا قال الرسول الخبير : إن كل من مات وترجل عن " مطية " الجسد ؛

٦٠٥– لا تكون لديه حسرة الانتقال والموت ، بل يحس بحسرة التقصير والفوت

– وإن كل من يموت ، تكون لديه هذه الأمنية ، وهي ليت أنـه قبـل هـذا قـد نقـل مقصده ومقامه .

– ليكون قد قلل من شره إن كـان شريـــرا ، وليكـون مجيئـه أسـرع إلـى دار " القرار" إن كان تقيا .

---

(١) ج/١١–٢٤٥:– كنت قانعا من الكنز بالحية ، وكنت سعيدا من البستان بشوكـــة .

(٢) عند نيكلسون "٥/٤٠" وحل وعند جعفرى "٢٤٥/١١" وجل فجمعتهما معا .

- فيقول ذلك الفاجـــر : لقد كنت غافـــلا ، وكنت أزيد من الحجب لحظة بعد لحظة .
- فلو كان قد بُكــر لي في العبور قليلا ، لكانت حجبي وأستارى أقل .
٦١٠- فقلل إذن من تمزيق الوجْه القنوع حرصـا ، وكفـاك أيضـا تمزيـق الوجـه الخشوع كبرياءًا .
- وكفاك تمزيقـــا لوجه الجود بخلا ، ومن الإبليسية كفاك تمزيقا لوجه السـجود الطيب .
- ولا تـنزع ذلـك الجنـاح المزيـن للخلـد ، ولا تقتلـع ذلـك الجنـاح الــذى يطـوى الطريق .
- وعندمـا سمع " الطـاووس " النصيحـة نظـر إليـــه ، ثم شـرع فــي العويـل والبكـــاء .
- نواحا وبكاءا متصلين بألم ، فبكى لبكائه كل من كان حاضـــــرا .
٦١٥- وذلك الذى كان يسأل عن سبب نزع الجناح ، حـار جوابـا ، وأخـذ يبكـى ندما .
- قائلا : لماذا سألته من الفضول ؟ لقد كان حزينا ، وهيجت أحزانــــه .
- أخذ يذرف الدمع من العين الباكية فوق التراب ، وفي كل قطـرة ، أدرج مائـة جواب .(١)
- إن البكاء الصادق يصادف الروح ، ويجعل الفلك والعرش يبكيـــان .(٢)
- والعقول والقلوب عرشيـــــة بلا جدال ، تحيا في حجاب من نور العرش .

---

(١) ج/ ١١-٢٥٠:- أخذ يذرف الدمع من عينيه على التراب ، وكان التراب يتحول إلى طين من الدمع الهتون

(٢) ج/١١-٢٥٠:- والبكاء الذى لاصدق فيه لا وجد فيه ، ومن هنا يضحك منه الشيطان .والبكاء الذى لاصدق فيه يكون بلاضياء ، إنه كالمخيض لا دسم فيه .

في بيان أن العقل والروح محبوسان في الماء والطين مثل هاروت وماروت في جب بابل

٦٢٠- إن هذين الطاهرين - مثل هاروت وماروت - قد قيدا هناك في الجب المريـــــع .

- إنهما في العالم السفلي والشهواني ، من الجرم ، صارا رهينة في هذا البئر.

- فالأطهار والأشرار يتعلمون منهما السحر وابطال السحر دون اختيار منهما .

- لكنهما في البداية يقومان بنصحه قائلين ، انتبه ، لاتتعلم السحر منا ، ولا تقتبسه .

- إننا نعلم هذا السحر يا فلان ، من أجل الابتلاء والامتحان .

٦٢٥- فشرط الامتحان هو الاختيـــــار ، ولا اختيار هناك بلا إقتدار .

- والميول كالكلاب النائمة ، قد كمن فيها خيرها وشرهـــا .

- وما لم تكن قدرة فهي نائمة في صفوف ، ومثل حزم الحطب ملقاة في استسلام

- حتى تبدو جيفة في الأفق ، فينفح على تلك الكلاب في صور الحرص .

- وعندما نفق حمار في تلك الحــــارة ، فقد استيقظ مائة كلب نائم من أجله .

٦٣٠- وأنواع الحرص المخفية في كتم الغيب ، بدأت في الهجوم ، وأطلت برؤوسها من جيوبها .

- وصارت كل شعرة من كل كلب أسنانا ، وكل كلب من الاحتيال ، صار مبصبصا بذنبه .

- فنصفه الأسفل من الحيلة ، ونصفه الأعلى من الغضب ، كالنار الضعيفة عندما تجد الحطب .

- فتتواصل الشعل شعلة شعلة من اللامكان ، ويمضي دخان اللهيب حتى السماء

- إن مائة من أمثال هذا الكلب قد ناموا في الجسد ، واختفوا ، مالم يكن لهم صيد .

٦٣٥- أو مثل طيور البازى قد خيطت أعينها ، واحترقت في حجاب من عشق الصيد .

- حتى ترفع الكمامة وترى الصيد ، فتقوم آنذاك بالتحليق حول سفوح الجبال

- وشهوة المريض تكون ساكنة ، لكن خاطرها لا يفتأ يمضي صوب الصحة

- وعندما ترى الخبز والتفاح والدابوق ، يتقاتلان معا لذة الطعام وخوف الضرر .

- فإن كان " المريض" صبورا ، تكون الرؤية نافعة له ، ويكون ذلك التهيج نافعا لطبعه العليل .

٦٤٠- وإن لم يكن صبر فالأولى عدم الرؤية ، ومن الأولى أن يكون السهم بعيدا عمن لادرع له .(١)

جواب الطاووس على ذلك السائل

- وعندما فرغ من البكاء ، قال له : إمض ، إنك عاكف على اللون والرائحة .

- ألست ترى أنه ينصب على مائة بلاء من كل صوب من أجل هذه القوادم ؟

- وما أكثر الصيادين الذين لا رحمة عندهم ، ويضعون الفخاخ في كل صوب من أجل هذا الريش .

- وكثيرا ما يقوم الرامي بالسهام ، بإطلاق السهام حولي في الفضاء من أجل هذه القوادم.

---

(١) ج/١١-٢٥٥:- عد وأتمم الحكاية ، وتحدث عما قاله الطاووس في جوابه . ثم بيت بعد العنوان "٢٥٥/١١" واستمع الآن من الطاووس إلى الجواب ، حتى تعلم أن هناك خطايا لكل طيب .

٦٤٥- وما دامت لا قوة لدى ولا ضبط نفس ، أمام هـذا القضـاء والبـلاء وهـذه الفتن ؛

- فمن الأفضـــل أن أكون قبيحا كريهـــا ، حتى أكـون آمنـا فـي هـذا الجبـل وهذه الصحراء .(١)

- لقد كان هذا سلاح عُجبي أيها الفتـى ، ومـن العُجـب حـاق بـالمعجبين بأنفسـهم ألف بـــلاء .

بيان أن الفضائل والمواهب ومال الدنيا مثل ريش الطاووس أعداء للـــروح

- ومن ثم فإن الفضـــل هلاك للساذج الغُفل ، الـذى مـن أجـل الحبـة ، لا يـرى الفخ .

- والاختيار يكون خيرا لذلك الذى يكون مالكا لنفســه ، " منفـذا لأمـره تعـالى " : اتقـــوا .

٦٥٠- وعندما لا يكون حفظ وتقوى فحذار ، ولتبعد الآلة إذن ولتنبذ الاختيار .

- إن موضـع التجلى والاختيار عندى هـو هـذا الجنـاح ، فلأنـتزع هـذا الجنـاح ، الذى يكون خطرا على الرأس .

- والصبور يعتبر جناحه عدما ، حتى لا يلقى به جناحه هذا في الشر والعناء .

- ومن ثم فلا ضرر في الجناح في حد ذاته ، فـلا تنزعـه ، وإن رميت بسـهم ، تلقه بالدرع .

(١) ج/١١-٢٥٥:- فلأنزع ريشي ريشة ريشة ، حتى لا تسقطني في الفخ كل حيلة . - فالروح عندى أغلى من المال والريش ، فالروح باقية ، والجسد أبتر .

- لكن الجناح الجميل عدو لي ، ذلك أنه لا صبر لي عن الظهور والتجلي .
٦٥٥- ولو كان الصبر والحفظ مرشدين في طريقي ، لزاد الإختيار في عظمتي وحشمتي .
- إنني كالطفل أو كالثمل في أوان الفتن ، لا يصح أن يوضع السيف في يدى .
- ولو كان لي عقل ومزدجر ، لكان السيف في يدى هو عين الظفر .
- فينبغي عقل يهب النور وكأنه الشمس ، حتى يضرب بالسيف الذى لا يكون إلا صوابا .
- وما دمت لا أملك عقلا مستنيرا وصلاحا ، لماذا لاألقي السلاح إذن في البئر ؟
- فلألق الآن في البئر بالسيف والمجن ، فسوف يكونان سلاحا " في يد" خصمي
- وما دمت لاأملك القوة والعون والسند ، فسيأخذ الخصم السيف من يدى ويضربني به .
- وبرغم هذه النفس القبيحة التي لاتستر الوجه ، لأقم بخمش هذا الوجه .
- حتى يقل هذا الجمال وهذا الكمال ، وعندما لا يبقى هذا الوجه "الجميل" ، يقل سقوطي في الوبال .
-وما دمت أخمش وجهي على هذه النية فلا جُرم ، فإن الخمش إخفاء لهذا الوجه
٦٦٥- فإذا كان في قلبي هذا صفات النساء " من عفة وحياء " ، لما كان وجهي الجميل ينشر إلا الصفـــاء .
- وعندما لم أر في نفسي قوة أو فضلا أو صلاحا ، فإني سرعان ما ألقيت السلاح ، عندما رأيت الخصم .
- حتى لا يصير سيفي كمالا له ، ولا يصير خنجرى وبالا عليّ .
- وعليّ أن أواصل الفرار ما دام فيّ عرق ينبض ، ومتى كان الفرار من النفس سهلا يسيرا ؟!

- ذلك أن الذى يهرب من غيره ، عندما يبتعد عنه يقر قراره .

٦٧٠- وأنا الذى خصمي هو نفسي في هـروب حتـى الأبـد ، وديدنـي هـو قولـي لنفسي : إمض ، إنهض .

- فهو لايكون آمنـــا حتى ولو مضى إلى الهند وخُتن ، ذلك الذى يكون خصمه هو ظلـــه .

في وصف اولئك الذين انسلخوا عن أنفسهم فأمنوا شر أنفسهم وفضل أنفسهم ، فهم فانون في بقاء الحق ، كالنجوم التـــي تفنى في الشمس نهارا ، ولا يكون عند الفاني خوف من الآفة والخطر

- عندما يكون لفناء " المرء " زينة من الفقر ، يصبح مثل محمدﷺ لاظـــل له .

- لقد صار قولهﷺ الفقر فخرى زينة للفنـــاء ، وصار هو مثل لهب الشمع بـلا ظل .

- صار بأجمعه لهبا كالشمعة من أخمص القدم إلى قمة الـرأس ، لا يكـون للظـل منفذ إلى الطواف حوله .

٦٧٥-ولقد هرب الشمع من نفسه ومن الظل في الشعاع ، من أجله ، ذلـك الـذى أراق الشمع .

- ولقد قال هو : لقد صببتك من أجل الفناء ، فقال : وأنا أيضا هربت في الفناء

- إن هذا الشعاع الباقي هو المفترض ، وليس شعاع الشـمس الفـاني ، الـذى هـو عرض .

- وعندما فنى الشمع بكليته في النار ، فإنك لن ترى أثرا للشمع ولا أثرا للشعاع

- إنه واضح فحسب عند دفع الظلمة ، إنها نار صورية ، قائمة على شمعة .

٦٨٠- وشمع الجسم على خلاف هذا الشمع ، فهو كلما ذاب وقل ، زاد نور الروح .

- وشعاع هذا النور باق ، وذلك الشعاع فان ، ذلك أن شمعة الروح ذات شعلة ربانية .

- وذلك اللهب النارى لأنه نور ، فإن ظل الفناء يكون بعيدا عنه .

- ويكون للسحاب ظل يسقط فوق الأرض ، ولا يكون الظل جليسا للقمر .

- والإنسلاخ عن الذات هو انقشاع السحاب يا راغبا في الخير ، إنك في الإنسلاخ عن الذات تكون مثل قرص القمـــــر .

٦٨٥- ثم إنه عندما تأتي سحابـــة مزجـــاة ، فقد ذهب النور عن القمر ، وبقى خيـــال منه .

- فقد صار نوره ضعيفـــا من حجاب السحاب ، وصار ذلك البدر الشريف أقل من هلال .

- وإن القمر ليبدى خيالا من السحاب والغبـــار ، وقد جعلنا سحاب الجسد مغرقين في الخيـــال .

-فانظر إلى لطف القمر - وهذا أيضا من لطفه - حين قال إن السحب عدوة لنـــا .

- والقمر فارغ من السحاب ومن الغبار ، وله على قمة الفلك المدار .

٦٩٠- لقد صار السحاب عدوا لنا خصما لروحنا ، فهو الذى يخفي القمر عن أعيننا .

- وهذا الحجاب يجعل الحورية عجوزا شمطاء ، ويجعل البدر أقل من هلال .

- ولقد أجلسنا القمر إلى جوار العز ، واعتبر عدونا عدوا لـــه .

- وإن نور هذا السحاب وبهاءه مأخوذان - في الأصل - من القمـر ، وكـل مـن سمى السحاب قمرا ، هو شديد الضـــــلال .
- وعندما سطع القمـــر بنوره على السحاب ، تبدل وجهه المظلـــم من تـأثير هذا القمر .
٦٩٥- وبالرغم من أنه في لون القمر وذو صولة ودولة ، فإن هذا النـور للقمـر في السحاب ، نور مستعار .
- وفي القيامة تعزل الشمس ويعزل القمر ، وتُشغل العين بأصـــل الضياء .
- حتى تعلم ما هو مملك وما هو مستعــــار ، وتعـرف هـذا الربـاط الفـاني مـن دار القرار .
- وتكون المرضعة مستعارة لأيام ثلاثة أو أربعة ، فخذينا أيتها الأم في أحضانك
- إن جناحي " أنـا الطـاووس" سـحاب وحجـاب كثـسف ، لكنـه صـار لطيفـا مـن انعكاس لطف الحق .
٧٠٠- فلأنزع الجناح وحسنه من الطريق ، حتى أرى حسن القمـر مباشـرة مـن القمــــر .
- أنا لا أريد المرضعـــة ، إن الأم أفضل منهـا ، أنـا موسـى ، ومرضعتـي هـي أمي
- وأنا لاأريد لطف القمر من الواسطة ، فإن ارتباط القوم بها قد صار هلاكا لهم
- أو ربما يصير السحاب فانيا في الطريق ، حتى لايصـير حجابـا علـى وجــــه القمر .
- بل يبدى صورته في صفات العدم ، وكأنه أجساد الأنبياء والأولياء .
٧٠٥- فلا يبقى مثل ذلك السحاب عاقدا للحجب ، يكون ممزقا للحجـب ، ومفيـدا في المعاني .

-مثلما حدث ذات صباح صحو ، أن سقطت قطرات مطر ، ولم يكن هناك سحاب في السماء.

- كانت تلك السقاية معجزة من معجزات الرسول ﷺ ، فلقد صار السحاب من المحو في لون السماء .

- كان هناك سحـــاب ذهب عنه طبع السحاب ، وهكذا يصير جسد العاشق بالصبر .

- يكون جسدا ، لكن صفات الجسدية قد انتفت عنه ، فلقد بدل ، وذهب عنه اللون وذهبت الرائحة .

٧١٠- إن الجناح من أجل الغير ، لكن الرأس من أجلي أنا ، ومنزل السمع والبصر عمادٌ للجسد .

- والتضحية بالروح من أجل صيد الغير ، اعلم أنه كفر مطلق ، وقنوط من الخير!!

- هيا إنتبه ، لا تصبح كالسكر أمام طيور الببغاء ، لكن كن سما ، وصر آمنا من الخسران .

- فكأنك من أجل أن تجعل نفسك محمودا في الخطاب ، جعلت نفسك جيفة أمام الكلاب .

- من أجل هذا خرق الخضر عليه السلام السفينـــة ، حتى نجت تلك السفينة ممن كان يأخذ كل سفينة غصبا .

٧١٥- ومن هنا وردت الفقر فخرى عن هذا السني ، حتى أهرع من حرص الطامعين إلى الغني .

- ومن هنا أيضـــا تخبأ الكنوز في الخرائب ، وذلك حتى تنجو من حرص أهل العمران .

– وإذا كنت لا تعلم كيف تقتلع الجناح فامض واختر الخلوة ، حتى لا تصبح بأجمعك نفقة لهذا وذاك .

– ذلك أنك طعام وآكلٌ للطعام ، إنك آكل ومأكول أيها الحبيب ، فانتبه .

في بيان أن كل ما سوى الله آكل ومأكول ، مثل ذلك الطائر الذي كان يمضي لصيد الجراد ، وكان مشغولا بصيد الجراد غافلا عن البازي الجائع الذي يقصد صيده من خلف ظهره ، والآن أيها الإنسان الصياد الآكل ، لا تأمن عن صيادك وآكلك ، وإن لم تكن تراه رأي العين ، فداوم النظر إليه بالدليل والاعتبار ، إلى أن تفتح عين السر

– كان طويئر منهمكا في صيد دودة ، فاهتبل القط فرصة ، واختطفه .

٧٢٠– لقد كان آكلا ومأكولا ، وغافلا في صيده عن صياد آخر .

– وبالرغم من أن اللص " منهمك " في صيد المتاع ، فإن الشرطة تجد في أثره مع خصومه .

– إن عقله مشغول بالمتاع والقفل والباب ، وهو غافل عن الشرطة ، وآهات " المظلومين " في السحر .

– ويكون غارقا في شهوته ، بحيث يكون غافلا عن طالبه الباحث عنه .

– وإذا كان العشب يروى بالماء الزلال ، فإن معدة الحيوان في أثره ترعى منه .

٧٢٥– فإن ذلك العشب آكل ومأكول ، شأنه شأن كل موجود ، إلا الله تعالى .

– ومصداقا للآية الكريمة ﴿ وهو يُطعِم ولا يُطعَم ﴾ (١) ليس الحق مأكولا ، بل هو آكل اللحم والوضم .

---

(١) في المتن وهو يطعمكم وليست موجودة في القرآن الكريم .

- ومتى يكون الآكل والمأكول آمنين من آكل آخر يترصدهما في مكمن .
- وأمن المأكولين جذوب للمأتم، فامض إلى تلك العتبة التى نزلت في شأنها ﴿ لايُطعَم ﴾ .
- وكل خيال يأكله خيـــال آخر ، وكل فكرة ترعى عليها فكرة أخرى .
٧٣٠ _ وإنك لا تستطيع أن تنجو من خيال أو تنام إل بعد أن تخلص منـــــه .
- والفكر كالنحل وخيالك هذا كالماء وعندما تستيقظ يعود إليك كالذباب .
- ويطير حولك عدد من نحل الخيـــال ، يجذبك هذا الصوب وذاك ، ويحملك من ناحية إلى أخرى .
- إن هذا الخيال هو أكل الآكلين ، أما بقية الآكلين فهم في علم ذي الجلال .
- فهيا أهرب من جماعة الأكالين القساة الغلاظ إليه ، فهو القائل لك : نحن الحفظة لك .
٧٣٥- أو نحو ذلك الذى وجد الحفظ ، هذا إذا لم تستطع أن تمضى صوب ذلك الحافظ .
- وإياك أن تضع يدك إلا في يد الشيخ ، فإن الحق صار آخذا بتلك اليد معينا لها
- وإن شيخ عقلك قد اعتاد على الطفولة ، وذلك من جواره للنفس ، فهو في حجاب .
- فاجعل عقل الكامل قرينا لعقلك حتى يعود العقل عن تلك الخصلة السيئة .
- وعندما تضع يدك في يده ، تنجو آنذاك من أيدى الآكلين .
٧٤٠- وتصبح يدك من أهل تلك البيعة ، التى نزل في شأنها ﴿ يد الله فوق أيديهم﴾ .
- ما دمت قد وضعت يدك في يد الشيخ المرشد ، مرشد الحكمة الذى يكون عليما وخطيرا .

– فهو نبي زمانه أيها المريد ، مادام نور النبيﷺ ينبعث منـــــه .

– وبهذا تكون قد صرت حاضرا فـي الحديبيـة ، وقرينـا لهؤلاء الصحابـة الذيـن بايعوا .

– وصرت أيضا من الصحابة العشـرة المبشـرين بالجنـة ، وقـد صـرت خالصـا كالذهب كامل العيار .

٧٤٥– وحتى تصبح لك المعيـــــة ، ذلك أن المرء مع من أحب .

– يكون معه في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا هو حديث أحمدﷺ طيب الخصال .

– لقد قال ﷺ " المرء مع محبوبه ، لا يفك القلب من مطلوبه " [١]

– وقلل الجلوس حيثما يوجد فخ وحَب ، وامض يـا آخـذا للضـعيـف ،فـانظر إلـى آخذى الضعفـــاء .

– ويا مستقويا على الضعفـــاء ، اعلم هذا جيدا ، أن هنـاك يـدا فـوق يـدك أيهـا الفتى .

٧٥٠– إنك ضعيف وآخذ للضعفــــاء وهذا عجيـب ، فـأنت صيـد وآخـذُ للصيـد جاد في الطلب .

– ولا تكن كمن قيل فيهم﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ﴾ بحيث لا ترى الخصم ، وهو شديد الظهور .

– وحرص الصيـــاد يصيبه بالغفلة عن أن يصــــاد وأن فاتتـا سـوف يسـلب منه القلب .

– فلا تكن أقل من طائـــر في مرج ، رأى عصفورا من أمامه ومن خلفه .

– وعندما يقترب من الحبة ، يلتفـت بوجهـه ورأسـه عدة مرات إلـى الأمـام فـي لحظة ، وإلى الخلف في الأخرى .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٧٥٥- ويقول : يا للعجب ، إن هناك صيادا أمامي وآخر خلفي ، حتى أصرف النظر عن هذه اللقمة خوفا منهما .

- فانظر أنت إذن إلى قصة الفجار ، وانظر أمامك موت الرفيق والجار .

- فقد أهلكهم بلا وسيلة أو آلة ، " فالموت " قرينك على كل حال .

- لقد عذب الحق ولا يد هناك ولا مقامع ، فاعلم إذن أن الحق حكم ولا آلة

- وذلك الذى كان يقول : إذا كان الحق موجودا فأين هو ؟ فإنه يقر في العذاب أنه هو .

٧٦٠- وذلك الذى كان يقول : إن هذا بعيد وعجيب ، يذرف الدمع ويقول : يا قريب .

- وعندما رأيت أن الفرار من الشبكة واجب ولازم ، كانت شبكتك قد التصقت بجناحك .

- فلأقتلع أنا أوتاد هذه الشبكة المنحوسة ، ومن أجل شهوة لا أمرر فمي .

- لقد أعطيتك هذا الجواب بما يناسب عقلك ، فافهمه ، ولا تتصرف عن البحث والتقصي .

- واقطع هذا الحبل الذى هو الحرص والحسد ، وتذكر ﴿ في جيدها حبل من مسد﴾ (١)

---

(١) ج/١١-٢٧٣:- وانظر إلى أحوال فرعون وثمود ، وقوم لوط وقوم صالح وقوم ثمود .- وانظر إلى حال النمرود الظلوم ، وألق نظرة على مآل قوم نوح .- وتأمل في قصة شداد وعاد ، وانظر إلى حسرتهم يوم التناد - حتى تعلم أن الحق سميع وعليم ،لا خوف لديه ولا بأس ولا خشية .

سبب قتل الخليل ﷺ للغراب وإشارته إلى قمع أية صفة من الصفات الذميمة المهلكة في المريـــــد

٧٦٥- لا نهاية لهذا الكلام ولا فراغ منه ، فلماذا قتلت الغراب يا خليل الحق ؟

- من أجل أمر الحكمة . فماذا كان الأمر ؟ ينبغي أن تكشف لنا قليلا من الأسرار .

- إن نعيق الغراب المستمر وصياحـــه ، يكون دائما طالبا للعمر في الدنيـــا

- مثل إبليس ، طلب من الإله الطاهر الفرد عمر الجسد إلى يوم القيامة .

- فقال :﴿ أنظرني إلى يوم يبعثـــون﴾ ، وليته قال : تبنا يا ربنـــا .

٧٧٠- وإن العمر بلا توبة هو عين انتزاع الروح ، والموت الحاضر هو الغياب عن الحق .

- والعمر والموت كلاهما يكون طيبا مع الحق ، وبدون الحق يكون ماء الحياة نارا .

- وكان ذلك أيضا من تأثير اللعنة ، أنه في مثل تلك الحضرة ، ظل يبدو باحثا عن العمر " الطويل " .

- وطلب غير الله من اللـــه ، هو تزيد في الظن ، وعدم تقدير للكل حق قدره .

- خاصة ذلك العمر الغريق في الغربة ، إنه سلوك كسلوك الثعلب في محضر الأســـد .

٧٧٥- أعطنى عمرا أطول حتى أصبح أكثر تقهقـــرا ، وأمهلنى حتى أمضي في النقصـــان .

- وذلك حتى تكون اللعنة علامة عليـــه ، وسيء ذلك الشخص الذى يكون باحثا عن اللعنة .

– والعمر الطيب في القرب من رعاية الروح وتربيتها ، وعمر الغراب يكون من أجل أكل البعر .

– أعطني عمرا إذن لكي آكل الغائط ، واعطني هذا دائما ، فإن جوهري شديد السوء .

– وإن لم يكن آكلا للغائط ذلك المنتن الفم ، لكان قد قال : خلصني من طبع الغراب فيّ .

مناجاة

٧٨٠– يا من بدلت التراب إلى ذهب ، وجعلت من تراب آخر أبا للبشر .

– إن فعلك هو العطاء وتبديل الأعيان ، وفعلي أنا هو السهو والنسيان والخطأ .

– فبدل السهو والنسيان إلى علم ، وأنا بأجمعي خطل وجهل ، فاجعلني صبرا وحلما .

– يا من تجعل من الأرض البور خبزا ، ويامن تجعل من الخبز الميت ، روحا .

– ويا مرشدا للروح الحائرة ، ويامن تجعل الضال رسولا .(١)

٧٨٥– وتجعل قطعة من الأرض سماءً ، وتزيد في الأرض من عدد النجوم .

– وكل من يجعل من هذه الأرض ماء حياة ، يحيق به الموت مبكرا عن الآخرين .

---

(١) ج/١١–٢٨٣:– يا من أعطيت الروح للتراب الكدر ، وأعطيته العقل والحس والرزق والإيمان .– وتأتي بالسكر من البوص والثمر من الخشب ، ومن المنى الميت حسناء جميلة . – ومن الطين الورود ومن القلب الصفاء ، وتمنح الشحمة ضياءً ونورا .

– وبصيرة القلب الناظرة إلى الأفلاك ، ترى أنه يوجد هنا في كل لحظة خلقٌ وتصوير .

– وقلب للأعيان وأكسيرٌ محيط " بكل شيء " ، وإتلاف لخرقة الجسد دون أن تخاط .

– وأنت في ذلك الوقت الذى جئت فيه إلى الوجود ، كنت نارا أو ريحا أو ترابا .

٧٩٠– ولو كان لك بقاءٌ على هذا الحال ، فمتى كان هذا الإرتقاء يصل إليك ؟

– إن الوجود الأول لم يبق من " تأثير " المبدل ، بل وضع وجودا أفضل في موضعه .

– وهكذا حتى مئات الآلاف من الموجودات ، واحدةٌ بعد الأخرى ، التالي خيرٌ من السابق .

– فانظر إليها على أنها من المبدل ، ودعك من الوسائط ، فمن الوسائط تبتعد عن أصولها .

– وحيثما زادت الواسطة ، انتفى الوصال ، والواسطة أكثر ازديادا عند من قلت لذته بالوصل .

٧٩٥– ومن معرفة السبب تقل حيرتك ، والحيرة هي التي تعطيك الطريق إلى الحضرة .

– لقد وجدت أنواع البقاء هذه من أنواع الفناء ، فلماذا أشحت بوجهك عن الفناء فيه ؟

– وأى ضرر كان قد أصابك من الفناء ؟ حتى تتشبث بالبقاء أيها النافق ؟

– وإذا كان ثانيك أفضل من أولك ، فابحث إذن عن الفناء ، واعبد المبدل .

- ولقد رأيت مئات الآلاف من أنواع الحشر أيها العنود ، حتى هذه اللحظة ، ومن بدء الوجود .

٨٠٠- من الجمادية- وأنت غافل- حتى حال النماء ، ومن النماء نحو الحياة والابتلاء .

- ثم نحو العقل والتمييزات الطيبة ، ثم خارج هذه " الحواس " الخمسة و" الجهات " الستة .

- وآثار الأقدام هذه موجودة حتى ساحل البحر ومن بعدها ، توجد آثار الأقدام داخل بحر العدم .

- ذلك أن منازل اليابسة تكونت على سبيل الاحتياط ، من القرى والأوطان والأربطة .(١)

-ثم إن منازل البحر عند التوقف ووقت الموج ، لا عرصات فيها ولا سقوف تحبس المسافر .

٨٠٥- ولا نهاية تبدو واضحة لتلك المراحل ، وهذه المنازل لا علامة لها ولا اسم .

- وما هو بين المنزلين مائة ضعف لما هو موجود " بين منازل الأرض " ، في ذلك الطرف بين النماء وبين تحول الروح إلى عين " من الأعيان .

- لقد رأيت أنواع البقاء هذه في أنواع الفناء ، فكيف تشبثت ببقاء الجسد ؟

- هيا ، وابذل هذه الروح أيها الغراب ، وكن مضحيا بالروح أمام تبديل الله .

- وداوم على أخذ الجديد ، ودعك من القديم، فكل سنة جديدة أفضل لك من ثلاث سنوات سابقة .

---

(١) ج/١١-٢٨٤:- وذلك أن منازل البحر في ازدياد ، وعند موجه ، لا جدران هناك ولا عمد .

٨١٠- وإن لم تك مؤثرا على نفسك كالنخل ، ضع القديم فوق القديم ، واجعل منه مخزنـــا .

- واحمل هذا القـــديم المهترىء المتعفن ، وقدمـــه هدية إلى كل من لم ير "نعمة" .

- وكل من رأى الجديد لن يكون مشتريا منك ، إنه صيد الحق ، وليس فريســـة لك .

- وحيثما يكن هناك سربٌ من الطير العميـــــاء ، فإنها تتجمع حولك ، أيها السيل المالح .

- حتى تزداد عمى من المياه المالحة ، وذلك لأن المياه المالحة تزيد في العمى .

٨١٥- وأهل الدنيا لهذا السبب عمي القلوب ، شاربون لمياه الجسد المالحـــة .

- فداوم على إعطاء المالح وشراء العمى في الدنيـــا ، ما دمت لا تملك ماء الحيوان في الخفاء .

- ومع مثل هذا الحال تريد البقاء والذكـــر ، وسعيدٌ في سواد الوجه ، كأنك الزنجي .

- والزنجي مستريح في سواده ، ذلك لأنه زنجي بأصله وميلاده .

- لكن ذلك الذى كان جميـــلا وضاء الوجـــه ، إذا اسود لونه يبحث عن علاج للأمـــر .

٨٢٠- والطائر المحلق عندما يبقى على الأرض ، يبقى في حزن وألم وحنين .

- لكن الطائر المنزلي يمضي هانئـــا على الأرض ، ويسرع لالتقاط الحب ، سعيدا نشطـــا .

- ذلك أنه في الأصـــل لا يطير ، لكن الطائر الآخر طيار محلق في الهواء .

قال النبى ﷺ : ارحموا ثلاثا، عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر وعالما يلعب به الجهـــال

– قال الرسول عليه السلام : إرحموا حال " من كان غنيـــا فافتقر ،

– والذى كان عزيزا فاحتقـــــر ، أو صفيا عالما بين المضــــــــر"(١)

٨٢٥– قال الرسول ﷺ : ارحموا هؤلاء الثلاثـــة ، حتى وإن كنتم مـن صخر أو من جبل .

– ذلك الذى ذل من بعد الرئاســـة ، وذلك الغني الذى صار بلا دينار .

– وثالثهم ذلك العالم ، الذى يكون مبتلى في الدنيا بين البلهاء .

– ذلك لأن الانتقال من العز إلى الذل ، كأنه قطع عضو من البدن .

– والعضو الذى يقطع من البدن يموت ، إنه يتحرك قليلا بعد بتره ، لكن ليس لفترة طويلـــة .

٨٣٠– وكل من شرب من كـأس " ألست " في العـام الفـائت ، يحس هـذا العـام بالألم والخمار .

– وذلك الذى يكون في الأصل ككلب الحظـيرة ، متـى يكـون حريصـــا علـى السلطنة .

– إنما يبحث عن التوبـــة من ارتكب الذنب ، وإنما يتأوه من ضل الطريق .

---

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

قصة سقوط حشف غزال في حظيرة حمر ، وشتم تلك الحمر لذلك الغريب حينا على سبيل الشجار وحينا على سبيل السخرية ، وابتلائه بالقش الجاف الذي ليس طعامه ، وهذه صفة العبد المخصوص من الله بين أهل الدنيا وأهل الهوى والشهوة مصداقا لقول الرسول ﷺ : الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء . صدق رسول الله

– لقد صاد أحد الصيادين غزالا ، فوضعه في الحظيرة بلا رحمـــــــة .

– وحبس الغزال في حظيرة مليئة بالحمر والبقر كما يفعل الظلمة .

٨٣٥– أخذ الغزال من خوفه يجرى في كل صوب ، وفي الليل وضع الصياد القش أمام الحمر .

– ومن الجوع أخذ كل حمار وكل بقرة في رعى القش وكأنه أحلى من السكر .

– وأخذ الغزال يسرع حينا هنا وحينا هناك ، وحينا كان يشيخ بوجهه عن الدخان والغبار .

– وكل من وضعوه مع ضده ، " عاقبوه " بهذا العقاب على أنه مساو للموت .

– حتى أن سليمان ﷺ قال : إن لم يقدم الهدهد عذرا مقبولا عن تأخــــره وعجــــزه ؛

٨٤٠– فإنني سوف أقتله أو أسومه أشد العذاب ، عذابا شديدا يفوق الحسبان والتصور .

– هيــــا ، أى عذاب هذا أيها المعتمد ، قال : وضعه في قفص واحد مع غير جنســـــه .

– والروح بـــازى والطبائع غربـــــان ، فهي في جراح من الغربان والبـــــوم .

– ولقد بقى الغزال بينها في محنة وعذاب ، مثل من كان يسمى " أبو بكـر " بيـن أهل سبزوار .

حكاية محمد خوارزمشاه الذى استولى بالحرب على مدينة سبزوار وكل أهلها من الروافض ، فطلبوا الأمان لأرواحهم ، فقال : أعطيكم الأمان ، إذا أحضرتم لي كهدية واحدا من أهل هذه المدينـــة يسمـــى أبو بكــــر

٨٤٥–ذهب محمد الب الغ خوارزمشاه لقتال أهل سبزوار المليئة بالحصون .

– فضيق عليهم جنده الخناق ، وأعمل جيشه القتل في الأعداء .

– فسجدوا أمامه قائلين : الأمان ، ضع حلقات "العبودية" في آذاننا ، وهبنا الحياة

– وكل ماتريده من عطاء أو خراج ، نعطيه لك ، وكل موسم يكون في ازدياد .

– وأرواحنا ملك لك أيضا يا من أنت في طبع الأسد ، فمر بأن تظـل أمانـة لدينـا بعض الوقت .

٨٥٠– قال : إنكـم لن تخلصوا أرواحكم منى ، ما لم تحضـروا لـي أحدا يسمى أبو بكر .

– ومـا لـم تحضـروا لـى كهديـة أحدا يسمى أبوبكـر مـن مدينتكـم أيتهـا الأمـة الضـــالة ؛

– فإننى سوف أحصدكم حصـــاد الزرع أيها القوم الأدنياء ، ولا آخـذ خراجـا ، ولا أقبل رجاءً .

– فوقفوا في طريقه جارين جـوالا مليئا بالذهب ، قائلين : لا تطلـب مـن يسمى أبو بكر من مثل هذه المدينة .

- فمتى يكون أبو بكر في سبزوار ؟ أتوجد مدرة جافة في قاع جدول ؟

٨٥٥- فأشاح بوجهه عن الذهب ، وقال : أيها المجوس ، ما لم تقدموا إلى من يسمى أبوبكر ؛

- فلا فائدة قط ، ولست طفلا ، حتى أقف أمام الفضة والذهب مندهشا !!

- فما لم تسجد لن تنجو أيها الضعيف المسكين ، حتى ولو قست المسجد بمقعدك

- فبثوا العيون في كل صوب ، سائلين : أين من يسمى أبوبكر في هذه الأرض الخربة ؟

- وبعد أن جدوا في البحث ثلاثة أيام بلياليها ، وجدوا شخصا يسمى أبو بكر ، لكنه شديد النحول .

٨٦٠- كان عابر سبيل أقعده المرض في زاوية خربة مليئا بالحرض .

- كان قد نام في ركن منعزل ، وعندما رأوه ، صاحوا به : أسرع .

- إنهض فإن السلطان يطلبك ، وبك سوف تنجو مدينتنا من الذبح .

- قال : لو أن بي قوة أو كنت أستطيع القدوم ، لذهبت أنا بنفسي إلى مقصدى .

- ومتى كنت أبقى في ديار الأعداء هذه ؟ ولكنت قد أسرعت نحو مدينة الأحباب .

٨٦٥- فأحضروا محفة مما ينقل عليها الموتى ، ووضعوا عليها أبا بكر المجادل ذاك .

- وأخذ الحمالون يحملونه حملا إلى خوارزمشاه ، حتى يرى الدليل .

- إن سبزوار هذه هي الدنيا ، ورجل الحق فيها ضائع وممتحن .

- ومثل خوارزمشاه كمثل الرب الجليل ، إنه يريد القلب من هؤلاء القوم الأراذل

- لقد قال :" إنه لا ينظر إلى تصويركم ، فابتغوا ذا القلب في تدبيركم" .(١)

---

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٨٧٠- وأنا أنظر إليكم من خلال صاحب قلب ، لا إلى صورة السجود ، وإنفاق الذهب .

- بينما ظننت أنت أن قلبك قلب ، وتركت البحث عن أصحاب القلوب .

- وقلب " الواحد منهم " لو حلت بـه سبعمائة من أمثال هذه السموات السبع ، لتاهت فيه واختفت .

- فلا تسم فتات القلوب هذه قلوبا ، ولا تبحث في سبزوار عمن يسمى أبو بكر .

- وصاحب القلب يصبح مرآة سداسية الجهات ، وينظر فيها الحق من الجهات الستة .

٨٧٥- وكل ما يوجد في الجهات الستة ، لا ينظر إليه الحق دون واسطة منه .

- فإن رد فإنما يرد من أجله ، وإن قبل ، فإنه يكون سندا للقبول .

- وبدونه لا يعطي الحق أحدً نـوالا ، إن كل ما ذكرته هو نبذة عن صاحب الوصال .

- إنه يضع ما يهبه على كف يده ، ومن كف يده ، يعطيها لمن رحمهم

- فلكفه اتصال بالبحر الكلي ، على أتم وجه ، ودون شكل أو كيفية .

٨٨٠- إنه اتصال لا يستوعبه كلام ، وقوله يكون بالأمر والتكليف ، والسلام .

- وإنك لتأتى بمائة جوال من الذهب أيها الغني ، ويقول الحق : بل قدم القلب أيها المنحنى .

- فإن كان القلب راضيا عنك فأنا راض ، وإن كان معرضا عنك ، فأنا معرض .

- إنني لا أنظر إليك ، بل أنظر إلى ذلك القلب ، فقدمه هدية أيها الحبيب على بابي .

- إنني معك كما يكون هو معك ، مثلما توجد الجنان تحت أقدام الأمهات .

٨٨٥- إنه الأب والأم ، بل هو أصل الخلق ، وما أسعده ذلك الذى عـرف القلب من القشر .

- وإنك تقول : ألست قد أتيت إليك بالقلب ؟ فيقول لـك : إن " قتـو" مليئـة بأمثـال هذه القلوب .(١)

- بل هات ذلك القلب الذى هو قطب العالم ، وهو روح روح الروح لروح آدم .

- ومن أجل ذلك القلب الملىء بالنور والبر ، يكون سلطان القلوب ذاك منتظـــرا .

- وإنك لتطوف لعدة أيام في سبزوار ، ولا تجد مثل ذلك القلب من الإعتبار .

٨٩٠- فتضع قلبا ذابلا مهترىء الروح على محفة جارا إياه إلى تلك الناحيـــة .

- قائلا : لقد أحضرت إليك قلبا أيها المليك ، وليس هناك أفضل من هذا القلب في سبزوار .

- فيقول لك : أهذه جبانة أيها المتجرىء حتى تحضر قلبا ميتا إليها ؟

- إمض وهات قلبا في طبع المليك ، فمن هذا القلب ، يكون الأمان ل" سبزوار " الكون .

- فتقول : إن هذا القلب خفي عن الدنيـــا ، وذلك لأن الضيـــاء والظلمة ضدان .

٨٩٥- إن العداوة لهذا القلب ميراث عند" سبزوار " الطبـــع منذ يوم " ألست "

- ذلك أنه بازى ، والدنيـــا مدينة الغربـــان ، ورؤية أحد لمن هو من غير جنسه ، بمثابة الكي له .

---

(١) ج/ ١١-٣٠٥:- يقول لك : هذا القلب لا يساوى شروى نقير .

- إنه إن لاطف ، فإنما يفعل ذلك نفاقا ، إنه يستميل حتى يحقق الرفقة .
- إنه يوافق ، لا من أجل الحاجة ، بل من أجل أن يقصر الناصح في نصيحته الطويلة .
- ذلك أن ذلك الغراب الخسيس الباحث عن الجيفة ، لديه الآلاف من أنواع المكر ، بعضها فوق بعض .
٩٠٠- فإن قبلتم نفاقه هكذا أيها السالكون ، لصار نفاقه هذا هو صدق المستفيد بعينـــه .
- وذلك لأن صاحب القلب ذى العظمة والحشمة ، هو في سوقنا كالحمار المعيوب .
-فابحث عن صاحب قلب ، إن لم تكن بلا روح ، وكن من جنس القلب إن لم تكن معاديا للسلطـــان .
- وذلك الذى يخيل عليك احتياله ومكره ، هو وليك أنت ، وليس ولي اللـــه .
- وكل من عاش على طبعك وخصالك ، هو الولي والنبي عند طبعك .(١)
٩٠٥- فامض ، واترك الهوى ، حتى يصبح أرج "الحقيقة" لك ، وتكون لك تلك الشامة الطيبة الباحثة عن العنبر .
- ومن ممارسة الهوى ، تكون أنفك فاسدة ، ويكون المسك والعنبر كاسدين أمام لبك .(٢)
- إن هذا الكلام لا نهاية لـــه ، وغزالنا ، يهرب داخل الحظيرة من مكان إلى آخــــر.

---

(١) ج/١١-٣٠٦:- وامض واهجر الهوى ، حتى يأتي إلى مشامك عبير الحق ، أيها العظيم .

(٢) ج/١١-٣٠٦:- إنك عاشق للنجس كالغراب ، ومن ثم فإن أنفك لا يتلقى رائحة المسك .

بقية قصة الغزال واصطبل الحمير

- ظل ذلك الغزال حسن النافجة لعدة أيام معذبـــا في حظيرة الحميـــــر .

- كـان مضطربـا ، يجـود بـالروح ، كسمكة علـى اليابسـة ، فعندمـا يحبسا فـي صندوق صغير يعذبان : البعــــــر والمســــــك .

٩١٠- كان أحد الحمير يقول له : ها هو ذا أبو الوحوش ، إن فيـه طبـع الملـوك والأمراء ، فاصمت .

- وكان آخر يسخر قائلا : لقد أتى من الجزر والمد بجوهرة غالية ، فمتى يبيعها رخيصــــــة ؟

- وطفق حمار ثالث يقــول : بهذه الرقة التي فيـك ، إمـض إلـى سـرير الملـك ، وقل : أين المتكأ ؟

- وحمار رابع أتخم حتى عجز عن الرعي ، فأخذ ينادى الغزال داعيا إياه " إلـى الطعام " .

- فهز رأسه بما يعني : لا ، إذهب عني يافلان ، لا شهية عندى ، ولا أقدر .

٩١٥- قال : أعلم أنك تسوق الدلال ، أو أنك تتجنب الطعام تكبرا عليه .

- فقال لنفسه : إن هذا هو طعامك ، فمنه تتجدد أعضاء جسدك ، وتحيا .

- لقد كنـت أليفـا للمـروج ، وكنـت مرفهـا فـي الريـاض ، و" إلـى جـوار " المـاء الزلال .

- فإذا كان القضاء قد ألقى بي في العذاب ، فمتى تمضي عني تلك الجبلة ، وهذا الطبع الطيب ؟

- وإذا كنت قد صرت شحاذا ، متى أصبح ملحاحا سمجا ؟ وإذا كانت ملابسي قد خلقت ، فأنا لا زلت جديدا نضرا .

٩٢٠- ولقد رعيت السنبل والشقائق والريحان ، مع الزهد فيها ، وأضعاف هذا الدلال .

- قال الحمار : هيا ، أنفج علينا نفاجا شديدا ، ففي الغربة يمكن الإدعاء الذى لا يستند على دليل .

- قال الغزال : إن نافجتي في حد ذاتها شاهد عليّ ، فإنها تزرى بالعود والعنبر .

- لكن متى يشمها صاحب شم ؟ ، لقد صارت حراما على الحمار عابد البعر .

- إن الحمار يشم بول الحمار على الطريق ، فكيف أعرض المسك على هذا الفريق ؟

٩٢٥- من أجل هذا قال النبي المستجيب ، سر { الإسلام في الدنيا غريب } .

- ذلك أن أهله أيضا ينفرون منه ، بالرغم من أن الملائكة قرناء لذاته .

- إن الأنام يرون صورته مجانسة لهم ، لكنهم لا يجدون من " حقيقته " حتى رائحتها .

- وكأنه أسد في إهاب بقرة ، أنظر إليه على البعد ، لكن إياك أن تشق عنه الإهاب .

- وإن شققته ففرط أولا في بقرة الجسد ، فإنه يمزق البقرة ، ذلك الذى فيه طبع الأسد .

٩٣٠- إنه يخرج من رأسك طبع البقر ، ومن الحيوان ينزع الطبع الحيواني

- وتكون بقرة فتنقلب لديه إلى أسد ، فإذا كنت سعيدا مع طباع البقر ، لا تبحث عن الأسد .

تفسير ﴿إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾

كان الله تعالى قد خلق تلك البقرات العجاف على صفة الأسود الجائعة ، حتى أنها كانت تأكل تلك البقرات السبع السمان بشهية ،و بالرغم من خيالات صور البقر أبديت في النوم تأمل أنت في المعنى

– ذلك الذى كان عزيز مصر يراه في النوم ، عندما انفتح الباب أمام عين غيبه ؛

– رأى سبع بقرات سمان حسنة التسمين ، أكلتها تلك البقرات السبع العجاف

– لقد كانت تلك العجاف أسدا في الباطن ، وإلا لما كان لها أن تأكل الأبقار

٩٣٥– ومن هنا فإن رجل الأمر قد خلق على صورة الإنسان ، لكن في داخله أسدا خفيا مفترسا للرجال .

– إنه يبتلع المرء سعيدا ويجعله فردا ، ويصفي كدره ، وإن آلمه .(١)

– فهو بهذا الألم الواحد ينقيه من جملة الأكدار ، فيخطو فوق السها .(٢)

– فحتام تقول كالغراب شديد النحس : أيها الخليل ، لماذا قتلت الديك ؟

– أجاب : إنه الأمر ، فحدثنا إذن عن حكمة الأمر ، حتى تكون كل شعرة فيّ مسبحة له .(٣)

---

(١) ج/١١–٣١٥:– لتكن بقرة الجسد فداءً لأسد الله ، إذا كنت معه ذا صدق وصفاء .– وإن قتلت الضيف ظللت نفس مخرة الحمار ، فحتام تربي أيها السيد بقرة الجسد .

(٢) ج/١١–٣١٥:– يصبح ملكا ويترك العبودية ، ويجد في الموت حياة القلب .

(٣) ج/١١–٣١٧:– قال إنه الأمر ، فاقرأ علينا حكمة الأمر ، حتى أهلل له بالروح .

بيان أن قتل الخليل ﷺ للديك كان إشارة إلى قمع أية صفة من الصفات المذمومات المهلكات في باطن المريـــد

٩٤٠- إنـه شـهواني ، شديد فـي عبـادة الشـهوة ، وهـو ثمـل مـن ذلـك الشـراب المسموم الذى لا قيمة لـــه .

- ولو لم يكن النســـل مطلوبا يا وصي " آدم" ، لكان آدم قد خصـى نفسـه مـن عارهـــا .

- لقد قال إبليس اللعين للخالق : أريد فخـــا عظيما من أجل هذا الصيـــد .

- فعرض عليه الذهب والفضة وقطعان الخيل " المسومة " قـائلا لـه : إنـك بهذا تستطيع أن تخطف الخلق.

- قـال :حسنـــا ، وعبس بشدقيـــه ، وصـار عبوسا مليئـا بـالغضون وكأنـه الأترجـــة .

٩٤٥- فقـدم الحـق لذلـك المدبــــر الذهـب والفضــة والجواهـر والمعـــادن النفيســــة .

- قائلا : خذ هذه الشبكـــة الأخرى أيها اللعين ، فقال : زدني عليهـــا يـا نعم المعين .

- فأعطـاه " الطعـام " الدسـم والحلـو والمشـروبات الغاليــة وكثـيرا مـن الثيـاب الحريرية .

- فقال : يا رب ، أريد أكثر من هذا المدد ، حتى أشدهم إليّ بحبل من مســد .

- فـإن الثملين بـك مـن الأبطـال الشجعـــان ، يقطعـــون كالرجـال تلـك الحبـــال .

٩٥٠- وحتى يكون رجلك أنت مميزا عمن ليسوا برجال بهذه الفخاخ وحبـــال الهوى .

- إنني أريد شبكـــة أخرى يا سلطــان العرش ، شبكة شديدة الإحتيال ، تجندل الرجـال .

- فأتى بالخمر وآلات الطرب(١) ووضعها أمامـه ، فابتسم لها نصف ابتسامة ، ولم يفرح كثيرا .

- فأرسل " ابليس " رسالة إلى " مظهر قدرة الله " في الإضلال منذ الأزل قائلا: فلتجعل التراب يتصاعد من قاع بحـــر الفتنة .

- أليس موسى واحدا من عبيدك ، وقد عقدت له حجب الغبار من قلب البحر ؟

٩٥٥- وأطلقت للماء العنان من كل صـــوب ، وارتفع غبار من قاع البحـــر ؟(٢)

- وعندما أبدى له حسن النســاء وفتنتهم ، التي تتغلب على عقـول الرجال وصبرهـم؛

- طرقع بأصابعه فرحا ، وانطلق راقصـا ، وقال : أعطنيهـا سريعا فقد بلغت مرادى .

- وعندما رأى تلك الأعين المليئة بالخمار ، والتي تجعل العقول والألباب بلا قرار .

- ، ذلك الصفاء الموجود في خدود أولئك الفاتنات ، والتي تحترق عليها القلوب وكأنها البخور .

---

(١) حرفيا : الصنـج وهو آلة موسيقية كالرباب .

(٢) ج/١١-٣١٧:- أعطني فخا قويـا حتى يتم الأمـر ، ألقيه في أفواههم كأنه اللجام .- وأضعهم في وهقي وأجرهم جرا ، بحيث لا يستطيعون عصيان ذلك الفخ .

٩٦٠- والوجه والخـــال والشفاة التي كاليـــاقوت ، وكأنما تجلى فيها الحق من خلف حجاب رقيق .(١)

- ولقـــد رأى هو هذا الغنـج والتثني اللطيف ، كأنـه تجلي الحـق مـن حجـاب رقيق .(٢)

تفسير (لقد خلقنا الإنســـان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين) وتفسيـــر (ومن نعمره ننكسه في الخلق)

- إن الحسن الذى سُجد له كما سجدت الملائكة لآدم ، لـم يلبـث أن عـزل وطـرد كما طرد آدم .

- فقال : أواه ، أعدمٌ بعد وجود ؟ فقال : إن جرمك أنك عمرت طويـــــلا .

- كان جبريل يجره آخذا إياه بالنواصي قائلا له : إمض عن هذا الخلد وعن هـذه الطائفة من الحســـان .

٩٦٥- فقال له : ما هذا الإذلال بعد العز ؟ ، قال : هذا هو العدل وهذا هو الحكم

- يا جبرائيل ، كنت تسجد لي بالروح ، فكيف تطردني الآن من الجنـــان ؟

---

(١) ج/١١-٣١٨:_ والقد الذى كأنه السرو المتبختر في الرياض ، والخد كالياسمين والزهور البيضاء .

(٢) ج/١١-٣١٨:- فصار عَالمٌ والها حائرا مبهوتـــا ، من تلك النظرة والدلال الحلو والجمال .

– إن الحلل تتساقط من فوقي امتحانـــا ، مثل تساقط الأوراق مـن الشجر أوان الخريف .

– وذلك الوجه الذى كان يشع كضـوء القمـر ، صـار مـن الشيخوخة كأنـه ظهـر الضب .

– وذلك الرأس وذلك المفرق الجميل الوضـــاء ، صار قبيحا وقت الشيخوخة ، متساقط الشعر .

٩٧٠– وذلك القد الشاق لصفوف الحسان كالسنان ، صـار فـي الشيخوخة محنيـا كأنه القَوس .(١)

– لقد صـارت حمـرة الشقائق صفـرة زعفـران ، وقـوة الأسـد صـارت كخـور النســـاء .(٢)

– وذلك الذى كان يحمل الرجل تحت إبطه بفـن ، صـار يؤخَذ مـن تحـت إبطيـه عند القيـــام .

– وهذه في حد ذاتها هى آثـــار الغـم والذبـول ، وكـل واحـد منهـــا رسـول للموت .

---

(١) ج/١١–٣٢١: صار الشعر الذى كان في سواد الزاغ كالبَرَد ، وصار الوجه من التجاعيد مليئا بالجراح والوسم .

(٢) ج/ ١١–٣٢١:– صارت العين التي تشبه النرجس ذابلة ، وحرارة الأعضـــاء تحولت إلى برودة .

تفسير (أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجـــر غير ممنــــــون)

– لكن ، إن كان طبيبه نور الحق ، فليس لـه مـن الشيخوخة والحمـى نقصـان ونحول .

٩٧٥– يكون وهنه مثل وهن الثمل ، وفي هذا الوهم يحسده " من هو فـي قـوة " رستـــم .

– وإن يمت ، تصبح عظامه غريقة في اللـذة ، ويصبـح ذرة ذرة في شـعاع مـن نور الشوق .

– وذلك الذى لا يكون له " هذا النور" حديقة بلا ثمر ، يقلبها الخريف رأسا علـى عقب .

– ولا تبقى ورود ، بل تبقى الأشواك سـوداء ، ولقـد صـارت صفـراء دون ثمـر كأنها تل من قش .

– فما هو الجرم الذى ارتكبته هذه الحديقة يا ألله ، حتى تجعلها هكذا مجردة مـن حللها ؟

٩٨٠– لقد نظرت إلى نفسها ، ورؤية النفس سم قتـــــال ، فانتبه أيها الممتحن .

– وتلك الحسنــــاء التى بكى العالم من حبهـا ، أخـذ عالمهـا يطردهـا عنـه ، فمـا ذنبها ؟

– جرمها أن تلك الزينة كانت عارية عندها ، لكنها إدعت قائلة : هذه الحلل ملـك لــــي .

– لقد قمنا باسترداده حتى تعلم على سبيل اليقين ، أن البيدر ملك لنـا ، والحسـان ملتقطات للحب منه .

– وحتى تعلم أن تلك الحلل كانت عارية ، كانت مجرد شعاع من شمس الوجود .

٩٨٥– وأن ذلك الجمال ، وتلك القدرة ، وذلك الفن ، قد انتقلت من شمس الحسن نحو هذه الناحية .

– ثم تعود أنوار تلك الشمس من فوق تلك الجدران ، و"تأفل " كأنها النجوم .

– لقد عاد شعاع الشمس نحو موضعه ، وبقى كل جدار أسود مظلما .

– وذلك الذى جعلك ذاهلا أمام وجوه الحسان ، هو نور الشمس " قد اخترق " زجاجا ذا ثلاثة ألوان .

– والزجاج الملون هو الذى يبدى لك ذلك النور الذى لالون له ، مختلفا ألوانه .

٩٩٠– وعندما لا يبقى الزجاج الملون ، يجعلك النور الذى لا لون له ذاهلا آنذاك .

– فتعود على رؤية النور بلا زجاج ، بحيث لاتبقى أعمى عندما ينكسر الزجاج

– وإنك لقانع من علم مكتسب ، وقد أضأت بصرك بمصباح الغير .

– فيقوم بخطف مصباحه حتى تعلم أنك مستعير ، ولست بالفتى .

– فإذا قمت بالشكر وسعي المجتهد، لا تحزن ، فإنه يرد إليك أضعافا مضاعفة ، ما فقد .

٩٩٥– وإن لم تشكر ، فلتبك الآن دما ، فقد صار ذلك الحسن بريئا من الكافر ، " منتفيا عنه" .

– " أمة الكفران أضل أعمالهم ، أمة الإيمان أصلح بالهم "(١)

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

- لقد ضاع الحسن والفضل لانعدام الشكر ، بحيث لا يرى " الكافر" أثرا منها أبدا .

- فلقد ضاع منه" كل إحساس " بالصلة والقرابةأو بانعدامهما، وبالشكر والوداد ، بحيث لم يعد يذكرها .

- فإن " أضل أعمالهم " أيها الكافرين ، تعنى ضياع الرغبة من كل من بلغ منيته

١٠٠٠- اللهم إلا من أهل الشكر وأهل الوفاء ، فإن الدولة تحل في أثرهم أينما يحلون .

- ومتى تعطي الدولة الزائلة القوة ؟ إن الدولة المقبلة هي التي تهب الخاصية .

- فاقترض من هذه الدولة مصداقا لقوله : أقرضوا ، حتى ترى مائة دولة أمامك

- وقلل من الشرب هنا ، من أجل نفسك ، حتى تجد حوض الكوثر أمامك .

- وذلك الذى صب جرعة على تراب الوفاء ، متى يستطيع صيد الدولة أن يفر منه ؟

١٠٠٥- إنه يسعد قلوبهم مصداقا لقوله ﴿أصلح بالهم ﴾ ، و" رد من بعد النوى أنزالهم "(١)

- قائلا : يا أيها الأجل ، يا أيها التركي المغير على القرية ، رد على هلاء الشكورين ما أخذته منهم .

- فيقوم برده إليهم ، لكنهم لا يقبلونه ، ذلك أنهم نعموا ببضاعة السروح .

- ويقولون : نحن من الصوفية ، وقد مزقنا الخرق ، ولا نأخذها ثانية ، ما دمنا قد قامرنا بها .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- لقد عوضنا ، فما هو هذا العوض آخـــــرا ، لقد ذهبت عنا الحاجة والحـرص والغرض .

١٠١٠- ولقد خرجنا من المـاء المـالح المهلـك ، وتقاطرنـا علـى الرحيـق وعيـن الكوثـــــر .

- وما قمت بفعله أيتها الدنيا مع الآخرين من غدر ومكر ودلال ثقيـــــل ؛

- نصبه نحن على رأسك جزاء وفاقا لك ، فنحن شهداء قدمنا إلى الغزو .

- حتـى تعلميـن أن للإلـه الطـاهر عبـادا ، ديدنهـم الهجـوم والجـدال والمعارضـة والمراء معك .

- إنهم ينتزعون شوارب مكر الدنيــــا ، وينصبـــون خيامهم على قلاع النصر

١٠١٥- لقد صار هؤلاء الشهداء غزاة من جديد ، وهؤلاء الأسرى أوشكوا مـن جديد على النصر .

- ولقد أطلوا برؤوسهم مـرة ثانيـة مـن العـدم ، قـائلين : أنظـر إلينـا إن لـم تكـن أكمـــه .

- حتى تعلم أن هناك شموســـا في العدم ، وأن ما يسمى شمس هنا ، هي هنـاك نجمة سها .

- وكيـــف يكون الوجود في العدم أيهـا الأخ ؟ وكيـف يكـون الضـد مكنونـا فـي ضده ؟

- فاعلم أنه يخرج الحي من الميت ، حتى صار العدم أملا عند العابدين .

١٠٢٠- وذلك الزارع الذى تكون أهراؤه خالية ومـع ذلـك يكـون سـعيدا ، أليس ذلك على أمل ما هو" موجود" في العـــــدم ؟!

- فإن ذلك " الزرع " ينبت من العدم ، وافهم ، إن كنت واقفا على المعاني .

–إنك تكون منتظرا لحظة بلحظة " ما يـأتي " مـن العـدم ، وأن تجـد الفهـم ولـذة السكينة والبر .

– وليس هناك إذن بكشف هذا السـر ، وإلا لجعلت كل" كفرة " الأبخـاز مـن " مؤمني " بغداد .

– ومن ثم فإن خزانة صنع الحق هي العـدم ، فهـو يـأتي منهـا بالعطايـا ، لحظـة بلحظـة .

١٠٢٥– فالحق مبدع ، والمبدع هو الذى يأتي بالفرع ، دون أن يكـون لـه أصـل أو سند .

مثال لعالم الوجود الذى يبدو عدما ، وعالم العدم الذى يبدو وجودا

– لقد أبدى العدم وجودا شديد الإحترام ، وأبدى الوجـود على شكل العدم .

– لقد أخفى البحر وجعل لك الزبد ظاهـرا ، وأخفى الريح وأبدى لك الغبار .

– " أبداه لك " كمئذنة من التراب الملتف المتصـاعد ، فكيـف يصـعد التـراب مـن تلقاء نفسـه ؟

– لكنك ترى التراب متصاعدا أيها العليل ، ولا ترى الريح إلا بتعريف الدليل .

١٠٣٠– ترى الزبد رابيا من كل صوب وناحية ، والزبد لا يتحـرك دون وجـود البحـر .

–إنك ترى الزبد بالحس والبحر بالدليل ، والفكر خفي ، وما هو واضح هو القـال والقيل .

– ولقد كنا نظن النفى إثباتا ، وكانت لنا عيون ترى ما ليس موجودا .

– وذلك الذى ظهر لنا في نوم ونعاس ، مـاذا يمكن أن يكون إلا خيـال ، وليـس برؤية حقيقية ؟

– فلا جرم أننا صرنا دائري الرؤوس من الضـلال ، وعندمـا اختفـت الحقيقـة ، ظهر الخيـــال .

١٠٣٥– وعندما وضــع هـذا العـدم أمـام النظـر ، كيـف أخفـى تلـك الحقيقـة عـن البصـــــر ؟

– فالثناء عليك ، أيها الأستاذ الساحر ، الذى أبديت الكدر للمعرضين صفاءً .

– إن السحرة يقيسون على وجه السـرعة ضـوء القمـر أمـام التـاجر ، ويقبضـون الذهب ربحا .

– ويختطفون الفضة على هذا النسق أكداسا أكداسا ، وضاعت الفضة مـن اليـد ، ولا كرباس هناك .

– وهذه الدنيا ساحرة ونحن تجار ، نشترى منها ضوء القمر الذى تم قياســـه

١٠٤٠– إنها تقيس على وجـه السـرعة خمسمائة ذراع مـن الكربـاس ، وبشـكل ساحر ، من ضوء القمر .

– وعندما سلبت فضة عمرك أيها السالك ، هل تحولت الفضة إلى كرباس ؟ لا ، والكيس فارغ .

– وينبغي لك أن تقرأ﴿ قل أعوذ ﴾ أيها الأحد ، هيا أبد شكواك مـن النفاثـات فـي العقد .

– إن أولئك الساحرات ينفثن في العقد ، فالغياث أيها المستغاث من سوء المآل .

– لكن فلتقرأ أيضا بلسان العقل ، فإن لسان القول لسان واهن ، أيها العزيز .

١٠٤٥– وهناك ثلاثة رفاق لك في العمر ، أحدهم وفي والآخران غادران .

– أحدهما صحبتك ، وثانيهما متاعك ومالك ، وثالثهما الوفي هو حسن فعالك .

– إن المال لا يخرج معك من القصور ، ويأتى معك الصاحب حتى " باب " القبر

–ذلك أنه في يوم مماتك يقول لك ذلك الصاحب بلسان حاله :

– لست رفيقا لك أكثر من هذا ، ولأقف برهة على قبرك .

١٠٥٠– لكن فعلك هو الوفي فالزمه ، فهو الذى يدخل معك إلى قاع اللحد .

في تفسير قول المصطفى ﷺ : لابد من قرين يدفن معك وهوحي وتدفن معه وأنت ميت ، إن كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ، وذلك القرين عملك ، فاصلحه ما استطعت . صدق رسول الله

– ومن هنا قال الرسول ﷺ : من أجل هذا الطريق ، ليس هناك من رفيق أوفى من العمل .

– فإن كان طيبا ، يكون رفيقا لك إلى الأبد ، وإن كان سيئا ينقلب عليك حية في اللحد .

– وهذا هو العمل والكسب فى طريق السداد ، ومتى يمكن فعله – أيها الأب – دون تعليم من أستاذ ؟

– وأدنى حرفة تجرى في هذه الدنيا ، لا تكون أبدا دون إرشاد أو أستاذ .

١٠٥٥– إن أولها علم ومن بعدها يأتي العمل ، حتى تعطي الثمر من مهلة أو أجل .

– " استعينوا في الحرف ياذا النهى ، من كريم صالح من أهلها

- أطلب الدر أخي وسط الصدف ، واطلب الفن من أرباب الحرف
- إن رأيتم ناصحين أنصفوا ، بادروا التعليم ، لا تستنكفوا "(١)
- وإن لبس المرء الملابس الخلقة عند قيامه بصنعة الدباغة ، فإن ذلك لا يقلل من سيادته ، إن كان سيدا .

١٠٦٠- وعند النفخ " في الكور " إن لبس الحداد الملابس الممزقة ، فإن احترامه لم يقل أمام الخلق .

- فاخلع إذن لباس الكبر عن الجسد ، وعند التعلم ، إلبس لباس الذل .
- والطريق إلى تعلم العلم هو القول ، لكن تعلم الحرفة يكون عن طريق عملي .
- وإن كنت تريد " علم " الفقر فهو قائم بالصحبة ، فلا لسانك يعمل " لاكتسابه" ولا يدك .(٢)
- إن معرفته تتلقاها الروح من الروح ، لا عن طريق الكتاب ولا عن طريق اللسان .

١٠٦٥- وإن كان موجودا في قلب السالك بشكل غامض ، فليس عند السالك معرفة بالرموز بعد .

- حتى يشرح قلبه ذلك الضياء ، ومن هنا قال تعالى :﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ .
- أي أننا أعطيناك الشرح داخل الصدر ، ووضعنا نحن الشرح داخل صدرك .
- لكنك لا زلت تطلبه حتى الآن من خارجك ، وإذا كان لديك اللبن ، فكيف تحلبه من آخرين ؟

---

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١١-٣٣٧:- والمعرفة أنوار في أرواح الرجال ، لا عن طريق الدفتر والقيل والقال .

– وهناك عين لبن في داخلك بلا ضفاف ، فكيف تطلب ذلك اللبن " المصبوب في قدر ؟

١٠٧٠– وإن لديك منفذا إلى البحر يا طالب السقيــا ، فاشعر بالعــار مـن طلبك الماءمن الغدير .

– فمن " ألم نشرح " لا شرح لك بعد ، ما دمت باحثا عن الشرح متكديا إيـــاه

– فانظـــر إلى شـــرح القلـــب من داخـــلك ، حتـى لا يـأتينك الــوصف بـ "لا تبصــــرون " .

تفسير (وهو معكـــــــم)

– هناك سلة مليئة بالخبز فوق رأسك ، وأنت لا تفتأ تتكدى كسرة خـبز مـن بـاب إلى باب .

– فعرج على رأسك ، ودعك من دوار الرأس ، وامض ، واطرق بـاب القلـب ، لماذا أنت على كل باب ؟

١٠٧٥– إنك واقف في جدول ، ماؤه يصل إلـى ركبتيـك ، وغـافل عـن نفسـك ، وباحث عن الماء من هذا وذاك.

– فالماء أمامك وخلفك ، وذو مدد ، لكن العيون من بين أيديها سـد ،ومـن خلفهـا سد .

– فالجواد موجـود تحت الفخذ ، والفـارس بـاحثٌ عـن الجـواد ، وإن "سـئل " : ماهذا ؟ قال : جواد ، ولكن أين الجــــــواد ؟

– إنتبـــه ، أليس هذا الذى يبدو تحتك جواد ؟ قال : نعم ، لكـن مـن رأى جـوادا قط ؟

– إنه ثمل بشيء ، وأمـام وجهـه ذلـك الشـيء ، وهـو غـافل عنـه ، وغـافل عـن تفصيلاته أيضا .

١٠٨٠–وهوثمل شوقا إلى الماء وهو أمام وجهه،إنه في الماء ، لكنـه غـافل عـن هذا الماء الجارى .

– كالدر في البحر ويتساءل :أين البـــحر ؟ وذلك خيال ، لأن، الصدف جدار أمامه "دون البحر"!!

– وتساؤله هذا يصبح حجابا له ، يصبح سحابا على شعاع شمس "حقيقته" .

– إن عينه الرمداء المريضة هي ختم بصــــره ، إن ما ينبغى أن يرفع السـدود من أمامه ، صار سدا لـــه .

– إن لبه نفسه قد صار ختما على سمعـــه ، فليكن لبك مع الحق ، يا حائرا في آلائـــه .

في تفسير قول المصطفى ﷺ : من جعل الهموم هما واحدا ، كفاه الله سائر همومه ، ومن تفرقت به الهموم ، لا يبالى الله في أى واد أهلكه

١٠٨٥– لقد وزعت لبك علـى " كثير " مـن الجهـات ، بينمـا لا تسـاوى شـروى نقير(١) تلك الترهات .

– وكل جذر لشوكة يمتص ماء لبك ، ومتى يصل ماء لبك إلى الثمــــار ؟(٢)

---

(١) حرفيـــا : فجلة واحدة .

(٢) ج/١١–٣٤٨:– إن كل نبات لاقيمة منه يجذب الماء منك ، ومتى يصل ماء ذهنك إلى الإله .

- هيا فلتقطع ذلك الغصن السيء ولتقم بتقضيبه ، ولترو هذا الغصن الحسن الطيب ، ولتجعله نضرا .

- إن كليهما أخضر في هذه اللحظة ، لكن أنظر إلى العاقبة ، فإن ذلك يذوى ، ومن هذا تنمو الثمار .

- وماء البستان لهذا حلال ولذاك حرام ، وسوف ترى الفرق في آخر الأمر ، والسلام .

١٠٩٠- وما هو العدل ؟ ؟إنه سقيا هذه الأشجار ، وما هو الظلم ؟ إنه إهدار الماء على تلك الأشواك .

- إن العدل هو وضع النعمة في موضعها ، لا أن تكون ساقيا لكل جذر يكون .

- وما هو الظلم ؟ إنه وضع الشيء فى غير موضعه ، وهذا في حد ذاته لا يكون إلا منبعا للبلاء .

- فأعط نعمة الحق للروح والعقل ، لا إلى الطبع كثير الهموم كثير العقد .

- ولتجعل أحمال الحزن كلا على " كاهل " جسدك، ودعك من وضعها على كاهل الروح ، فإنها تحطم روحك

١٠٩٥- لقد وضع " أحدهم " على أم رأس عيسى " الروح " حملا ثقيلا ، بينما يبرطع حمار " الجسد" في المروج .

- وليس من المعقول وضع الكحل في الأذن ، وليس من المعقول أن تطلب من الجسد أعمال القلب .

- فإذا كنت قلبا تبختر وتدلل ولا تتحمل الذل ، وإذا كنت جسدا ، لا تتلذذ بالسكر ، وتذوق السم .

- فالسم نافع للجسد ، لكن السكر ضار له ، ومن الأفضل للجسد أن يبقى بلا مدد .

– إن الجسد هو حطب جهنم ، فلتصبه بالنحول ، والحطب إن نبت ، إذهب واقتلعه .

١١٠٠– وإلا صرت حطبا وحمالا للحطب ، في الدارين مثل زوج أبي لهب .

– ولتميزن بين غصن سدرة " المنتهى " وبين الحطب ، وإن كان كلاهما أخضر ، أيها الفتى .

– فأصل ذاك الغصن هو السماء السابعة ، وأصل هذا الغصن من النار والدخان

– وهما يتشابهان في الصورة أمام الحس ، فإن عين الحس تخطيء النظر ، وهذا ديدنها .

– لكن الفرق شديد الوضوح أمام عين القلب ، وجاهد " ولو " جهد المقل ، وتعال نحو القلب .

١١٠٥– وإن لم يكن لك قدم ، فحرك نفسك ، حتى ترى كل قليل وكل كثير .[1]

في معنى هذا البيت :

إن مضيت في الطريق ، فإنهم يفتحون لك الطريق

وإن صرت عدما ، يتجهون بك إلى الوجود [2]

– إذا كانت زليخا قد غلقت الأبواب من كل طرف ، فإن يوسف عليه السلام وجد من الحركة المنصرف .

– فانفتح القفل والباب ، واتضح الطريق ، عندما توكل يوسف عليه السلام وتحرك .

---

(١) ج/١١–٣٤٩:– فإن هذه الحركة قد صارت مفتاحا للبركة ، ومن الحركة تستفيد أيها القلب .

(٢) العنوان عند جعفرى "١١–٣٥٦" : في معنى هذه الرباعية ، ثم بيت لإكمال الرباعية بعد البيت المذكور : وإن تواضعت لا يسعك العالم ، وآنذاك يبدونك لنفسك دون نفسك .

– وإن لم تكن فرجة واحدة ظاهرة وموجودة ، فينبغي السعي على العشواء ، كما فعل يوسف عليه السلام .
– حتى يفتح القفل ، ويبدو الباب ، ويصبح لك منفذٌ إلى اللامكان .
١١١٠– لقد جئت إلى هذه الدنيا أيها الممتحن ، فهل تراك رأيت قط الطريق الذى جئت منه ؟
– لقد جئت من مكان ما ومن موطن ما ، فهل علمت طريق المجيء قط ؟ أبدا ، على الإطلاق .
– وإذا كنت لا تعلم ، وحتى لا تقول : لا طريق ، فإن من هذا الطريق الذى لا طريق فيه ، ذهابنا .
– إنك في النوم تمضي سريعا إلى اليسار وإلى اليمين ، فهل تعلمن على الإطلاق أين هذا الميدان الذى " تركض فيه " ؟
– فلتغمض هذه العين ، ولتسلم نفسك ، حتى ترى نفسك في تلك المدينة القديمة .
١١١٥– وكيف تغلق عينيك ومائة عين ذات خمار ، هى غرورا سد أمام عينيك من هذه الناحية .
–– وأنت شديد القلق والانتظار عشقا لأولئك الذين يشترون " ما تعرض " وأملا في العظمة والسيادة .
– وإن نمت ، فإنك ترى أولئك المرجوين في النوم ، ومتى تحلم بومة النحس إلا بالخرائب ؟!
– إنك تريد من يشترى منك كل لحظة ، وفي غاية السعى والقلق ، وماذا لديك لكي تبيع ؟ لاشيء على الإطلاق !!
– فلو كان لقلبك خبزٌ أو أُدم ، لفرغت تماما من أولئك المشترين .(١)

---
(١) ج/١١–٣٥٦: وإن كان ثم خبز في كيسك ، لفرغت تماما من مشتريي قلبك .

قصة ذلك الشخص الذي كان يدعي النبوة ، فقالوا له : ماذا أكلت حتى صرت أحمق تهذي ؟ فقال : لو وجدت شيئا آكله ، لما تحولت إلى أحمق ، ولما هذيت ، فإن أي كلام طيب لو قيل لغير أهله يكون من قبيل الهذيان ، وإن كانوا مأمورين بقول هذا الهذيان

١١٢٠- طفق أحدهم يقول " إنني رسول الله ، وأنا أكثر فضلا من كل الرسل والأنبياء .

- فقيدوا عنقه ، وأخذوه إلى الملك ، وقالوا : إن هذا يقول إنه رسول من الإله .

- وتجمع عليه الخلق، كالنمل والجراد، قائلين : ماهذا المكر ؟ ما هذا الاحتيال ؟ وما هذا الكيد ؟

- فإن كان رسولا ذلك الذى يأتي من العدم ، فنحن كلنا رسل وفي غاية الاحترام

- لقد جئنا كلنا من هناك ، ونحن هنا كلنا غرباء ، فلماذا خصصت أنت بها ، أيها البليغ المفوه ؟[1]

١١٢٥- ألم تأتوا أنتم إلى هنا كالأطفال النائمين ، وكنتم غافلين عن الطريق ، وعن المنازل .

- لقد مررتم بالمنازل نياما ثملين " بالنعاس " ، غافلين عن الطريق ومرتفعاته ومنخفضاته .

- لكننا غذونا السير في اليقظة سعداء " منتبهين " ، مما وراء " الحواس الخمسة و" الجهات الستة " حتى أرضها وموضعها .

- ورأينا المنازل من الأصل والأساس ، مثل الأدلاء الخبراء العارفين بالطريق .

---

(١) ج/١١-٣٦٣: وأجابهم ذلك الرسول الطيب قائلا : ياجماعة من العمى والجهال وأرباب الفضول .- إنكم لم تعلموا أيها القوم أنه قد قضي عليكم بالوصول إلى هنا ، وهذا من عماكم .

– فقالوا للملك : قم بتعذيبـــــه ، حتى لايقول أحد على شاكلته هذا الكلام أبدا .

١١٣٠– فرآه الملك شديد النحول والضعف ، بحيث يمـوت مـن صفعـة واحـدة ، ذلك المسكين .

– فكيف يمكن تعذيبه أو ضربه ؟ وبدنه كان قد صار كالزجاج .

– " وقال في نفسه " : عليّ أن أتحدث إليه بالحسنى ، وأسأله : لماذا أنت آخذ في التجديف بالعصيان والكفر ؟

– فإن الشـدة لا تجدى هنـا نفعـا ، وبالحسـنى واللـين ، تطـل الحيـة برأسـها مـن جحرها .

– وأبعد الناس من حوله . كان ملكا رقيقا ، ديدنه اللطف والملاينـــــة .

١١٣٥– فأجلسه ، ثم سـأله عـن موطنـــه ، ومـن أيـن يتعيـش ؟ وإلـى أيـن يلجـأ ويأوى ؟

– قال : أيها الملك ، إنني من دار السـلام ، وجئـت مـن الطريـق إلـى هنـا ، دار الملام .

– وأنا لا دار لي ، ولا جليس واحـد أجالسـه ، ومتـى تتخـذ السـمكة مـن اليابسـة مسكنا ؟!

– ثم سأله الملك مازحا : إذن ماذا أكلت ؟ وبم انتدمت ؟

– وهل تشتهي شيئا ؟ وماذا أكلت هذا الصباح ، بحيث إنك منتش إلى هذا الحد ، كثير النفاج شديد الكبرياء ؟

١١٤٠– أجاب : لو كان عندى خـبز ، جافـا كـان أو طريـا ، فمتـى كـان لـي أن أدعي النبوة ؟

– إن ادعاء النبوة مع هذا القبيل من الناس ، أشبه بطلب القلب من صخر أو مـن جبل .

- ولم يطلب أحد من جبل أو من صخر عقلا وقلبا ، ولم يسأله عن فهم نكتة مـن النكات أو ضبطها .

- فإن كل ما تتفوه به يردده الجبل بعينه ، يردده ترديد الرقية هازئا مازحا .

- فأين هؤلاء القوم من الرسالة ؟ ومن الذى يكون عنده رجاء الروح في جماد ؟

١١٤٥- فلو أنك جئتَ إليهم برسالة عن النساء والأموال ، لطأطأوا كلهم رؤوسهم طاعة أمامك ، ولسلموك أموالهـــم .

- ولو قلت لأحدهم إن في موضع كذا حسناء تدعوك ، فقد صارت عاشقة لك ، يعترف بك آنذاك .

- ولو أنك أتيت برسالة من الله كأنها الشهد ، داعيا : تعال إلى الله ، يا طيب العهد ؛

- وامض من دنيا الموت نحو الزاد ، وإذا كان البقاء ممكنا ، لا تصر فانيـــا

- فإنهم يهبون سعيا لسفك دمك وقطع رأسك ، لا حمية للدين ، ولا غيرة على الفضـــل .

سبب عداوة العوام لأولياء الله الذين يدعونهـــم إلى الحق وإلى ماء الحياة الأبدية .. وعيشهم غرباء عنهم

١١٥٠- بل إن ذلك يكون من التصاقهم بالمال والأهل ، ويكون سماع هذا البيان مرا بالنسبة لهم .

- إن خرقة قد التصقت التصاقا شديدا بجرح الحمار ، وعندما تريد أن تنزعها منه قطعة قطعة ؛

- فإن ذلك الحمار يرفس بقدميه يقينا من الألم ، وما أفضل من اتقاه وابتعد عنـــه .

- خاصة إذا كان هناك خمســـون جرحا ، وفي كل موضع خرقة ، ملتصقة برأسه ، غارقة في العرق .

- وإن الأهل والأملاك كالخرقة ، وهذا الحرص هو الجرح , وكلما ازداد الحرص ، ازدادت الجراح .

١١٥٥- إن الأهل والأملاك بمثابة بومة " ملازمة " للخراب فحسب ، فهي لا تسمع أوصاف بغداد وطبس .

- ولو أن بازيا سلطانيا عاد من الطريق ، وأتى بمائة خبر لهذا البوم عن المليك

- وتحدث مفصلا عن دار الملك والبساتين والأنهار ، إذن لسخر منه آنذاك مائة عدو .

- قائلين : لقد أتى لنا البازى بأساطير الأولين ، وإنه يختلق الكلام هازلا مجدفـــا.

- والأساطير القديمة هي هم ، وهم المهترئون إلى الأبـــد ، وإلا فإن ذلك الحديث من البازى ، يجعل القديم جديدا .

١١٦٠- إنه يهب الروح للموتى الذين ماتوا منذ زمن ، ويهب تاج العقل ونور الإيمان .

- فلا تسرق القلب من الفاتن الذى يهب الروح ، فهو الذى يجعلك تمتطي ظهر الجواد الأصيل .(١)

- ولا تسرق الرأس من الرفيع العظيم الذى يهب التاج ، فهو الذى يفك مائة عقدة من حول قدم القلب .

- ومع من أتحدث ؟ فأين حي واحد في القرية ؟ وأين ساعٍ واحد نحو ماء الحياة ؟

---

(١) حرفيا : رخش وهو اسم جواد رستم .

– إنك بذلة واحدة هارب من العشق ، وماذا تعرف من العشق سوى الاسم ؟

١١٦٥– وإن للعشق مائة دلال واستكبار ، واليد لا تحصل عليه إلا بعد تذلل كثير منه .

– ولأن العشق وفي ، فإنه يشترى الوفي ، ولا ينظر أبدا إلى الرفيق الغادر .

– فالإنسان بمثابة الشجرة ، وجذورها العهد ، وينبغي للجذور أن تُتعهد بالرعاية وبجهد .

– وإن العهد الذي يكون فاسدا جذر مهترىء ، قد انقطع عن الثمار ، وعن اللطف .

– وبرغم أن فروع النخلة وأوراقها خضراء ، لا نفع فيها ، مادام جذرها فاسدا .

١١٧٠– وإن لم تكن فيها أوراق خضراء وجذرها موجود ، فإنها في النهاية تخرج مئات الأوراق .

– فلا تكن مغرورا بالعلم وابحث عن العهد ، فالعلم بمثابة القش ، والعهد بمثابة لبه .

في بيان أن الرجل الظالم عندما يتمكن في الشر ، ويرى آثار إقبال الطيبين ، ينقلب إلى شيطان ، ويصبح مانعًا للخير من الحسد مثل الشيطان الذى احترق بيدره ، يريد أن يكون جميع الخلق محترقي البيادر (أرأيت الذي ينهى * عبدا إذا صلى)

– وعندما ترى الأوفياء قد حازوا النفع ، تصبح آنذاك حسودا كالشيطان .

–وكل من ساء مزاجه ووهن طبعه ،لايريد لأحد قط أن يكون صحيح الجسد .

– فإن لم تكن تريد أن يكون لديك حسد إبليس ، فتعال من باب الدعوى إلى عتبة الوفاء .

١١٧٥- ومالم يكن لديك وفاء لاتتحدث ، فإن أغلب حديث الادعاء مكون من " أنا " و " نحن ".

- وهذا الكلام الموجود في الصدور بمثابة الدخل للألباب، ومن ثم ففي الصمت مائة نماء للب الروح .

- وعندما يتفوه به اللسان ، فقد صار إنفاقا من اللب ، فقلل الإنفاق حتى يبقى اللب ألمعيـــا .

- ولمن قل كلامه ذهن عبقري ، وعندما زاد قشر الكلام ، فقد ضاع اللب .

- ذلك أنه عندما يزيد القشر يقل اللب ، ويرق القشر عندما يكتمل اللب ويتضخم .

١١٨٠- فانظر إلى هذه الثمار الثلاثة فقد نجت من الفجاجة : الجوز واللوز والفسدق .

- وإن كل من يعصى يكون شيطانا ، ويكون حسودا لدولة الأخيار وإقبالهم .

- وما دمت قد وفيت بعهد اللــــه ، فإن الله تعالى من كرمه يحفظ عهدك .

- وأنت مغمض العينين عن وفاء الحق ، ولم تسمع ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ .

- وأنصت ، واستمع إلى ﴿ أوفوا بعهدى ﴾ حتى تأتي ﴿ أوف بعهدكم ﴾ من الحبيب .

١١٨٥- فأى عهد وأى قرض منا نحن أيها الحزين المسكين ، إنه من قبيل وضع الحبة المتيبسة في الأرض .

- لا يكون منها للأرض ضيـــاءٌ أو نعمة ، ولا لرب الأرض منها الدخل والغنى .

- اللهم إلا أن يتضرع إلى الله قائلا : يا إلهي ينبغي لي دخل من هذه الحبة ، فقدأعطيت أنت أصلها من العدم .

- لقد أكلت أنا " من المحصول " وأتيت بهذه الحبة كدليل ، فقد سقت هذه النعمة إلينا فسقها ثانية .

- فدعك إذن من هذا الدعاء الجاف الذى لامعنى له ، واعلم أن إلقاء البذرة في التراب يريد شجرة .

١١٩٠- وإن لم تكن لديك حبة ، فإن الله سبحانه وتعالى من هذا الدعاء ، يهبك نخلا ، فنعم سعيك الذى سعيت .

- مثل مريم البتول ، كان لديها الألم ، ولم يكن لديها حب، لكن صاحب الفضل ، جعل لها تلك النخلة خضراء .

- وذلك لأن تلك السيدة العظيمة كانت وفية ، فأعطاها الله مائة مراد ، دون أن تطلب .

- وتلك الجماعة التى كانت ذات وفاء ، زادهم الله في كل شيء عمن هم من جنسهم .

- لقد صارت البحار مسخرة لهم والجبال ، والعناصر الأربعة عبيد أيضا عند تلك الجماعة .

١١٩٥- إن هذا الإكرام في حد ذاته بمثابة الدليل ، حتى يراها أهل الإنكار عيانا بيانا .

- لكن كراماتهم الخفية لا تدركها حواس ، ولا يعبر عنها بيان .

- إن هذا هو ديدنه ، ويكون هذا إلى الأبد ، على سبيل الدوام ، لا ينقطع ولا يسترد .(١)

---

(١) ج/١١-٤٣١:- بل يبقى لحظة بعد لحظة في رقي ، ذلك أن واهبها صاحب كرم وعطاء .

مناجـــــاة

- يا واهب القوت والتمكين والثبات ، ألا فلتخلصن الخلق يا إلهي من عدم الثبات هذا .

- وعلى ذلك الأمر الذى ينبغي الثبات عليه ، اجعل النفـس مقيمـة ، فهي نزاعـة إلى الهوى .

١٢٠٠- وامنحهم -يا إلهي- الصبر وكفة الميزان الثقيلة ، وخلصهم -يا إلهي - من فن من يصورون لهم السوء .

- واشرهم ثانية من الحسد أيها الكريم ، حتى لا يتحول كل منهم من الحسـد إلـى شيطان رجيـــم .

- وفي النعيم الفاني للمال والجسد ، لا يفتأون يحترقون جميعا من الحسد.

- فانظر إلى الملوك الذين يجـرون الجيـوش ويسـوقونها ، ويقتلـون أقـاربهم مـن الحســـد .

-والعشاق للحسان المليئـات بـالقذر والدنـس ، أخـذوا يسـعون فـي دمـاء بعضـهم البعض وأرواحهم .

١٢٠٥- فاقرأ " ويس ورامين " و "خسـرو وشيرين " ، ومـاذا فعـل مـن جـراء الحسد أولئك البلهاء .

- ولقد فنى العاشق كما فنى المعشوق ، فهم ليسوا بشيء ، وهواهم ليس بالشــيء الذى يذكـــر .

- والإله الطاهر الذى يضرب العدم ببعضه ، هو الذى يجعل العدم عاشقا للعدم .

- ومن القلب الذى ليس بقلب تطل أنواع الحســد ، وهكـذا يجعـل العـدم مضطـرا إلى أن يبدو وجودا .

– وهؤلاء النساء اللائي هن أكثر شفقة ، أليس من الحسد تأكل إحداهما الأخرى عندما تكون ضرة لها ؟

١٢١٠- فما بالك بالرّجال وهم بطبعهم قساة القلوب ، ترى في أى منزل هم من منازل الحسد ؟

– ولو لم يقدم من الشريعة رقية تلطف " هذا الجحيم " لمزق كل خصم جسد خصمه .

– فإن الشرع يشير بالرأى من أجل دفع الشر ، ويحبس الشيطان في قارورة الحجة .

– فلا يزال بالبرهان والأيمان والنكوص " عن الادعاء " ، حتى يدخل شيطان الفضول في القارورة .

– مثل الميزان الذى يجمع رضا الضدين ، على سبيل اليقين في الجد وفي الهزل .

١٢١٥- فاعلم أن الشرع بمثابة الميزان والمكيال على وجه اليقين ، فبه ينجو الخصمان من القتال ومن الحقد.

– وإن لم يكن ثم ميزان ، فمتى كان الخصم من الجدال ، يتخلص من وهم أنه " قد تعرض" للحيف والاحتيال .

–ومن هنا ففي هذه الجيفة القبيحة التي لا وفاء عندها ، يوجد كل هذا الحسد وكل هذه الخصومة وكل هذه القسوة .

–إذن فمن أين يكون فيها إقبالٌ ودولة ، والجنى والإنسي ماضيان في الحسد ؟

– وأولئك الشياطين أنفسهم حسودون قدماء ، وهم لا يتوقفون لحظة واحدة عن قطع الطريق .

١٢٢٠- وأولئك الآدميون الذين زرعوا العصيان ، تحولوا بدورهم من الحسد إلى شياطين.

-فاقرأ من القرآن أن شياطين الإنس ، قد صاروا من مسخ الإله لهم ، من نفس جنس الشياطين .

- وعندما يصبح الشيطان عاجزا عن الفتنة ، فإنه يطلب العون من هؤلاء الإنس

- قائلا لهم : أنتم أعوان لي ، فالعون العون ، وأنتم إلى جانبي، فقدموا لي المساعدة والتأييد .

- وإن قُطع الطريق على أحد في الدنيا ، فإن هذين النوعين من الشياطين يهبان فرحين .

١٢٢٥- وإن نجا أحد بروحه ، وصار عاليا في الدين ، فإنهما ينوحان ، كلا الحاسدين .

- وكلاهما يصر على أسنان الحسد ، على كل من وهبه الله العقل .

سؤال الملك مدعي النبوة هذا عن الرسول الصادق وماذا يكون معه يهبه لأتباعه وماذا يجدونه في حضرته وصحبته غير النصيحة التي يقولها بلسانه

- فسأله الملك : بماذا أوحى إليك ؟ وأى نفع يتأتى أصلا من ذلك الذى يكون نبيا ؟(١)

- قال : قل لي أنت ما الذى لم ينزل به الوحي بعد ؟ وأية دولة بقيت ، ولم يصل النبيﷺ إليها ؟

---

(١) ج/١١-٤٤٧:- وأى شيء يهبه للمرء في حديثه ؟ غير النصح وغير الأوامر والنواهي .

- وأى نفع من محضره وصحبته ، وفي أى رتبة ودرجة يكون من يتبعه ؟

- ولنفرض أن الوحى الذى نزل عليّ ليس هو وحي الرسول خزانة "المعرفة " ، إنه ليس أقل من الوحي الذى نزل على النحل .

١٢٣٠- وعندما نزلت ﴿ أوحى ربك إلى النحل ﴾ ، جعل منزل وحيه مليئا بالشهـــد .

- وهو بنور وحى الحق عز وجـــل ، جعل عالما مليئا بالشمع والعســـل.

- وذلك الذى نزلت في حقه ﴿ كرمنا ﴾ ، وهو يمضي إلى أعلى عليين ، متى يكون وحيه أقل من وحي النحل - وألم تقرأ أنت ﴿ إنا أعطيناك الكوثـــر ﴾ ، إذن فلماذا بقيت جافا متيبسا ظمآنــــا ؟

- أو ربما كنت أنت فرعون ، والكوثر كالنيل ، قد تحول من أجلك إلى دم كدر أيها العليل .

١٢٣٥- فهيا ، تب ، وكن ضائقا نفورا من كل عدو ، ليس لديه ماء الكوثر في وعائه .(١)

- وكل من رأيته أحمر الوجه من ماء الكوثر ، فهو في طبع محمدﷺ قد تطبع بطبعه .

- حتى تأتي في حساب [أحبه الله] ، فإن معه تفاحا من الشجرة المحمدية .

- وكل من تراه ظاميء الشفة من الكوثر ، عاده كأنه الموت أو كأنه الحمــــى .(٢)

- حتى ولو كان أباك ولو كان أمك ، فإنه في الحقيقة شاربُ لدمك .

١٢٤٠- وتعلم هذه السيرة من إبراهيم الخليل ، فقد صار في البداية ضائقا من أبيه ، نفورا من " مسلكه " .

---

(١) حرفيا : قرعته .

(٢) ج/١١-٤٤٧:- فقد صار لك كأبي جهل وأبي لهب ، إبتعد عنه حتى لا تسقط في الكرب .

- حتى تكون أمام الحق ممن قيل فيهم [ابغض لله] ، حتى لا يصيبنك حسد العشق بالنحول والسل .
- وما لم تقرأ " لا" و" إلا الله" ، فإنك لن تجد منهاج هذا الطريق .

قصة ذلك العاشق الذي أخذ يعدد لمعشوقه أنواع إخلاصه ووفائه والليالي الطويلة ليالي (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقلة الزادو ظمأ الكبد في الأيام الطويلة . وأخذ يقول : لا أعرف وفاءً إلا هذا ، فإن كانت هناك خدمة أخرى وطاعة أخرى أرشدني إليها فأنا مطيع لكل ما تأمر به سواء كان الدخول في النار كالخليل عليه السلام أو السقوط بين فكي الحوت كيونس عليه السلام أو العمى من البكاء كشعيب عليه السلام أو التعرض للقتل سبعين مرة مثل جرجيس عليه السلام ، ولا حد لوفاء الأنبياء وتضحياتهم ولا حصر ... وجواب المعشوق عليه

- أخذ أحد العشاق يعدد أمام معشوقه ، أحواله وأموره والطاعات التي قام بها له .
- قائلا : لقد فعلت من أجلك كذا وكذا ، وتعرضت للسهام والرماح في هذه الموقعة .

١٢٤٥- وذهب المال وهدت القوة وفقدت السمعة ، وكم من الخسائر حاقت بي من عشقك .
- لم يرني صبح قط ضاحكا أو نائما ، ولم يرني مساء قط مستقرا ساكنا .
- وأخذ يعدد له ما احتساه من أجله من ألم وكدر ، واحدا واحدا وبالتفصيل .
- لا من أجل أن يمنن عليه ، بل كان يقدم على صدق محبته مائة شاهد .
- والعقلاء تكفيهم إشارة واحدة ، ومتى يذهب ظمأ العاشقين منها ؟

١٢٥٠- فهو يكرر القول بلا مـــــلال ، وبإشارة واحدة متى يكتفي الحوت مـن الماء الزلال .

- ولقد أسهب في القول عن هذا الألم القديـم ، ومـا زال يشـكو قـائلا : لـم أنطـق بكلمة واحدة !!

- كان يحس بنار لم يكن يعلم كنهها، لكنه كان يبكي من لهيبها وكأنه الشمع .(١)

- قال المعشوق : لقد فعلت كل هذا ، لكن افتح أذنيك تماما وافهم جيـــدا :

- إنك لم تفعل أصل أصل العشق والولاء ، وكل ما فعلته هو مجرد فروع .

١٢٥٥- قال له العاشق : قل لي ، ما هو هذا الأصـل ؟ قـال : إن أصلـه هـو أن تموت وتتحول إلى عدم .

- لقد فعلت كـل هـذا ولـم تمـت ، ومـازلت حيـا ، فهيـــا مـت أيهـا الحبيـب المضحي بالروح .(٢)

- فاستلقى في التو واللحظة وأسلم الـروح ، وقـامر برأسـه كأنـه الـوردة ضاحكـا وسعيدا .

- فصارت هذه الضحكة وقفا عليه إلـى الأبـد ، مثـل عقـل العـارف وروحـه بـلا نصب ولا كبـــد.

- ومتى يتلوث نور القمر ، وإن سطع هذا النور على الصالح والطالح إلى الأبد.

---

(١) ج : ١١/٤٥١-٤٥٢ وبعد أن بكى قال : كل هذا مضى ، لكن أرشدني الآن يا صديقي الطبيب .- إنني ممتثل بروحي لكل ما تأمر به ، إنني وفق أمرك ، فقد ألقيت بالرأس والقدم . فإن كان ينبغي على أن أمضي إلى النار كالخليل ، أو أن أجعل دمي مسفوكا مثل يحيى .- أو أن أصير أعمى من البكاء مثل شعيب ، أو أمضي إلى فم الحوت كيونس . أو ترسلني كيوسف إلى الجب والسجن ، أو تجعلني كعيسى بن مريم في فقره.- فإنني لا أحول الوجه عنك ولا أرجع ، فإن روحي وجسدى من أجل أمرك .

(٢) ج/١١-٤٥٢: عندما سمع ذلك العاشق المنسلخ عن ذاته ، أطلق آهة حزينة من روحه وقلبـــه .

١٢٦٠- إنه يعود صوب الإله بريئا طاهرا منهم جميعا ، كأنه نـور العقل ونـور الروح .

- وتظل صفة الطهر وقفا على القمر ، وإن كان سطوعه على أقذار الطريق .

- ومن نجاسات الطريق والأوضار الموجودة فيه ، لا فساد هناك يحصل للنور .

- ولقد سمع نور الشمس نداء " ارجعي " ، فعاد إلى أصله على وجه السرعة .

- فلا بقى عليه عار من المزابل التي " سطع عليهـا " ، ولا بقـى عليـه لـون مـن الرياض .(١)

١٢٦٥-وعاد نور العين إلى منبع الضيـــــاء ، وبقيت الصحارى والوديـان فـي ولهها عليه .

---

(١) هنا بيت زائد عن جعفرى "١١-٤٥٢" وهو في رأيه ليس خاليا من الإبهام "١١-٤٥٧" وإن كنت أراه شديد الوضوح: وعندما عاد نوره من الأرض الخراب ، ظل منتظرا عودته إليها . أى أن سطوع النور على المزابل لايجعله ينفر منها بل يظل مشتاقا إلى العودة إليها .

سأل أحدهم عالما عارفا : إن بكى أحدهم في الصلاة بصوت مسموع وتأوه ونام ، فهل تبطل صلاته ؟ فأجاب : إن اسمه ماء العين وهو مرتبط بما رآه الباكي ، فإن كان قد رأى الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ، أو بكى ندما على الذنب ، فإن صلاته لا تبطل بل تكتمل إذ لاصلاة إلا بحضور القلب ، وإن كان قد تذكر تعب البدن أو فراق الولد تبطل صلاته ، فأصل الصلاة ترك الجسد وترك الابن مثل إبراهيم ﷺ الذي كان يضحي بابنه من أجل تمام الصلاة وأودع جسده نار النمرود ،وقد أُمر المصطفى ﷺ بهذه الخصال في قول الله تعالى ﴿فاتبع ملة إبراهيم﴾ وقولـــــــه ﴿كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيـــــم﴾

– سأل أحـدهم أحـد المفتيـن فـي خلـوة : هـل إذا بكـى أحدهـم نائحـا فـي الصــــــلاة ؛

– ترى هل تبطل صلاته ؟ أو تكون كاملة ومقبولـــــة ؟

– قال : فلماذا سمي إذن ماء العين ؟ أنظر إلى ما قد رآه ثم بكى !!

– ماذا رآه ماء العين في باطنه ؟ حتى صار هكذا سيالا من مآقيـــــه ؟[1]

١٢٧٠– فإذا كان قد رأى تلك الدار ذلك الممتلىء ضراعـة ، فإن تلك الصـلاة تجد رونقها من النواح .

---

[1] ج/١١–٤٥٨:– فإذا كان يبكي طويلا من شوق إلى الحق ، أو يبكي في الصلاة ندما على الذنب .– أو كان البكاء خوفا من الحق فهو مستحب ، ذلك أن دمعك هذا ماءٌ دافعٌ للنار .– فلا شك أن صلاته تزدان بالكمال ، ولا جدال في أنه يجد القرب في طريق الحق .

- وإذا كان ذلك البكاء من أجل تعب في بدنه أو حداد عنده ، فقد تقطع الخيط وانكسر المغزل .(1)

دخل مريد في خدمة شيخ ، ولا أقصد بالشيخ كبير السن بل شيخ العقل والمعرفة ، وإلا فإن عيسى عليه السلام كان شيخا في المهد ويحيى عليه السلام كان شيخا في مكتب الأطفال ، ووجد المريد الشيخ باكيا ، فوافقه وبكى ، وعندما انتهى وخرج ، خرج خلفه مريد آخر كان أكثر فهما لحال الشيخ مسرعا بسبب غيرته على الشيخ ، وقال له : يا أخي يجب أن أقول لك ، ناشدتك الله ألا تفكر وتقول : مادام الشيخ يبكي فأنا أيضا أبكي ، إذ تلزم ثلاثون سنة من الرياضة التي لا رياء فيها ، وينبغي عبور عقبات وبحار مليئة بالتماسيح وجبال قاحلة مليئة بالأسود والنمور ، حتى تصل أو لا تصل إلى ذلك البكاء للشيخ ، فإن وصلت فكرر شطر " زويت لي الأرض كثيرا " .

- لقد جاء أحد المريدين إلى الشيخ ، وكان الشيخ في بكاء وفي نواح .
- وعندما رأى ذلك المريد الشيخ باكيا ، بكى بدوره وسال الدمع من عينيه .
- والسميع يضحك مرة واحدة ، لكن الأصم يضحك مرتين ، وعندما يقص أحد الناس فكاهة لرفيقه ؛

١٢٧٥- فإنه يضحك للمرة الأولى تقليدا وكما تملي عليه نفسه ، لأنه يرى القوم جميعا يضحكون .

---

(1) ج / ١١-٤٥٨:- وإذا كان ينوح من فراق الابن ، لأن قلبه وروحه في ألم حداد عليه .- فإن تلك الصلاة لا تساوي حبتي شعير ، وذلك لأنه يسلم قلبه إلى الأغيار .- فإن صلاته تبطل بلا شك ، ولكان بكاؤه أيضا بلا فائدة .- ذلك أن ترك الجسد هو أصل الصلاة ، وترك النفس ، وترك الولد ، هذه هي الضراعة .- فتعلم من خليل الله وضح بالولد ، واجعل جسدك معرضا لنار النمرود .- والخلاصة حتى تعلم أيها العظيم ، أن هناك فرقا بلا حد بين بكاء وبكاء .

- فهو وإن كان يضحك مثلهم جميعا في تلك اللحظة ، إلا أنـه يكون غـافلا عـن حال الضاحكين .

- ثم يعود فيسأل : مم كان الضحك ؟ ويضحك ثانية بعد أن يسمع بأذنـــه .

- ومن هنا فالمقلد مثل الأصم ، في مثل ذلك الفرح والسرور الذى في رأسه .

- فالشيخ هو الشعاع والشيخ هو المنهل ، وفيض السرور لا يكون من المريدين، بل من الشيخ .(١)

١٢٨٠- مثل سلة في الماء ونور على زجاج ، إذا اعتبراهما من ذاتيهمـا ، فهـذا من الغفلة .

- وعندما ينفصل عـن النهر يعلم ذلـك العنـود ، أن المـاء العـذب كـان فيـه مـن الجدول .

- وتعلم الزجاجة أيضـــا من غياب القمر (٢) أن تلك اللمع كـانت داخلهـا مـن القمر المنير الطيب .

- وعندما يفتح الأمر بـ" قم " عينيه ، يضحك إذن كالفجر للمرة الثانيــــة .

- ثم يضحك من ضحكته الأولى تلك ، التي كانت تأتيه على سبيل التقليد .

١٢٨٥- ويقول : لقد كانت هذه الحقيقة وهذه الأسرار والرمـوز مـن عدة طـرق نائيـــــة وبعيدة وطويلـــة

- وكيف كنت أنا في ذلك الوادى ، أقوم على البعد بإبداء السرور علـى العميـاء ومن محض الحماس .

- وبأى شيء كنت أربط الخيال ، وماذا كان ذلك ؟ إن إدراكي الواهن كان يبـدى صورة باهتة .

---

(١) ج/١١-٤٦٢:- إن الشعاع هو الشيخ نفسه ، وما كان يفعله تقليد الشيخ ، إذ أنه يرى السرور من تأييد الشيخ .

(٢) حرفيا : الغروب .

- فأين لطفل الطريق فكرة الرجال ، وأين خياله من الحقيقة الصحيحة ؟!

- وإن فكر الأطفال يكون في المرضعة أو الرضاع أو الزبيب والجوز ، أو البكاء والصياح .

١٢٩٠- وذلك المقلد يكون كالطفل العليل ، حتى وإن كان له بحث عميق ودليل

- وذلك التعمق في الدليل والبحث في الإشكالات ، يسوقه بعيدا عن بصيرة " القلب " .

- لقد أضاع المادة التي تكون كحلا " لبصيرة " سره ، وقصر عمله على الحديث عن الإشكالات .

- فعد أيها المقلد عن بخارى " العلم الظاهرى " ، وامض صوب الذلة حتى تصير أسد الرجال .

- حتى ترى بخارى أخرى في باطنك ، وأولئك الذين يشقون الصفوف ، " لا يفقهون" في محفلها .

١٢٩٥- والرسول مهما كان على الأرض سريع الخطو ، عندما يذهب إلى البحر يكون خائر القوى مقطوع العرق .

- إنه إنما يتبع " حملناهم في البر" فحسب ، وجدير بأن يسمى رجلا ذلك المحمول في البحر ، فحسب .

- وإن الملك ليجزل له عطاءً غير ممنون ، يامن صرت رهنا للتصور والوهم .

- لقد كان ذلك المريد الساذج يبكي أيضا ، لكن بكاءه كان وفقا لبكاء ذلك " الشيخ " العزيز .

- لقد كان يتصرف تقليدا كالرجل الأصم ، كان يرى البكاء ، ولم يكن يعرف سببه .

١٣٠٠- وعندما بكى كثيرا ، أدى فروض الاحـترام ومضـى ، فخـرج فـي أثـره سريعا مريد من خواص " الشيخ

- وقال له : يا باكيـــا كالسحاب بلا علم ، ووفقا لبكاء شيخ النظـــر ؛

- ناشدتك الله مرار أيها المريد الوفي ، بالرغم من أنك مستفيد من التقليد ؛

- ألا تقول : رأيت هذا الملك يبكي ، وأنا بكيت مثله ، فهذا منكر .

- فبكاؤك مليء بالجهل والتقليد والظن ، وليس مثل بكاء ذلك المؤتمن .

١٣٠٥- ولا تقم بقياس بكاء على بكاء ، فمن هذا البكاء إلـى ذاك طريـق طويـل وبون شاسع .

- فإنه حتى بعد ثلاثين سنة من الجهـاد ، لا يستطيع العقـل أن يصـل إلـى حيث يكون .

- فإن بينه وبين تلك الناحية من العقل مائة منزل ، فلا تعتبرن العقل واقفـا علـى تلك القافلة .

- وإن بكاءه ليس من الحزن وليس من الفرح ، وتعلـم الـروح ذلـك البكـاء ، إنـه من الأمور النادرة الطريفة .

- وبكاؤه وضحكه نابعان من تلك الناحية ، ومما يكون وهم العقل بريئـــا منه

١٣١٠- ودمع عينـــه على مثـــال عينه ، ومتى تصبح العين التـى لـم تبصـر عينا ؟!

- وما يراه هو من المحال أن يمس ، لا عن طريق قياس العقل ولا عن طريـق الحواس .

- والليل يفر هاربا عندما يرى النور من على البعد ، فأى علـم إذن لظلمـة الليـل بأحوال النور .؟!

- وإن البعوضة لتهرب من الرياح ذات الدهاء ، فمن أين تعلم البعوضة إذن طعم الرياح ؟

- وعندما يعن القديم يتحول الحديث إلى عبث ، فأى علم للحديث إذن بالقديم ؟!

١٣١٥- وعندما يقع القديم على الحديث يصيبه بالذهول ، وما دام قد حوله إلى عدم فقد جعله من نفس لونه .

- وإذا أردت فإنك تجد مائة نظير " لهذه الأمثلة " ، لكنى لا أجرؤ على قولها أيها الفقير .

- إن " الم " و" حم " وهي مجرد حروف ، تصبح كعصا موسى ﷺ عندما تتصدى " لغيرها من الحروف " .

- والحروف كلها تشبه في ظاهرها هذه الحروف ، لكنها تكون مفتقرة إلى صفاتها .

- وكل من يمسك بعصا على سبيل الامتحان ، متى تكون مثل عصا موسى ﷺ عند البيان ؟

١٣٢٠- وهذا النفس العيسوى ليس مثل كل ريح ونفس ، يتأتى من فرح أو من حزن .

- و" الم " و"حم" هذه أيها الأب ، قد جاءت من حضرة مولى البشر .

- ومتى تشبهها أى " ألف " وأى " لام" إذن ؟ فإن كنت صاحب روح ، لا تنظر إليها بعينيك هاتين .

- حتى وإن كانت في تركيبها مجرد حروف أيها الهمام ، فإن العوام أيضا يتشابهون في التركيب .

- وتركيب محمد ﷺ أيضا من لحم وجلد ، وبالرغم من أن تركيب كل جسد يكون من جنسه ؛

١٣٢٥- يكون فيه لحم وجلد وعظام ، فإن هذا التركيب لا يشبهها في قليل أو كثير .

- ففي هذا التركيب ، حلت المعجزات التي تجعل كل الأجساد لا تقوى على عمل .

- كذلك تركيب " حم" في الكتاب ، إنها شديدة العلو والارتفاع ، والحروف الأخرى شديدة الدنو .

- ذلك أن الحياة تتأتى من هذا التركيب ، إنها مثل نفخ الصور ، تفعل فعلها في العجز .

- تتحول إلى أفعى وتشق البحر ، عندما تكون عصا " حم" من عطية الله .

١٣٣٠- وظاهرها يشبه بقية الظاهر ، لكن قرص الرغيف بعيد تماما عن قرص القمر .

- وإن بكاءه وضحكه ونطقه أموركليست كلها منه ، إنها من خلق " هو " .

- وعندما أخذ الحمقى بالظاهر ، احتجبت عنهم تماما تلك الدقائق .

فلا جرم أن حجبوا عن الوصول إلى الغرض ، فقد فاتت النقاط الدقيقة في موضع الإعتراض .(١)

قصة تلك الجارية التي كانت تقضي وطرها مع حمار سيدتها وكانت قد دربته كما يدرب الماعز والدب على جماع الآدميين (٢)، وكانت تضع قرعة في عضو الحمار حتى لا يجاوز الحد، وعلمت السيدة ذلك، لكنها لم تر النقطة الدقيقة الكامنة في القرعة.. فصرفت جاريتها بحجة ما إلى مكان بعيد، واجتمعت بالحمار بلا

---

(١) ج/١١-٤٦٧:- وأقول لك حكاية على مثال هذا الأمر ، حتى تنال حصة من بياني هذا.- وهي قصة طويلة وعريضة ومخيفة ، إنها بعيدة الغور ، لكنها قريبة تماما .

(٢) عند يوسف بن أحمد " ٣٠٣/٥" كما يدرب الماعز على الوقوف على قاعدة المصباح والدب على الرقص ، وكذا عند الأنقروى " ٣٢٥/٥" .

قرعة ، وهلكت مفتضحة . وعادت الجارية فجأة وناحت عليها قائلة : يا روحي ويا نور عيني : رأيت القضيب ولم ترى القرعة.. رأيت الذكر ولم ترى الآخر. كل ناقص ملعون وإن كان الناقصون في عـين الظاهر مرحومين وليسوا ملعونين ، فاقرأ:

(ليس على الأعمى حرج) فهي قد نفت الحرج ونفت اللعنة ونفت الغضب .

– لقد استلقت جارية تحت حمـــــار ، من فرط الشهوة ، ومرض الشذوذ ، والحرص " على الجماع " .

١٣٣٥– كانت قد دربت ذلك الحمار الفحل على مجامعتها ، وكان الحمار قد فهم جماع الآدمي .

– وكانت هناك قرعة وضعتها تلك المحتالة في ذكر الحمار ، من أجل الحد .

– ولقد وضعت القرعة في الذكر تلك الداهية ، حتى يولج نصف الذكر عند الإيلاج .

– ذلك أن ذكر الحمار إن أولج فيها بأجمعه ، لمزق رحمها وأمعاءهـــا .

– كان الحمار يزداد نحولا ، وعجزت السيدة " عن فهم " لم صار هذا الحمار في نحول الشعرة ؟

١٣٤٠– وقد عرضته على البياطرة قائلة : ما بال هذا الحمـار ؟ وما هي علته تلك ، التي أدت إلى نحوله هكذا ؟

–لكن علة لم تظهر فيه قط ، ولم يعرف أحد قط سر ذلك .

– فبدأت في تفحص الأمر بجد شديد ، صارت لحظة بلحظة مستعدة للتفتيش والبحث .

– وينبغي أن تكون الروح أمة للجد ، ذلك أن الباحث بجد ، يجد في النهاية .

– وعندما تفحصت وتجسست عن أحوال الحمار ، رأت تلك الجارية نائمة تحت الحمـــار .

١٣٤٥- لقد رأت من فرجة الباب هذا الحال ، فتعجبت تلك العجوز كثيرا من ذلك الأمر .

- لقد كان الحمار يضاجع الجارية ، كما يفعل الرجال مع النساء ، بتعقل ونظام .

- فأحست نحوها بالحسد ، وقالت لنفسها : ما دام هذا الأمر ممكنا ، فأنا أولى ، فالحمار ملكي .

- لقد تهذب الحمار وصار مدربا ، والمائدة ممتدة ، والمصباح مضاء .

- وتجاهلت ما رأت ، ودقت باب الدار قائلة : أيتها الجارية ، حتام تنهمكين في كنس المنزل ؟

١٣٥٠- كانت تقول هذا الكلام على سبيل التعمية ،بما يعني : يا جارية ، لقد جئت ، فافتحي الباب .

- وصمتت ، ولم تفاتح الجارية ، وأخفت السر من أجل طمعها الخفي .

- ثم إن الجارية أخفت كل أدوات الفساد ، وتقدمت ،وفتحت الباب.

- وعبست بوجهها ، وعيناها مليئتان بالدمع ، وحكت شفتيها بما معناه : إني صائمة .

-وفي كفها مكنسة مبللة ، أي : لقد كنت أكنس الدار ، وأزيل عنها القذر .

١٣٥٥- وعندما فتحت الباب والمكنسة في يدها ، قالت السيدة هامسة لنفسها : أيتها الأستاذة ؛

- عبست بوجهك ، والمكنسة في يدك ، فما هذا الحمار الذى عافت نفسه الطعام ؟

- لقد أتم نصف العمل ، والغضب باد عليه ، ينظر نحو الباب متحرك الذكر منتظرا إياك .

- لقد همست بهذا خفية عن الجارية ، وعاملتها بإعزاز كما يعامل الأبرياء .

– ثم قالت لهـا : خـذى طراحتـك ، واذهبـى إلـى منـزل كـذا ، وبلغـي عنـى هـذه الرسالة ..

١٣٦٠– هكـذا قولـي ، وهكـذا فـافعلي ، وكـذاك ، لقـد اختصـرت أنـا ثرثـرة النســـــاء .

– فخذ أنت لب ما هو مقصـــــود . وعندما صرفتها السيدة العجوز ؛

– كانت شديدة الفرح من نشوة الشهوة ، فأحكمت رتاج الباب ، وأخذت تقول فـي تلك اللحظة :

– لقد ظفرت بخلوة ، فلأصرخ شاكرة ، لقـد خلصـت مـن جمـاع الرجـال قويهـم وضعيفهم .

– ومن الطرب ، صارت تلك المرأة كالماعز ، بل ألف ماعز ، لا يقر لهـا قـرار في لهيب اشتهاء الحمار .

١٣٦٥– فيا لها من ماعز ، صادتها الشهوة صيد الماعز ، وليس من العجيب أن يصاد المذهول صيد الماعز

– إن الميل إلى الشهوة يجعل القلب أعمى وأصم ، حتى ليبدى الحمار "في جمال" يوسف ، والنار نورا .

– وما أكثـر الثملين بالنار البـاحثين عـن النـار ، والذيـن يعتـبرون أنفسـهم نـورا مطلقا .

– اللهم إلا أن يكون المرء عبدا للـــــه ، فيوضـع علـى الجـادة بجـذب الحـق ، ويتحول المصير .

– حتى يعلم أن ذلك الخيال النـارى ، ليـس إلا مـن قبيـل الشـيء المسـتعار علـى الطريق .

١٣٧٠- وإن الشره ليبدين القبائح طيبات ، ولا يوجد أسوأ من الشهوة ، من آفات الطريق .

- لقد جللت بالعار آلافا من ذوى السمعة الطيبة ، وجعلت مئات الآلاف من الأذكياء حمقى مذهولين .

- وإذا كانت قد أبدت حمارا في جمال يوسف المصرى ، فكيف تبدي تلك اليهودية من هو في جمال يوسف

- لقد جعل سحرها البعر لك شهدا ، فكيف تبدى الشهد نفسه وقت الالتحام ؟

- والشهوة من الطعام ، فقلل الطعام ، أو فعليك بالنكاح ، واهرب من الشر

١٣٧٥- فإنك إن أكلت تقوم بجرك نحو الحرم ، ولابد للدخل من نفقة .

- ومن ثم فإن النكاح مثل نطقك " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، حتى لا يلقينك الشيطان في البلاء .

- وإذا كنت حريصا على الطعام ، عليك بالزواج سريعا ، وإلا أتى القط ، واختطف منك الشحمة .

- وضع الحمل الثقيل سريعا على ظهر الحمار الذى يقفز ويبرطع ، قبل أن يلقي بك من فوق ظهره .

- وإنك لا تعرف فعل النار أيها البرَد ، فلا تحم حول النار بمثل هذه المعرفة .

١٣٨٠- وإن لم يكن لك علمٌ بالقدر والنار ، فلن تبقى القدر من النار ولا الحساء .

- فينبغي أن يكون الماء حاضرا وأيضا الدراية ، حتى يطبخ ذلك القدر ، ويخرج سالما من الغليان .

- وما دمت جاهلا بفن الحدادة ، فإنك تحرق شعرك ولحيتك عندما تمر بحانوت الحداد .

- ولقد أغلقت تلك المرأة الباب ، وسحبت الحمار سعيدة ، فلا جرم أن لقيت جزاءها .

- فأتت به ساحبة إياه إلى باحة الدار ، ونامت تحت ذلك الحمار الفحل ، الذى يصيد الحمير .

١٣٨٥- وعلى نفس ذلك المقعد الذى رأت عليه الجارية ، لتقضى وطرها أيضا تلك البغي .

- ورفعت ساقيها ، فأولج الحمار فيها ، واشتعلت فيها النيران من قضيب الحمار

- لقد أولج الحمار المدرب في السيدة في التو واللحظة حتى خصيتيه ، فماتت السيدة على الفور .

- ولقد تمزق كبدها من طعنة قضيب الحمار ، وتفسخت أمعاؤها ، كل عن الأخرى .

- ولم تتبس تلك المرأة ، وأسلمت الروح في الحال ، وسقطت المرأة في ناحية ، والمقعد في ناحية أخرى .

١٣٩٠- وامتلأ صحن الدار بالدم ، والمرأة منقلبة ، لقد ماتت ، وسلب روحها ريب المنون .

- وبهذا الموت السيء المقترن بمائة فضيحة أيها الأب ، فهل رأيت قط شهيدا لقضيب حمار ؟

- فاستمع من القرآن إلى ﴿ عذاب الخزى ﴾ ، ولا تضح بالروح لمثل هذا العار .

- واعلم أن هذه النفس البهيمية حمارٌ فحل ، وأن يكون المرء تحتها خاضعا لها أشد عارا .

– ولو مت في أنيتك عن طريق النفس ، اعلم حقيقة أنك مثل تلك المرأة .

١٣٩٥– إنه يجعل نفوسنا على صورة الحمار ، ذلك لأنه يجعل الصورة على وفق الطبع .

– وهكذا يكون إظهار السر في القيامة ، ناشدتك الله ، ألا فلتفر من الجسد الذى يشبه الحمار .

– لقد خوف الله سبحانه وتعالى الكفار من النار ، وقال هؤلاء الكفار : النار ولا العار .

– قال : بل إن هذه النار هي أصل أنواع العار ، إنها مثل تلك النار التي قضت على تلك المرأة .

– ومن حرصها لم تأكل لقمة مناسبة لها ، فغص حلقها بلقمة الموت السيئة .

١٤٠٠– فكل اللقمة المناسبة في حجمها أيها الرجل الحريص ، حتى ولو كانت اللقمة من الحلوى والخبيص .

– لقد أعطى الحق تعالى للميزان لسانا ، فانتبه واقرأ من القرآن سورة الرحمن .

– وهيا ، لا تترك الميزان من حرصك ، فإن الحرص والطمع خصمان مضلان لك .

– إن الحرص يبحث عن الكل ويتجاوز عن الكل ، فلا تعبد الحرص أيها المهين ابن المهين .(١)

– وأخذت تلك الجارية تروح وتجيء صارخة : أواه ، لقد صرفت أيتها السيدة أستاذتك .

١٤٠٥– لقد أردت القيام بالعمل دون أستاذ ، وأردت أن تقامرى بالروح بجهل .

---

(١) حرفيا : أيها الفجل بن الفجل .

- يا من سرقت مني علما ناقصا ، هل شعرت بالعار من السؤال عن أحوال الشراك ؟

- ولو كان الطائر قد التقط الحب من بيدره ، لما سقط " في الشراك " والحبل في عنقه .

- فقلل من أكل الحب ، ولا تقم برفو " الجسد " كثيرا " بالطعام " ، وما دمت قد قرأت (كلوا) فاقرأ (لاتسرفوا) .

- وما لم تأكل الحب ، لا تسقط فى الشراك ، هذا هو ما يفعله العلم والقناعة ، والسلام .

١٤١٠- وإن العاقل يأكل النعمة من الدنيا ، ولا " يتجرع " الأحزان ، والجهلاء قد بقوا محرومين " غرقى" في الندم .

- وما دام حبل الشراك قد أخذ بأعناقهم ، صار إلتقاط الحب حراما على الجميع

- ومتى يلتقط الطائر الحب وهو ساقط في الشراك ، كما يفعل هؤلاء العوام في شراك الدنيا ؟

- ثم إن الطيور العاقلة الذكية ، قد منعت أنفسها عن الحب بشدة وحسم .[1]

١٤١٥- ففي هذه الشبكة حبوب مغموسة في السم ، وأعمى ذلك الطائر الذى طلب الحب من الشراك .

- وصاحب الشبكة قطع رؤوس البلهاء ، وأجلس" تلك الطيور " الظريفة في "صدور" المجالس .

- ذلك أن ما يفيد من تلك الطيور البلهاء هو لحومها ، أما ما ينفع من الطيور الذكية الأريبة ، فهو الغناء والتغريد .

---

(١) حرفيا : قيدت نفسها عن الحب بحبل شديد .

- لقد دخلت الجارية من خوخة الباب ، فوجدت السيدة ميتة ، تحت الحمار .

- فصاحت : أيتها السيدة البلهاء ، ما هذا بالذى كان يحدث ، لو كان لك أستاذ أبدى لك الأمور .

١٤٢٠- لقد رأيت ظاهره وبقى سره خفيا عليك ، ودون أن تتقني الصنعة ، فتحت الدكان .

- لقد رأيت القضيب كأنه الشهد وكأنه الخبيص ، فكيف لم ترى تلك القرعة أيتها الحريصة ؟

- أو أنك كنت مستغرقة في عشق الحمار ، فبقيت تلك القرعة خفية عن ناظريك

- لقد رأيت ظاهرا من الصنعة من الأستاذ ، فاحترفت الأستاذية فرحة سعيدة .

- ورب محتال مخدوع عديم فهم ، لم ير من طريق الرجال سوى الصوف .

١٤٢٥- وما أكثر الوقحاء من تعلم قليل واحتراف ، لم يتعلموا من ملوك "الطريق " إلا الثرثرة .

- وكل من في يده عصا ، صاح : إني موسى ، وآخر ينفخ في " وجوه" البلهاء قائلا : أنا عيسى .

- وآهٍ من ذلك اليوم الذى يطلب فيه منك حجر الإمتحان صدق الصادقين .

- ولتسألن في النهاية عن الأستاذ الباقي ، فإن الحريصين كلهم عمىٌ وخرس .

- لقد بحثت عن الجميع وتخلفت عن الجميع ، وهذا القطيع الأبله صيد للذئاب .

١٤٣٠- ولقد سمعت صورة " كلام " فتحولت إلى ترجمان ، وأنت لا تفهم ما تقول ، وكأنك ببغاء .

تمثيل تلقين الشيخ للمريدين والرسول للأمة التي لاطاقة لها لتلقين الحق ولا ألفة لها مع الحق بالببغاء الذى لا ألفة له مع صورة الآدمي بحيث يلقن منه ، فالحق تعالى يضع الشيخ كما توضع المرآة أمام الببغاء ويلقنه من خلف المرآة ، مصداقا لقوله تعالى (لا تحرك به لسانك) و (إن هو إلا وحى يوحى) وهنا بداية مسألة لا نهاية لها ، بحيث أن تحريك الببغاء لمنقاره في المرآة والذى تسميه خياله هو بلا اختيار ولا تصرف منه فالصورة هي قراءة الببغاء من الخارج وهو المتعلم لا صورة ذلك المعلم ذلك المعلم الذى وراء المرآة ، فقراءة الببغاء الظاهرة تحت سيطرة ذلك المعلم .. ومن ثم فهذا مثال لا مثل

– إن ذلك الذى يراه الببغاء في المرآة ، هو صورته هو وقد ظهرت أمامـــه .

– وخلف المرآة هناك مدرب خفي ، إنه يتحدث بلســـان أديب حسن اللسان .

– ويظن الببغاء الصغير أن هذا الكلام الهامس ، هو كلام الببغاء الذى في المرآة

– ويظن أنه يتعلم الكلام من جنسه ، وهو غافل عن مكر ذلك الذئب العجوز .

١٤٣٥– فإنه يعلمه من وراء المرآة ، وإلا فإنه لا يتعلم إلا من جنسه .

– لقد تعلم الكلام مـن ذلـك الرجـل الفـاضل المحنـك ، لكنـه غـافل عـن ســـره ومعناه .

– وأخذ منطقه من الإنسان كلمة كلمة ، وماذا يتعلـم الببغـاء الصـغير مـن البشـر سوى هذا .

– وكذلك ففي مرآة جسد الولي ، يرى المريد الممتليء " نقصا وأنية " نفســـه

– لكنه متى يرى العقل الكلي عند الحديث والفعل كامنا خلف المرآة ؟

١٤٤٠– إنه يظن أن من يتحدث إليه بشر ، لكن الآخر سر وهو عنه بلا علـم أو خبر .

– وهو يتعلم الحروف ، لكنه لا يعلـم السـر القديـم الأزلـى ، فهـو ببغـاء ، وليـس بالنديم .

- والخلق أيضا يتعلمون صفير الطير ، ذلك لأن هذا الأمر من فعل الحلق والفم

- لكنهم غافلون عن المعاني التي تدور في " أفكار " الطيور ، ومن يعلمه إلا سليمان عليه السلام صاحب الإقبال الذى بلا نظير .

- ولقد تعلموا كثيرا من ألفاظ الدراويش ، وأضاءوا المحافل والمنابر بها .

١٤٤٥- فإما أن رزقهم قد اقتصر على تلك الألفاظ ، أو تحل بهم رحمة " الله" في النهاية فتبدى لهم الطريق .

رأى أحد أصحاب القلوب كلبة حبلى ، وكانت الجراء تنبح في بطنها ، فتعجب وقال لنفسه : إن الحكمة من نباح الكلاب هي الحراسة ، والنباح في بطن الأم ليس من قبيل الحراسة ، كما أنه ليس طلبا للعون أو الرضاع أو ما إليها ولا شيء يوجد من هذه الفوائد قط . وعندما عاد إلى وعيه نادى حضرة الله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ فكوشف أن هذه حالة قوم لم يخرجوا من الحجاب ولم تفتح منهم أعين القلوب ، لكنهم يدعون البصيرة ، ويتحدثون بالمقالات ، فلا قوة ولا عون تصل إليهم ، ولا تصل إلى مستمعيهم هداية ولا يصل إليهم رشد

- كان أحدهم يرى فيما يرى النائم أثناء خلوة أربعينية ، أن ثمة كلبة حبلى في الطريق ؛

- وسمع فجأة نباح جرائها ، وكانت الجراءُ لا تزال في بطنها .

- فأصابه ذلك النباح بدهشة شديدة ، و" تساءل " : كيف نبحت الجراء في البطن ؟ يا ألله .

- إن أحدا لم ير قط في الدنيا ، جراءً نابحة وهي لا تزال في بطن " أمها " .

١٤٥٠- وعندما استيقظ من النوم ، ونجا من الواقعة ، وعاد إلى وعيه ، أخذت حيرته تزداد لحظة بعد لحظة

- ومن يستطيع في الخلوة أن يفسر هذا الأمر المعضل اللهم إلا أن يتوجه إلى الحضرة الإلهية ؟

– قال : يا رب ، لقد عجزت عن ذكرك في الخلوة من هذا الإشكال ، ومن القيل والقال .

– فهيا ، أطلق جناحي يا ألله حتى أحلق عليا ، وأمضي إلى روضة الذكر وحديقة التفاح .

– وفي التو واللحظة جاءه هاتف قائلا : إن هذا الأمر مثال على ثرثرة الجهال .

١٤٥٥– أولئك الذين لم يخرجوا بعد من الحجب والأستار ، ومع ذلك فهم متحدثون بالهذر ، مغمضو الأعين

– فنباح الجراء في البطن عمل لا فائدة منه ، فلا هي طاردة لصيد ، ولا حارسة بليل .

– إنها لم تر ذئبا لتمنعه ، كما أنها لم تبصر لصا لتنبحه .

– وأولئك من الحرص واشتهاء الرئاسة ، عندهم كلل في البصر ، وجرأة على الحديث والنفاج .

– وإن أحدهم من هواه في الأتباع والمريدين والمشجعين ثابت القدم في " إدعائه ونفاجه " .

١٤٦٠– وإنه ليعطي الأمارات العديدة عن القمر دون أن يراه ، وهو يضل الريفي الساذج بهذا الأمر .(١)

– وهو من أجل "الطالب المتابع" المشترى ، يتحدث عن مائة أمارة عن القمر دون أن يراه ، ومحض الجاه .

– إن المشترى الذى فيه النفع واحد " أحد" ، لكنهم بالنسبة له ، في ريب وشك .

– ومن أجل مشتر لا قيمة له ولا قدر ، أذهبت هذه الجماعة المشترى " الحقيقي" أدراج الرياح .

---

(١) ج/١١–٤٧٨:– وهو يقول مائة أمارة دون أن يرى طالبا واحدا ، ويهزل ويشرب المخيض مصفقا .

– وإن المشترى لنا هو من ورد في الآية الكريمة ﴿ إن الله اشترى ﴾ ، فهيا اسمُ واعلُ عن الهم من أجل أى مشترٍ .

١٤٦٥– وابحث عن المشترى الذى يبحث عنك ، والعالم بمبدئك ومنتهاك .

– وانتبه ، ولا تقم بجذب كل مشترٍ بيدك ، فإن ممارسة العشق مع معشوقتين أمر سيء .

– فإنك لن تجد من هذا المشترى نفعا وفائدة إذ يشتريك ، وليست له في حد ذاته قيمة العقل والنهى .

– وليس عنده أصلا ثمن فردة حذاء ، ومع ذلك تعرض عليه أنت الياقوت والعقيق .

– لقد أعماك الحرص ، ثم يصيبك بالحرمان ، ويجعلك الشيطان مثله رجيما .

١٤٧٠– كأصحاب الفيل وكقوم لوط ، جعلهم ذلك الممسوخ مرجومين مثله .

– لقد وجد الصابرون المشترى والطالب ، عندما لم يهرعوا إلى كل مشترٍ وطالب .

– لكن كل من حول وجهه عن ذلك المشترى " الفرد" ، قد بريء منه الحظ والإقبال والبقاء .

– وبقيت الحسرة للحريصين إلى الأبـــــد ، مثل حال أهل ضروان " وما أصابهم " من الحسد .

قصة أهل ضروان وحسدهم للفقراء قائلين : كان أبونا من طيبته يعطي أغلب دخل الحديقة للمساكين ، فعندما كان العنب ينضج كان يعطي عشره ، وعندما كان يتحول إلى زبيب ودبس كان يزكي بعشره ، وعندما كان يصنع منه حلوى وفالوذج كان يعطي عشره ، وكان يعطي من القصيل "المحصول بالسنابل" العشــر ، وعندما يجهز حبوبه في البيدر يزكي بعشرها ، وعندما كان يفصل القمح عن التبن ، كان يزكي بعشره ، وعندما كان يطحنه كان يعطي العشر ، وعندما كان يعجنه كان

يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر أيضا . فلا جرم أن الحق تعالى كان قد وضع البركة في هذه المزرعة والحديقة ، بحيث صار كل أصحاب الحدائق يحتاجون إليه سواءً في الثمر أو في المال ، ولم يكن هو محتاجا إلى أحد منهم ، وكان أبناؤه يرون إخراج هذا العشر المتكرر ، ولم يكونوا يرون تلك البركة .. مثل تلك المرأة الشقية التي كنت قد رأت ذكر الحمار ولم تكن قد رأت القرعة

- كان هناك رجل صالح رباني ، كان كامل العقل ، متدبرا للعواقب .

١٤٧٥- وكان شهيرا في قرية ضروان بالقرب من اليمن ، بالتصدق والخلق الحسن .

- كان الحي الذى يسكن فيه قبلة للفقراء ، وكان المحتاجون يفدون إليه .

- كان يعطي العشر من السنابل دون رياء ، كما كان يعطي العشر من القمح عندما يفصله عن التبن.

-وعندما كان يطحنه كان يعطي أيضاالعشر، وعندما كان يخبزه،كان يعطي العشر من الخبز .(١)

-لم يكن يغفل عطاء العشر من كل دخل ، كان يخرج "الزكاة " أربع مرات على كل ما يزرع .

١٤٨٠- وكان ذلك الفتى الجواد يكثر من وصاياه لأولاده كل لحظة وهم مجتمعين ؛

- ويقول لهم : الله بيني وبينكم في نصيب المسكين " بعد وفاتي " ، إياكم أن تمنعوه من حرص أنفسكم .

---

(١) ج/١١-٤٨٥:-كان يعطي العشر من العنب ثم من الزبيب ، وكان يعطي أيضاالعشر من الدبس .- وكان يعطي العشر من حلوه ومن الفالوذج ، ولم يكن يغفل شيئا قل أو كثر .

– حتى يبقى لكم الزرع وتبقى لكم الثمار ، دائمين ثابتين في حمى طاعة الحق .

– إن كل الثمار والدخول من الغيـب ، لقد أرسلها سبحانه وتعـالى دون ظـن أو ريب .

– وإذا أنت أنفقت في موضع الكسب وفي أوانه فقد ربحت .

١٤٨٥– والتركي يقوم بغراس أغلب المحصول في مزرعته ثانية، فهو أصل الثمار.

–إنه يزرع معظمه ،ويأكل منه القليل ، فليس لديه أدنى شك في أنه سينمو ثانيـة ويربو .

– ومن هنا فإن التركي يفرط في البذار،ذلك أن تلك الغلة نتجت بدورها من تلك الأرض .

– والإسكاف يشترى الجلد والأديم والجلد غير المدبوغ مما يزيد على قوتـــــه

– إنه يقول لنفسه : لقد كانت هذه الأشيـــــاء هي أصول دخلي ، ومنها أيضا يحل قيد الرزق .

١٤٩٠– لقد جاء الدخل من ذلك الباب لاجرم ، ومن ثم فهو على ذلك الباب يقوم بالعطاء ، ويبدى الكرم .

– وهذه الأرض " للزارع " والجلد غير المدبوغ " للإسكاف " مجرد دريئة وحجاب فحسب ، واعلم أن أصل الرزق في كل نفس من اللـــــه.

– ذلك أنك تزرع في الأرض التي هي أصل العمل والزرع ، حتى تنبت لك من كل حبة مائة ألف حبـــة .

– فلأفرض أنك إذا قمت الآن بزراعة الحب ، في الأرض التي ظننتها سببـــا ؛

- مــاذا تفعـل إن ظلـت عــامين أو ثلاثــة لا تتبـت ، إلا أن ترفـع كفيـك داعيـا متضرعـــا ؟

١٤٩٥- وتضرب رأسك بكفيك أمام الإلـــه ، وهذه اليـد وهـذه الـرأس تكونـان شاهدتين على إعطائه الرزق .

- وذلك حتى تعلم أنه أصل الرزق ، حتى يبحث عنــه كـل مـن هـو بـاحث عـن الرزق .

- فاطلب الرزق منه ، لا مـن زيـد ومـن عمـرو ، واطلـب السكر منـه ، لا مـن المخدر ولا من الخمر .

- واطلب الغنى منه ، لا من الكنز والمال ، واطلب النصرة منـه ، لا من العم والخال .

-إنك سوف تفارق هؤلاء كلهم ، إنتبه .. من سوف تدعو في تلك اللحظـــة .

١٥٠٠- فادعـه مـن الآن ، ودعـك مـن البـاقين ، حتـى تصبـح وارثـا لملـك الدنيـــا .

- فما دام يومٌ سوف يأتي يفر المرء فيه مـن أخيـــه ، ويهـرب المولـود مـن أبيـــه ؛

- ولذلك يصبح كل صديق آنذاك عدوا ، إذ كان صنمـا لـك ومانعـا فـي طريقك" إلى الله " .

- وأنك كنت تشيح بوجهك عن الذى صور الوجه " الحسـن " ، لأنـك كنـت تجـد أنس القلب من صورة .

- والآن اذا إنقلب أصحابك أعداء لك ، وتحولوا عنك ، ولجوا في الخصومة ؛

١٥٠٥- فهيا قل : الآن سعد زماني ، أن ما كان سيحدث في الغد قد حدث اليوم

- لقد صار أهل الدار أعداءً لي ، حتى صارت القيامة بالنسبة لي واقعا مسبقـــا

- وذلك قبل أن أخســـــــر أيامي ، وأنهي عمرى وأنا بينهم .

- لقد كنت شاريا لبضاعةٍ معيوبة ، والحمد لله أن اكتشفت عيبها مبكرا .

- وذلك قبل أن تضيع ثروتي من يدى ، وفي النهاية أفاجأ بأنها معيوبة .

١٥١٠- "ويقال لي" : لقد ضاع المال وضاع العمر أيها الحسيب النسيب ، لقد بذلت المال والروح من أجل سلعة فاسدة .

- و"أرى " أنني أعطيت المال وأخذت ذهبا مغشوشا ، وأخذت أمضي به فرحا سعيدا نحو الدار .

- فالشكر " لله" أن هذا الذهب المزيف قد كشف الآن ، وذلك قبل أن يمضي من عمرى أكثر" مما مضى".

- ويبقى الزائف في رقبتي إلى الأبد ، وأتحسر على أنني قد أضعت عمرى فيه

- وما دام الذهب قد أبدى زيفه لي مبكرا ، لأبتعد عنه إذن بأسرع ما يمكنني .

١٥١٥- وعندما يبدى صديقك لك العداوة ، ويطفح عليه جرب حقده وحسده .

- لا تصرخ أنت شاكيا من إعراضه هذا ، ولا تجعل نفسك بهذا جاهلا أبله .

- بل أشكر الله ، ووزع الصدقات(١) ، أنك لم تعمر معه طويلا في جوال واحد

- وأنك خرجت من جواله سريعا ، حتى تبحث عن رفيق الصدق السرمدى .

-ذلك الصديق المخلص الذى من بعد موتك ، يصبح حبل صداقته أكثر إحكاما وقوة .(٢)

١٥٢٠- وربما يكون ذلك الصديق سلطانا أو ملكا رفيع الشأن ، أومقربا لدى السلطان ، مقبولة شفاعته.

- لقد نجوت من المزور المحتال الماكر ، ورأيت زيفه عيانا بيانا قبل الأجـــل

---

(١) حرفيا : الخبـــز .

(٢) حرفيا : ثلاثي الخيط .

- وذلك الجفاء الذى يبديه لك الخلق في الدنيا - لو تعلم - هو كنز ذهبي خفي من أجلك .

- ولقد جعل الناس يكونون معك على هذا النسق من سوء الخصال ، حتى تضطر إلى اللجوء إلى تلك الناحية .

- واعلم يقينا أنهم جميعا في النهاية ، سوف يتحولون إلى خصوم وأعداء ، وعصاة لك .

١٥٢٥- وتبقى أنت في صراخ وعويل وأنت في اللحد ، داعيا الأحد قائلا : ﴿ رب لا تذرني فردا ﴾.

- يا من جفاؤك أفضل من عهود الأوفياء ، كما أن شهد الأوفياء من عطائك أيضا .

- فاستمع إلى نصائح " عقلك " يا صاحب الأهراء ، وأودع قمحك أرض الله .

- حتى يأمن اللص ويأمن السوس ، واقتل شيطان " الهوى " سريعا وأرضة " العقل والتدبير " .

- فهو الذى يخوفك في كل لحظة من الفقر ، فصده كالقطا أيها الصقر الشجاع .

١٥٣٠- ومن العار لبازى السلطان العزيز الموفق ، أن يكون صيدا لقطاة .

- لقد أوصاهم " ذلك الأب " كثيراوألقى ببذورالوعظ ، لكنه لم يجد نفعا ، فقد كانت أرضهم بورا .

- فإنه إن كان للناصح مائة " نصيحة " داعية ، ينبغي لنصحه أذن واعية .

- وإلا فإنك تنصح المرء بمائة تلطف ورقة ، وهو يهز كتفيه استهانة بنصحك .

- وإن إنسانا واحدا معرضا عن الاستماع من جدله ورفضه ، يصيب بالإحباط مائة من المتحدثين .

١٥٣٥- ومن يكون ألطف لهجة وأكثر نصحا من الأنبيـاء ، أولئك الذيـن أثـرت أنفاسهم الربانية حتىفي الحجر

- ذلك أن الجبل والصخر قد تأثروا بهم وجاوبوهم ، لكن قيد المدبر لم يفك عنه

- وكذلك تلك القلوب التـي ديدنهـا " الإحسـاس بـالذات " وقـول أنـاونحن ، صـار الوصـف " الصـادق" عليها أنها أشد قســــــوة " من الحجارة " .

بيان أن عطاء الحق والقدرة ليسا موقوفين على القابلية ، لأن العطاء قديم والقابلية حادثة ، والعطاء صفة الحق والقابلية صفة المخلوق ، ولا يكــون القديم متوقفا على الحادث ، وإلا استحال الحدوث .

- والحل بالنسبة لذلـك القلـب " القاسـي " عطـاءُ مبـدل ، والقابليـة ليسـت شـرطا لعطائه .

- لكن عطاءه هو الشرط للقابلية ، فالعطاء لب ، والقابلية هي القشـــــر .

١٥٤٠- وأن تصيير العصا لموسى عليه السلام ثعبانا، وتصيير كفه مشرقة كأنها الشمس ،

- ومئـات الآلاف مـن معجـزات الأنبيـاء ، تلـك التــي لا تسـتوعبها ضمائرنـا وعقولنـــــا؛

- ليست من الأسباب ، لكنها من تصريف " المشيئة " الإلهيــــــة ، ومتى كـانت هناك قابلية للمعدومات ؟

- وإذا كانت القابلية شرطا لفعل الحق ، لما خُلق موجود قط من العدم .

- ولقد وضع سنة للطالبين تحت هذه الخيمة الزرقاء وأسبابا وطرقــــا !!

١٥٤٥- والأمور بأغلبها تجرى طبقا لسـنة " اللـه" ، لكـن القـدرة أحيانـا تخـرق السنة .

– لقد وضع سنة وعادة ذات نسق ونظام ، ثم خلق المعجزة كخرق للعادة و"السنة " .

– وإذاكان العز لا يصل إلينا دون سبب ، فإن القدرة على عزل السبب ليست منتفية .

– فيا أسير السبب ، لا تحلق بفكرك خارج السبب ، لكن لاتظن أن " فعله " عاجز عن الاستغناء عن السبب .

– فإن كل ما يشـــاءه هذا المسبب يفعله ويأتي به ، فإن القدرة المطلقة تمزق الأسباب .

١٥٥٠– لكنه يجعل " نفاذ" أمره جاريا على الأسباب ، حتى يعلم الطالب البحث عن المراد .

– فإن لم يكن ثم سبب ، فأى طريق يبحث عنه المريد ؟ ومن هنا ينبغي أن يكون السبب واضحا في الطريق .

– وإن هذه الأسباب مجرد حجب على صنعـــه ، فليست كل الأنظار جديرة بالنظر إلى صنعه .

– إذ تنبغي بصيرة نفاذة فيما وراء الأسباب ، حتى تقشع الحجب من جذورها وأصولها .

– حتى تبصر المسبب في اللامكان ، وتعتبر الجهد والكسب والتجارة من قبيل الهزل .

١٥٥٥– وأن الخير والشر كليهما يصـلان من المسبب ، فلا أسباب هناك ولا وسائط أيها الأب .

– اللهم إلا خيالات وأوهام متراكمة على طريق الحياة ، حتى يبقى عهد الغفلة ردحـــا من الزمان .

في ابتداء خلق جسد آدم ﷺ عندما أمر الحق سبحانه وتعالى جبريل بأن يمضي ويأخذ من هذه الأرض قبضة من التـــــراب وفي رواية : من كل ناحية منها قبضة من التراب

– عندما أراد الصانع الخالق خلق البشـــــر ، من أجل ابتلائهـــــم بالخير والشر .

– قال لجبريل الصدق : إمض ، وخذ قبضة من تراب الأرض ، و" ايت به" كرهينـــــة .

– فشمر عن ساعد الجد ، ونزل إلى الأرض حتى ينفذ أمر رب العالمين .

١٥٦٠– ومد يده نحو التراب ذلك الحامل لأمر الله ، فجمع التراب نفسه وانكمش حذرا خائفـــا .

– ثم انطلق في الحديث متضرعـــــا قائلا : بحق حرمة الخلاق الفرد .

– دعنى وامض ، وهبني روحي ، وحول عنى عنان جوادك الأشهب .

– فبالله دعنى ، ولا تحملنى في مزالق التكاليف والمخاطـــــــر .

– بحق ذلك اللطف الذى به اصطفاك الحق ، وجعل علم اللوح الكلي مكشوفا لك

١٥٦٥– حتى أصبحت معلما للملائكة ، وكنت دائمـــا متكلما مع الحق .

–و" بحق" أنك سوف تصير سفيرا للأنبيــــاء ، وأنك حياة نور الوحي ولست بالبدن .

– والفضل لك على إسرافيل لأنه حياة الجسد وأنت حياة الروح .

– وإن نفخة الصور هي نشأة الأجساد ، لكن نفختك أنت نشأة للقلب الفريد .

– وروح روح الجسد حياة للقلب ، ومن ثم فإن عطاءك أفضل من عطائـــــه .

١٥٧٠– ثم إن ميكائيل هو الذى يوزع رزق الجســـد ، لكن سعيك أنت يهب رزق القلب المنيـــر .

- إنه قد ملأ الحجر من عطاء يكال بالكيل ، لكن عطاء رزقك أنت لا يستوعبه كيـــل .
- وأنت أيضـــا أفضل من عزرائيـــل صاحب القهر والغضب ، ذلك لأن للرحمة سبقت الغضب .
- وأنتم الأربعة حملـــة العرش ، وبانتباهك ، أنت أيها المليك أفضـــل هؤلاء الأربعة .
- ومن يحملون العرش يوم القيامة ثمانيـــة ، وأنت أفضل الثمانية في ذلك الوقت .
١٥٧٥- وهكذا لأخذ يعدد "مناقبه" ويبكـــي ، وكان هو يفهم طرفا من المقصود من هذا " الرجاء" .
- وكان جبريل معدنا للحياء والخجل ، وسدت عليه الأيمـــان السبل .
- ومن كثرة ما تضرع إليه " التراب" وأقسم عليه بالأيمـــان ، عاد " جبريل" وقال: يا رب العبـــاد ؛
- لم أكن أنا بالذى يهمل تنفيذ أوامرك ، لكنك أعلم بما جـــرى .
- لقد ذكر الاسم الذى من هوله أيها البصيـــر ، تتوقف الأفلاك السبعـــة عن المسير .
١٥٨٠- فاستحييت ، وخجلت من اسمك ، وإلا فنقل قبضة من الطين أمر يسيـــر .
- ذلك أنك قد وهبت الملائكـــة ، قوة يستطيعون بها تحطيم هذه الأفلاك (١)

---

(١) ج/ ١١-٥٠١:- وأى قدر لقبضة التراب وأية قوة لهـــا للوقوف أمامك ، لكن الرحمة غلبت .

إرسال ميكائيل لقبض حفنة من التراب من الأرض من أجل تصوير الجسد المبارك لأبي البشر خليفة الحق الذي سجدت له الملائكة الذين علمهم آدم عليه السلام

- قال لميكائيل : إهبط أنت ، واختطف من الأرض قبضة من التراب كالأسد .

- وعندما انتقل ميكائيل إلى الأرض ، مد يده لكي يختطف تلك القبضة .

-فارتعد التراب ، وأخذ يجد في الهرب ، وصار متضرعا نائحا ذارفا للدمع .

١٥٨٥- ولقد تضرع بجد وجهد وصدر محترق ، وأقسم عليه ، يسبقه دمعه الدامي .

- وقال : بحق الإله اللطيف الذى لا ند له ، والذى جعلك حاملا للعرش المجيد .

- ومشرفا على كيل الأرزاق في الدنيا ، ومغرقا " بالفضل " للظامئين إلى فضل الإله .

- ذلك أن اسم ميكائيل قد اشتق من الكيل ، ومن هنا صار كيال للرزق .

- " بحقه " هبني الأمان ، ودعني حرا ، وانظر إليّ أخاطبك وأنا مضرج بالدماء .

١٥٩٠- وقال الملاك " المخلوق " من معدن رحمة الإله : كيف أنثر الملح على هذا الجرح ؟

- وهكذا فكما أن الشيطان هو معدن القهر ، إذ يجعل بني آدم يجأرون بالصراخ .

- والرحمة قد سبقت الغضب أيها الفتى ، كما أن اللطف يغلب على وصف الإلــــه .

- ولا بد لعبيده أن يتخلقوا بخلقــــه ، ما دامت قربهم مليئة بمـــاء جدوله .

- وذلك الرسول الحق مرشد السلوك قد قال : الناس على دين ملوكهـــم .

١٥٩٥- فذهب ميكائيل صوب رب الدين ، خاوى اليد ، خالى الوفاض مما طلب منه .

- وقال: يا عالما بالســـر ، أيها الملك الفرد ، لقد قيد التراب " يدى " ببكائه ونواحه .

- ودمع العين عندك - يا إلهـــي - ذو قدر ، وأنا لم أستطع تجاهل سماع " ضراعته " .

- وللآهـــة والنواح عندك قيمة كبيــــرة ، لم أستطع أنا التجاوز عن حقوقها

- والعين الدامعة ذات احترام كبير عندك ، فكيف أعاند أنا وأجادل بشأنها .

١٦٠٠- إن الدعوة إلىّ لضراعة موجودة خمس مرات في اليوم ، إنها تقول للعبد : أدخل في الصــلاة ، ونح ضارعا .

- وإن المؤذن ليصيح حي على الفلاح ، وهذا الفلاح هو التضرع ،واستجلاب الفضل .

- وذلك الذى تريد أن تؤلمه من حزنه وهمــــه ، فإنك تسد طريق الضراعة أمام قلبـــه .

- حتى ينزل به البلاء دونما شيء يدفعـــــه ، عندما لا يكون لديه شفيــــع من الضراعة .

- وذلك الذى تريد أن تشريــــه من البلاء ، تدفع روحه دفعا إلى التضرع والاستغاثـــة .

١٦٠٥- وقلت في القرآن أن تلك الأمم التى حل بها ذلك الغضب الجبار "والعذاب الهون" .

- لأنهم لم يكونوا يتضرعون في ذلك الوقت، " إلى الله" حتى يرد عنهم البلاء .

- ولأن قلوبهم كانت قد قست ، كانت ذنوبهم هذه تبدو عبادة " لله " .

- وما لم يعرف نفسه ذلك المجرم العنيد ، فمن أين له أن يعلم أن يجرى الدمع من عينيه .

قصة قوم يونس ﷺ بيان وبرهان على أن التضرع والنواح دافعان للبلاء السماوي ، والحق تعالى فاعل مختار ، ومن ثم يفيد التضرع والنواح لديه . ويقول الفلاسفة هو فاعل بطبع وعلة وليس مختارا ، ومن ثم فإن التضرع لا يغير الطبع

- عندما ظهر البلاء لقوم يونس ﷺ ، انفصل عن السماء سحابٌ مليءٌ بالنار .

١٦١٠- وأخذ يلقي بالبرق والصواعق فيحرق الحجارة ، وأخذ السحاب يرعد فتشحب الوجوه .

- كانوا جميعا على سطوح " منازلهم " ليلا، عندما ظهرت تلك الكرب والكوارث من فوقهم .(١)

- فنزلوا جميعا من فوق السطوح ، ومضوا عراة الرؤوس إلى الخلاء .

- وأخرجت الأمهات أطفالهن ، حتى يقوموا جميعا بالضراعة والدعاء والاستغاثة .

- ومنذ صلاة العشاء وحتى طلوع الفجر ، أخذ هؤلاء الناس جميعا يحثون رؤوسهم بالتراب .

١٦١٥- ومن بعد اليأس والآهات المرة ، أخذ السحاب في الانقشاع قليلا قليلا .

---

(١) ج/١١-٥١٢:- عندما كان يونس ﷺ قد مضى عنهم ، وذلك من جحودهم لله وحقدهم .- لكنهم عندما رأوا أمارات البلاء ، بدأوا في الضراعة والدعاء ..

- إن قصة يونس ﷺ طويلـــة مفصلـــة ، والوقت وقت " قصة" تـراب" آدم" والحديث المستفيض عنه .

- وإذا كان للتضرع هذه الأقدار عند الله ، ففى أى مكان آخر يكون للنواح قيمته هناك ؟

- فهيـــا ، إنهض ، واستعد سريعا للرجاء والأمـــل ، وانهض أيها الباكى ، واضحك دائما .(١)

١٦٢٠- فإن الملك المجيـــد ، يسوى الدمع فى الفضل بدم الشهيد .(٢)

إرســـال اسرافيل ﷺ إلى الأرض قائلا له : خذ حفنة من التراب من أجل تركيب جسد آدم ﷺ

قال إلهنـــا لإسرافيل : إمض ، واملأكفك من التراب ، وتعـــال .

- فجاء اسرافيل بدوره صوب الأرض ، وبدأت الأرض مرة أخرى فـي التوسل قائلـــة :

- يا ملاك الصـــور ، ويا بحر الحيــــاة ، ويامن نفخك الصور ، يجد الموتـى الحياة والنشـــور .

- ومن نفخة واحدة في الصور ينطلق صوت عظيم ، ويمتليء المحشر بـالخلائق ، بعد أن كانوا من الرميم .

١٦٢٥- إنك تنفخ في الصـــور مناديا : هلموا إليّ ، إنهضوا يا قتلى كربلاء " الدنيـــا " .

---

(١) ج/١١-٥١٢:- وكن ملازما للضراعة حتى تصبح فرحا ، وابك ، حتى تصير ضاحكا بلا فم .

(٢) ج/ ١١-٥١٢:- وكلتضرع يكون مع حرقة وألم يؤثر في المرء . لقد تضرع وذرف الدمع من عينيه ، فعلت الرحمة وسكنت ذلك الغضب.

– يا من هلكتم بسيف الموت ، أطلوا برؤوسكم من التراب " كما تطل " الأغصان والأوراق .

– وبرحمتك ونفختك الجذابة تلك ، يمتليءالعالم بمن قد أحياهم " نفيرك " .

– إنك ملاك الرحمة ، فأظهر الرحمة ، وأنت حامل للعرش ، وقبلة للعطايا

– والعرش موضع لمعدن العطاء والعدل ، وتحته أربعة أنهار من المغفرة .

١٦٣٠– نهر من لبن ونهر من عسل خالد ونهر من الخمر ونهر كدجلة من الماء الجارى العذب .

–ثم تجرى من تحت العرش داخل الجنة ، ويظهر منها النذر اليسير في الدنيا .

– بالرغم من أن هذه الانهار الأربعة ملوثة هنا ، مم ؟ من سم الفناء المهلك غير السائغ .

–ولقد صبت من تلك الأنهار الأربعة على التراب الكدر ، وأثيرت بذلك الفتنة

–حتى يبحث عن أصولها أولئك الأخساء ، لكنهم قنعوا بالأربعة الموجودة هنا ، هؤلاء الأدنياء .

١٦٣٥– ولقد أعطى اللبن من أجل تربية الأطفال ، وفجر عينا من صدر كل إمرأة .

– وجعل عينا من الخمر فى الكرم ، لكى يجترىء بعضهم ، ويشربون منها لدفع الحزن والهم .

– وجعل من باطن النحل عينا للعسل ، وفيه شفاءٌ للأبدان المريضة .

– وأعطى الماء للناس جميعا بأصولهم وفروعهم ، من أجل التطهر ومن أجل الشرب .

– حتى تتتبع آثارها حتى الأصول ، لكنك قنعت بما هو هنا يا ذا الفضول .

١٦٤٠- فاستمع الآن إلى قصة التراب ، ماذا يقول من رجاء يحرك " القلوب "

- لقد قطب وجهه وعبس أمام إسرافيل، وأخذ يقوم بمائة نوع من التشكل والنفاق

- وقال له : بحق ذات الجلال الطاهرة ، لا تجعل هذا القهر حلالا عليّ.

- إننى أشم رائحة ما من تقليبك إيـــــاى ، وثمة ظن سيء يسرع إلى ذهني .

- إنك ملاك الرحمة فارحم ، فإن الطائر الملكي لا يؤذى طائرا صغيرا .

١٦٤٥- يا شفاء ورحمة لأصحاب الألـــــم ، إفعل أنت أيضا ما فعله ذلك المحسنــــــان .

- فعاداسرافيل سريعا إلى المليك ، وقص عليه ما حدث واعتذر لـــــه "قائلا" :

- إنك أمرت في الظاهر أن خذه ، لكنك ألهمت الضمير بعكس أمرك هذا .

- لقد كـــان أمرك لـلأذن أن إمـض واقبضـــــــه ، لكنـك نهيـت اللـب عـن القســــوة .(١)

-والرحمة سبقت الغضب وغلبتــــه ، يا بديع الأفعال ، ويا أيها المحسن الرب .

إرسال عزرائيل ملك الحزم والعزم لحمل حفنة من التراب من أجل أن يسوى منها سبحانه وتعالى جسم آدم عليه السلام على وجه السرعة

١٦٥٠- قال الإلــــه علـى وجـه السـرعة لعزرائيـــــل ، أنظـر ذلـك التـراب صاحب الخيال والأوهـــام .

- والحق بتلك الضعيفة الظالمة العجوز ، واحضر إليّ سريعا قبضة من التراب

- وذهـب عزرائيـل قـائد القضــــــاء نحـو كـرة الـتراب مـن أجـل المطالبـة والاقتضــــاء .

- فبدأ التراب على عادته في الصــــراخ ، وأقسم عليه ، وأغلظ في الأيمـــــان

---

(١) ج/ ١١- ٥٢٦:- ورحمته بلا حد ولا نهايـــــة ، إنه حكيم وكريم ورحيم .

- قائلا : أيها العبد المقرب ، يا حمال العرش ، ويا مطاع الأمر في العرش والفرش .

١٦٥٥- إمض بحق حرمة الرحمن الفرد ، إمض بحق ذلك الذى تلطف معك .

- بحق المليك الذى لا معبود ســــواه ، والذى لا ترد عنده ضراعة أحد .(١)

- قال : إننى لا أستطيع بهذا الرجاء والدعاء ، أن أعصى آمر السر والعلن .

- قال " التراب " : إنه أمر بالحلم آخــــرا ، وكلاهما أمــر ، فخذ الأمر بالحلم عن طريق العلم .

- قال " عزرائيل " : هذا تأويل وقياس ، وعليك في الأمر الصريح أن تقلل البحث عن الغموض والإلتباس .

١٦٦٠- ومن الأفضل لك أن تؤول ما يعن لك من فكــــر ، من أن تقوم بتأويل غير المتشابه هذا .

- وإن قلبي ليشفق من ضراعتك ، ومن دمعك ، إمتلأ صدرى دمـًـا .

- ولست خاليا من الرحمة ، بل إنني أكثر رحمة من أولئك الثلاثة على ألم الذى يعانى ويقاسى .

- وبالرغم من أني أقوم بصفع ذلك اليتيم ، وبالرغم من أن ذلك "الرجل " الحليم يعطيه الحلوى ؛

- فإن هذه الصفعة ألذ من تلك الحلوى ، وإن خدعته الحاوى ، فالويل له .

١٦٦٥- إن كبدى ليحترق شفقة وتأثــــرا بضراعتك ، لكن الحق لا يفتأ يعلمنى اللطف .

- وهناك لطفٌ خفي في أنواع القهر ، وهناك عقيق لا يقدر بثمن مخفيٌّ في الحدث .

---

(١) ج/ ١١- ٥١٩:- وبحق حق الحق أن ترفع يدك عنى ، يا من لك من الحق فضائــــل بلا عدد .

-وقهر الحق أفضل من مائة حلم منى ، ومنع الروح عن الحق ، هو بمثابة نـزع الروح .

- وأشد قهر منه أفضل من حلم الكونين ، فنعم رب العالمين ، ونعم العون .

- وهناك ألطاف مضمرة في قهره ، وتسليم الروح من أجله ، يمد في العمر .

١٦٧٠- فهيا ، إنتبه ، ودعك من سوء الظن والضـــلال ، واجعل الرأس قدمـا " ساعيا إليه " ما دام قد قال لك تعــــال .

- والإستدعاء منـه يهب كثيرا مـن العلـو والسمو ، إنـه يهب النشـوة والقريـن والبسط والزرابي .

- وإنني لا أجرؤ على تجاهل هـذا الأمـر السـني أو الإسـتهانة بـه ، أو أن أكـون معوجا ضالا بشأنه .

- ولقد سمع التراب المسكين كل هذا ، لكن كـان فـي أذنيـه وقـر ، مـن الظـن السيء.

- ثم إن ذلك التراب أخذ يبكي ويتضرع بطريقة أخرى ، ويسـجد ويتمـايل كأنـه السكران .

١٦٧٥- قال : لا ، إنهض ، فلن يحيق بك ضرر من هذا الأمر ، وأناضامن لـك هذا برأسي وروحي .

- لا تفكر عبثا ، ولا تتضرع ثانية ، اللهم إلا إلى ذلك الملك الرحيم العادل .

- إنني عبد للأمـــــر ، ولا أجرؤ علـى مخالفـة أمـره ، ذلـك الأمـر الـذى أثـار الغبار من قلب البحر .

- ولا أسمع إلا من ذلك الخالق للسمع والبصر والعقـل ، ولا أسـمع - حتـى مـن نفسي - إلى الخير والشر.

- إن أذنـــي صماء إلا عن قولــــه ، وهو عندى أعز من الروح الحلوة .

١٦٨٠- فقد وهبت الروح منه ، ولم يوهب هو من الروح ، وهو يهب مئات الآلاف من الأرواح بالمجان .

- وماذا تكون الروح حتى أختارها على الكريم ؟ وماذا يكون البرغوث حتى أحرق من أجله الكليم ؟

- فأنا لا أعلم خيرا إلا خيـــره ، وأنا بدونه أصم وأبكم وأعمـــى .

- وأذنى صماء عن أولئك الذين يستغيثون ، فأنا في كفه كأنني السنان .(١)

بيان أن المخلوق الذي يحيق بك ظلم منه هو في الحقيقة كالآلة ، والعارف هو الذي يرجع إلى الحق لا إلى الآلة ، وإذا رجع إلى الآلة فذلك في الظاهر فحسب ، ومن أجل مصلحة ، كما قال أبو اليزيد: لي سنوات لم أتحدث مع مخلوق ولم أسمع كلمة واحدة من مخلوق ، لكن الخلق يحسبون أني أتحدث معهم وأسمع منهم ، لأنهم لا يرون المخاطب الأكبر ، فهم عند حالي بالنسبة له كالصدى ، ولا يهتم المستمع العاقل بالصدى . كما يقول المثل المعروف قال الجدار للوتد لم تشقني ، قال الوتد : أنظر إلى من يدقني

- لا تطلب الرحمة بحمق من السنــــان ، بل أطلبها من ذلك المليك الذى يكون السنان في يده .(٢)

١٦٨٥- فما بالك تتضرع إلى السنان والسيف ، مع أنه أسير" في يد ذلك السني

- إنه " آزر" في صنعته وأنا الصنـــم ، والآلة التي يجعلنى إياها أكون إياها .

- فإن جعلني كأســـا ، أكون كأســـا ، وإن صنع منى خنجرا أصيـــر خنجرا .

- وإن جعلنى نبعا فإنني أفيض بالمـــاء ، وإن جعلني نارا ، أهب الدفء .

- وإن جعلني مطرا أهب البيادر ، وإن جعلني سنانا أنفذ في الأجســـاد .

---

(١) ج/١١-٥٢٠: الشطرة الثانية : وأمضي إلى فم الأفعى من أجلـــه .

(٢) ج/١١-٥٢٠:- لا تطلب الرحمة من حد السيف ، بل من الملك الذى هو له في يده كالصولجان .

١٦٩٠- وإن جعلني حيـــة أنفث السم ، وإن جعلني عونا وسندا أقوم بالخدمـــة .(١)

- إنني كالقلم بين الإصبعين ، ولست بالمتوسط في صف الطاعة .

- ولقد شغل التراب بالكلام ـ ثم اختطف قبضـــة من ذلك التراب القديم .

- لقد اختطفها بسحر من موطن التراب ، والتراب يهذى بالكلام كمن فقدوا الوعي .

- وحمل حتى حضرة الحق التراب الذى لاإرادة له ، حمله كما يحمل الطفل الهارب من المكتب .

١٦٩٥- قال الله سبحانه وتالى : بحق علمي المطلق ، لأجعلن منك جلادا لهؤلاء الخلق .

- قال: يا رب ، إن القوم سوف يعادونني ، عندما آخذ بحلوقهـــم عند الموت .

- فهل ترضى أيها الإلـــه السني ، أن تجعلني عدوا مبغوضا كريه الوجـــه ؟

- قال : بل لأجعلن " للموت" أسبابا ظاهرة للعيـــان ، من الحمى والقولنج والدوار و" طعان " السنان .(٢)

- حتى أحول أنظارهم عنك ، إلى الأمراض والأسباب والعلل المتداخلة .

١٧٠٠- قال : يا رب ، هناك أيضا من العباد ، من يمزقون حجب الأسباب أيها العزيـــز .

- تتجاوز عيونهم الأسباب وتتجاوز الحجب من فضل الرب .

---

(١) ج/١١-٥٢٦:- وإن جعلني سكرا ، أصبح حلوا ، وإن جعلني حنظلا أمتليء حقدا .- وإن جعلني شيطانا أعصى وأتمرد ، وإن جعلني محرقا أصبح نارا .

(٢) ج/١١-٥٢٧:- ومن الصداع والورم الدموى والخناق ، والزكام والجذام والفواق .- والسدة والديدان والاستسقـــاء والسل ، وكسر ذات الصدر واللدغ ووجع القلب .

– ومن وجد كحل التوحيد من كحال الحال ، فقد خلص " مـن التفكير" فـي العلـة والاعتـــلال .

– فهم لا ينظرون إلى الحمى والقولنج والســــل ، ولا يتركون سبيلا لهذه الأسباب إلى قلوبهم .

– ذلك أن لكل واحد من هذه الأمراض دواءا ، وعندما لا يقبل المرض الـدواء ، فالفعل إذن هو فعل القضـــاء.

١٧٠٥– فاعلم يقينا أن لكل داء دواء ، مثلما يكون علاج البرد بلبس الفراء .

– وعندما يريد الله لامريء أن يتجمد من البرد ، فإن البرد ينفذ حتى من مائة فراء .

– ويضـــع في جسده رعدة ، لا تذهب عنه بثوب أو بدار .

– وعندما يحم القضـــاء ، يصبح الطبيب أبله لا يعي شيئا ، بل ويضل ذلك الدواء طريق النفع .

– بحيث يصبح إدراك البصير محجوبا ، عن هذه الأسباب التي هي خداعٌ للأبلـــه .

١٧١٠– وإن العين ترى الأصـــل عندما تكون كاملة ، وعندما يكون المرء أحول لا يرى إلا الفروع .

جواب الله على عزرائيل : إن من لاوجه نظره إلى الأسباب والأمراض والطعن بالسيف فإنه لا يقع عليك أيضا ، لأنك سبب مهما كنت أخفى من تلك الأسباب ، وربما يكون خفيا على المريض لقوله تعالى : وهو أقرب إليكم ولكن لا تبصـــرون (١)

– قال الله : ذلك الذى يكون عالما بالأصـــل ، متى يراك إذن بيننـــا ؟

---

(١) هكذا في النص ، والآية الكريمة هي : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصـــرون) . الواقعة /٨٥.

- وبالرغم من أنك أخفيت نفسك عن العوام ، فإنك أمام المستتيرين " مجرد" حجاب و "سبب" .

- وأولئك الذين يكون الأجل بالنسبة لهم كالسكر ، ما دامت أنظارهم نشوى بأنواع الإقبال .

- لايكون موت الجسد بالنسبة لهم أمرا مرا ، فإنهم يمضون من الجب والسجن إلى البساتين والرياض .

١٧١٥- لقد نجوا من الدنيا المليئة بالإلتواء والضلال ، ولا يبكي أحد على فوات هباء الهباء .

- فلو أن نقابا حطم برج السجن وهدمه ، لا يضيق بذلك أبدا قلب السجين .

- ولا يتحسر قائلا : وا أسفاه ، لقد حطم هذا الحجر المرمرى ، بحيث نجت نفوسنا وأرواحنا .

- ذلك الرخام الجميل وذلك الحجر الأصيل ، كان بهيا بالنسبة لبرج السجن منسجما معه .

- فكيف حطمه حتى نجا السجين ؟ ينبغي أن تقطع يده في هذا الجرم .

١٧٢٠- ولا يوجد سجين قط يتحدث بهذا الهراء ، اللهم إلا ذلك الذى يؤخذ من السجن إلى المشنقة .

- ومتى يكون مرا على الإنسان ، أن يُحمل من " موطن" سم الأفاعي إلى الشهد والسكر ؟

- لقد صارت الروح مجردة عن ضجة الجسد وضوضائه ، إنها تحلق بجناح القلب ، لاقدم الجسد .

- مثل ذلك السجين في الجب ، الذى يقضي الليالي " الطوال " راقدا يحلم بالرياض والبساتين .

- إنه لا يفتأ يقول : إلهي ، لا ترجع روحي إلى الجسد ، حتى أصول وأجول في هذه الروضة .

١٧٢٥- فيقول الله له : لقد استجيبت دعوتك ، لا تعد ، والله أعلم بالصـــواب

- فانظر إلى هذا الحلم كيف يكون حلوا ، أن يدخل المرء الجنة دون أن يذوق الموت .

- إنه لا يتحســر أبدا على اليقظـــة ، وعلى الجسد المقيد بالأغلال في قاع الجب .

- فادخل آخرا أيها المؤمن في المعمعـــة ، فإن هناك فوق السموات حفلا مقاما من أجلك .

- وقم آمــلا في الطريق الأسمـــى ، " قيام " الشمع أمام المحراب ، أيها الغلام .

١٧٣٠- وداوم على ذرف الدمع والإحتراق في الطلب ، مثل الشمع مجزوز الرأس ، طوال الليل .

- وأضمم شفتيك عن الطعـــام والشـــراب ، واسرع نحو المائدة السماوية .

- وليكن ذلك الرجاء في السماء لحظة بعد لحظـــة ، "ولتكن" راقصا في هوى السماء كأشجار الصفصاف .

- فإن الماء والنار يأتيانك لحظة بلحظة من السمـــاء ، فيزداد رزقك .

- وإذا حملك إلى هناك بعدها فلا عجب ، ولا تنظر إلى العجز ، وانظر إلى الطلب .

١٧٣٥- وهذا الطلب منك وديعـــة من الله ، لأن كل طالب جدير بما يطلب .

- وجاهد حتى يزيد - سبحانه وتعالى - في هذا الطلب ، حتى يخرج قلبك من جب الجســد .

– ويقول الخلق : لقد مـات فـلان ..ذلـك المسكين ، وتقـول أنـت : بـل أنـا حـى أيهـــا الغافلين .

– وإذا كان جسدى قد ثوى كما تثوى الأجساد ، فإن الجنان الثمانية قد تفتحت في قلبي .

– وإذا كانت الروح قد استقرت بين الورد والنسرين ، فأى بأس وحزن أن يكـون الجسد في ذلك البعر ؟

١٧٤٠– وأى خبر للروح الآمنـة عن الجســـد ، سواء كـان فـي روضـة أو مستودع قمامـــة .

– ما دامت الروح في العالم السماوى تصيح : يا ليت قومي يعلمـــون .

– وإذا كـانت الروح لن تعيش دون هـذا البـدن ، فـإيوان مـن إذن سـوف يكـون الفلك ؟

– وإذا كانت الروح سوف تعيش بدون البدن ، فرزق من إذن سيكون مصداقا لـ ﴿ وفي السماء رزقكم ﴾ ؟

في بيان وخامة دسم الدنيـــا وحلوها ، ومنعه لطعام الله الوارد في [الجوع طعام الله يحيي به أبدان الصديقين] أى أن في الجوع طعام الله ، وقوله عليه السلام [أبيت عند ربي يطعمنـــي ويسقينـــي] وقوله تعالى ﴿ يرزقون فرحين ﴾

– عندما تتخلص مـن فتـات هـذا الطعـــام الدنـس ، فـإنك تحصـل علـى الدسم والقوت الشريف .

١٧٤٥– ذلـك الـذى إن أكلـت مـن دسـمه آلاف الأرطــــال ، فـإنك تمضـي خفيفـــا طاهرا كأنك الملاك .

– فلا هو يصيبك باحتباس الرياح أو القولنج ، ولا هو يؤدى بك إلى قعود " بـألم المعدة " .

- وإنك إن أكلت " هنا" قليلا ، تظل جائعا كالزاغ ، وإن أكلت حتى امتلأت ، يأخذ التجشؤ بمجامع أنفك .

- فقلة الطعام تؤدى إلى ضيق الخلق واليبوسة والسل ، والشره إلى الطعام يؤدى إلى تخمة الجسد .

- ومن طعام الله والقوت المستساغ الهنيء ، صر كالسفينة ، طافيا على مثل هذا البحر .

١٧٥٠- وكن في الصوم صبورا صامدا ، منتظرا لحظة بعد أخرى قوت الله.

- فإن ذلك الإله الحكيم حسن الفعال ، يعطي الكثير من الهدايا في الإنتظار .

- والرجل الشبع لا ينتظر الخبز ، وهل يأتى قوته سريعا أو بطيئا متأخرا .

- لكن فاقد الزاد يقول في كل لحظة : أين ؟ وهو منتظر في جوعه في كد ونصب .

- وعندما لا تكون منتظرا لا يأتينك ذلك النوال من الدولة ذات السبعين ضعفا .

١٧٥٥- فالإنتظار الإنتظار أيها الأب ، من أجل المائدة العلوية كما يفعل الرجال

- وكل جائع قد وجد قوتا في نهاية الأمر ، وسطعت عليه شمس دولة ما .

- والضيف صاحب الهمة عندما يقلل في شرب الحساء ، يحضر له صاحب المائدة طعاما أفضل .

- اللهم إلا إذا كان صاحب المائدة فقيراً بخيلا ، فكفاك سوء ظن بالرزاق الكريم .

- واشمخ برأسك مثـــل جبل ، أيها " السيد " السند ، حتى يسطع عليك أول شعاع من الشمس .

١٧٦٠- فإن قمة الجبـــل العالي المستقر ، هي التي تنتظر الشمس في أول سطوعها .

الجواب على ذلك المغفل الذي قال : ما أحلى هذه الدنيـــا لو لم يكن موت وما أحلى ملكها لو لم يكن إلى زوال . وعلى هذه الوتيرة من " الفشارات "

- كان أحدهم يقول : ما أحلى الدنيـــا ، إن لم يخطُ فيها الموت بقدميـــه .

- فقال آخر : إن لم يكن موت ، لما ساوت هذه الدنيـــا المليئة بالضلال قشــــة واحدة .

- وكأن بيدرا قد بُسط في واد ، وترك مهملا ، لم يُدرس ، ولم يُدق .

- ولقد اعتبرت الموت حيــــاة ، وألقيت بالبذور في الأرض البور .

١٧٦٥- والعقل الكاذب يرى الأمور على عكسهــــا ، ويرى الحيــاة موتا أيها الظالــــم .

- فيا أيها الإله ، فلتبد لنا الأشيـــاء على حقيقتها في دار الخداع .

- ولا يوجد ميت قط يتحســــر بسبب الموت ، إنما تكون حسرته دائما من قلة زاده .

- وإلا فإنه قد انتقل من بئـــر إلى خلاء ، بين ألوان الإقبال والمتعة والسعة .

- ومن موضع المأتم هذا والمقـــام الضيق ، قد نقـــل إلى الخلاء الواســـع

١٧٧٠- ومقعد الصدق لا إيوان الباطـــل ، وخمر الخواص ، لا السكر من المخيض .

– لقد صار في مقعد الصدق وجليســا للحق ، ونجا من معبد نار الجسد هذا .

– فإن لم تكن قد عشت حيــاة مضيئــة ، فقد بقيت فيها لحظة أو لحظتين ، فمت كالرجـــال .

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ، معطي النعم قبل استحقاقها ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ ورب بعد يورث قربا ، ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم ، ليعلم أن الله يبدل سيئاتهـم حسنات

– جاء في الحديث أنه في يوم القيامة ، يأتي الأمر لكل جسد أن : إنهض " من جدثك " .

– ونفخ الصور أمر من الإله الطاهـــر ، معناه : أطلوا برؤوسكم أيها الخلائق من التراب .

١٧٧٥– وتعود روح كل امرىء إلى بدنه ، تماما كما يحدث في الصباح عندما يعود الوعي إلى البدن .

– وتعرف الروح جسدهـــا عندما يطلع النهـــار ، وتعود إلى خرائبها كما تعود الكنوز .

– إنها تعــرف جسـدها وتحل فيــه ، فمتى تذهب روح الصائغ نحو جسد الخياط ؟

– وروح العـالم تمضـي صـوب العالـــم ، كمـا تسـعى روح الظـالم نحـو الظالـــم .

– فقد علمها كلها علم الإلــه ، كما يميز –عند الصباح – الحملُ من الشاة .

١٧٨٠– والقدم تعرف نعلهـــا في الظـــلام ، فكيف لا تعـرف الـروح جسدها أيها الصنم .

- والصبح هو الحشر الصغير أيها المستجير ، وقس عليه إذن الحشر الكبير .

- وكما تطير الروح " عائدة" نحو الطين ، تحلق الكتب ذات اليسار وذات اليمين .

- ويوضع في كف " المرء" كتب البخل والجود ، وكتب الفسق والتقوى ، ما كان قد إعتاد عليه .

- وعندما يستيقظ من النوم عند السحر ، يرجع إليه ، ذلك الخير وذلك الشر .

١٧٨٥- فإذا كان قد عود خصاله على الرياضة ، فهي ما يأتى أمامه أوان يقظته .

- وإذا كان بالأمس غُفلا قبيحا في ضلال ، فإنه يجد كتاب العزاء الأسود في الشمال .

- وإذا كان بالأمس طاهرا تقيا ذا دين ، فإنه عند اليقظة يظفر بالدر الثمين .

- فإن منامنا ويقظتنا شاهدان على صفة موتنا وحشرنا .

- ولقد أبدى الحشر الأصغر الحشرَ الأكبر ، وفسر الموت الأصغر الموتَ الأكبر .

١٧٩٠- الكتاب هنا خفي و" مجرد" خيال ، ويصير ذلك الكتاب في الحشر عيانا بيانا .

-فهذا الخيال هنا خفي واضح الأثر ،ومن هذا الخيال تنبت هناك الصور .

- فانظر ، إن صورة الدار تكون في قلب المهندس ، كأنها بذرة في باطن التراب
- ثم تأتي تلك الصورة من الباطن إلى الظاهـــر ، كالأرض التى تلد من البـذر المدفون .
- وكل خيـــال يجعل من القلب موطنا ، سوف يتصـــور في يوم الحشـــر
١٧٩٥- مثل الخيال الموجـود عند ذلـك المهنـدس فـي الضمير ، وكالنبـات فـي الأرض القابلة للبذر .
- إن ماأهدف إليه من الحديث عن هذيـن المحشـرين موضوعـا مـا ، يكـون فـي بيانه حصـــة للمؤمنين .
- وعندمـا تسـطع شـمس القيامــــة ، ينسلـــون مـن الأجـداث سـراعا ، الصالحون والطالحـــون .
- ويمضـــون ساعين نحو ديـوان القضـــاء ، ويدخـل النقـد الصحيـح والنقد الزائف إلى الكير .
- ويصبح النقد الصحيح الطيب سعيدا مكرمـــا ، أما النقد الزائف ، فيصير في عذاب وذوبـــان .
١٨٠٠- وتصل ألوان الامتحان لحظـة بعد أخرى ، وتبـدو أسـرار القلـوب فـي الأجســـاد .
- مثلما صار ظاهرا من القنديل الـماء والزيـت ، أو كـالتراب الـذى ينبـت " مـا دفن فيه " من أســـرار.
- وإن يد الربيع لتبدى ما غرس في الشتـــاء ، من بصل وكراث وخس .
- فثمة ما يكون مخضرا نضـرا سـعيدا مـن ﴿ نحـن المتقـون ﴾ ،وآخـر كالبنفسـج ناكس الرأس .

– لقد جحظت العيون من " شدة " الخطـــــر ، وصار المطمئن شديد القلق[1] من الخوف المستقـــر .

١٨٠٥– وثمة عيون قد كلت مـن الإنتظـــــار ، خوفا من تأتيها الكتب من الشمال .

– فالعيون دائرة ذات اليمين وذات اليســـار ، ذلك أن قدوم الكتاب باليمين ليس بالأمر السهـــل .

– وثمة كتاب يأتى إلى أحد العبـــاد ، أسود بأجمعـــه ، محشـو بالفسق والفســـاد .

– ليس فيه حسنة واحدة أو عمل واحد موفق ، ليس فيه إلا ما يؤذى قلب الصديـــق .

– إنه مليء بالقبح والذنوب من بدايته إلى نهايته ، والسخرية والتصفيق استهزاءا من أهل الطريق .

١٨١٠– إنه ملـيء بسرقات ذاك وأنـواع إحتيالـه ومكـــره ، وبقـول هـذا كالفراعين " أنا " و" إنا " .

– وعندما يقرأ ذلك المثقل " بالذنوب " كتابـــه ، يعلم أن مآلـــه هو الرحيل إلى السجن .

– ثم يمضي إلى المشنقـــة كأنه اللصوص ، فجرمه ظـاهر ، وقد سد طريق الإعتذار .

– وتلك الآلاف من الأعذار والحجج والأقوال المشينة ، صارت سدا لفمه كأنهـا مسمار السوء .

---

(١) حرفيا : ذا عشرة عيـــون .

– فالمتاع المسروق موجود على جسده وفي داره ، وقد كشف أمره ، وضاعت أسطورتـــــه .

١٨١٥– ثم يمضي سائرا نحو سجن السعيــــــر ، فالشوك لا محيص لـه من النار .

– وهؤلاء الملائكة الموكلون من قدام ووراء ، كانوا في الدنيا مستورين ، فصاروا ظاهرين كالعسس .

– إنهم يحملونـه ويخزونـه بالمناخس قائلين : فلتمض أيها الكلب نحو حظائرك"الجديرة بك".

– وهو يجر قدمه في بداية كل طريق ، ربما ينجو من ذلك الجب " السحيق " .

– ويقف منتظـــرا ، مستسلمـــا ، ويتلفت حوله ، وينظر خلفه آمـــــلا .

١٨٢٠– ويذرف الدمع " الهتون" كأمطار الخريف ، وأملـه واه الأساس ، وماذا لديه سواه ؟

– يتلفت كل لحظـة بوجهـــه ، ويتوجه نحو العتبة المقدســـة .

– فيأتي الأمر من الحق من إقليـــــم النور ، أن قولوا له : أيها الفاسد العارى " من كل فضل " .

– ماذا تنتظر يا معدن الشـــر ؟ وما إلتفاتك يا دائر الرأس .

– إن كتابك هو الذى جاء في يدك ، يا من قدمت الأذى لله والعبادة للشيطـــان

١٨٢٥– وما دمت قد رأيت كتاب أعمالك ، فإلى أى شيء تنظر ؟ أنظر إذن إلى جزاء عملك !!.

– ولماذا تتلكـأ عبثـــا ؟ وفي هذه الحفرة من الجحيم ، أى أمل في شعاع نور ؟!

– فإنك لم تقدم في ظاهر الأمر طاعة واحدة ، وليس لديك في باطنك نية " لفعل حسنة واحدة " .

– ولا أنت قدمت في الليل المناجاة والقيـــــام ، ولا كان لك في النهار تقى أو صيام .

– ولا أنت حفظت اللسان عن إيذاء الناس ، ولا كان لك نظرٌ باعتبار إلى ماهو قدامك وخلفك .

١٨٣٠– وماهو ذكرك لما هو قدامك ؟ إنه ذكرك لموتك ونزعك ، وما هو ذكرك لما هو خلفك ؟ إنه موت الرفاق من قبلك .

– ولا كان لك عن الظلم توبة " تجأر " فيها بالضراعة ، أيها الغشاش المحتال ، يا من تعرض القمح وتبيع الشعير .

– ومـــا دام ميزانك أنت كان مزيفا معوجا ، فأى إستقامة تطلبها من ميزان الجزاء ؟!

– وما دمت قد سعيت بشمالك في الغدر والخســــــران ، كيف يأتيك الكتاب إذن في يمينك ؟!

– ولما كان الجزاء بمثابة الظل يا محني القوام ، فإن ظلك يسقط أيضا منحنيا أمامك .

١٨٣٥– وعلى هذا المنوال يسمع موجع القـــــول ، والذى منه يقصم ظهر الجبل .

– ويقول العبد : إن ما تفضلت به من بيان ، أنا " من السوء " مائة ضعف له ، مائة ضعف ، مائة ضعف .

– وأنت نفسك قد سترت ما هو أسوأ بحلمك ، وإلا فإنك تعلم فضائحي بعلمك .

- لكن خارج جهادى وخارج فعلـــــــي ، ومن وراء الخير والشر والكفر والدين ،

- " وخارج " ضراعتي بعجز ، وما لا يدور في خيالي ووهمي أو وهم مائة مثلي ؛

١٨٤٠- كنت راجيـــا في محض لطفك ، بصرف النظر عن إستقامتى أو عتـــــوى .

-" كنت أرجو " عطاءً محضا من اللطف الذى لا يعوضه " لطف " ، كنت آملا فيك يا مكرمـــا بلا غرض .

- ولقد إلتفت أنا إلى ذلك الكرم المحض ، وأنا لم ألتفت نحو " ما قدمت " من عمـــــل .

- لقد إلتفت بوجهي نحو ذلك الرجـــــاء الذى وهبني الوجود من قبل القبل .

- ووهبني خلعة الوجود بلا مقابل منى ، وكنت دائمـــا معتمـــدا على ذلك .

١٨٤٥- وعندما يعدد ذنوبه وأخطـــــاءه ، فإن ذلك العطـــــاء المحض يبدأ في العطـــــاء .

- قائلاً : أيها الملائكـــــة ، ردوه إلينـــــا ، فإن عين قلبه كانت على الرجاء .

- ولنتجـــه دون مـــبالاة منــــا ،" ولنتجاهل " كل هذه الخطايا ، ولنشطب عليها .

- فإن عدم المحاسبة إنما يباح لمن لا يصيبه نفع أو ضر من الغدر أو من الصلاح .

- ولنشعل نارا طيبة من كرمنا ، بحيث لا تبقى زلة أو ذنب ، قلا أو كثرا .

١٨٥٠- نارا من أقل شرر منها ، يحترق الذنب ، ويحترق الجبر والإختيـــار

- ولنضرم نارا في الأصل البشرى الإنساني ، ولنحول الشوك إلى روضة من رياض الروح .

- فنحن من الفلك التاسع قد أرسلنا كيمياء " تبديل " ، فحواها (يصلح لكم أعمالكم) .

- وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر إختيار أبي البشر وفره .

- وقطعة من اللحم أداة للحديث عنده ، وقطعة من الشحم موضع البصر فيه

١٨٥٥- وموضع السمع فيه قطعتان من العظام ، وموضع إدراكه قطرتان من الدم ، أى القلب .

- إنه مجرد دودة صغيرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب

- لقد كنت نطفة من مني " يمنى " ، فاترك قولك " أنا" ، وتذكر يا إياز ذلك الرداء الجلدى .

قصة إياز وامتلاكه لحجرة ليحتفظ فيها بحذائه القديم وسترة الرعي الخاصة به ، وظن الحاشية أن له فيها كنزا مدفونا ، وذلك لإحكامه غلق الباب وثقل القفل

- لقد دفع ذكاء إياز إياه " على الاحتفاظ " بحذائه وسترته الجلدية " معلقين " على جدار .

- كان يمضى كل يوم إلى حجرة منزوية ، قائلا لنفسه : هذا حذاؤك القديم ، فلا تغتر .

١٨٦٠- فقالوا للملك : إن له حجرة " خبأ" فيها الذهب والفضة ، ودفن فيها الجرار .

- وهو لا يسمح لأحد بدخولها ، كما أنه يغلق بابها على الدوام .

- وقال الملك : عجبا لهذا الغلام ، ما الذى يخفيه عنا ويستره علينـــــا ؟!
- ثم أمر أحد الأمراء قائلا : إمض فـي منتصـف الليل ، فـافتح تلـك الحجـرة ، وادخلهـــا ؛
- وكل ما تجده فيهـــا ، إنهبه ، وافش ســـره للندمان .
١٨٦٥- فهو مع مثل هذا اللطـف والإكـرام الـذى لاحـد لــــه ، يخفـي الفضـة والذهب من لؤمه " وخستـــه " .
- ويظهر الوفـــاء والعشق والوجـــد ، فـي حيـن أنـه يعـرض القمـح ويبيـع الشعير .
- وكل من يجد الحيـــاة في العشق ، يكون كل ما سوى العبودية ، كفرا عنده .
- وفي منتصف الليل تشاور ذلك الأمير مع ثلاثين مـن خاصتـه فـي فتـح حجـرة إيــــاز .
- وحمل عدد من المقاتلين المشاعل ، ومضـــوا نحو الحجرة فرحين .
١٨٧٠- قائلين : إن أمر السلطان هو أن نسطو على الحجـــرة ، ويحمـل كـل منا كيسا من الذهب .
- فكـان أحدهـم يقـول : هـا ، أى ذهـب تقصـد ؟ تحـدث عـن العقيـق واليـاقوت والجواهـــر .
- إنه كبير خواص خزانــــة السلطــــان ، بـل إنـه بمثابـة الـروح بالنسبـــة للملك .
- فأية قيمة عند ذلك المحظي المقرب للمرجان والياقوت والزمرد والعقيق ؟!
- لم يكن الملك يسيء الظن به ، لكنه كان يسخر ويهزأ ليمتحن "الأمـــراء " .
١٨٧٥- لقد كان يعرف أنه برىء من الغل والغش ، لكنه كان مرتعد القلـب مـن ظنه أيضـــا .

- قائلا : ربما كان الأمر كذلك - لاقدر الله- ويتألم ، وأنا لاأريده أن يشعر بالخجل .

- إنه لم يفعل هذا ، وجائز له إن فعـــل ، قل له : إفعل مـا تريـد ، إنـه محبوبنـــا .

- وكل ما يفعله محبوبي ، فقد فعلته أنـــا ، فهو أنا وأنا هو ، بالرغم من أنني محجوب عنه .

- ثم عاد يقول : إنه بعيد عن هذه الطباع والخصال ، ، ما هذا الخلط ؟ بل ما هذا الهذيان والخيال ؟!

١٨٨٠- إن هذا في حد ذاته يستبعد عن إياز ، بل هو محال ، إنه بحرٌ لا يسبـــر غوره .

- بل إن البحار السبعة قطرة واحدة منـــه ، وكل الوجود رشحة من موجـــه .

- وكل أنواع الطهر تُؤخذ من هذا البحـــر ، بل إن قطراته قطرة قطرة تقوم بكيمياء " التبديل .

- إنه ملك الملوك ، بل هو صانع الملوك ، وسمي " إياز " دفعا للحســد .

- بل إن العيون الطيبة لتحسده بدورهـــا ، غيرة منه ، فإن حسنـــه بلا حد .

١٨٨٥- إننى أريد فمـــا في سعة الفلك ، حتى أصف ذلك الذى يزرى بالملَك

- ولو أجد فما قدر هذا الذى أطلبه بل مائة ضعف ، فإن ما أحس به من حنين ، يضيق به الصراخ .

- ولو لم أقل هذا القدر أيضـــا أيها السند ، فإن زجاجة القلب تتكسر من الضعف .

– ولما رأيت زجاجة القلب رقيقة " هشة " ، لكي أسكن " ما بي " مزقت كثيرا من الأقبيـــة .

– وأنا – أيها المحبوب – ينبغي على أن أجن بلا جدال ، ثلاثة أيام على رأس كل شهــر .

١٨٩٠– فانتبـــه ، هذا هو اليوم الأول ، إنه يوم النصر ، لا يوم الفيــــروز

– وكل قلب يحتوى على حزن المليك ، تكون كل لحظة كأول الشهر بالنسبة لـــه .

– وما دمت قد صرت مجنونا ، فإن قصة محمود وأوصاف إياز ، قد خرجت الآن عن إيقاع اللحن .

بيان أن ما نذكره هنا هو مجرد صورة القصة لكي تكون مناسبـــة لمن يأخذون بالصورة وجديرة بمرآة تصويرهم ، ومن القدسية التي هي حقيقة هذه القصة يخجل النطق من مجرد التفوه بها ، ومن الخجل يضل الرأس واللحية والقلـــم والعاقــــل تكفيـــه الإشـــارة

– ذلك أن فيل " روحي " رأى هند " الجنان " في الحلم ، فاقطع الأمل إذن في الخراج ، فقد خربت القرية .

– " كيف يأتي النظـــم لي والقافيــــــة ، بعدمـــا ضاعت أصــــول العافيــــة

١٨٩٥- ما جنـــون واحد لي في الشجــــــون ، بل جنون في جنـــون فـي جنـــــــون

- ذاب جسمـــي مـن إشـارات الكنــــــى ، منـذ عـانيت البقـــــاءَ فـي الفنــــــا " (١)

- يا إيــــاز ، لقد صرت من عشقك " في نحول " الشعـــرة ، وعجزت عن إتمام قصتك ، فحدثنا أنت بها.

- ولطالمـا قـرأت أسطورة عشـقك بـالروح ، ، فـاقرأني أنـت إذن ، فقد صـرت أسطـــورة .

- إنك أنت الذى تقرأ لاأنا أيها المقتدى ، إنني الطـور وأنـت موسـى ، وهـذا هـو الصــــدى .

١٩٠٠- وأى علم للجبل المسكين بـالكلام والحديـث ، إن موسـى يعلـم أن الجبـل خال " من الفكر والقول " ..

- إن الجبل يعلم ، لكن ما أتيح له من علم ، والجسـد " يستمد " قليـلا مـن لطـف الروح .

- والجسد قد خلق كالإصطرلاب من أجل الحســـاب ، وهـو آيـة مـن الـروح التي هي كالشمس الساطعــة .

- ولأن ذلك المنجم ليس حاد البصر ، يشترط أن يكـون هنـاك رجل يصنـع لـه الإصطرلاب .

- وذلك حتى يصنـع الإصطـرلاب مـن أجلـه ، وحتـى يفهـم شيئــــا عـن حالـة الشمس .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســــي .

١٩٠٥- والروح التي تبحث عن الصواب عن طريق الإصطرلاب ، أى قدر تعرفه عن حالة الفلك والشمس ؟

- وأنت تنظـــر إذن بعين الإصطرلاب ، فأنت في رؤيتك للدنيا قاصر جدا على وجه اليقين .

- لقد رأيت الدنيـــا بقدر رؤيتك ، فأين الدنيا إذن ؟ لماذا تتحسس شاربك " كبرياءً " ؟

- وإن للعارفين كحلا " يجلي البصر " فابحث عنه ، حتى تصير كالبحر هذه العين التي تشبه الجدول .

- ولو كان معي ذرة من العقل والوعي ، أى هوس هذا وتجديف في القول ؟

١٩١٠- وبما أن رأسي قد خلت من الوعي والذكاء ، فأى ذنب لي في هذا الخلط في الكلام ؟

-إن الذنب ذنبه هو ، ذنب من سلبني العقـــل ، وقد ماتت أمامه عقول كل العاقلين .

-" يا مجير العقـــل فتان الحجـــــى ، ما ســـواك للعقول مرتجـــــى

- ما اشتهيت العقل مذ جننتني ، ما حسدت الحسن مذ زينتنـــــــى

- هـــــل جنوني في هواك مستطـــــاب ، قل : بلى ، والله يجزيك الصـــواب "(١)

١٩١٥- فسواء تحدث هو بالفارسية أو بالعربيـــــة ، أى أذن وأى لـــب يستطيعان فهم أعماقه ؟

- وليست خمره جديرة بكل وعـــــي ، وحلقته ليست مبذولة لكل أذن .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســــي .

– ها أنا قد جننت مرة ثانيـــــة كالمجنون ، هيا إمض ، إمـض أيهـا الحبيـب ، وهات القيد سريعا .

– وفيما عدا ذلك القيد الذى هو من جدائـــــل حبيبي ، إن جئتنـي بمـائتي قيـد ، فإني أحطمها تحطيمـــا .[1]

حكمة النظر في الحذاء القديم والسترة الجلديـــة مصداقا لقوله تعالى ﴿ فلينظر الإنســـان مم خلـــق ﴾

– عد بنا مرة أخرى إلى قصة عشق إيـــاز ، فهي كنز مليء بالأســـرار .

١٩٢٠– لقد كان كل يوم يذهب إلى الغرفـة العليـا ، كـي يشـاهد الحـذاء القديـم والسترة الجلدية .

– وذلـك أن وجـود " النعمـة" يحـدث سـكرا شـديدا ، ويسلب العقـل مـن الـرأس والحياء من القلب .

– ونفس سكر الوجود هذا قد قطع لطريق من مـترصده علـى مئـات الآلاف مـن القرون السابقة.

– لقد صار عزازيل من هذا السكر إبليـس ، واعـترض قـائلا : لمـاذا يصبـح آدم رئيسا عليّ ؟

– إنني سيد وابن سيد أيضـــا ، وجدير" بمائة فضل مستعد لــــه .

١٩٢٥– ولست بأقل من أحد في الفضـــــل ، حتى أقف احتراما أمام العدو .

– لقد خلقت أنا من النار وخلق هو من الوحـل ، ، ومـا قيمـة الوحـل إلـى جـوار النار ؟

---

(١) ج/ ١١–٥٧٣:– إن على قدم قلبي قيدا من العشق ، فبأى شيء يجديني هذا الوعظ والنصـــح ؟.– وقصة العشق لا مطلع لها ، وبالتالي لامقطـــع لها أيضــــا .

- وأيـن كان هو في ذلك الزمـــان الذى كنت أنا فيه صدرا للعالم وفخرا للزمن ؟!

(وخلق الجان من مارج من نار) وقوله تعالى في حق إبليس إنه (كان من الجن ففسق)

- لقد كانت نار روح السفيـــه تلقي باللهب ، فقد كان ناريا ، والولد سر أبيـــه .

- لا ، لقد أخطــأت ، بل كان غضب الله ، فلماذا تبحث عن العلل والأسبـــاب ؟

١٩٣٠- إن الأمر الذى بلا علة مبرأ من العلل ، إنه مستقر ومتواصل منذ الأزل .

- وفي كمال الصنع المتواصل المستمر ، أى موضع للعلة الحادثة أو الحدث ؟

- وأى شيء يكون سر الأب هذا ، إن أبانا أيضا من صنعه ، إن الصنع لب ، والأب الصورى هو القشر .

- فاعلم أن العشق - يا هش القشر كالبندق - هو رفيقك ، وروحك تبحث عن اللب ، وتدق القشر منك .

- وجهنمي ذلك الذى يكون القشر رفيقا له ، لقد أعطى جلده مصداقا لـ (بدلناهم جلودا) .

١٩٣٥- والمعنى واللب فيك مسيطران على النار ، لكن قشورك حصب جهنم .

- والقدر الخشبي الذى يكون فيه ماء الجدول ، تكون قدرة النار كلها على ظاهره .

– لكن معنى الإنســـــان مسلط على النـار ، إنـه مـالك خـازن الجحيم ، فكيـف يكون هالكا فيـــه ؟

– فلا تزد إذن في البدن ، وزد في المعنى ، حتـى تصير سيدا علـى النـار مثـل مالك .

– وها أنت تقوم بزيادة القشر فوق القشـــــــر ، فلا جرم أنك كالقشر في دخان .

١٩٤٠– ذلك أنه لا طعام للنيران إلا القشــــور ، وقهر الحق سالخُ لجلد ذلك الكبريـــاء .

– وهـذا الكبريـاء نتيجـة للقشـور والجلـد ، ومـن هنـا فالمـال والجـاه صديقـــان حميمان لذلك الكبرياء .

– وما هو هذا الكبريــــاء ؟ إنه الغفلة عن اللباب ، إنه متجمد غـافل غفلـة الثلـج عن الشمس " الساطعة " .

– وعندما يأتيه علم بالشمس ، لا يبقى ثلجا ، يصير لينا حارا ويجد في السير .

– وعندما يرى الجسد اللب يصير بجملته طامعا فيـــــه ، ويصير ذليلا عاشقا ، إذ : ذل من طمع .

١٩٤٥– وعندما لا يرى اللب يقنع بالقشر ، ويصبح قيد " عز من قنـع " مطوقـا إياه في سجنه .

– والعز هنا " بالدنيا " هو مجوسية وذل للدين ، وما لم يفن الحجر ، متـى صـار فصـــــا ؟

– أتقول " أنا " وأنت في مقام الحجرية لا تزال ، إن الأوان هو أوان تحولك إلــى مسكين فان .

– ومن هنا يبحث الكبرياء دائمـا عـن الجـاه والمـال ، لأنـه مـن كـثرة " البعـر " يكون الكمال لمستودع القمامة .

-فإن هاتين المرضعتين تربيـــــانه ، وتحشـوانه بالشـحم واللحـم والكبريـاء والعنجهية .

١٩٥٠- ولم تمعنا النظـــــر في لب اللب ، ومن ثم فقد ظننتا القشر لبــــا .

- لقد كان إبليس هو الإمام في هذا الطريق ، ، إذ سقط في شبكة الجـــــاه .

- فالمال كالحية ، والجاه ذاك أفعى ، وظل الرجال بمثابة الزمرد لهذين .

- وذلك لأن الزمرد يقتلع عين الحيــــة ، فتعمى ، ويجد السالك الطريق .

- ولأن ذلك الـــرئيس قد وضع هذه الشوكة في الطريق ، فكل مـن جـرح بـه ، قال : لعنة الله على إبليس .

١٩٥٥- يعنى أن هذا الحزن قد حاق بـي مـن غـدره وجحـوده ، وذلـك المقتـدى سباق القدم في الغدر .

-ومن بعده ، جاءت القرون فـي أثـر بعضهـــا ، كلهـا قـد سـارت علـى نهجـه ، واتبعت سنته .

- وكـل من يسن سنة سيئــــة أيها الفتـى ، حتـى يتخبـط الخلـق مـن بعـده فـي العمى ؛

- فإن كل أوزارها تتجمع عليه ، فقد كان رأســــا ، والباقون مجرد ذيول " له "

- لكن آدم كان يضع أمامه ذلك الحذاء وتلك السترة ، قائلا : إنني من طين .

١٩٦٠- مثل إيـــاز ، كان حذاؤه مزارا لـــــه ، فـلا جـرم أن صـار محمـود العاقبــــة .

- إن الوجود المطلق إنما يقوم بكل أحواله في العدم ، ومـا هـو موضـع صنـع " كن" إلا العدم ؟

- وإن أحدا قط لا يكتب على ورقة مكتوبة ، كما أن أحدا لا يغرس غصنا فـوق غصن مغروس .

- " فالكاتب" يبحث عن ورقة " بيضـــاء " لم يكتب عليهـا شـيء ، و" الغـارس " يغرس بذرته في موضع لا بذرة فيه .

- فكن أيها الأخ موضعا لم يغرس فيه أحد شيئا ، وكن ورقة بيضـــاء لم يكتب عليها شيء .

١٩٦٥- حتى تصبح مشرفا بـــ« نـون والقلـــم» ، حتـى يلقـي فيك بـذره ذو الجود والكرم .

- وخذ من هذا الفالوذج الذى لم يُلعق ، وتجاهل ذلك المطبخ الذى رأيت .

- ذلـك أنـه يوجـد فـي ذلـك الفـالوذج أنـواع مـن السكْر ، تذهـب الحـذاء القديـم والسترة الجلدية من ذاكرتك .

- وعندما يحين النزع والموت تتأوه ، وتذكر آنذاك السترة والحذاء القديم .

- ومـــا دمت غريقا في أمـــواج القبح ، حـــيث لا عون هنـاك مـن ظهيـــــر أو حميم ؛

١٩٧٠- ولا تذكـــر سفينة الصدق ، فإنك لا تنظـر فـي الحـذاء القديم ولا فـي السترة الجلدية .

- وما دمت عـاجزا غريقـــا فـي دوامــــة الفنـاء ، فـإنك تجعـل مـن« ظلمنـا أنفسنـــا» وردا على الولاء .

- ويقول الشيطـــان : انظروا إلى هذا الساذج ، واقطعوا رأس هذا الديك الـذى يؤذن في غير وقت .

- وإن هـذه الخصلــــة بعيدة عـن فضـائل إيـــاز ، أن تبـدو صـلاته مجـرد مظهـــر ولا صلاة فيها .

- فلقد كان ديكا للسماء من قبل ، وكان أذانه دائما في وقته .

في معنى [أرنا الأشيـــاء كما هي] ومعنى [لو كشف الغطاء ما ازددت يقينـا]

وقولـــه : في كل ما تنظر إليه بعين الســـوء

إنمـــا تنظـــر إليه من كـــوة وجـــودك

و" الدرجة العوجاء تلقي ظـــلا أعـــــوج"

١٩٧٥- أيتها الديكـــة ، تعلمي الصيـــاح منه ، ، فهو يصيح من أجل الحق ، لا من أجل دانق .

- إن الصبح الكاذب يأتي ولا يخدعـــه ، والصبح الكاذب هو الدنيا بخيرها وشرهـــا .

- وأهل الدنيـــا أصحاب عقول ناقصة ، بحيث ظنوها صبحا صـــادقا .

- ولقد حطم الصبح الكاذب القوافـــل التي خرجت على أمل الصبـــاح .

- فلا كان الصبح الكاذب مرشدا للخلق ، فلقد أذهب كثيرا من القوافل أدراج الريـــاح .

١٩٨٠- ويا من صرت رهنـــا للصبح الكاذب ، لا تقل عن الصبح الصادق أنه أيضـــا كاذب .

- فإن لم يكن عندك أمان من النفاق والســـوء ، فمن أى شيء تظن برفيقك نفس الظن ؟

- وقبيح الفعل غالبا ما يكون سيء الظن ، إنه يقرأ في حق رفيقه كتابه هو .

- وأولئك الأخساء الذين ظلوا على ضلال ، سموا الأنبياء السحرة والضالين .

- وأولئك الأمراء الأخساء صناع الزيف ، ظنوا نفس الظن بالنسبة لحجرة إيـــاز .

١٩٨٥- وأن له فيها دفينـــة وكنزا ، فلا تنظر إلى الآخرين من مرآة " نفسك

- كان الملك نفســـه يعرف براعته وطهره ، وكان هـذا البحث والتجسس من أجلهم هم .

- فأخذ يقول : أيها الأمير ، افتح باب تلـك الحجـرة في منتصف الليل ، عندما يكون غافلا عنها .

- حتى تظهـــر أنواع مكـــــره ومن بعد ذلك علينا نحن عقابـــه .

- لقد وهبتكـم أنـا ذلـك الذهـب والجواهــــر ، ولا أريـد مـن تلـك الأمـوال إلا الخبــــر .

١٩٩٠ - لقد كان يقول ذلك القول وقلبه يخفق من أجل إياز الذى لا نظيــــر له .

- وكان يتســـاءل بينه وبين نفســـه : هل هـو أنـا الـذى يقـول هـذا الكـلام ؟! وإلام يصير حاله إذا سمع هذا الجفــــاء ؟

- ثم يعود ويقـــول : بحق دينه ، إن ثباته ووقاره أعظـــم من أن ؛

- يتطير أو يضيق من قولي القبيح ، أو يجهل الغرض الحقيقي من فعلي هذا .

- وعندما يرى المبتلى تأويلات الألـــم ، يـراه كسبـــا ، فمتـى يصير ذاهلا منـــه ؟

١٩٩٥- وصـاحب التأويـــل والتفسيـــر إيـاز الصابـــر ، الـذى هـو ناظــــرٌ إلى بحار العواقب ؛

- مثل يوسف عليه السلام ، ورؤى صاحبي السجن ، تعبيرها أمامه واضح للعيـــان .

- وإذا لم يدرك الرجل الصالح تفسيـــر رؤياه ، متى يكون واقفا علـى أسرار رؤى الغير ؟!

- وإني إن ضربته مائة ضربة بالسيف على سبيل الامتحــــان ، فلـن تضعف علاقة ذلك الشفوق الرحيم بي .

- إذ أنه يعلم أننى أضـــــرب نفسي بهذا السيف ، إنني هو في الحقيقة ، وهو أنـــــا .

بيان اتحاد العاشق والمعشوق على وجه الحقيقة بالرغم من أنهما متناقضان تناقض الاحتياج والاستغنـــاء ، كالمرآة الخالية ولا صورة فيها ، وانعدام الصورة متناقض مـــع وجودهـــا ، لكن بينهما اتحادا في الحقيقة يطـــول شرحه والعاقل تكفيـــه الإشـــارة

٢٠٠٠- اشتكى المجنـــــون مرضـــا في جسده فجأة من جراء الفراق والهجـــــر .

- لقد جاش دمه من لهيب الشوق ، فظهرت عليه أعراض مرض الخناق .

- وجاء الطبيب ليداويـــه ، فقال : لابد من فصده .

- ينبغي فصده من أجل دفع الدم ، واستدعى فصادا بارعا في صنعتـــه .

- فربط ساعده ، وأمسك بمبضعـــه ، فصاح به على الفور ذلك العاشق بطبعه

٢٠٠٥- وقال : خذ أجرك ، ودعك من الفصد ، وإذا مت ، قل للجسد الذى اهترأ : ألا فلتمض .

- فقال له : ما الذى تخشـــاه آخر الأمر من هذا ؟ إنك لا تخاف من أسد العرين .

- فالأسد والذئب والدب ، وكل حمار وحش ووحش ، قد تجمعت حولك طوافة بالليل .

- فهي لا تشم فيك رائحة بشـــر ، من فرط الوجد والعشق الذى أدمى كبدك .

- إن الذئب والدب والأسد تعلم ما هو العشق ، وأقل من كلب ذلك الذى لايبصر العشق .

٢٠١٠- فإن لم يكن في الكلب عرق من العشق ، فمتى كان كلب أصحاب الكهف باحثا عن " أرباب " القلوب؟

- وهناك كلاب كثيرة على شاكلته في هذه الدنيا ، وإن لم تنل شهرته .

- وإنك لم تفهم النزر اليسير عن قلب من هو من جنسك ، فمتى تعرف شيئا عن قلوب الذئاب والنعاج ؟

- فإن لم يكن عشق ، متى كان الوجود يصبح وجودا ؟ ومتى تبدل الخبز إلى وجودك أنت ؟

- فمن أين صار الخبز لك ؟ من العشق والاشتهاء ، وإلا متى كان للخبز طريق إلى الروح ؟

٢٠١٥- إن العشق هو الذى يجعل الخبز الميت روحا ، وهو الذى يجعل الروح الفانية خالدة .

- قال المجنون : إنني لا أخاف من المبضع ، بل إن صبرى عليه أكثر من الجبل الراسخ .

- وأنا مشرد لا يستريح جسدى دون جراح ، إنني عاشقٌ أحوم حول الجراح .

- لكن وجودى ممتلىء بليلى ، وهذا الصدف مليء بصفات ذلك الدر .

- وأخاف أيها الفصاد إن قمت بفصدى ، أن يخز مبضعك ليلى فجأة .

٢٠٢٠- ويعلم ذلك العاقل الذى نور قلبه ، أنه لا فرق هناك بيني وبين ليلى .(١)

---

(١) ج/١١-٥٩٧:- فمن أكون أنا ؟ أنا ليلى ، ومن ليلى ؟ هي أنا ، نحن روح واحدة سكنا بدنين .

سأل معشوق عاشقا : هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ؟ قال : لقد مت عن نفسي وصرت حيا بك ، وفنيت عن ذاتي وصفاتي وصرت موجودا بك ، ونسيت علمي وصرت عالما بعلمك ، ونسيت قدرتي وصرت قادرا بقدرتك ، فإن أحببت نفسي فكأني أحبك ، وإن أحببتك فكأني أحب نفسي :

كل من تكون له مرآة اليقين * يكون ناظرا إلى الله وإن كان ناظرا إلى نفسه

أخرج من صفاتك إلا خلقي ، من رآك رآني ، ومن قصدك قصدني ، وعلى هذا المنوال

– ذات صبوح ، قال محبوب لمحبوبه على سبيل الاختبـــــار ، قل لي يا فلان ابن فلان ؛

– هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ، هيـــــا قل لي يا ذا الكرب ؟

– قال : لقد صرت فانيـــــا فيك ، بحيث صرت ممتلئا بك من الرأس إلى القدم ،

– فلم يعد لي من وجودى إلا الاســـــم ، وليس في وجودى إلاك يا حسن الثغر

٢٠٢٥– لقد فنيت بحيث صرت ك " قطرة " من خل ، ذائبا فيك أنت يا بحرا من عسل .

– مثل حجر يصير بأجمعه ياقوتا خالصـــــا ، إذ يمتليء هو بصفات الشمس .

– ولا تبقى فيه صفات الحجـــــر ، ويمتليء بصفات الشمس وجهـــــا وظهـــــرا .

– ومن بعد ذلك إن أحب نفســـــه ، يكون حبه كله للشمس أيها الفتى .

– وإن أحب الشمس بكل كيانه ووجدانــــــه ، يكون حبه لنفســـــه دون " أدنى " شك .

٢٠٣٠– سيـــــان إذن حب ذلك الياقوت الخالص لنفســـــه ، وحبه للشمس .

– وبين هذين الحبين لا فرق هناك يذكـــــر ، فلا يوجد في كلا الجانبين إلا الضيـــــاء " النابع " من المشرق .

- إنه إن لم يصر ياقوتا فهو عدو نفسه ، لا تكون هناك آنية واحدة ، بل آنيتان .

- ذلك أن الحجر ظلماني أعشى في ضوء النهار ، والظلماني في الحقيقة عدو للنور .

- وإنه إن أحب نفسه آنذاك يكون كافرا ، ذلك أنه يكون جاحدا للشمس الكبرى .

٢٠٣٥- ومن ثم لا يليق بالحجر أن يقول أنا ، إنه ظلماني وفي معرض الفناء

- فقد قال فرعون : أنا ربكم الأعلى وصار ذليلا ، وقال ابن منصور : أنا الحق فنجا .

- فإن تلك الـ " أنا " (من فرعون) قد استتبعت لعنة الله ، أما هذه الأنا (من المنصور) فلها رحمة الله أيها المحب .

-ذلك أن فرعون كان حجرا مظلما ، وكان " منصور " عقيقا ، كان ذاك عدوا للنور ، وكان هذا محبا عاشقا .

- إن " أنا " المنصور هي " هو " في باطنها وحقيقتها أيها الفضولي ، إنها من اتحاد النور ، لا من الإعتقاد في الحلول .

٢٠٤٠- فجاهد حتى تقل فيك طبيعة الحجر ، وحتى يصبح حجرك منورا بـ " طبيعة " الياقوت .

- واصبر في الجهاد وفي الفناء ، وشاهد دائما البقاء في الفناء لحظة بعد أخرى .

- وكلما قل فيك وصف الحجرية ، ازداد فيك وصف الياقوتية ثباتا وإحكاما .

- يمضي وصف الوجود عن جسدك الفاني ، ويزداد وصف السكر في رأسك .

- فصــر بأجمعك سمعا وكأنك أذن ، حتى تجد قرطـــــا من حلقة الياقوت .

٢٠٤٥- ومثل حفار الآبـــار ، داوم على إخراج التراب إن كنت إنسـانا ، حتـى تصل إلى الماء من ذلك الجسد الترابي .

- وإن جذبة الحق لو وصلت إلى الماء المعيـن ، لانبثـق البئر مـن الأرض دون حفــــر .

- لكن داوم على العمل ، ولا تعول على هذا الأمر كثيــرا ، وداوم على إخـراج التراب قليلا قليلا من البئر .

- فقد وجد الكنز كل من تجشـــم المشاق ، وكل من جد ، أتاه الجِـد والإقبال .

- فقد قال الرسولﷺ إن الركوع والسجود ، هو دق لحلقة الوجود على باب الحق.

٢٠٥٠- وكل من يقرع حلقة ذلك الباب ، ، يطل له الإقبال برأسه منه .(١)

مجيء ذلك الأمير النمام مع القواد والعسكر في منتصف الليل لفتح حجرة إياز ورؤيتهم للرداء الجلدي والحذاء القديم معلقين ، وظنهم أن ذلك حيلة ومكر وتعمية ،وحفرهم لأرضية الحجرة في كل ركن يعن لهم ، وحفر الحفر ونقب الجدران ، وعدم عثورهم على شيء ، وخجلهم وشعورهم بالخيبة ، كمن ساء ظنهم وتوهموا ما ليس بكائن عن الأنبياء والأوليـــاء ، إذ كانوا يقولـــون أنهم سحرة صنعوا أنفسهم ، وتصوروا عليهم ، وبعد البحث والتفحص يخجلون ويندمون ، حيث لا يجدي الخجل والندم

- لقد انطلق هـؤلاء الأمنـــاء " !!" إلـى بـاب الحجـرة ، طـالبين للكنز والذهـب والجرار المدفونة .

---

(١) ج/١١-٥٨٩:- عد وأعد القول في قصته ، أقصد إيازا ، وماذا جرى من أحواله .

- وبشغف شديد أخذ هؤلاء الأشخاص المعدودون يفتحون القفل ، وبمائتي علم وفن .

- ذلك أن القفل كان صعبا ، وكان لسانه ملتويــا ، كان قد أحسن اختياره .

- ليس بخلا بالفضة والمال والذهب الخالص ، بل من أجل كتم السر عن العوام

٢٠٥٥- " كان يقول لنفسه " : إن جماعــة تطـوف حـول ظـن السـوء ، وجماعـة أخرى تسميني المشعوذ المجتال .

- وصاحب الهمة تكون عنده أسرار الروح ، أكثر حفظ عـن العـوام مـن يـاقوت المنجم .

- والذهب أغلى من الروح عند البلهـــاء ، لكنه عند الملوك فداء الروح .

- كانوا يسرعون بنشاط من حرصهم على الذهب ، ، ومانت عقولهم تقول لهم : إمشوا الهوينـــى .

- إن الحرص يسرع عبثا نحو السراب ، فيقول له العقل : انظر جيدا ، ليس هذا بماء .

٢٠٦٠- ولقد غلب الحرص وصـار الذهـب كـالروح ، واختفت آنـذاك صيحـات العقل المحذرة .

- فصار حرص المرء أضعافا مضاعفة ، واختفت حكمة " عقله" وإشاراتـــه .

- وذلك حتى يسقط في بئر الغرور ، وحينذاك يسمع الملامة من " عقل " الحكمة

- وعندمـا تحطـم كبريـاؤه مـن قيـود الشـراك ، وجـدت النفس اللوامـة السـيطرة عليــــه .

- وما لم تصطدم رأســه بجدار البلاء ، فـإن أذنـه الصمـــاء لا تسمع نصيحـة القلب .

٢٠٦٥- والأطفال من حرصهم على حلوى الجوز والسكر ، يجعلون كلتا الأذنين أصمين عن النصح .

- وعندما تبدأ آلام القروح عند " الطفل " ، تتفتح كلتا أذنيه لسماع النصح .

- ولقد فتحوا الحجرة بحرص وبشغف شديد ، فى تلك اللحظة ، هذا النفر .

- وتقاطروا من الباب متزاحمين ، تقاطر الهوام فى المخيض المتعفن .

- إنها تسقط فيه بعشق واندفــاع ، ولا إمكان للأكل منه ، والجناحان مقيدان

٢٠٧٠- ونظروا إلى اليسار وإلى اليمين ، ووجدوا حذاءً ممزقا وسترة جلدية .

- لكنهم غادوا يقولون : إن هذا المكان لا يخلو من شبهة ، والحذاء لا يوجد هنا إلا من أجل التعميــة .

- هيا هاتوا السفافيد الحادة ، وتحسسوا وجود الحفر والقنوات المغطاة .

- وقاموا بالحفر في كل موضع ، وجدوا فى البحث ، وحفرت الحفر العميقة والآبار .

- كانت الحفر تصيح بهم فى تلك اللحظة " نحن حفر خالية ، أيها الدنسين .

٢٠٧٥- فأخذوا يحسون بالخجل من ذلك التفكير ، وأخذوا يردمون الحفر ثانيــة .

- وأخذوا يحوقلون بينهم وبين أنفسهم كثيرا ، فلقد بقيت طيور طمعهم " محرومة " من الحب .

- ومن تلك الضلالات التى كانت تسوقهم عبثــا ، كان نقب " الجدران " و " كسر " الباب تشى بها .

- فلم يكن فى الإمكان دهان تلك الجدران ، ولا إمكان هناك للإنكار مع إيــاز

– فالجـــــدار وساحـة الحجـرة يشـهدان عليهم ، إن تظـاهروا بـالبراءة بشـكل خادع .(1)

٢٠٨٠– أخذوا يرجعون إلى الملك خجلين صفر الوجـــــوه ، تعلو " وجوههـم غبرة " .

عودة النمامين من حجرة إياز إلى الملك وهم خلاة الوفاض خجلين مثل أولئك الذين أساءوا الظن في حق الأنبياء عليهم السلام عند ظهور براءتهم وطهرهم ، مصداقا لقوله تعالـى (يوم تبيض وجوه وتسود وجـوه) وقوله تعالى (وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)

– قال الملك قاصدا : هـه ؟ ما الأحوال ؟ ما بال آباطكم خالية من الذهب والفضـــــة ؟

– وإن كنتم قد أخفيتم الدنانير والدوانق ، فأين نضرة الفرح في الوجه وعلى الوجنتين ؟

– وإن كان كل جذر مختفيا ، فإن ورق ﴿ سيماهم في وجوههم﴾ يكون أخضر "منبئا عنه " .

– وكل ما امتصــــه ذلك الجسد من سم وشهد ، ينادى به الغصن المرتفع في التو واللحظـــة .

٢٠٨٥– فإذا كان الجذر بلا زاد خاليا من الغذاء ، فما هذه الأوراق الخضراء الموجودة في الغصن ؟

---

(1) ج/ ١١– ٦١٠:– فأى عذر يقدمونه جميعا لاحتيالهم ، حتى ينجوا بأرواحهم من هذه الورطـــة .– وفي النهاية يائسين عاضين على الشفة وبنان الندم ، لاطمين رؤوسهم بأيديهم كالنســـاء ؛

- إنه يضـــع ختما على لسان من أصله من طين ، فتشهد عليه فروعه ، أى يداه وقدمــــاه .

- فانطلق هؤلاء الأمراء جميعــــا معتذرين ، وسجدوا كالظل أمام القمــــر .

- واعتذارا عن هذا الاندفاع والتجديف والهذيان بالأنيــــة ، ذهبوا إلى الملك حاملين الأكفـــان والسيوف .

- كانوا جميعا من الخجل يعضـــون بنان الندم ، وأخذ كل منهم يقول : يا ملك العالم ؛

٢٠٩٠- إن سفكت دمنــــا فهو لك حلال بلال ، وإن عفوت ، فهو إنعام منك علينا ونوال .

- لقد فعلنا ما نحن جديرون بفعله ، والأمر لك أيهــــا الملك المجيد .

- فإن تجاوزت عن جرمنا يا مستنير القلب ، فقد فعل الليل أفعال الليل ، والنهار أفعال النهار .

- وإن عفوت ، فقد وجد القنوط الرجاء والسعة ، وإلا فليكن مائة من أمثالنا فداءً للملك .

- قال الملك : لا ، فإن هذا الحلم أو ذاك العقاب ، لن أفعله أنا ، فهو من حق إيـــاز .

تحويل الملك إلى إياز مسألة قبول توبة النامين ومقتحمي الحجرة أو عقابهم ، بما يعني أن هذه الجناية قد حدثت في حق عرضـــه

٢٠٩٥- إن هذه الخيانة في حقه وفي عرضــــه ، إنها طعنة في عروق ذلك المبارك القدم .

- وبالرغم مـن أننـا - روحـا - نفس واحـدة ، إلا أننـا منفصـلان فيمـا يختـص بظاهر النفع والضر .

- إن اتهام العبد ليس عارا على الملك ، وليست إلا زيادة في حلمه وتحمله .

- وقد يجعل الملك المتهم في غنى قارون ، فما بـالك إذن بمـا يمكـن أن يصنعـه مع البريء !! .

- فلا تظنن الملك غافلا عن فعل أحد ، إنما يمنع حلمه إظهار هذا الفعل فحسب

٢١٠٠- فمن الذى يشفع عنده أمام علمـــــه ، ومـن الـذى لايبـالي " بإحسـان أو إساءة " اللهم إلا حلمه ؟

- إن ذلك الذنب إنما يبـدر " اعتمـادا " علـى حلمـه فـي البدايـــــة ، وإلا فمتـى كانت هيبته تعطي له مجال " الظهور " ؟!

- ودية جرم النفس العاقلة لا تكون إلا على حلمــــه ، وذلك لأن [الديـة علـى العاقلـــــة] .

- ونفوسنا ثملــــة غائبـة عـن الوعـي مـن حلمـــــه ، وقـد اختطـف الشـيطان القلنسوة من فوق رأسها " أى خدعها"في سكرهـــــا.

- وإن لم يكن ساقي الحلم صابا للخمـر ، فمتـى كـان للشيطـــــان أن يجـادل آدم ويعاديـــــه ؟

٢١٠٥- ومن كان آدمﷺ وقت أن وُهب العلم بالنسبة للملائكـــــة ؟ " لقد جعله " أستاذا للعلم ، والنقاد للجواهر .

-لكنه عندما شرب في الجنة خمر الحلم ، صار أصفـر الوجـه مـن لعبـة واحـدة من الشيطـــــان .

- إن تلك الأدوية المقوية (١) من تعليم الودود ، كانت قد جعلته ذكيـــا مـاهرا عالما ؛

- ثم إن أفيـــون حلمه شديد التأثيـــر ، قد جذب اللص صوب متاعـــه .

- فيأتي العقل ناحية حلمـــه مستجيرا قائـــلا : لقد كنت ساقيـــا لي ، فخذ بيــــدى .

قول الملك لإياز : إختر بين العفو والعقاب ، فكل ما تفعله من عدل أو لطف صواب هنا ، وفي كل منها مصالح ، ففي العدل أدرج آلاف من اللطف (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) وإن من يستكره القصاص إنما يأخذ في الحسبان حياة قاتل ، ولا ينظر في مائة ألف حيـاة سوف تعصم وتحقن في حصن الخوف من العقاب

٢١١٠- أحكم على المجرمين يا إياز الطاهـــر ، أحكم باحتراز وحذر شديدين

- وإني وإن كنت قد قمت بتجربتك في العمل مائتي مرة ، فإنني لا أجد في كفك الجلد خطأ واحدا .

- وخلق بلا عد ولا حصـر خجلـون عنـد الامتحــــان ، لكـن كـل أنـواع الامتحـــان خجلة منك أنت .

- فيا له من بحر لا يسبر غوره ، ليس العلم فحسب باللازم له ، ويا له من جبل ومائة جبل .. لا يلزمها الحلم فحسب .

- قال : إنني أعلم أن اللازم هو عطاؤك المحض ، وإلا فأنـا ذلـك الحـذاء القديم وسترة الراعي .

٢١١٥- ومن هنا فإن الرسولﷺ قد شرح هـذا الأمـــــر ، عندمـا قـال : [من عرف نفسه ، فقد عرف ربه] .

---

(١) حرفيا : معجون الجوز المرقش وهو دواء مقوٍّ ومنبه لفاقدى الوعي .

– إن حذاءك هو النطفـــة ، ودمك هو سترة الراعي ، وكل ما تبقى أيها السيد ، هو محض عطائه .

– ولقد أعطى هذه العطية حتى تستزيد منها ، فلا تقل : ليس عنده سوى هذا القذر .

– ومن هنا فإن البستاني يعرض عددا من ثمار التفاح ، حتى تعرف أشجار البستان وما تغله .

– والزارع يعرض كفا من القمح على المشترى ، حتى يعرف " نوعية " القمح الموجود في الأهراء .

٢١٢٠– والأستـــاذ يشرح نقطة واحدة من الموضوع ، حتى تعرف علمه الفياض ، وتستزيد منه .

– وإن قلت إن هذا هو ما عنده فحسب ، فإنه يبعدك عنه ، كما يبعد قشة علقت بلحيته .

– يا إياز تعال الآن واحكم ، وضع في العالم أساس العدل الذى يندر مثاله .

– إن الذين أجرموا في حقك يستحقون القتل ، وإن كانوا طمعا يحومون حول عفوك وحلمك .

– فهل يا ترى تغلب الرحمة أو يغلب الغضب ، وهل يا ترى يغلب ماء الكوثر أو اللهب ؟

٢١٢٥– وكلاهما موجودان من أجل اجتذاب الخلق منذ يوم العهد ، غصن الحلم وغصن الغضب .

– ومن هنا فإن لفظ " ألست " أيها الطالب للتفسير ، نفي وإثبات مقترنان في لفظ واحد .

– ذلك أن هذا الاستفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " ليس " مدرجا فيه .

- ودعك من هذا حتى يظل هذا الموضوع غامضا ، ولا تضع أطباق الخواص على مائدة العوام .

- وهناك قهر ولطف كريح الصبا وريح الوبا ، أحدهما يجذب الحديد ، والآخر يجذب القش .

٢١٣٠- والحق يجذب الصادقين حتى الرشد ، وأصول الباطل تجذب أهل الباطل إليها .

- والمعدة الجديرة بالحلو ، تجذب إليها الحلو ، لكن المعدة المصابة بالصفراء ، تجذب إليها الخل .

- والفراش الدافيء يقضي على برودة الجالس عليه ، والفراش البارد المتجمد يمتص الحرارة .

- وعندما ترى الحبيب تفيض منك الرحمة ، وعندما ترى العدو ، تفور منك السطوة .(١)

- هيا يا إياز أنجز هذا الأمر على وجه السرعة ، فإن الانتظار في حد ذاته نوع من الانتقام .

تعجيل الملك إيازا قائلا : افصل سريعا في الأمر ولا تنتظر ، ولا تقل : لتكن الأيام بيننا ، فالانتظار هو الموت الأحمر ، وجواب إياز على الملك

٢١٣٥- قال : أيها الملك ، إن الأمر كله " يرجع " إليك ، وإن طلعت الشمس ، تفنى النجوم .

---

(١) ج/١١-٦٢٣:- وترى النور فينشر الضياء حوله ، وترى النار ذات الدخان فتزيد الظلمة .- وترى الخصم والرفيق والنور والنار والفخر والعار ، والعرش والمشنقة والبارد والحار والورد والشوك .- والنحلة والحية والسدى واللحمة والخفيض والجهير ، اعتبر كلا منها مجدا مع جنسه .

- ومن تكون الزهرة أو عطـــــــارد أو الشـهاب ، حتـى تطلـع " فـي حضـور " الشمس ؟

- ولو كنت قد تجاوزت عن الاهتمـــــام بالخرقة والسترة ، لما كنت قد زرعـت هكذا بذور الملام .

- وما وضع قفل على باب الحجـرة ، وسـط مائـة مـن الغرمـاء الذيـن يسـرعون خلف خيالاتهم ؟

- لقد مدوا أيديهم داخل جدول المــــــاء ، وكل منهم يبحث عن قطعة جافة مـن المدر .

٢١٤٠- ومتى تكون هناك مدرة جافة فـي قـاع الجـدول ؟ ومتـى تكـون السـمكة عاصيــــة للماء ؟

- ومن قسوتهم يشكون فيّ أنا المسكين ، والوفاء نفسه يخجل من وفائي .

- وإن لم يكن في هذا تحميل مشقة لمن لم يؤذن لهم ، لتحدثت ببضع كلمات عن الوفـــــاء .

- وما دام عالمٌ بأسره باحثا عن الشبهة والإشكال ، فإننا نسوق من الكلام قشـره الخارجي فحسب .

- وينبغـي عليـك أن تحطـم ذاتـك لتصبـح لبــــــا ، وآنــذاك يمكنــك أن تسـمع الحكايات العميقة اللطيفة .

٢١٤٥- وللجوز عندما يكون في قشره ضجة وصخب ، فأين إذن صوت اللـب وصوت الزيت ؟

- إن له صوتا ، لكنه ليس مناسبــــا للأذن ، إن صوته شهد خفي في الأذن .

- وإن لـم يكـن هنـاك للـب صـوت حسـن ، فمتـى يسـمع أحـد خشخشـة أصـوات القشور ؟

- وإنك لتسمع خشخشتها من أجل أن تسطو بصمت على اللب .

- فابق فترة من الوقت دون أذن ودون شفـــة ، وآنذاك تصبح شـفتاك قرينتيـن لشهده .

٢١٥٠- لقد قلت كثيرا من النظم والنثـــر على الملأ ، فجرب ولـو لمدة يـوم واحد أن تكون أخرس .

حكاية في بيان هذا الكلام : إنك قد جربت الكلام كثيرا فلتجرب الصبر والصمت فتـــرة

- لقـد طبخت كـثيرا من المن الحـريف والمملح ، فجـرب هذه المــرة طـــبخ " المن" الحلو .(١)

- وإن أحدهم لينتبهن يوم القيامة ، فيرى أن كتاب العصيـــان الأسود في كفه .

- وهـو مسـود الفاتحـة كخطابـات التعزيــــة ، ومليء بالمعـاصي فـي المتـن والحواشي .

- ولقد كان كله فسقا ومعصية ، كان كدار الحرب مليئا بالكفر .

٢١٥٥- ومثل ذلك الكتاب الدنس المليء بالوبال ، لا يأتى في اليمين بل يأتي في الشمال .

- فانظر بنفسك إلى كتابك وأنت لا زلت هنا ، هـل هـو جدير بالشـمال أو خليـق باليمين .

- والنعل الأيمن والنعل الأيسر كلاهما موجود في الحـانوت ، ونعرفهمـا قبـل أن تقوم بتجربتهما .

---

(١) ج/١١-٦٣٢:- وكم أكلت الدسم والحلو من الطعام ، فاختبر نفسك عدة أيـــام بالصيـــام .- ولليال طوال صرت أسيرا للنوم ، فقم ليلة واحدة ، واحصل على الإقبـــال .- ولقد قضيت أياما طويلة في الهزل والهذر ، فامض لأيـــام قليلة ، وكن مستعدا للجهد والعمل .

- وإن لم تكن يمينـــا ، فـاعلم أنـك شـمال ، وكلاهمـا ظـاهر ، زئـير الأسـد ، وصوت القرد .

- وذلك الذى جعل الورد جميلا طيب الرائحة ، يستطيع فضله أن يجعل الشمال يمينا .

٢١٦٠- وهو الذى يعطي لكل شمال يمينـــا ، وهو الذى يسير الماء المعين في البحر .

- فإذا كنت شمالا ، كن يمينا مع حضرته ، حتى ترى مكاسب ألطافـــه .

- وإنك لتجيز أن ينتقل هذا الكتاب المهين ، من الشمال ليستقر في اليمين .

- ومثل هذا الكتاب المليء بالظلم والجفاء ، متى يكون في حد ذاته لائقـــا باليمين ؟

في بيان الإنسان الذى يقول كلاما لا يناسب حاله أو دعواه ، مثل الكفرة (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وهم يقدسون الأوثان ويضحون من أجلها بالأرواح والأموال ، فأى تناسب بين هذا وبين الروح التي تعلم أن خالق السموات والأرض إله سميع بصير حاضر مراقب مستول غيور .... إلى آخـــــره

- كان لأحد الزهاد زوجـــة شديدة الغيـــرة ، كما كان عنده جارية حسناء كأنها من الحور .(١)

٢١٧٥-- كانت الزوجة من " شدة" غيرتها لا تفتأ تراقب زوجها ، ولم تترك له فرصة يختلى فيها بالجارية .

- وظلت المرأة في مراقبتها فترة من الوقت ، حتى لا تعن لهما فرصة الخلوة كل بالآخـــر .

---

(١) ج/ ١١- ٦٣٥:- كان للمرأة جارية قمرية الوجه ، أضرمت نار " عشقها " في قلب الزاهد .

- حتى حل حكم الإلـــــه وتقديره ، فضل عقل الحارس وفسد .

- ومـاذا يكـون العقـل عندمـا يحـل حكمـه وتقديـره ، وإن القمـر نفسـه ليصـــاب بالخسوف .

- كانت تلك المرأة في الحمام ، وفجأة تذكرت الطست ، وكان في المنزل .

٢١٧٠- فقالت للجارية : هيا ، اذهبى في سرعة الطير ، وهاتي الطست الفضـــي من منزلنا .

- فأحست تلك الجارية بالحياة " تدب فيها " عندما سمعت هـذا القـول ، فسـوف يتم الوصال بينها وبين سيدها وشيكا .

- كان السيد وحيدا في المنزل في ذلك الوقت ، فأسرعت نحو المـنزل وهـي فـي شدة الفرح .

- ولقد كانت الجارية تشتهي منذ سنوات سـت ، أن تجـد السـيد فـي خلـوة كهـذى الخلوة .

- فطارت طيرانا وأسرعت نحو الدار ، ووجدت السـيد فـي خلوتـه " قابعـا " فـي الدار .

٢١٧٥- ولقد اختطفت الشهوة العاشقين معـــــا ، بحيث إنهما لم يحتاطا ، ولـم يغلقــــا الباب .

- وامتزجا ، وتعانقا ، واشتبكا من السرور ، واتصلـت الـروح بـالروح فـي تلـك اللحظة من الامتزاج .

- وفي تلك اللحظة تذكرت الزوجة وقـالت لنفسـها : ويلـي ، كيـف أرسـلتها إلـى الدار والمستقر ؟!

- لقد وضعت بنفسي القطن إلى جوار النار ، وألقيت بالكبش الفحل وسط النعاج

- وأزاحت حجر الطّفل غاسلة رأسها ، وأسرعت مسلوبة الروح في أثرها ، وهي تجرجر ملاءتها .

٢١٨٠- لقد كانت الجارية تسرع من أجل عشق الزوح ، وأسرعت هذه خوفا ، وأين العشق من الخوف ؟! إن بينهما فرقـــا عظيمـــا .

- وسير العارف في كل لحظة يكون إلى عرش المليك ، وسير الزاهد في كل شهر طريق يوم واحد .

- ومهمـــا كان رزق الزاهد عظيمـــا ، فمتى كان يومه بخمسين ألفا ؟

- لكن قدر كل يوم من عمر العارف ، يساوى خمسين ألف سنة من سنين الدنيـــا .

- والعقول خارج باب هذا الســـر ، وإن تمزقت جرأة الوهم ، فقل لها : تمزقـــي .

٢١٨٥- والخوف لا يساوى مقدار شعرة إلى جوار العشق ، وكلهـــم ضحايا في مذهب العشق .

- إن العشق هو وصف للـــه ، أما الخوف ، فهو وصف للعبد المبتلى بالفرج والجوف .

- وما دمت قد قرأت من القرآن ﴿ يحبونه﴾ ، فقد قرأت معها ﴿ يحبهم﴾ في نفس الموضع .

- فاعلم إذن أن المحبة هي وصف للحق والعشق أيضـــا ، ولا يوصف الله تعالى بالخوف أيها العزيـــز .

- وأين صفة الحق من صفة حفنـــة من التراب ؟ وأين وصف الحادث من وصف الطاهر ؟

٢١٩٠- ولولا أنى تحدثت في العشق على الدوام ، لمرت مائة قيامـــــة وهو غير تام .

- ذلك أن تاريخ القيامة محدود بزمـــــان ، وأين يكون الحد ، حين يكون وصف الإلـــه ؟

- وإن للعشق خمسمائـــة جناح ، وكل جناح ، يمتد من فوق العرش حتى طباق الثرى .

- والزاهد يســـرع على قدمــــه بخوف ، والعشاق أكثر تحليقـــا من البرق والهواء .

- ومتى يصـــل أولئك الخائفون إلى غبار العشق ؟ وألم العشق يجعل السماء أرضـــا .

٢١٩٥- اللهم إلا أن تـأتي عنايات الضيـــاء ، قائلة : تحرر من الدنيا ومن سيرها .

- وتخلص ثانيـــة من أوهامك ورؤاك ، فإن ذلك الصقر الملكي قد وجد الطريق إلى المليك .

- إن هذا الوهم وتلك الرؤية جبر واختيــــار ، ومن وراءيهما معا ، هناك جذب الحبيب .

- وعندما وصلت تلك المرأة إلى المنزل ، فتحت الباب ، ووصل إلى سمعيهما معا صرير فتحه .

- فانفلتت الجارية مضطربة من الالتحـــام ، وقفز الرجل ، ودخل في الصــــلاة .

٢٢٠٠- ورأت المرأة جاريتها مشعثة الشعر مضطربة مرتبكة ذاهلـــــة ؛

- ورأت زوجها قائمــــا في الصـــــلاة ، فارتابت المرأة من تلك الهزة .

– ورفعت طـرف ثـوب زوجهـا بـلا حـذر ، فرأتهـا ملوثـة بـالمني ، الخصيتيـن والذكر .

– كانت بقية المني تقطر من الذكـــــر ، وقد تلوث منها فخذه وركبته .

– فصفعتـه المـرأة فـوق رأسـه قائلـة : أيهـا الحقـير ، أهكـذا تكـون خصيـــــة المصلي ؟

٢٢٠٥– وهل يليق بالصلاة والذكْـــــر هذا الذّكـــــر ؟! ومثل هذا الفخذ وهـذه العانة الملوثتين بالقذَر ؟

– والكتاب المليء بالظلم والفسق والكفر والحقـــــد ، أيكون لائقـــا بـاليمين ؟ أنصف ، واصدقني القول.

– وإنـك إن سـألت المجوسـي : مـن خـالق هـذه السمــــاء ، وهـذا الخلـق وهـذه الدنيـــا ؟

– ليقولن : خلقها الله ، وإن صنعه دليلٌ على ألوهيتـــه .

– فهل يكون كفره وفسقـــه وظلمه البين أمورا لائقة بإقراره هـــــذا ؟

٢٢١٠– وهل تليق بمثل هذا الإقرار الصادق تلك الفضائح وتلك الأفعال القبيحة ؟

– وإن فعله هذا قد كذب هذا القـــــول ، حتـى صـار مسـتحقا للعـذاب البئيـس ذى الهول .

– ففي يوم الحشر يظهر كل خفي ، وكل مجرم ، تقوم بفضحه نفســـه .

– فاليد والقدم تشهدان ببيان وحديث ، على فساده أمام المستعـــــان .

– تقول اليد : هكذا سرقت ، وتقول الشفة : هكذا قبلت .(١)

---

(١) في نسخة نيكلسون "سألت" وتبعتها بقية النسخ ، والبيت لا يوجد في نسخة قونيه ، والشطرة هنا مترجمة عن نسخة جعفرى " ٦٤٢/١١" .

٢٢١٥- وتقول القـــــدم : وأنـا مشيت حتـى مِنـــــــى ، فيرد الفـرج : وأنـا ارتكبت فاحشـــــة الزنـــــا .

- وتقول العين ، لقد نظرت نظرة إلى حرام ، وتقول الأذن : وأنـا اسـتمعت إلـى النميمة .

- فيكون كاذبا من قمة رأســـه إلـى أخمـص قدميـــــه ، إذ قـام بتكذيبـه حتـى أعضـــاء بدنه .

- مثـل ذلـك الـذى أثنـاء الصـلاة التـي تهـب الضيـاء ، صـار مفتضحـــــا مـن خصيتيــــــه .

- فقم إذن بذلك الفعل الذى يكون بلا لسان ، شهادة لك ، وعين البيـــــان .

٢٢٢٠- فجسدك كله ، وبأعضـائه عضـوا عضـوا يـا بنـي ، يكـون قـائلا : إننـي أشهد في النفع والضر.

- وسير العبد خلف السيــــد دليـلٌ علـى أنـه محكوم ، وأن هـذا " السـيد " هـو مولاه .

- وإذا كنت قد سودت كتاب عمرك ، فتب عما قد فعلت من قبل .

- وإذا كان العمر قد مر ، فارو جذره إن كان قد جف ، بماء التوبة على الفور .

- ولترو ذلك الجذر بمـــاء الحيـــاة ، حتـى تصبـح شـجرة عمـرك ذات أوراق وثمــــار .

٢٢٢٥- فيصير كل ما مضى على ذلك النسق حسنا طيبـــا ، والذى كان سما ، يصبح بهذا سكـــرا .

- ويقوم الحق بتبديل سيئاتك ، بحيث يتحول كل ما سبق منك " مـن ذنـب " إلـى طاعـــــة .

- فيا أيها السيد ، طف جيدا حول التوبـــــة النصوح ، وجاهد سواءً بالجسد وسواء بالروح .

- واستمع مني إلى بيان هذه التوبـــــة النصوح ، وإن كنت قد ملت إليها ، فمل من جديد .

حكاية في بيـــان التوبة النصوح التي تشبه اللبن الذي يخرج من الثدي ولا يعود إليه ثانيـــة .. فكل من تاب توبة نصوحا لا يذكر ذنبه أبدا فيميل إليـه ، بل يزداد كرها له كل لحظـــة ، وتلك الكراهية دليل على أنه قد وجد لذة القبول ، وأن تلك الشهوة الأولى قد صارت بلا لذة ، وحلت هذه اللذة محـــل تلك اللذة كما قيـــل :

لايقضي على العشق إلا عشق آخـــر * فلماذا لا تتخذ رفيقـــا أفضل

وذلك الذي يميل قلبه إلى ذلك الذنب مرة أخرى ، يكون دليلا على أنه لم يجـــد القبول ، ولم تحل لذة القبـــول محل لذة الذنب ، ولم تكن من نصيبه (سنيسره لليســـرى) وبقيت عليه لذة (سنيســـره للعســـرى)

- كان هناك فيما مضـــى رجل يسمى نصـــوح ، تيسر له الرزق من القيام بتدليك النســـاء .

٢٢٣٠- كان وجهه كوجـــوه النســـاء ، وكان " بالطبع " يخفي كونه رجـــلا .

- لقد كان دلاكا في حمام النســـاء ، ولم يكن في المكر والحيلة ، بالذي يشق له غبار .

- وظل لسنوات يقوم بهذا العمـــل ،دون أن يفهم أحد حقيقة هوســـه وسره .

- وذلك لأن صوته ووجهه كانا " كما يكونان " عند النســـاء، لكن شهوته كانت كاملـــة يقظـــة .

- لقد لبس الملاءة والطراحـــة وتنقب بالنقـــاب ، لكنه كان رجلا شهوانيـــا في شرخ الشباب .

٢٢٣٥–وعلىهذا النحو ، ظل ذلك الشهواني المحب ، يقوم بتدليك بنات السادة جيـــــدا .

– كان يتوب مرات، وينسحب " من هذا العمل " ، لكن النفس الكافرة كانت تمزق توبته .

– فذهب ذلك القبيح الفعال إلى أحد العارفين ، وقال له : اذكرنــــا في دعائك.

– وعرف ســـره ذلك الرجل الحر ، لكنه لم يظهره لـــه ، وكأنه حلــم الله .

– فعلى فمه قفل ، وفي القلب أســـرار ، والشفة صامتـــة ، والقلب ملـيء بالضجيج .

٢٢٤٠– فالعارفـــون الذين شربـــوا من كأس الحق ، عرفوا الأســـرار ، لكنهم قاموا بإخفائها وسترها .

– وكل من قاموا بتعليـــمه أسرار الأمـــور ، ختموا على فيـــه ، وخاطوه " على ما فيه " .

– فتبســـم ضاحكا ، وقال له : يا سيء الأصـــل ، تاب الله عليك مما تعلمـــه .

في بيان أن دعاء العارف الواصل ، وطلبه من الحق ، مثل طلب الحق من نفسه مصداقا لـ [كنت له سمعا وبصـــرا ولسانا ويدا] وقوله (وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمـى) والآيات والأخبار في هذا كثيرة ، وشرح تهيئة الحق للسبب ، حتى يأخذ بأذن المجـرم جارا إيـاه إلى التوبـــة النصـــوح .

– لقد نفذ هذا الدعـــاء من السموات السبـــع ، فانصلح أمـــر هذا المسكين آخـــرا .

– فهو دعاء الشيخ ، وليس مثل كل دعـــاء ، إنه فان ، وقوله هو قول اللـــه .

٢٢٤٥- وعندما يســـأل الله نفســـه ويطلب منهـــا ، كيف يـرد إذن دعـــاء نفســـه ؟!

- ولقد هيأ صنع ذى الجـــلال سببـــا ، حتى يخلصـــه من اللعنـة ومـن الوبـــال .

- كان يملأ الطست في ذلك الحمام ، عندمـــا ضاعت جوهرة من بنت الملك

- وفقدت جوهـرة من قرطها وهو في أذنها ، وأخذت كل امرأة في البحث والتفحص .

- ثم أحكموا رتاج باب الحمام ، لكي يبحثوا في البداية بين طيات الملابس .

٢٢٥٠- وبحثوا في كل الملابس ولم يجدوها ، ولم يكتشف ســـارق الجوهرة

- وجدوا في البحث وكيفما اتفق ، أخذوا في البحث في الأفواه والآذان وفي كل شق .

- في كل شق ، أسفل وأعلى ، وفي كل ناحية ، أخذوا يفتشون عن الدرة الغاليـة الثمينـــة .

- وتعالى هتاف بأن يخلعن جميعـــا ملابسهن ، كل من كانت عجوزا أو شابة

- وأخذت الحاجبة في تفتيشـهن الواحدة بعد الأخرى ، لتجد الجوهرة الغاليـة الثمينـــة .

٢٢٥٥- وانتحى نصـوح ركـنا من الخـوف ، شاحب الوجه أزرق الشفـــة ، " خشية افتضاح أمره" .

- كان يرى الموت ماثـــلا أمام عينيـــه ، فأخذ يســـير وهو يرتعد كأوراق " الصفصاف " .

- وقال : يا رب ، لقد نكصت مرات عديدة عن التوبـــة وحنثت بالعهـــد .

-ولقد ارتكبت يا إلهي ما كنت أهلا له ، حتى يحل بي مثـــــل هذا السيـــــل الأسود .

- وإذا وصلت نوبـــــة البحث إليّ ، ويلي ، أية مصائب سوف تحيق بـــــي .

٢٢٦٠-لقد اندلع في كبــدى لهيب شديــــــد ، فانظر في مناجاتي إلى لهيب كبـــــدى .

- فلا أصاب كـافرا مثل هذا الغــــــم ، ولقد تعلقت بطرف رداء الرحمة ، فالغياث .. الغياث .

- و ليت أمي لم تلدنـــــــــي ، أو ليت ليثـــا افترسني في الأجــــــم .

- فـافعل أنت يا إلهي مـا أنـت أهل لـــــــه ، فمن كل حجر تقوم حيـــــة بلدغــــــي .

- وإن لي روحا ثقيلـــــة وقلبـــــا حديديـــــا ، وإلا لصـارا دما ، في هذه الشدة والضراعـــــة .

٢٢٦٥- والوقت ضيق أمامي ، وأمامي لحظـــــة واحـدة ، فزاول ملوكيتك ، وأدركني .. أيها الإلـــــه .

- ولو أنك سترتني هـــذه المرة ، لتبت عن كل ما لا ينبغـــــي فعلـــــه .

- فاقبـــــل توبتي هذه المرة أيضـــــا ، حتى أعقد مائة حـزام " جهدا " في التوبة .

- وإن قصرت وأذنبت ونكصت هذه المرة ، فلا تسـمع من بعدهـا منـى قـولا أو دعاء .

- وهكذا أخذ يتضرع ودموعـه تسيـــــل ، قـائلا لنفســـــه : لقد سقطت في أيدى الشرطة والجلادين .

٢٢٧٠- فلا مات أحد - حتى من الفرنجة - هذه الميتـــــة ، ولا اضطـــــر ملحد قط إلى هذا التضرع والأنين .

- وأخذ ينوح على عمـــره وهو يرى وجـــه عزرائيـــل يقترب منـــه

- فأخذ يردد : يا ألله .. يا ألله..ويكرر هاكثيرا، بحيث جارته في دعائه الأبواب والجدران .

- وأثنـــاء ندائه المستمر للعتبات الإلهيـــة ، ارتفع صوت من بين التفتيش والبحث .

وصول الدور في التفتيش إلى نصوح ، ونداء : لقد فتشنا الجميع ففتشوا نصوح أيضا ، وفقدان نصوح الوعي خوفا ، وانفراج حالـــه بعد نهاية الشدة ، مصداقا لقول النبي ﷺ إذا أصابه مرض أوهم : [اشتدي أزمة تنفرجــــــــــي]

- " وقال الصوت " : لقد فتشنـــا الجميع ، فتقدم يا نصـــوح ، ففقد الوعـي على الفور ، وطارت روحه شعاعا .

٢٢٧٥- وسقط كأنـــه جدار مهدم ، وضـاع وعيـــه وعقلـه ، وصـار كالجمـــاد .

- وعندما غادر وعيـــه جسده ، اتصـــل سره بالحق في تلك اللحظـــة

- وعندما صار فارغا ، ولم يبق لـــه وجود ، استدعى ذو الجلال بـازى روحه إليـــه .

- وعندما تحطمت سفينتـــه وباءت بالخذلان ، سقطت من البحر على شاطيء الرحمة .

- ولقـد اتصلـت روحـه بـالحق عندمـا فقـد الوعـــــي ، وجاشـت أمـواج الرحمـــة في تلك اللحظـــة .

٢٢٨٠-وعندما نجت روحـــه من عار الجســـد ، مضت فرحـــة سعيدة نحو أصلهـــا .

–فالروح كالبازى ، والجسد بالنسبة لها كالنير والطوق الثقيـــــل ، يكون منه مقيد القدم ، كسير الجنـــاح ، عبـــدا ذليــــلا .

– وعندما ذهب الوعي عنه ، وفك القيـــد من قدمـــــه ، يطيــــر ذلك البازى صوب السلطان .

– وعندمـــا جاشت بحار الرحمــــة ، شربت حتى الحجارة مــــاء الحيــــوان.

–وصـــارت الذرة الضئيلـــة عظيمة فخمــة ، وصـــار الأديم الترابي ، أطلس مطرزا بالذهب .

٢٢٨٥– وخــــرج من قبره ذلك الرجل من بعد مائــــة عـام ، وصـار الشيطان الملعون يزرى في حسنــه بالحــــور .

– وصـــار كل وجــه الأرض أخضـــر يانعـــا ، وأنبت الخشب اليابس البراعم ، وصــار نضـــرا لطيفـــا .

– وصار الذئب جليســـا للشاة في مجلس الصـــراح ، وصار القانطون متهللين مقبلين .

العثـــور على الجوهـــرة واعتذار صاحبات الأميرة وجواريها لنصوح

– ومن بعد ذلك الخوف الذى كان هلاكـــا للروح ، وصلت البشارات صائحة : هاكِ الذى فقد منك .

– ووصل " هتاف " الهاتف فجأة أن : رُ فـــع الخوف ، لقد تم العثور علـى تلك الدرة اليتيمة الضائعـــة .

٢٢٩٠– لقد وُجدت ، وها نحن قد تقلبنـا في السرور ، بشروا الجميع ، فقد وجدنا الجوهـــرة .

– ومن الصيـــاح والتهليل والتصفيق ، امتلأ الحمام ، فقد زال الحزن .

- وذلك " النصوح " الذى كان قد غاب " عن نفسه " عاد إلى وعيــــه ، ووجدت عينه نور مائة نهار أمامه .

- وأخذت كل منهن تعتذر له وتطلب منه السماح ، وأخذن في إمطــــار يديه بالقبل .

- قائلات : لقد أسأنا بك الظن فسامحينـــــا ، وأكلنا لحمك بالقيل والقال .

٢٢٩٥- ذلك أن أكثر ظن جميعهن كان فيه ، إذ كان مقربا من " الأميرة " عن الجميـــــع .

- لقد كان نصوح دلاكها الخاص وموضع سرهــــا ، بل كانا كروح واحدة في جسدين .

- فإذا كانت الجوهرة قد سرقت ، فهو الذى سرقها فحسب ، فلم يكن هناك من هو ألصق بالسيدة منه .

- لقد كانت عندما قامت الضجة تريد تفتيشه أولا ، لكنها أخرت تفتيشه لاحترامها " لــــه " .

- فربمـــــا يلقي بها في مكان مـــــا ، وليخلص نفسه في هذه المهلة التي أعطيت له .

٢٣٠٠- فأخذن يطلبن منه العذر والسماح ، ونهضن جميعهن معتذرات لـــــه .

- فقال : إنه من فضل اللـــــه العادل ، وإلا فإنني أسوأ بكثيـــــر مما قيل فيّ .

- وأى عفو وسماح ينبغي أن يطلب مني ، وأنا أكثر أهل العصـــــر إجرامــــا .

- إن ما قلتنه عني من الســــوء ، واحد في المائة " مما أنا عليه" ، وعلى كشف هذا الأمر وتفسيره إن شك في صحته أحد .

- فما الذى يعلمه عني أحد إلا القليل ، ويعرف من آلاف الجرائم والقبائح جرما واحدا .

٢٣٠٥- إنني أعلم جرائمي وقبح فعالي ، كذلك يعلمها ذلك الذى ستـــــر عليّ

- لقد كان إبليس أستاذا لي من البدايـــــة ، ثم صار إبليس إلى جوارى مجرد هبــــاء .

- ولقد رأى الحق كل هذا وتغاضى عنـــه ، حتى لا أصير من الفضيحـــة مصفر الوجه .

- ثم إن الرحمة أخذت ترتق ما " تمزق " من ردائـي ، وجعلت التوبـة الحلوة كالروح رزقـــا لي .

- وجعلنـي حـرا كـأنني شجرة سرو أو سوسـن ، وجعلنـي سعيدا كـأنني الحـظ والإقبـــال .

٢٣١٠- وكل ما ارتكبته واقترفته اعتبرني لم أفعله ، وما لم أقم به مـن طاعـة ، اعتبرني قد قمت بـــه .

- وكتب اسـمي فـي سجل الأطهـار الأبـرار ، وكنـت مـن أهـل الجحيـم فوهبنـي الجنـــة .

- وقد تأوهت فصـــــارت آهتي كأنها الحبل المتين ، صارت حبلا مد من أجلي داخل البئـــر .

- فأمسكت بذلك الحبل وخرجت من بـئر " المعصيـــــة " ، سعيدا سمينــــا متوردا .

٢٣١٥- كنـت مقيمـا فـي قعـر البـئر مسكينا فـاقد الحيلـــــة ، والآن أصبحـت بحيث لا يسعني العالم كله .(١)

---

(١) ج/ ١٢-١١٢: - فلتكن أنواع الثنــــاء لك يا رب ، فقد خلصتني فجــأة من الحزن .

- فلو أن طرف كل شعرة مني تجد لسانا ، لا تتأتى أنواع شكرك في بيـــان

- وها أنا أصيح في هذه الروضـــة وهذه العيون ، هاتفا في الخلق (يا ليت قومي يعلمـــون) .

استدعاء الأميرة لنصوح لتدليكها بعد ثبات التوبة وقبولها " من الله " وتعللـــه ورفضـــه

- ثم أتاه من بعدها أحدهم قائلا : إن أميرتنا تدعوك راجية إيـــاك ؛

- إن الأميرة تدعوك قائلـــة : تعالي ، هيـــا ، واغسلي رأسي أيتها التقيـــة .

٢٣٢٠- فهي لا ترغب في أحد سواك لتدليكها ، ثم غسل شعرها بحجر الطّفل .

- فقال له : إليك عني ، وامض ، فقد كلت يدى من العمل ، وهذا النصوح قد مرض الآن .

- واذهب وابحث عن سواى سريعـــا ، فأنا والله قد كلت يدى من العمل .

- وقال لنفســـه : لقد جاوز الجرم الحد ، فمتى يمضي عن قلبي ذلك الخوف والحزن ؟

- لقد مت مـــرة ، ثم عدت ، ولقد تذوقت مرارة الموت والعدم .

٢٣٢٥- ولقد تبت توبة حقيقية إلى الله تعالى ، ولا أعود عنها حتى تغادر روحي بدني .

- ومن بعد هذه المحنة ، من الذى يمضي ثانية صوب المحنة اللهم إلا إذا كان حمارا .

حكاية في بيان أن الذي يتوب ويندم ، ثم ينسى ندمه ، ويجرب المجرب يقع في خسـارة الأبد إذ لايصل إلى توبتـه مدد من الثبات والقـوة والحلاوة والقبول ، تكون كشجرة بلا أصل تزداد اصفرارا وتيبسا والعياذ باللـه

- كـان هنـاك أحـد القصـارين ، وكـان لديـه حمـار جريـح الظهـر خـاوى البطـن هزيـل .

- كان يقضي يومه حتى الليل بين الصخور الخالية من العشب بلا زاد ولا ملاذ

- ولم يكن هناك من طعام إلا المـاء ، وكان الحمار فيـه ليل نهار كـالأعمى والتائـه .

٣٣٣٠- وكانت هناك في تلك الأنحاء غابة وأجمـة ، وكان فيها أسد عملـه الصيـد .

- ووقعت معركة بين ذلـك الأسـد وبيـن فيـل مفـترس ، فجـرح الأسـد ، وعجز عن الصيد .

- وظل فترة عاجزا عن الصيد من الضعف ، فظلت الوحوش من حوله بـلا زاد تتبلغ به .

- ذلك أن كل ما كان يتبقي من الأسـد ، يكـون مـن أجلهـا ، وعندمـا مـرض الأسد ، ضاق به الحال .

- فأمر الأسد أحد الثعالب قائلا : امض ، وصد من أجلي حمـارا .

٣٣٣٥- فإذا وجدت حمارا بين المروج ، فـاذهب ، واحتـل عليـه بحلـو الكـلام ، واخدعه ، وأحضره إلي .

- وعندما أسترد قوتي من لحم الحمار ، أصيـد حينذاك صيـدا آخـر

- فآكل منه القليل ويكون باقيه لكم ، فأنا بالنسبة لكم ، سبب من أسباب الرزق .

– فابحث لي عن حمار أو عن بقـــــرة ، واستخدم شـيئا مـن تلـك الخـدع التـي تجيدها .

– وبكلامك المنمق وألفاظك الحلـــوة ، اسلبه عقله ، واسحبه إلى هذا المكان .

تشبيه القطب العارف الواصـــل في إعطاء الخلق الرزق من قوت المغفرة والرحمة على المراتب التي يلهمه الحق إياهـــا وتمثيله بالأسد الذى تكون الوحوش آكلة من قوتـــه ومن بقاياه على مراتب قربهم من الأسـد ، ليس القرب المكاني بل قرب الصفـــــة ، وتفاصيل هذا كثيرة ، واللـــه الهـــادى

٢٣٤٠– إن القطب هو الأسد وعمله الصيـــــد ، وبقية الخلق من أكلة بقايـــاه .

– فجاهد ما استطعت في رضـــا القطب ، حتى يقوى ويقوم بصيد الوحوش .

– ثم إنه عندما يتعب يظـــل الخلـق بـلا زاد ، وذلـك لأن رزق الخلـق بأجمعـه يكون من كف العقل .

– ولأن وُجد الخلق يكون من باقي طعامـــــه ، فاحفظ هذا ، إن كان قلبك باحثـا عن الصيـــــد .

– إنه كالعقل ، والخلق كأعضـــاء الجسد ، وتدبير البدن منوط بالعقل .

٢٣٤٥– وضعف القطب يكون من الجسد لا من الروح ، إن الضعف يكـون فـي السفينة ، لا في نوح عليه السلام .

– والقطـب هـو ذلـك الـذى يكـون طوافـه حـول نفســـــه ، بينمـا يكـون دوران الأفلاك حوله هـــو .

– فساعده إذن في مرمة سفينتـــــه ، إن صرت من خاصة غلمانه ومن عبيده .

– فإنك بعونك هذا تربو ولا يربو هـــــو ، لقد قـال الحـق ﴿ إن تنصـروا اللـه﴾ فإنكم تنصـــــروا .

- وقم بالصيد كالثعلب ، واجعل " صيدك " فداءً له ، حتى تأخذ عوضا عنه آلاف الفرائس .

٢٣٥٠- فإن صيد المريد يكون كصيد الثعالب ، لكن الضبع الضخم لا يصيد إلا الميتة .

- وإنك لتجرن الميت إليه فيصير حيا ، والقمامة في المزرعة تقوم بإنبات النبات .

- وقال الثعلب للأسد : السمع والطاعة ، إنني سوف أحتال عليه حتى أسلبه عقله .

- فإن الاحتيال وتنميق الكلام هما عملي ، عملي هو الخداع بالقصص والحكايات ، والإضلال .

- ونزل مسرعا من قمة الجبل إلى جانب الجدول ، فوجد ذلك الحمار المسكين الهزيل .

٢٣٥٥- فألقى السلام عليه بحرارة وتقدم منه ، وذهب إلى ذلك الساذج الغفل الفقير .

- وقال له : كيف أنت في هذه الصحراء القاحلة ، بين الحجارة وفي هذا المكان الموحش ؟

- فقال الحمار : سواء كنت في حزن أو في إرم ، فهكذا قسم لي الحق ، وأنا شاكر له .

- إنني أشكر الحبيب في الخير وفي الشر ، فهناك في القضاء ما هو أسوأ من السوء .

- وما دام هو القسام فالشكوى كفر ، إذ ينبغي الصبر ، والصبر مفتاح العطاء .(١)

٢٣٦٠- وكل من هم غير الحق أعداء وهو الحبيب ، ومتى تكون الشكوى من الحبيب مستحبة أمام العدو ؟

- وإن أعطاني المخيض فلن أطلب العسل ، وذلك أن كل نعمة مقرونة بغم .(٢)

حكاية رؤية حمار الحطاب النعم التي فيها الخيول العربية الأصيلة في الإصطبل الخاص وتمنيه لذلك الإقبال ، وفي الموعظة أنه لا ينبغي التمني إلا في المغفرة والعناية ، فلو كنت في مائة شقاء وظفرت بلذة المغفرة تكون كلها حلوة ، أما فيما تبقى ، فكل حظ تتمناه بلا تجربة فهو قرين لشقاء لا تراه ، بحيث لا يظهر من كل فخ إلا الحب والفخ خفي وأنت في هذا الفخ تتمنى قائلا : ليتني أمضي إلى هذا الحب ، ظانا أنها حبوب بلا فخ

(٣)

---

(١) ج/ ١٢-١١٩:- ثم قال : الصبر مفتاح الفرج ، ومتى يحيق بالصابرين الجور والحرج ؟ - إنني راض بقسمة القسام ، فهو إله الخواص ومن هم من العوام .- والخواص والعوام ذوو نصيب من نعمته ، وهو الذى يوصل الرزق للوحوش والهوام .- والطيور والأسماك كلها تأكل رزقها ، والنمل والحيات كلها تأكل من نعمته - ومائدته ممتدة للعالم بأجمعه ، وعلى مائدته يكون الخلائق في دهشة شديدة .- إنهم يأكلون ولا يقل شيء منها قط ، فدلني من ذلك الذى يكون بلا رزق في هذه الدنيا ؟! - فكن راضيا إن كنت ذا قلب حي ، فإنه هو الذى يوصل الرزق لكل عبد .

(٢) ج/ ١٢- ١١٩:- فاشكر حتى لا يأتينك ما هو أسوأ من السوء ، وإلا عجزت على حين غرة كحمار في وحل .

(٣) ج/١٢-١٢٤:- أتذكر حكاية عن أبي ، إذ قال لي ذات يوم ناصحا . ورغم أن العنوان ينص على حمار الحطاب فالحمار في النص لسقاء ، ولعل مولانا كان قد وقف عند عنوان الحكاية ثم عاد إليه بعد فترة . وعلى كل فهذا لا يغير شيئا من لب الموضوع .

– كان هناك أحد السقائين ، وكان عنـده حمـار ، صـار منحنيا مـن المحـن كأنـه القوس .

– كان في ظهره مائة جرح من الحمل الثقيل ، وكان يتمنى يوم موته عاشقا له .

– فـأين منـه الشـعير وهـو لا يشبع مـن القش اليـابس ، وفـي أعقابـه الضـرب والمنخاس الحديدى .

٢٣٦٥– ورآه أمير الإصطبل وأشفق عليـــــه ، فقد كـان الرجل مـن معـارف صاحب الحمار .

– فسلم عليـه ، وسـأله عـن الحـال ، ومـن أى شـيء صـار هـذا الحمـار منحنيـا كحرف الدال .

– فأجاب : من فقرى وتقصيرى في حقـــــه ، فإن هذا الحيوان الأعجم لا ينـال حتى القش .

– فقال له : سلمه لي لعدة أيــــام ، حتى يقوى في إصطبل الملك .

– فسلمه الحمار ، وذلك العاشق للرحمة ، ربطه في وسط إصطبل السلطان .

٢٣٧٠– ورأى الحمار في كل ناحيــــة جوادا عربيا أصيلا ، منعما سمينا طيبا عليه نضرة "النعيم " .

– كان ما تحت أقدامها مكنوســـا مرشوشـــا ، والتبـن والشـعير يقدمـان فـي الموعد .

– ورأى حك الجياد وتدليكها ، فمد فمه رافعا إياه قائلا : أيها الرب المجيــــد ؛

– على فرض أني حمـار ، ألست مخلوقـــا لـك ؟ فلمـاذا أنـا مسكين جريـح الظهر نحيل ؟

– وفي الليل من ألم الجراح في الظهر ومـن الجـوع فـي البطـن ، أتمنـى المـوت لحظة بلحظـــة ؟

٢٣٧٥- وما لهذى الجياد في حال مرفه ومنعم ، فلأى شيء خصصت أنا بالعذاب والبلاء ؟!

- وفجأة علا صياح الحرب والقتـــــال ، وآن للجياد أن تسرج وتعمـــــل .

- فتعرضت لطعنات السهام من العدو ، واخترمتها الرماح من كل صوب .

- وعادت تلك الخيول من ميدان القتال ، وسقطت كلها " على ظهورها " في الإصطبـــــل .

- فشدت قوائمها بالحبال بإحكـــــام ، ووقف البياطرة صفوفـــــاً .

٢٣٨٠- وأخذوا يشقون أجسادها بالمباضـــــع ، لكي يقوموا بإخراج النصـــــال منها .

- ورأى ذلك الحمار هذا الأمـــــر فقال : يا ألله ، لقد رضيت بالفقر والعافيـــــة .

- إنني رافض لذلك النعيم " تتلوه " تلك الضربات الموجعـــــة ، وكل من أراد العافية ، نبذ الدنيا .

عدم قبول الثعلب قول الحمار " اني راض بما قسم لي "

- قال الثعلب : إن طلب الرزق حلال ، فرض من أجل الامتثـــــال .

- إنه عالم بالأسباب ، ولا يتأتى شيء بلا سبب ، والمهم إذن هو الطلب .

٢٣٨٥- وقد أمرنا سبحانه قائلا :﴿ وابتغوا من فضل الله﴾ ، حتى لا يلزم الغصب ، كما يفعل النمر .

- وقد قال الرسول ﷺ : لقد أغلق على الرزق باب أيها الفتى ، وفوق هذا الباب أقفـــــال .

- وحركتنا وسعينا واكتسابنا بمثابة المفتاح لذلك القفل و" الكشف " لذلك الحجاب

- ولا سبيل لفتح هذا الباب دون مفتـــــاح ، وليس من سنة الله أن يوجد خبز دو طلب .(١)

جواب الحمـــار على الثعلب

- قال : إن هذا يكون من ضعف التوكــــل ، وإلا فإن الذى يهب الـروح يعطيها أيضـــا الخبز .

٢٣٩٠- وكل من يبحـث عن الملوكيـــــة والظفـــر ، لن يعـدم لقمة خبز يا بني .

- والوحوش والخيوانات كلها آكلـــة للرزق ، لا هي تسعى في كسب ، ولا أحد " يحمل " إليها الرزق .

- فالرزاق يرزق كل ما خلق ، ويضع قسمة " كل واحد " من الخلق أمامه .

- والرزق يصل إلى كل من صبــــر ، وكل ما تقوم بـه من سعي من انعدام صبرك .

جواب الثعلب على الحمـــار

- قال الثعلب : إن ذلك التوكل أمر نـادر ، وقليل ما هم ، أولئك الذين وفقوا فيـــه .

٢٣٩٥- وطلب النادر من قبيل الجهـــل ، ومتى كان طريق سلاطين " الديـن" ميسرا لكل إنســان ؟

- وما دام الرسول ﷺ قد قال : القناعة كنز ، فمتى يصل الكنز المخبـوء إلـى كل إنســـان ؟

---

(١) ج/١٢-١٢٧:- وإنك إن قبعت في قاع بئر فمتى يأتيك الرزق يا ذا الفضل ؟ .

- فاعرف حدك ، ولا تحلق عاليا ، حتى لا تسقط في هاوية الفتنة والشر .(١)

جواب الحمار على الثعلب

- قال الحمار : اعلم أنك تعكس الأمور ، فالفتنة والشر يجتمعان في الروح من الطمع .

- فمن القناعة لم يسلم أحدٌ قط الروح ، ومن الحرص لم يصبح أحد قط سلطانا

٢٤٠٠- والخبز لا ينقطع عن الخنازير والكلاب ، وليس من كسب الناس ، هذا المطر وهذا السحاب .

- فكما يكون العاشق للرزق طالبا إياه متضرعا من أجله ، فإن الرزق أيضا يكون عاشقا لآكله .(٢)

في تقرير معنى التوكل .. حكاية ذلك الزاهد الذي كان يمتحن التوكل فخرج من المدينة ومن بين الأسباب ، وابتعد عن أماكن تردد الناس وطرق مرورهم ، ووضع رأسه على حجر في سفح جبل مهجور مفقود وهو في غاية الجوع ، ونام قائلا لنفسه : توكلت على خلقك للأسباب ورزقك وانقطعت عن الأسباب ، حتى أرى أن التوكل سبب

- سمع أحد الزهاد أن المصطفى ﷺ قد قال ، إن الرزق يأتي يقينا للروح من قبل الله .

- سواء أردت أو لم ترد ، فإن رزقك يأتيك مسرعا إليك من عشقه إياك .

- ومن أجل الامتحان ، ذهب ذلك الرجل ونام مسرعا في صحراء بالقرب من جبل .

---

(١) ج/١٢- ١٣٠ :- فجاهد واسع في طلب الرزق ، ما لم يكن لك صبر على التوكل .

(٢) ج/١٢-١٣١:- وإن لم تسع يأتك حتى بابك ، وإن سعيت فلا نصيب لك إلا الصداع .

٢٤٠٥- قائلا : لأرَى هل يأتيني الرزق ، حتى يقوى ظني وإيماني أن الرزق من الله .

- وضلت قافلة طريقها ، وسارت نحو الجبل ، فرأت ذلك الذى يمتحن " ربه " نائما .

- فقالوا : كيف يكون هذا الرجل وحيدا في هذه الناحية ؟ في صحراء بعيدة عن المدينة وعن الطريق ؟

- عجبا ، هل هو حي أو ميت ؟ وكيف لا يخاف من ذئب أو من عدو ؟!

- وتقدموا وأخذوا يتحسسونه بأيديهم ، فلم يتحدث ذلك الرجل عن عمد .

٢٤١٠- ولم يتحرك ، ولم يحرك رأسه ، ولكي يتم امتحانه ، لم يفتح حتى عينيه !!

- فقال " أحدهم " : إن هذا المسكين المحروم ، قد سقط هكذا بالسكتة من الجوع

- فأتوا بالخبز وبطعام في قدر ، حتى يصبوه في حلقه وفي فيه .

- فضم الرجل عامدا أسنانه بشدة ، حتى يرى صدق ذلك الوعد .

- فأشفقوا عليه قائلين : إنه شديد الجوع ، وهو هالك " لا محالة " من الجوع و" ماض " إلى الفناء .

٢٤١٥- فأتوا بسكين وأسرعوا إليه ، وفصلوا ما بين أسنانه التي أطبقها .

- وصبوا الحساء في فمه ، وأخذوا يدسون لقيمات الخبز في فيه .

- فقال : أيها القلب بالرغم من أنك آخذ في الاستسلام ، فإنك تعرف السر لكنك تتدلل .

- قال القلب : نعم ، أعلم ، وأفعل ما أفعله عن عمد ، فالرازق هو الله ، لجسدى وروحى .

- وكيف يكون هنــاك إمتحـان أكـثر مـن هـذا ؟ ، إن الـرزق يمضـي سـعيدا إلـى الصابرين .(١)

جواب الثعلب على الحمار وحثه إياه على الكسب

٢٤٢٠- قال الثعلب : دعك من هـذه الحكايـات ، واطـرق أبـواب الكسـب ، ولـو بجهد المقل .

- لقد أعطاك الله يدا ، فقم بعمل ما ، وقم بكسب ما ، وعاون العدو والصديق .

- فكل من يخطو خطوة نحو الكسب ، فإنه يقوم بعون أصدقاء آخرين .

- ذلك أن كل الكسب لا يتأتىمن شخص واحـد ، فهنـاك نجـار وهنـاك سقـــــاء وهناك حائك .

- وهذه الدنيـــا قائمة على المشـاركة ، وكـل إنســــان يختـار عمـلا مـا مـن افتقـــاره .

٢٤٢٥- وليس للخيـــال الساذج مجـــال هنـا ، فـإن سـبيل السـنة هـو العمـل والاكتســـاب .

جواب الحمار على الثعلب أن التوكل هو أفضل الكسب فكل إنسان محتاج إلى التوكل ، حتي يدعو : اللهم هيء لي هذا العمل ، والدعاء يتضمن التوكل والتوكل كسب لا يحتـــاج إلى كسب آخر قط...... إلى آخـــــــره

- قال " الحمار " : إنني لا أعلم في الدارين كسبـــا أفضـل مـن التوكـل علـى الله " تعالى " .

---

(١) ج ١٢/ ١٣٣-١٣٤ :- حتى تعلم ذلك ولا تترك التوكل ، وماذا يكون الحرص ؟ من الحمارية والجهل .- ثم فتح بعد ذلك ذلك المسكين فمه ، وقال : لقد قمت بامتحان رزقي .- وكل ما قاله ذلك الرسول طاهر الجيب ، حق ، ولا يوجد فيه أدنى ريب .

- ولا أعرف نظيرا للكسب المتمثل في شكـــــره تعالى ، حتى يجذب شكر الله مزيدا من الرزق .[1]

- وطال بينهما الجدل والخطـــــاب ، حتى حارا سؤالا ، واحتارا في الجواب .

- ثم قال " الثعلب " : اعـــلم أنه بشأن هذه المهلكـــــة ، قد ورد نهي الله فقال ﴿ لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

٢٤٣٠- والصبر في صحراء قاحلة وبين الأحجار يكون من الحمق ، وذلك لأن ﴿ أرض الله واسعة ﴾ .

- فـانتقل مـن هنـا صـوب المـروج ، وارع الخضـرة هنـاك ، إلـى جـوار النهـر الجارى .

- والمرج " هناك " أخضـــــر وكأنه الجنان ، والخضرة هناك ناميـــــة ، تصل حتى الوسط .

- وسعيد ذلك الحيوان الذى يمضى إلى هناك ، إن الجمل نفســـــه ليختفي بين الخضرة .

- وكل ركن فيه نبـــــع فياض ، والحيوان منعم فيه وفي أمـــــان .

٢٤٣٥- ومن حماريته لم يقل له الحمار : أيها اللعيـن ، لقد جئـت مـن هنـاك ، فلماذا أنت نحيل ؟

- وأين امتلاؤك ؟ وأين نضرة النعيم ؟ وأين بهاؤك ؟ وما هذا النحول في جسدك المهدود ؟

- وإذا لم يكن كلامك المفصل عن الروضـة كذبـا وبهتانـا ، فلمـاذا لا أرى فـي عينيك النشوة ؟

---

(١) ج/١٢-١٣٩:- والتوكل في حد ذاته هو أفضل الكسب ، ذلك أنك في كل كسب ممدود اليد إلى الله .- داعيا : يا ألله هيء لي من أمرى رشدا ، وهذا الدعاء من قبيل التوكل إن فكرت جيدا .- ففي التوكل لا يكون ثم احتياج قط ، وهو الفراغ من نقص الدخل ومن الخراج .

- وهذا الإلحاح والطمع، وهذا العمى في البصر ، " نابعان " من كونك متسولا ، لا من أنك قد تبوأت الإمارة

- وإذا كنت قد جئت من النبع، فكيف تكون جافا هكذا ؟ وإذا كنت نافجة غزال ، فأين أريج المسك ؟!(1)

٢٤٤٠- وكيف لم تبدُ عليك أمـــــارة واحدة مما تتحدث عنه أو تفصـــــل فيـه أيها المحترم ؟

ضرب الجمل للمثل في بيان أن المخبر عن دولة ونضرة ونعيم لا ترى أثرها عليه يكون موضع اتهامه بأنه مقلد في الحديث عنها

- ســـــأل أحدهم الجمل قائلا : ها ، قل لي من أين أنت قادم يا مبارك الخطـــــى ؟

- قال من الحمام الساخن الموجود في حيك ، قال : هذا واضح من ركبتيك !!

- لقد رأى فرعون العنود حية موسى عليه السلام ، فأخذ في طلب المهلـــــة وإبداء اللين

- وقال الأذكياء : كان ينبغي عليه أن يكون أكثر حدة وغضبـــــا مادام هو رب الدين .

٢٤٤٥- وسواء كانت المعجـزة أفعى أو حيـــــة ، ترى ماذا حدث لألوهيته وكبريائـــــه ؟

- لقد كان يهتف ﴿ أنا ربكم الأعلـــــى ﴾ عند جلوســـــه ، فما هذا الهلع الذى يبديه من أجل دودة ؟

- وما دامت نفسك ثملة بالنقل والنبيذ ، فاعلم أن روحك لم تبصـــــر العناقيد من الغيب .

---

(1) ج/١٢-١٣٩:- وإذا كنت قادما من الجنان ، فأين باقة الورد التي جئت بها كهديـــــة ؟!

- فهناك أمارات تدل على هذا النور ، هي " التجافي منك عن دار الغرور" .(١)
- وعندما يطوف الطائر حول الماء الأجاج ، فذلك لأنه لم يجد المدد من الماء العذب .

٢٤٥٠- بل إن إيمانه يكون تقليدا ، وروحه لم تر وجه الإيمان .
- ومن هنا يكون المقلد في خطر عظيم ، في الطريق من قاطع الطريق ، الشيطان الرجيم .
- وعندما يرى نور الحق يصير آمنا ، ويصبح ساكنا مطمئنا من اضطرابات الشك .
- فإن زبد البحر يكون دائما في اضطراب وجيشان ، ما لم يصل إلى أصله أي التراب .
- إن هذا الزبد ترابي الأصل وغريب عن الماء ، ولا بد من وجود الاضطراب في الغربة .

٢٤٥٥- وعندما تتفتح عيناه ويبصر صورة " الحق " ، لا يجد الشيطان عليه بعد يدا .
- وإذا كان الثعلب قد تحدث إلى الحمار بالأسرار ، فقد ألقى بها على عواهنها ، وتحدث بها كالمقلد .
- لقد مدح الماء ، لكنه لم يكن تواقا إليه ، وخمش وجهه ومزق ثوبه ، ولم يكن عاشقا .
- والعذر من المنافق مردود وليس طيبا ، ذلك أنه صادر من الشفة لا من القلوب .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- إن فيه رائحة التفـــاح ، لكنه ليس جزءًا من التفاح ، وهذه الرائحة فيه ليست إلا من أجل الأذى .

٢٤٦٠- وإن هجوم المرأة في قلب المعركة ، ليس شاقا للصفوف ، بل يجعل الأمر خرابا .

- وبالرغم من أنك تراها تحمل على الصف حملة الأسد ، إلا أنها إذا أمسكت بالسيف ، ارتعد كفها .

- فويلـــه ذلك الذى يكون عقله في طبع الأنثى ، وتكون نفسه القبيحة ذكرا مسلطا على هذا العقل .

- فلا جرم أن عقله هذا يكون مهزومـــا ، ولا ينقله إلا صوب الخســـران .

- وما أسعد ذلك الذى يكون عقله ذكرا ، وتكون نفسه القبيحة أنثى تحت سيطرته .

٢٤٦٥- يكون عقله الجزئي ذكرا وغالبـــا ، ويكون سالبا " لسطوة " النفس الأنثى .

- وهجوم الأنثى جريء أيضا بصورته وظاهـــره ، لكن آفته من طبعه الحمارى ، مثل ذلك الحمار .

- والوصف بالحيوانية يزداد في حق المرأة ، ذلك لأنها تركن كثيرا إلى الألوان والروائح .

- لقد سمع ذلك الحمار " وصف " ألوان المروج ورائحتها ، ففرت كل الحجج التي ساقها من طبعه .

- لقد احتاج الظمـآن المطر ولا سحاب ، وأحست النفس بالجوع الشديد ولا صبـــر .

٢٤٧٠- والصبر يكون درعا حديديا أيها الأب ، وقد كتب الحق على الدروع : جاء الظفـــر .

- والمقلد يسوق مائة دليل في بيانـــه ، لكنه يبديها على سبيل القياس ، لا عن طريق العيان .

- إنه يبدو مضمخـــا بالمسك ولا مسك ، إنها مجرد رائحة مسك ، وليس لديه إلا البعـــر .

- وحتى يتحول البعر لديك إلى مسك أيها المريد ، ينبغي أن ترعى سنوات في هذه الروضــــة .

- فلا ينبغي أكل التبن والشعير كالحمير ، بل ارع الأرجوان في " ختن " كالغزلان .

٢٤٧٥- ولا ترع إلا القرنفل أو الفل أو الورد ، فامض إلى صحراء ختن مع هذا النفر " من الأولياء " .

- واجعل المعدة معتادة على ذلك الريحـــان والورد ، حتى تجد الحكمة وقوت الرسل .

- وحُل ما بين المعدة وهذا التبن والشعير ، وابدأ في أكل الريحان والورد .

- ومعدة الجسد تجر المرء نحو مزود التبن ، ومعدة الروح تجذبه نحو الريحـــان .

- وكل من يأكل القش والشعير يصير أضحيـــة " للذبح " ، وكل من يكون غذاؤه نور الحق يصبح قرآنا .

٢٤٨٠- فانتبه ، إن نصفك من المسك ، ونصفك من البعر ، فهيـــا ، لا تزد في البعر ، وزد في مسك الصين .

– إن ذلك المقلد يأتي بمائة دليل ومائة بيـــــان ، لكم من طـرف اللسـان ، ولا روح .

– وعـــندما لا يكـــون لدى القـــائل روح وبهـــــاء ، متى يكـــون لقولـه ورق أو ثمـــــــر .

– إنه يتوقح على الناس في الطريق ، لكنه في روحـه وداخلـــــه أكثر ارتعـادا من القشـــــة .

– ومـن ثـم ، فبـالرغم مـن أن حديثـه يكـون ذا رواء شـديد ، فـإن الرعـدة تكـون مستترة فيــــه .

الفرق بين دعوة الشيخ الكامل الواصل وبين كلام الناقصين الذين يدعون الفضل لتعلقهم بفضلات العلم التحصيـــلي

٢٤٨٥– إن الشيخ النوراني يخبر بالطريق ، ويجعل النور لحديثه " نعم " الرفيق

– فجاهد حتى تصير ثملا ونورانيـــــا ، وحتى يصير نوره لحديثك رفيقـــــا .

– وإن كل ما يغلي في الدبس ، يكون له في الحقيقة طعم الدبس .

– وإنك لتجد منه لذة الدبس ، سواء كان من الجـزر أو مـن التفـاح أو السـفرجل والجوز .

– وعندما صــــــار العلم مخمرا بالنور ، يجد القوم اللد من علمك النــــــــور .

٢٤٩٠– وكـل مـا تقولـــــه يكـون منـورا ، ذلـك أن السـماء لا تمطـر أبـدا إلا الطاهـــــر .

– فصر سحابا ، أو صر سماءً وأمطر ، فإن المطر يجعل القناة بلا فائدة .

– والماء في القناة على سبيل العارية ، لكنه فطرة في السحاب وفي البحر .

– والفكر والظن على مثال القنـــاة ، والوحى والكشف سحاب وسمـــــاء .

– وماء المطر يجعل الحديقة ذات مائة لون ، لكن القناة تجعل الجيران يتشاحنون " على الماء " .

٢٤٩٥– لقد جادل الحمار الثعلب مرتين أو ثلاث مرات ، ولما كان مقلدا في الأصل ، فقد تجرع الخديعة .

– لم تكن لديه عظمة الإدراك ورؤيته ، فما لبثت فيهقة الثعلب أن أسكتته .

– ولقد جعله الحرص على الطعام ذليلا بحيث هزمه " وأفحمه " وهو يمتلك خمسمائة دليل .

حكاية ذلك المخنث وسؤال اللوطي له أثناء اللواطة : من أجل ماذا هذا الخنجر الذي معك؟ فقال : من أجل أن أمزق بطن كل من أرادني بسوء فكان اللوطي يروح ويجيء وهو يقول : الحمد لله أنني لاأريدك بسوء

إن بيتي ليس بيتا ، إنه إقليم * وهزلي ليس هزلا ، إنه تعليم

﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ أي ما فوقها في تغيير النفوس بالأفكار ، فإن سأل أحدهم ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ فيجيب حينذاك : هكذا أردت ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾ فكل فتنة كالميزان ، تحمر منها وجوه كثيرة ، ويصبح كثيرون محرومين ، ولو تأملت فيه قليلا وجدت من نتائجه الشريفة كثيرا

– أخذ لوطي مأبونا إلى منزله ، وقلبه و أولج فيه .

– ثم رأى على منطقته خنجر ذلك اللعين ، فسأله : ما هذا الذي على خاصرتك ؟

٢٥٠٠– فقال : إنه معي بحيث إن أرادني شرير بسوء ، مزقت به بطنه .

– فقال اللوطي : الحمد لله على أنني لم أقصدك بسوء ، وهذا من حصافتي وذكائي .

- فإن لم تكن ثم رجولة ، فما فائدة الخناجر ؟ وإن لم يكن ثم قلب ، فما جدوى المغفر والخوذة ؟

- إنك " قد" ترث عن علي ﷺ سيفه المسمى ذا الفقار ، فإن كان لك ساعد أسد الله ، فأيت به .

- وإذا كنت تعلم دعاء إحياء الموتى من المسيح ﷺ ، فأين شفتا عيسى وأسنانه أيها القبيـــح .

٢٥٠٥- وإنك لتصنع سفينة مما جمعت من صحبك وفتح " الله به عليك " ، فأين ملاح السفينة مثل نوحﷺ؟

- ولنفرض أنك قمت بتحطيـــم الأصنام مثل إبراهيم ﷺ ، فأين التضحية بصنم الجسد في النار ؟

- وإن كان لديك دليل ، استخدمه ، واجعل سيفك الخشبي " في مضاء " ذى الفقار .

- وإن ذلك الدليل الذى يمنعك من العمل ، إنما يكون نقمة من الله " لا نعمة " .

- ولقد جعلت الخائفين في الطريق شجعانا ، وأنت في الحقيقة أكثر ارتعادا ورعبا منهم جميعـــا .

٢٥١٠- وتقوم بإلقاء الدروس في التوكل على الجميع ، وأنت تقصد البعوضة في الهواء" من حرصك".

- ويا أيها المخنث ، لقد تقدمت على الجيش ، لكن ذكرك " العاطل " يكذب وجود اللحية " في وجهك " .

- وما دام القلب ممتلئا بانعدام الرجولـــــة ، تكون لحيتك وشاربك من أسباب السخرية منك .

- فتب ، واذرف الدموع مدرارا كالمطر، وخلص لحيتك وشاربك من السخرية ، واشترهما ثانية .

-واشرب دواء الرجولة في العمل ، حتى تصير شمسـا حامية في " برج الحمل .

٢٥١٥- ودعك من المعدة ، وتبختر صوب القلب ، حتى يأتيك السلام من الحق دون حجاب .(١)

- وامض خطوة و خطوتين ، وتكلف بفن ، وآنذاك يأخذ العشق بأذنيك جارا إياك .(٢)

غلبة حيلة الثعلب على إستعصام الحمار وتعففه

وجر الثعلب الحمار نحو عرين الأسد .

- كان الثعلب ثابتا في احتياله ، فأخذ بلحية الحمار ، واصطحب ذلك الحمار .

- فأين مطرب تلك الزاوية حتى ينقر على الدف بنشاط ويغني : ضاع الحمار ، ضاع الحمار .

- وما دام أرنب قد جر أسدا نحو البئر ، فكيف لا يأتي ثعلب بحمار نحو العشب ؟

٢٥٢٠- فسد أذنيك ، ولا تتجرع وساوس الشيطان ، ولا تسمع إلا وحى ذلك الولي العادل .

- فإن كلامه ذاك ألذ من الحلوى ، ذلك الذى تكون كل الحلوى ترابا لقدمه .

- والدنان الخسروانية المليئة بالخمر ، قد أخذت مادتها من خمر شفتيه .

---

(١) ج/ ١٢-١٦٥:- وإذا كنت تريد البطولة كرستم ، فاحمل الخنجر ، وإذا كنت ميالا إلى الخنوثة ، فالبس طراحة .

(٢) ج/ ١٢-١٦٥:- وكن ثابتا في الميدان كالرجال ، حتى لا تصبح مبتلى أسفل لمشنقة .- وحتام تتحدث عن الثياب كالنساء ، ادخل في صفوف الرجال كأنك السنان .

– وتكون عاشقة للخمر تلك الروح المبعدة ، التي لم تبصر خمر شفتيه الياقوتيتين

– وما دام الطائر الأعمى لا يرى الماء العذب ، كيف لا يطوف إذن حـول المـاء الأجاج ؟

٢٥٢٥– وموسى الروح يجعل الصدر " في قدسية" سينـــاء ، ويجعل الببغاوات المصابة بالعمى قوية الإبصــار .

– ولقد حلت نوبة خسرو عاشق شيرين الروح ، فلا جرم أن السكر قد صار رخيصـــا في المدينة .

– وأمثال يوسف يحملون بعسكرهم من الغيب ، ويجرون معهم أحقاق السكر.

– وحولت إبل مصر وجوهها نحونـــا ، فاسمعوا أيها الببغاوات صليل الأجراس .

– فإن مدينتنا سوف تصبح في الغد مليئة بالسكر ، والسكر رخيص ، لكنه سيصبح أرخص .

٢٥٣٠– فهيـــا ياباعة الحلوى ، تمرغوا في السكر ، كأنكم الببغاوات ، وأنوف المصابين بالصفراء راغمة.

– ودقوا قصب السكر ، فهذا هو عملكم فحسب ، وضحوا بالأرواح ، فهذا هو الحبيب فحسب .

– ولم يبق عابس واحـد في مدينتنا ، ذلك أن " شيرين " بلغت من هـم أمثال " خسرو " مرادهم .

– فالنُقل فوق النُقل ، والخمر على الخمر ، فهيـــا ، واصعد المئذنة ، وقم بدعوة الناس إلى العطـــاء.

– فالخل الذى عتق تسع سنوات يصير حلوا ، ويتحول حجر المرمر إلى ياقوت مطعم بالذهب .

٢٥٣٥- والشمس فوق الفلك تقوم بالتصفيق ، والذرات لاعبة في الجو ، وكأنها العشاق .

- والعيون صارت ناعسة من المروج ، والورود تتفتح فوق الأغصان .

- وعين الإقبال والدولة تقوم بالسحر المطلق ، وصار المنصور روحا ، فهو لا يفتأ يصيح " أنا الحق " .[1]

- فإذا كان الثعلب يقوم بخداع الحمار ، قل له : فلتأخذه ، ولا تكن أنت حمارا ، ولا تغتم .

حكاية ذلك الشخص الذي من خوفه على نفسه ألقى بنفسه في دار شاحب الوجنتين كالزعفران ، أزرق الشفتين كالنيلة مرتعد اليدين كأوراق الشجرة ، فسأله رب الدار : ما الخبر ؟ وماذا حدث ؟ قال : إنهم في الخارج يأخذون الحمير للسخرة ، قال : مبارك عليهم ، إنهم يأخذون الحمير ولست حمارا ، فلماذا تخاف ؟ قال : إنهم يجدون في أخذها ، وقد زال التمييز وأخشى اليوم أن أعتبر حمارا

- أخذ أحدهم يمضي هاربا داخل منزل ، شاحب الوجه ، أزرق الشفة ، مخطوف اللون .

٢٥٤٠- فقال له صاحب الدار : خيرا ؟! ما بالك ترتعد هكذا كيد العجوز ؟

- ما الخبر ؟ ولماذا هربت ؟ ولماذا أنت شاحب الوجه هكذا ؟

- قال : إنهم يأخذون الحمير خارج الدار من أجل السخرة للملك الطاغية .

---

(١) ج/١٢-١٦٩:- وصارت زليخا من " وصال" يوسف شابة من جديد ، فابدأ اللهو من جديد سعيدا هانئا .- وأضرم نارا داخل القلب ، وأحرق عليها البخور لدفع عين السوء .- وكن " منغمسا" في حالك مقيما عليه سعيدا ، حتى تجد المراد في عالم الروح .

- قال : فليأخذوها ، فأين الحمـــار ياروح عمك ؟ وما دمت لست حمارا ، فامض ، فما عليك من بأس .

- قال : إنهم في منتهى الجد ، ويأخذونها بحماس ، وليس من العجيب أن يعتبروني حمارا .

٢٥٤٥- لقد جدوا في أخذ الحمير جدا شديدا ، والتمييز بدوره قد انتفــــى .

- وما دام الذين يرأسوننا بلا تمييز ، فإنهم يأخذون صاحب الحمار بدلا من الحمار .

- لكن مليك مدينتنا نحن ليس بالآخذ كيفما اتفق ، فإن لديه تمييزا ، وهو السميع البصير .

- فكن إنسانا ، ولا تخش آخذى الحميـــــر ، لست حمارا يا عيسى عصرك ، فلا تخف .

- والفلك الرابع مليء أيضــــا بنورك ، وحاشا لله أن يكون مقامك الإصطبــــــل .

٢٥٥٠- إنك أعلى من الفلك والكواكب ، وإن كنت من أجل المصلحة " مربوطا" في حظيرة .

- لكن شتـــان ما بين أمير الإصطبل وبين الحمار ، فليس كل من أقام في الإصطبل حمارا .

- وما وقوعنـــا هكذا في أثــــر الحمار ؟! ، تحدث عن الروضة وعن الورود النضرة .

- تحدث عن الرمان والأترج وأغصــــان التفاح ، وعن الشراب والحسان بلا حد ولا حصـــر.

- أو عن ذلك البحر الذى موجه كله من الجواهر ، وجوهره متحدث وذو بصيـــرة .

٢٥٥٥- أو عن تلك الطيـــور التي تقطف الورود ، وتضع بيضـــا ذهبيا وفضيـــا .

- أو عن تلك البزاة التي تربي طيور القطـــا ، وتقوم بالطيران على وجوهها وعلى ظهورها .

- فهناك سلالم خفيـــة في الدنيـــا ، موجودة درجة درجة حتى عنان السمـــاء .

- ولكل جماعة سلم مختلف ، ولكل نوع من السيـــر سماء مختلفة .

- وكل جماعة لا علم لها بحال الأخرى ، إنه ملك عريض لا نهايـــة له .

٢٥٦٠- وهذا حائـــر ، لماذا هذا الآخر سعيد هكذا ، وهذا الآخر مندهش من حيرتـــه .

- وساحة أرض الله ساحة واسعـــة ، وكل شجرة قد أطلت من أرض مـــا .

- والأوراق والأغصـــان شاكرة على الأشجـــار ، قائلة " ما أعجبه من ملك !! وما أبدعها من ساحة واسعة !!

- والبلابل حول البراعم المليئة بعقد " الأزهار " ، قائلة لها : أعطينا مما تأكلين

- وهذا الكلام لانهاية له ، فعد بنا نحو ذلك الثعلب والأســـد والسقم والجـــوع .

أخذ الثعلب الحمار إلى الأسد ، وهرب الحمار من الأســـد ، ولوم الثعلب للأسد قائلا : لقد تعجلت والحمار لا يزال بعيدا ، واعتذار الأسد ورجاؤه الثعلب قائلا : إمض ، واخدعـــه مرة أخـــرى

٢٥٦٥- عندما اصطحبه من الجبل صوب المروج ، حتى يمزقه الأسد إربـــــا بهجومه عليه .

- كان لا يزال بعيدا عن الأســـد ، لكن ذلك الأسد لم يصبر برهة على الهجوم حتى يقترب منـــه .

- وقوس الأسد المهول ظهره كالقبة وهو فوق مرتفعه ، لكنـه لم يكن لـه في الأصل حولٌ أو طول .

- فرآه الحمار من على البعد ، وعاد أدراجه هاربا ، نحو سفح الجبل ، ممزقا حدوته .

- قال الثعلب للأسد : يا مليكنـــا ، لماذا لم تصبر عندمـــا حل الوغى ؟

٢٥٧٠- حتى يقترب منك ذلك المخدوع ، وحتى تتغلب عليه بأقل جهد ممكن ؟

- إن العجلة والتسرع من مكر الشيطـــان ، والصبر والاحتســـاب من لطف الرحمن .

- لقد كان بعيدا ، ورأى الهجوم ، وانطلق هاربـــا ، وظهر ضعفك للعيـــان ، وأريق ماء وجهك .

- قال : لقد ظننت أني لا زلت على قوتي ، ولم أكن أعلم أن الضعف قد أصابني إلى هذا الحد .

- كما أن جوعي وعوزى قد جاوزا الحد ، وتاه صبرى ، وضاع عقلي من الجوع .

٢٥٧٥- فلو استطعت بما لك من عقـــل أن ترده إلي ، وأستعيده ؛

- فإنني أكون ممتنا لك كثيـــرا ، فاجتهد ، ربما تستطيع أن تأتي به بفنك .

- قال " الثعلب " : نعم ، إن أعانني الله تعالى ، ووضع على قلبه ختمـــا من العمى .

- أو ينسى الهول الذى قد رآه ، وهذا ليس ببعيد عن حماريته .

- لكن عندما آتي به ، لا" تتسرع " في الهجوم عليه ، حتى لا تفقده ثانية من عجلتك .

٢٥٨٠- قال الأسد : نعم ، لقد جربت الأمر ، و"أدركت " أنني مريض جدا ، وصار جسدى مضعضعا .

- ولن أتحرك مالم يقترب مني الحمار تماما ، وسوف أكون هامد الجسد .

- فسار الثعلب وهو يدعو قائلا : الهمة أيها المليك ، حتى تحجب غفلةُ ما عقله.

- فلقد تاب الحمار مرات عديدة إلى الله ، ألا يتجرع خديعة كل محتال شرير .

- فلأنكث أنا كل توباته بفني ، فنحن أعداء العقل والعهد البين الواضح .

٢٥٨٥- وإن رأس الحمار بمثابة الكرة في أيدى أطفالنا، وفكره ألعوبة في أيدينا، ووساوسنا .

- والعقل الذى يكون " مكتسبا " من دوران زحل ، لا قيمة له أمام العقل الكلي .

- لقد صار ذلك العقل عالما من عطارد ومن زحل ، لكن " عقلنا " من عطية الله المتخلق باللطف .

- إن قوله ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ هو هيئة طغرائنا ، و[العلم من عند الله] هو مقصدنا .

- ونحن ربائب تلك الشمس المنيرة ، ومن هنا فنحن نتوجه قائلين : سبحان ربي الأعلى .

٢٥٩٠- فإن كانت قد صارت لديه تجربة من كل ما رآه ، فإن مائة تجربة تتحطم من هذه النفثات .

- فلعله يرجع عن توبته ذلك الواهن الطبع ، ويحيق به شؤم النكوص عن هذه التوبة .

في بيان أن نقض العهد والتوبة يكون موجبا للبلاء بل والمسخ كما ورد في حق أصحاب السبت وأصحاب مائدة عيسى عليه السلام : (وجعل منهم القردة والخنازير) وفي هذه الأمة يكون مسخا للقلب ، ويوم القيامة تصور الأجساد كما تكون القلوب

- إن نقض الميثاق والرجوع عن التوبة مرارا ، يصبح في النهاية موجبا للعنة .

- وإن نقض أصحاب السبت للعهد والميثاق ، كان سببا في المسخ والإهلاك والمقت .

- لقد جعل الله من هؤلاء القوم قرودا ، عندما نكثوا عهد الله من مرائهم .

٢٥٩٥- وفي هذه الأمة لا يكون مسخ البدن ، لكنه يكون مسخ القلب ، يا ذا الفطن .

- وعندما يصير قلبه ذاك قلب قرد ، فإن بدنه يصير ذليلا من قلب القرد .

- ولو كان لقلبه فضل من الاختيار ، فمتى كان ذلك الحمار يحس بالذل من صورته ؟

- وكان كلب أصحاب الكهف طيب السيرة ، فلم يعتره أى نقص من شكله وصورته .

- وكان لأصحاب السبت المسخ الظاهر ، حتى يرى الخلق أنهم كبتوا عيانا بيانا.

٢٦٠٠- وعن طريق الباطن والسر هناك آلافٌ آخرون ، صاروا من نقض التوبة حميرا وخنازير .

عودة الثعلب إلى الحمار الهارب ليعاود خداعـــــه

– ثم جاء الثعلب سريعـــــا نحو الحمار ، فقال الحمار : الحذر من مثلك رفيقـــــا .

– أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك حتى حملتني إلى الأفعـــــى ؟!(١)

– وما هو سبب حقدك على روحي ، اللهم إلا خبث جوهرك أيهـــــا العنود .

– مثل العقرب التي تلدغ قدم الفتى ، دون أن يلحقها منه أدنى أذى .

٢٦٠٥– أو الشيطـــــان الذى هو عدونا اللـــدود ، ولم يلحـــقه منـــــا ضرر أو خســـــران .

– بل إنه بالطبع خصم لدود للإنســـــان ، وسعادته في هلاك الإنســـــان .

– إنه لا ينقطع عن مطاردة الإنســـــان ، فمتى يترك جبلته وطبعه القبيـــــح ؟

– ذلك أن خبث ذاته بلا موجب أو سبب ، يجذبه دائمـــــا نحو الظلـــــم والعدوان .

– إنه في كل لحظة يدعوك نحو الإيوان ، حتى يلقي بك في قاع الجب .

٢٦١٠– ويقول لك : في مكان كذا عيون وجداول ، حتى يلقي بك منقلبا في حوض المـــــاء .

– وآدم عليه السلام مع هذا الوحي والنظـــــر ، ألقى به ذلك اللعين في الفتنة والشـــــر .(٢)

– وذلك دون ذنب ودون أذى ســـبق " مـــنه" ، أو ظلـــم بدر من آدم عليه السلام في حقه . (٣)

---

(١) ج/١٢–١٩٥:– أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك ، حتى تجعلني أنازل أســـــدا ؟

(٢) ج/ ١٢–١٩٥:– وآدم عليه السلام مع كل هذا الوحي والنذير ، جندلـــــه هذا اللعين وحمله حتى البتر .

(٣) ج/١٢–١٩٥:– فمتى يحيق به ظلم من الناس ، بحيث يأتيهم في كل لحظة بأحمال من الغم.

- قال الثعلب : لقد كان ما رأيته طلسما مسحورا ، بدا لعينيك كأنه أســـــد .
- وإلا فأنا أشد ضعفا منك جســـــدا ، وها أنا أعيش هناك ليل نهار وأرعى .
٢٦١٥- ولو لم يصنعوا طلسما سحريـــا على هذا الشكل ، لهجم كل شــــره على ذلك المكان .
- وهناك عالم محروم مليء بالفيلة والخراتيت ، فمتى كان مرجٌ أخضر يبقى دون طلسم ؟!
- لقد أردت أنا نفسي أن أقول لك وأخبرك ، ألا تخاف عندما ترى ذلك الهول .
- لكني نسيت أن أخبرك به وأعلمك ، فقد كنت مشغولا بالشفقة عليك ، والرقة لحالك .
- لقد رأيتك شديد الجوع والإملاق والحرمـــــان ، فكنت أسرع حتى آتي بك نحو الدواء .
٢٦٢٠- وإلا لكنت قد قلت لك كل شيء عن الطلســــم ، وأنه خيال ذلك الذى يظهر لك ، وليس بالجسد المحسوس .(١)

جواب الحمـــار على الثعلب

- قال الحمـــــار : هيا ، إمض عني أيها العدو ، حتى لا أرى وجهك يا قبيح الوجـــــه .
- وذلك الإلـــــه الذى جعلك شقيـــــا ، جعل وجهك القبيـــح كريهـا صفيقـــــا
- فبأى وجـــه قد جئت إليّ ؟ ، إن مثل هذا الجلد السميك لا يكون حتـى للكركدن .
- ولقد سعيت في دمي عيانا بيانا ، قائلا لي : سوف أصحبك إلى المرج .

---

(١) ج/١٢-١٩٦:- ولقد نسيت أن أقص عليك أخبار هذا الشيء المهيب الذى يخطف القلوب .

٢٦٢٥- حتى رأيت وجه عزرائيل " رأى العين " ، ثم جئت إليّ ثانية باحتيالك وتسويلاتك .

- وبالرغم من أنني حمارٌ بل عـار علـى الحمـر ، فأنـا حـي وذو روح ، فمتـى يخيل عليّ هـــذا ؟

- وما رأيتـــه من هول لا يرحم ، إن كان طفلٌ قد رآه ، لشاخ من فوره .

- وخوفا من ذلك الهول ، ألقيت بنفسي منقلبا من فـوق الجبـل ، وقـد سـلب منـي القلب ، وسلبت منى الروح .

- ذلك أن قدمي كانت قد انعقدت في تلك اللحظة من الرعب ، عندما رأيت ذلـك العذاب سافر الوجه بلا حجاب .

٢٦٣٠- ولقد عاهدت الله قائلا : يا ذا المنن ، فلتفك هذا القيد من حول قدمي .

- ولا أستمعن لوسوسة أحد من بعد هذا ، فلقد عاهدت ونذرت أيها المعين .

- ولقـد فـك الحـق تلـك اللحظـة القيـد عـن قدمـي ، مـن دعـائي ذاك وتضرعـي وإشاراتي .

- وإلا للحق بي ذلـك الأســـد الهصـــور ، ومـاذا كـان الحمـار يصبـح بيـن مخالب الأسد؟

- ثم أرسلك ثانية أسد العرين ذاك ، إلى من مكره ، يا بئس القرين .

٢٦٣٥- وبحـق ذات اللـه الصمـد الطاهـــرة ، إن الحيـة الرقطـاء أفضـل مـن رفيق الســـوء .

- فإن الحية الرقطـــاء تسلب الروح من الملدوغ ، ورفيـق السـوء يـأتي برفيقـه نحو نار الأبـــد .

- ومن القرين - دون قول ودون حديث - يسرق قلب قرينه في الخفـاء خصالـه من خصال قرينه .

– وعندما يلقي عليك بظلـــــه ، يسرق منك ذلك الدنيء قيمتك وقدرك .

– وحتى إن كان عقلك قد صار حية ثملة " بقوتها " ، إعتبر رفيـق السـوء بمثابـة الزمرد له .

٢٦٤٠– فإن بصيـــرة عقلك تنطلق خارجــــة منه ، وتضعك طعنته بين كفـي الطاعــــون .(١)

جواب الثعلب على الحمـــــار

– قال الثعلب : ليس هناك كدر في صفائنا ، لكـن الأمـور التـي يصورهـا الوهـم ليست بالشيء الهين .

– وكل هذا وهم منك يا ساذج القلب ، وإلا فليس عندى بشأنك غل أو غش .

– فلا تنظـــــر إليّ بخيالك القبيح ، فمن أى شيء أسأت الظن بالمحبين ؟

– وظن خيرا دائما في إخوان الصفــــاء ، حتى ولو رأيت منهم الجفاء ظاهرا

٢٦٤٥– فإن هذا الخيال والوهم السيء عندما بدا ، قد فرق بين مئات الآلاف من الرفاق وبين رفاقهم .

– وإذا ما قام مشفق بالجور على سبيل الامتحان ، فينبغي أن يكون هناك عقـل ، حتى لا يســـاء الظن .

– وبخاصة أني لم أكن سيء الجبلة ، وإن كنت قبيح الاسم ، وما رأيته ، لم يكـن شرا ، كان طلسما .

– وحتى وإن كان ما أفكرفيه بشأنك من قبيل السوء ، فإن الرفاق يتجاوزون عـن هذا الخطــــأ .

– فإن عالم الوهم ، وخيال الطمع والخوف ، هي سدٌ عظيم بالنسبة للسالك .

---

(١) ج/١٢-١٩٩: – ولا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من رفيق السوء ، وقد صار لي هذا في حد ذاته عين اليقين .

٢٦٥٠- وإن الصور التي يبديها ذلك الخيال المصور ، صارت أذى وضرا لمثل إبراهيم الخليل الذى كان جبلا .

- فقال إبراهيم العظيم :(هذا ربي) ، عندما سقط في عالم الخيال والوهم .

- وهكذا أول ذكر إبراهيم للكواكب ، ذلك الشخص الذى ثقب در التأويل .

- أن عالم الوهم والخيال الذى يقيم سدا أمام البصر ، اقتلع ذلك الجبل من مكانه .

- حتى تفوه بعبارة (هذا ربي) ، فماذا يكون حال الحمار أو حال أشباهه ؟

٢٦٥٥- ولقد غرقت عقول كأنها الصم الرواسي ، في بحار الوهم ودوامة الخيال .

- ومن هذا الطوفان افتضاحٌ للجبال ، فأين الأمان اللهم إلا في سفينة نوح .

- ومن هذا الخيال القاطع لطريق اليقين ، إنقسم أهل الدين إلى أتباع لإثنين وسبعين مذهبا .

- ورجل اليقين نجا من الوهم ونجا من الخيال ، ولا يقول عن شعرة من حاجبه أنها الهلال .

- وذلك الذى لايكون له سند من نور عمر ، تقطع الطريق عليه شعرة ملتوية من حاجبه .

٢٦٦٠- ومئات الآلاف من السفن الضخمة المهولة ، تحولت إلى ألواح محطمة في بحر الوهم .

- وأقلها فرعون النابغة الفيلسوف ، وقمره في برج الوهم في خسوف .

- ولا أحد يعرف من تكون المرأة البغي ، وذلك الذى يعرفها ، لا يقـــع في الظن والوهم .

- وما دام الوهم الذى أنت مقيم عليه يدير منك الرأس ، فلماذا تطوف حول وهـم طف برأس آخر ؟

- وأنا عاجز من هذه " الأنا " (التي لي) ، فلماذا جلست أمامي وأنت ممتلىء بأنيتك ؟

٢٦٦٥- إنني أبحث بالروح دون " أنا " ودون " محن " ، حتى أصبح كـــرة لهذا الصولجـــان .

- وكل من صار بلا " أنا " صارت كل " الأنات " لـــه ، وصار حبيبا للجميع من لم يحب نفســـه .

- والمرآة الخالية من الصور ترتفع قيمتهـــا ، ذلك أنها تكون عاكســـة لكل الصور .

حكايـــة الشيخ محمد سررزى الغزنـــوى

- كان هناك زاهدٌ في غزنة عنده مزيـــة من العلم ، كان اسمه محمد وكنيته سررزى .

- كان إفطاره في كل ليلة طرف غصن من الكرم " سر رز" ، وظل سبع سنوات ساعيا في أثر مطلب واحد .

٢٦٧٠- كان قد رأى كثيرا من العجائب من مليك الوجود ، لكن هدفه ومطلبه ، كان " إجتلاء " جمال " المليك.

- فصعد إلى قمة جبل ذلك الملول من نفسه ، وقال : فلتتجل لي ، أو لألق بنفسي إلى الهاويـــة .

– فكوشف أن لم يأت أوان هذه المكرمـــة ، وإن سقطت ، فلن تموت ، ولن أقتلك .

– فألقى بنفسه من فرط المودة والعشق ، لكنه سقط في مــــاء عميق .

– وعندما لم يمت ، ناح هذا لرجل الملول من روحه علـى نفسه ، من الخيبة ، وفراق الموت .

٢٦٧٥– فقد كانت هذه الحيـــاة تبدو له كالموت ، وكـانت الأمور بأجمعها قد انقلبت أمام ناظريـــه .

– لقد كان يستجدى الموت من الغيب ، وكان يصيـــح : " إن فـي موتـي حياتـــــي " .

– كان مستقبلا للموت وكأنه الحيـــاة ، وكان مصمما على هلاك روحــــه .

– كان السيف والخنجــــر ريحانـة لـه ، وكأنه على المرتضى ، والنرجس والنسرين أعداء روحه .

– فهتف به الهاتف قائلا : إمض من الخلاء إلى المدينة ، كان هاتفا عظيما مما وراء السر والجهر .

٢٦٨٠– فقال له : يا عالما بسرى شعرة بشعرة ، ماذا علىّ أن أفعل فـي المدينـة ؟ قل لي .

– قال : إن ما ستفعله ، أن تجعل من نفسك فترة " كعباس الدبس " من أجل إذلال النفس .

– فداوم على تكدى المال فترة من الأغنيـــاء ، لكن داوم أيضا على توصيله إلى الفقـــراء .

– هذه هي خدمتك التي تقوم بها لفترة من الزمن . فقال : السمع والطاعة ، يا ملاذ الــــروح .

– وكان هناك سؤال وجواب وحوار طويل ، بين الزاهد وبين رب الورى .

٢٦٨٥– بحيث امتلأت السماء والأرض بالنور ، وكل هذا مذكور في المقالات .

– لكنني اختصرت ذلك المقال ، حتى لا يحتسي كل خسيس الأســـــرار .

مجيء الشيخ بعد عدة سنوات من الفلاء إلى مدينة غزنة ، وطوافه بالزنبيل "متكديا" طبقا للأوامر الغيبية ، وقيامه بتوزيع كل ما يجمعه على الفقراء كل من كان لروحه عز لبيك * تتوالى عليه الرسائل واحدة بعد الأخرى ورسول بعد رسول كما تكون كوة الدار مفتوحة ، لا ينقطع عنها نور الشمس أو ضياء القمر أو المطرأو الرسائـــــل وما إليهــــا

– اتجـه إلــى المدينــــة ذلـك المطيـع للأمـر ، فنـورت مدينـــــة غزنــة بوجهــــه .

– وذهب جمع غفير لاستقباله فرحا بــــه ، لكنه تسلل سريعا من طريق غير مطروق .

– ونهض كل الأعيـــان والعظمــــاء ، وزينوا قصورهم من أجلــــه .

٢٦٩٠– فقال : إنني لم آت من أجل إظهار النفس ، لم آت إلى هنا إلا من أجل الذل والتكدى .

– ولست عازما على إلقاء المواعظ والدروس ، لكنى عـازمٌ علـى الطـواف من باب إلى باب ، والزنبيل في يدى.

– إنني عبد للأمر ، وهذا أمر الله ، أن أكون متسولا ، فلأكن إذن متسولا .

– وعلـيّ أيضـــا ألا تلفظ أثنـاء التســول بلفـظ نــادر ، وألا أسـلك إلا طـرق الشحاذين الأخساء .

– حتى أصبح غريقـــا تماما في المذلـــة ، وحتى أسمع الشتائم من خاصـة الناس وعامتهم .

٢٦٩٥- إن أمر الحق روح ، وأنا تبع له ، لقد أمر بالطمع ، وذل من طمع

- وما دام سلطان الدين يريد مني الطمع ، فليكن التراب إذن على مفرق القناعة

- إنه يريد الذل ، فمتى أطوف حول العز ؟ وهو يريد الكدية ، فكيف أقوم بالإمارة .

- ومن الآن فصاعدا ، ليكن التكدى والذل لروحي ، وليكن هناك عشرون " من أمثال " عباس في خرجي .

- وأخذ الشيخ يطوف والزنبيل في يده صائحا : شيئا لله يا سيدى ، وفقك الله .

٢٧٠٠- إن أسراره أعلى من الكرسي والعرش ، وعمله هو التسول قائلا : شيئا لله ، شيئا لله .

- وهذا هو نفسه عمل الأنبياء ، إنهم يتكدون من الخلق المفلسين .

- إنهم يصيحون : أقرضوا الله ، أقرضوا الله ، إنهم يتحدثون على العكس ويقولون : أنصروا الله .

- وهذا الشيخ يتضرع من باب إلى باب ويلح ، وفوق الفلك ، هناك مائة باب مفتوحة أمامه .

- فإن تلك الكدية التي كان يقوم بها بجد ، كانت في سبيل الله ، ولم تكن من أجل الحلق .

٢٧٠٥- وحتى إن كان يقوم بها من أجل الحلق ، فإن ذلك الحلق كان ساميا من نور الله .

- فإن أكل الخبز وشرب اللبن من جانبه ، أفضل من أربعينية أو طي لثلاثة أيام من مائة فقير .

- إنه يحتسي النور ، فلا تقل أنــه يـأكل الخـبز ، إنـه يـزرع الشـقائق ، وإن كـان يأكلها ظاهرا .

- إنه كاللهب الذى يشرب الزيت من الشمع ، ويزداد النور من أكلـه إيـاه ، بيـن الجمع .

- ولقد قال الله بشأن أكـل الخـبز ﴿ لا تسرفـــــوا ﴾ ، لكنـه لـم يقـل بشـأن أكـل النور : اكتفـــوا .

٢٧١٠- إن ذلك الحلقـــوم من أجل الإبتلاء ، وهذا الحلقوم فارغ مـن الإسـراف وآمن من الغلو .

- كـان أمـرا ، لـم يكـن حرصـــا وطمعـــا ، فمثـل تلـك الـروح ، لا تكـون للحرص تبعـــا .

- فإن قالت كيمياء " التبديل " للنحاس : إعطني نفسك ، لا يكون طمعـــا ، بـل علو همـــة .(١)

- كان قد عرض كنوز الأرض أمام شيخ الحق حتى الطبـــاق السابع .

- فقال الشيخ : أيها الخالق ، إنني عاشق ، وإذا بحثت عمن سواك ، أكون فاسقا

٢٧١٥- وإذا وضعت الجنان الثمانية فـي الحسـبان ، أو قمـت بالخدمـة والطاعـة خوفـــا من سقر ؛

- أكون مؤمنـــا باحثا عن السلامـــة ، وهاتان كلتاهما من حظ البدن .

- والعـــاشق الـذى أكـل قوتـه مـن عشــق اللــه ، لا يسـاوى مائـة بـدن عنـده خردلــــة .(٢)

---

(١) ج/ ١٢-٢١١:- إن ذلك التكدى الذى كان يقوم به بجد ، كان من آثـــار حكمته هو .

(٢) حرفيا : توتـــة فجة .

- وهذا البدن الذى كان لذلك الشيخ الفطن ، كان قد صار شيئا آخر فلا تسمه بدنـــــا .

- فهل ثم عاشق لله و" طمع في الأجر " ؟ وهل يتفق أن يكون جبريل مؤتمنا ثم يكون لصـــــا ؟

٢٧٢٠- إن العالم في نظر عاشق ليلى ذلك المضطرب الحزين ، لا يساوى شروى نقير .(١)

- لقد تساوى عنده التراب والذهب ، وماذا يكون الذهب عندما لايكون للروح نفسها خطـــــر ؟

- ولقد فهمه الأسد والذئب والوحش ، فتحلقوا جميعا حوله ، كالأهل والأقارب .

- ذلك أنه قد صار بريئا تماما من طبع الحيوان ، إمتلأ بالعشق وصار لحمه وشحمه مسممين .

- وإن ما يصبه العقل من سكر يكون سما بالنسبة للحيوان ، ذلك أن الطيب تماما يكون ضد الشرير .

٢٧٢٥- ولا يجرؤ الوحش على التهام لحم العاشق ، فإن العشق معروف لدى الصالح والطالح .

- وإن أكله الحيوان على سبيل الفرض ، يكون لحم العاشق سما بالنسبة له ويقتلـــــه .

- فكل ما هو سوى العشق صار مأكولا للعشق ، والعالمان كحبة واحدة أمام " منقار " طائر العشق .

- فهل أكلت حبةٌ طائرا قط ؟ ، وهل رعى مزودٌ جودا قط ؟

- فقم بالعبودية علك تصبح عاشقـــــا ، فالعبودية كسب ، يتأتى من العمـــــل

---

(١) حرفيـــا : ورقة كراث .

٢٧٣٠- والعبد يطمع في الحرية " إن سمح" إقباله ، لكن العاشق لا يريد الحريـة إلى الأبد .

- والعبد دائما ما هو طـالب للخلعـة والأجـر ، وخلعـة العاشـق دائمـا هـي رؤيـة الحبيب .

- والعشق لا يستوعبه مقال أو بيـــــان ، فالعشق بحرٌ لا يبدو له قرار .

- ولا يمكن عد قطرات البحر وحصرها ، والبحـار السبعة صغيرة أمـام هـذا البحر .

- وهذا الكلام لا نهاية له يا فلان ، فعد بنا إلى قصة شيخ الزمان

في معنى [لولاك لما خلقت الأفلاك]

٢٧٣٥- صار شيخ كهذا متسولا من حي إلى حي ، فقد جـاء العشـق وهـو لا يبالى ، فاتقـــوه .

- إنه يجعل البحر يغلي وكأنه القدر ، كما أنه يبرى الجبل ، فكأنه الرمل .

- والعشق يصيب الأفلاك بمائة شق ، والعشـق يزلـزل الأرض زلـزالا ولا يأبـه بها .

- لقد كان عشق الطاهر قرينا لمحمدﷺ ، ومن أجل هـذا العشـق ، قـال لـه اللـه : لولاك .

- ولما كان في العشق فردا ، فقد خصه ﷺ من بين كل الأنبيـــاء .

٢٧٤٠- فلو لم يكن من أجل العشق الطاهـــر ، متى كنت أخلق الأفلاك ؟

- ولقد رفعت الفلك السنـــي ، ذلك لكي تفهم علو العشق .

- وهناك منافع أخرى تتأتى من الفلك ، تابعة له ، كما تتبع البيضة الفرخ .

- ولقد جعلت التراب بأجمعه ذليلا ، حتى تفهم شيئا ما من ذل العاشقين .

- وأعطيت التراب أيضا الخضرة والنضرة ، حتى تصبح عارفا بتبديل الفقير .

٢٧٤٥- وتحدثك أيضـــا تلك الجبال الراسيات ، عن أحوال العشاق في ثباتهم .

- وبالرغم من أن كل هذه صور وذاك معنى يا بني ، إلا أنها هكذا مـن أجل أن تكون أقرب إلى فهمك .

- ولقد شبهوا الأحـزان بالأشـواك ، وهـي ليسـت علـى شـكلها ، لكنـه تنبيـه إلـى المعنى .

- وذلك القلب القاسي الذى سموه حجرا ، لم يجدوا الوصف مناسبا ، فضربوا لك مثـــلا .

- وإن لم يُتصـــــور عين الشيء المراد ، يكون العيب منصبا علـى الصـورة ، لكن إياك أن تنفيها .

ذهاب ذلك الشيخ كل يوم أربع مرات إلى منزل أحد الأمراء متكديا بزنبيله إطاعة لإشارة الغيب ، ولوم الأمير له على هذه الوقاحة واعتذاره للأميـــر

٢٧٥٠- ذهب الشيخ ذات يوم أربع مرات إلى قصر أحد الأمراء ، يتكدى وكأنـه " المتسول " الفقير .

- الزنبيل في يده وهو يصيح : شيئا لله ، إن خالق الروح يطلب لقمة من الخبز.

-إنها أفعال تجرى عكس ما ينبغي يا بني ، تجعل العقل الكلى بدوره دائر الرأس.

- وعندما رآه الأمير قـال لـه : أيهـا الوقـح ، سـوف أقـول لـك شـيئا ولا تسـمني شحيحــــا .(١)

- ما هذا الجلد السميك وهذا الوجه الصفيق وهـذا الفعل السوء بحيث تـأتى فـي اليوم الواحد أربع مرات ؟

---

(١) ج/١٢-٣٠٠: - أيها الخسيس معدوم الحياء حتام هذا الإلحاف في الطلب ، وإلام تنحنى هكذا من أجل الرزق ؟

٢٧٥٥- وما هذا أيها الشيخ الذى تعلقت به وارتبطت ؟ إنني لم أر شحاذا فحلا مثلك ؟

- لقد قضيت على حرمة الشحاذين وأرقت ماء وجوههم ، فما هذا التسول القبيح كتسول عباس " الدبس " الذى قمت به ؟

- إن عباس الدبس تابع من أتباعك ، فلا كان لملحد قط هذا النفس النحس .

-قال الشيخ:أيهاالأمير،إنني عبد للأمرفاصمت،لست عارفا بناري فكفاك غليانا.

-فلو أنني رأيت في نفسي حرصا علىالخبز،لمزقت هذاالبطن الذى يطالب بالخبز .

٢٧٦٠- ولسبع سنوات من حرقة العشق التي تشوى الجسد ، قد أكلت في الخلاء أوراق الكرم .

- وكان من أكلى للأوراق الخضراء واليابسة ، أن أخضر لون جسدى هذا .

- وما دمت أنت موجودا في حجاب أبي البشر ،فقلل النظرباستهانة إلى العاشقين .

-والأذكياء الذين دققوا كثيرا في الأمور ، قد أدركوا علم الهيئة بأرواحهم .

- وعلم النيرنجات والسحر والفلسفة ، بالرغم من أنهم لا يعرفونها حق المعرفة .

٢٧٦٥- إلا أنهم جاهدوا بقدر إمكانهم ، حتى بزوا فيها كل أقرانهم .

- لكن العشق أحس بالغيرة ، وأخفى نفسه عنهم ، وغابت عنهم مثل تلك الشمس .

- ونـور العيـن الـذى رأى النجـم فـي وضـح النهــــــار ، كيـف أخفــت شــمس نفسهـــــا عنه ؟

- دعك من هذا ، واقبل مني هذه النصيحـــــة : أنظر إلى العاشقين بعين العشق

- والوقت ضيق ، والروح في مراقبة ، ولا يمكنني أن أبث عذرى لك الآن .

٢٧٧٠- فـافهم ، ولا تكـن موقوفـا علـى ذلـك القـول ، وقلـل مـن خمـش صـدور العاشقين .

- فليس الأمر كما ظننت ، من جراء هذا الإندفاع ، فلا تفرط في الحزم ، وداوم على الاحتياط .

- فهناك واجب وجائـــز ومستحيـــــل ، فتوخ الوسط من بينها ، عند الحزم أيها الدخيـــل .

بكاء الأمير من نصيحة الشيخ ، وانعكاسا لصدقه ، وإيثاره إياه بخزانته جزاء هذه الوقاحة ، واستعصام الشيخ ، وعدم قبوله إياها ، وقوله :

لاأستطيـع أن أتصرف دون أمــــر

- قال هذا وانفجر في البكاء والعويـــــل ، وسال الدمع على خديـه ، موضعـا بموضع .

- فـأثر صدقـه فـي ضميـــــر الأمير ، والعشـق يطبـخ قـدرا طريفـة فـي كــل لحظـــــة .

٢٧٧٥- إن صدق العاشق يؤثـــر على الجمـــــاد ، فأى عجب أن يؤثـر فـي قلب العالم ؟

- لقد أثر صدق موسى ﷺ على العصا وعلى الجبل ، بل أثر على البحر الخضـم المهيب .

– وصدق أحمدﷺ أثــــر على جمال القمر ، بل إنه قطع الطريق على الشمس الساطعة بالضيـــاء .

– كانا كل منهما في مواجهة الآخــــر ، وكلاهما في صياح وعويـــــل ، سواءُ الأمير والفقير .

– وعندما بكيـــا فترة طويلـــــة ، قال لـه الأمير : إنهض أيها المكرم العزيـــز !!

٢٧٨٠– اختر ما تشـــاء من الخزانـــــة ، وإن تستحق مائة ضعفها .

– إن الدار دارك ،فخذ ما تريد وتختــــار ، فالعالمان شيء قليل " بالنسبة لقدرك " .

– قال : لا إذن لي بمثل هذا ، وأن أكون آخذا لشيء بيدى مختارا إياه .

– ولا أستطيــع أن أقوم من تلقاء نفسي بهذا الفضـــول ، وأن أتدخل بنفسي " أدنى " تدخـــل .

– وهكذا تعلل ، وأغلق مجال الحديث ، فهل كان ما يمنعه أن العطاء لم يكن صادقـــا ؟

٢٧٨٥– لا ، بل كان صادقا خاليا من الغل والانفعال ، لكن كل صدق لم يكن يبدو للشيخ مقبولا .

– فقال : هكـــذا أمرني الله قائلا لي : إمض ، وتسول الخبز كما يفعل الشحاذون .[1]

---

(١)ج/١٢–٣١٠:– لقد طلبنا من هذا الباب بتسول ، وإلا فإننا لا نهتم بما فيـــه من أموال .

وصول الأمر إلى الشيخ من الغيب قائلا له : لقد أخذت طوال العامين الماضيين وأعطيت ، ومن الآن إعط ولا تأخذ ، داوم على وضع يدك تحت الحصير ، فقد جعلناه كهميان أبي هريرة من أجلك، فإنك تجد تحتها ما تريد ، حتى يؤمن الناس أن وراء هذا العالم عالما تمسك فيه التراب بيدك فيصير ذهبا ويدخل إليه الميت فيصير حيـــا ، كما يدخل إليه النحس الأكبر فيصيـــر سعدا ، ويأتي إليه السم فيصير ترياقـــا ، وهو ليس داخل هذا العالم ولا خارجه ، ولا تحته ولا فوقه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، فهو بلا كيف أو كيفيـــة ، وكل لحظة تأتي منه آلاف الآثار والنماذج كصنعة اليد مع صورة اليد ، وغمزة العين مع صورة العين ، وفصاحة اللسان مع صورة اللســـان ، لا هي داخلة فيه ولا خارجة عنه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه . واللبيب تكفيــه الإشـــارة

- لقد قام هذا الرجـل الجديـر بهذاالأمـر لمـدة عـامين بمـا أُمـر بـه ، ثـم أتـاه أمـر آخـــــر من الخالق ؛

- بعـد الآن ، داوم علـى العطــــــاء ، لكـن لا تطلـب شيئــــــا مـن أحـد ، لقـد أعطيناك من الغيب هذه القدرة .

- وكل ما يطلبه أحد منك، قليلا أو كثيــــرا (١) ، ضع يدك تحت الحصيـــــر وأخرجـــه .

٢٧٩٠- هيا ، داوم على العطاء من كنز الرحمة بلا مراء ، فإن الـتراب يتحـول في كفك إلى ذهب ، فأعط .

- أعط كلما يطلب منك ، ولا تفكر فيه ،واعلم أن عطاء الله في ازديـــــاد .

- وفي عطائنا لا تخسيــــــر ولا نقص ، ولا ندم ولا حسرة ، من هذا الكرم .

- ضع يدك تحت الحصير أيها السنـــــد ، وذلك من أن يكون في الأمر حجـاب ودريئة لعين السوء .

---

(١) حرفيـــا : من واحد إلى ألف .

– ثم املأ قبضتك مما هو موجود تحت الحصير ، وضعه في يد السائل كسير الظهـــــر .

٢٧٩٥–من بعد"التكدى"أعط من الأجر الذى لامنة فيه ، إعط لكل من يريد الجوهر المكتون .

–إمض ،وكن مصداقا لـــ(يد الله فوق أيديهم) ، ووزع الرزق كيفما أتفق ، كيدالحق .

– وخلص المدينين من ديونهم ، واجعل بساط الدنيا أخضـــــر نضرا كأنك المطـــــر .

– وظل الشيــــخ عاما "آخـــر"وهو يقوم بهذا العمــــل، كان يهب الذهب من كيس رب الدين .

– كان التراب الأسود يصير ذهبـــــا في كفه ، وكـان حـاتم الطـائي شحاذا في صفــه .

معرفـــة الشيخ ضمير السائل دون أن يتحدث ، ومعرفته مقدار دين المدينين دون حديث منهم ، وهذا دلالة على مصداق [أخرج بصفاتي إلـــى خلقـــــى]

٢٨٠٠– وذلك الفقيـــــر ، وإن لم يكن يذكر حاجتــــه ، كان يعطيه إياها، وكان يعرف ما في ضميره.

– وما كان في قلب ذلك الكسير الظهـــــر ، كان يعطيــــه مقداره، دون زيادة أو نقصــــان .

– ثم قيل له : أى علم لك يا عمـــــاه بذلك القدر الذى يفكــــر فيه ؟

– فكان يقول : إن منزل القلب خلوة ، وهو خال من الكديـــــة ، وكأنه الجنـــــة .

- وليس فيه من عمل إلا عشق الله ، وما فيه من ديـــار إلا خيـال الوصال .

٢٨٠٥- لقد كنست منزل "القلب" مما فيه من خير وشـــر ، فأصبح منزل " قلبي " مليئـا بعشق الأحـد.

- وكل ما أراه فيه غير الله ، لا يكون ملكا لي، بل انعكاس لضمير السائـل

- فإذا ظهر في الماء صورة عرجون أو نخلة ، فإنه لا يكون إلا انعكاسا لنخلة خارج الماء .

- وإن رأيت صورة في قاع النهر ، فإن تلك الصورة تكون انعكاسا لشيء موجود في الخارج أيها الفتى .

- لكن هذا الأمر يحدث عندما ينقى الماء من القذى ، فالتنقية في نهر البدن شرط لهذا الأمر .

٢٨١٠- حتى لا يبقى فيه كدر أو غثـاء ، حتى يصبح أمينا يعكس صور الوجوه .

- وليس في بدنك إلا ماء مكدر بالطين أيها المقل ، فصف الماء من الطين يا خصم القلب .

- وإنك مستمر في كل لحظة من الأكل والنوم، في طمس هذا البئر بالتراب أكثر.

سبب معرفة ضمائـر الخلق

- وعندما يكون قلب ذلك الماء خاليـا من هذه الأشيـاء ، تنعكس فيه صور الوجود من خارجه .

- وإلا فإن لك باطنا لم يُصف بعد ، والمنزل مليء بالشياطين والقردة والوحوش .

٢٨١٥- أيها الحمار الذى بقي في حماريته من العناد ، متى تعرف شيئا عن الأرواح التي تشبه روح المسيح

– وأى عـــلم لك إن أطـــل خيال ، من أى مكمـــن يطــــــل ؟

– إن الجســـد ليصـير خيـالا مـن الزهـد ، حتـى" يتـاح لـه" كنس الخيـالات مـن الباطن .(١)

غلبة مكـــر الثعلب على استعصـــام الحمـــار

– لقد جـاهد الحمـار كثيرا ودفعـه بـالقول ، لكـن الجـوع الشـديد كـان ملازمـا للحمــــــار .

– وغلبه حرصـــــه ، وكان احتماله ضعيفــــــا ، وما أكثر الحلـوق التـي ذبحهـا عشق الرغيف .

٢٨٢٠– وقد ورد عن الرسول ﷺ الذى تيسـرت لـه كـل الحقـائق " قولـه " [كـاد الفقر أن يكـــون كفرا] .

– كان ذلك الحمار قد صار رهين الجوع ، فقال في نفسه : إن كـان فـي الأمـر مكر ، فهي ميتة واحدة .

– فأنجو أيضــــــا من عذاب الجوع هـذا ، وإن كـانت هـذه هـي الحيـاة فـالموت أفضل لي .

– وإذا كان الحمار قد تـاب فـي البدايـة وأقســـــم ، فقد تخبـط فـي النهايـة مـن حماريته .

– والحرص يجعل المـرء أعمـى وأحمـق وجـاهلا ، ويجعـل المـوت سـهلا علـى الحمقى .

٢٨٢٥– والموت ليس بالأمر السهل على أرواح الحميـــــر ، فليس لديهـم مـاء الروح الخالدة .

---

(١) ج/ ١٢– ٣١٨:– فاكنس هذا الخيال الضال من الباطن ،حتى لا يجعلنك من أهل الظاهـــــر .

- ولأنه لا يملك روحا خـالدة فهو شقـــــي ، وجرأتـه علـى الأجل من جـراء حمقـــه .

- فجاهد حتى تكون لك روح خالدة ، حتى يكون لك زادٌ يوم الموت .

- ولم يكن اعتماده على الرزاق ، وأنه ينثر الجود عليـــه من الغيب .

- لم يكن الفضل حتى الآن قد حرمه يوما من الرزق ، بالرغم من أنه كان يسلط عليه الجوع بين الآن والآخر.

٢٨٣٠- وإن لم يكن ألم الجوع فهناك مائة ألم آخـــــر ، يحيق بك من جـراء التخمة .

- وألم الجوع أفضـــــل من كل تلك العلـل ، سـواءٌ فـي لطـف " حدتـه " أو فـي خفته أو " من أجل " العمــــل .

- وألم الجوع أكثر طهرا ولطفـــــا من كل الآلام ، خاصـــــة وفي الجوع مائة نفع وفضـــــل .

في بيــــان فضيلة الحمية والجوع

- إن الجوع في حد ذاتـــــه هو سلطــــــان الأدواء ، فاستمسك بـه بروحـك ، ولا تستهن به .(١)

- وكل المرضى قد شفوا بالجـــــوع ، وكـل المتـع مـردودة ، إن لـم يجـرب الجوع .

مثـــــــل

٢٨٣٥- كان أحدهـم يـأكل خـبز الشعيـــــر ، فسـأله أحدهـم : كيف تـأكل هذا الخبز بهذا الشـــره ؟

---

(١) ج/١٢-٣٢٣:- والجوع يكون نورا للعين عند الإبصــــار ، ويكون قابلية في النظر والفكر .

–فقال : عندما يكون الجوع قد أصبح ضعف الصبر ، يصبح خبز الشعير أمامي كالحلوى .

– ومن ثم أستطيع أن ألتهم كل شيء وكأنه الحلوى ، عندما أصبر ، وأنا بلا شك صبـــور .

– والجوع بالنسبة لكل شخص ليس من عدم الحيلة أو اضطرارا ، فإن مواضع الطعام تفوق الحد والحصر .

– ولقد وهب الله سبحانه وتعالى الجوع للخاصة ، حتى يصبحوا من الجوع أسودا قوية .

٢٨٤٠– ومتى يعطي الجوع لكل جلف شحـــــاذ ، ما دام الطعام ليس قليلا فإنه يضعه أمام المرء ؛

– قـــائلا له : هيـــا كله ، فأنت تستحقه ، إنك طائر خبز ولست بطائـــــر ماء .[1]

حكاية المريد الذي وقف الشيخ على حرصه وضميره فنصحه باللسان ، وفي خلال النصيحة وهبه قوة التوكل بأمر الحق

– أخذ الشيخ يمضي مع أحد مريديه دون تلكؤ ، نحو مدينة كان الخبـــز فيها شحيحـــا .

– كان الخوف من الجوع والقحط مسيطـــرا على فكر المريد ، ومن غفلته ، كان هذا الخوف يبدو عليه في كل لحظــــة .

– وكان الشيخ عارفا وواقفـــا على الضميـــر ، فقال : حتـــام وأنت في قلق وخوف ؟

(١) ج/١٢–٣٢٤:– لايوجد في رأسك إلا التفكيـــر في الخبز ، ولا يأتي إلى خاطرك إلا ذكـــره .– فماذا يكون محصولك بعد عدد من السنين ؟ إن الموت جوعا أفضل لك من هذه الحيـــاة .

٢٨٤٥- لقد احترقت من أجـــل هم الخبز ، وخطـت عيـن التوكـــل والصبـــر .

- وأنت لست من أولئك المدللين الأعـــزاء ، بحيث تحفظ عندهم دون جوز أو زبيب .

- فالجوع هو رزق أرواح خواص اللــــه ، فمتـى يكـون نصيبـا لمسكين مثلـك وشحاذ ملحاح ؟

- فكم مطمئنـــا ، فأنت لست منهم ، وأنت فـي هـذا المطبـخ لسـت " محرومـا" من الخبز .

- إن الطبـق فـوق الطبـق والخـبز فـوق الخـبز علـى الـدوام ، مـن أجـل هـؤلاء الشرهين العوام .

٢٨٥٠- وعندما يموت يتقدم الخبز قائـــلا : يـا من قتلـت نفسـك خوفـا مـن الحرمـــان ؛

- لقد مضيت ، وبقي الخبز : من بعدك " فانهض وخـــذه ، يا من قتلت نفسك خوفـــا وهلعـــا .(١)

- هيا وتوكل ، ولا تصب اليد والقـدم بـالرعدة والرعشـــة ، إن رزقـك أكـثر عشقـــا لك منك له .

- إنه عاشق ، لكنه يتلكأ عليك ، لأنه يعلم إنعدام صبـــرك أيها الفضـــولي

- ولو كان عنـدك صبـــر لأتـاك الـرزق ، ولألقـى بنفسـه عليك ، كمـا يفعـل العشاق .

٢٨٥٥- فما هذه الحمى ذات الرعشـــة خوفـــا مـن الجـوع ؟ مـادام العيـش ممكنا بشبع في التوكل .

---

(١) ج/ ١٢- ٣٢٦:- وعلى كل لقمة مكتوب بوضـــوح ، أنها لفلان بن فلان بن فلان .

حكاية تلك البقرة التي كانت وحيدة في جزيرة كبيــرة ، والحق تعالى يملأ تلك الجزيرة بالأعشاب والرياحين وهي علف البقرة ، وحتى دخول الليل كانت البقرة تأكل وتسمن كأنها قطعة من الجبل ، وعندما يجن الليــل لا تنام من القلق والخوف محدثة نفسها قائلــة : لقد أكلت كل المرعــى فماذا أرعى غدا ؟ حتى تصاب بالنحول من هذا القلق كأنها عود الخلال ، وتنهض صباحا فترى المرعى أكثــر نضرة وأكثر خصبا مما كان عليه بالأمس ، فترعى ثانيــة وتسمن ، ثم يحل بها نفس الغم ليـــلا ، ولسنوات وهي ترى نفس ما تراه ولا تطمئن

– هناك جزيـــرة خضراء في الدنيـــا ، فيها بقـــرة وحيدة حسنـــة الفم .

– وهى تقـــوم برعي كل المرعى حتى الليل ، حتى تصبـح سمينـــة ضخمـة فخمـــة .

– وفي الليل من كثرة تفكيرها فيما سوف تأكله في الغد ، تصير نحيلـة كالشـعرة من الغم .

– وعندما يسفر الصبـــاح ، يصير الوادى شديد الخضـــرة ، ويصل القصيل الأخضر والعشب حتى وسطها .

٢٨٦٠– فتنهال البقرة عليـــه من شدة جوعهـــا ، وتظل قائمة بـالرعى حتـى يأتي الليـــل .

– فتصبـح مـرة ثانيـة سمينة ممتلئـــة ضخمـــة ، ويمتلـيء جسدها شـحما وقـــوة .

– وفي الليل تصاب مرة ثانية بالحمى من الفزع ، حتى تصير نحيلة من الخـوف الذى يلم بها .

- وتتســـاءل : ماذا آكل في الغد عندما يحين أوان الطعـــام ؟ وهذا هو ديدن تلك الابقـــرة لسنوات .

- إنها لا تفكر أبدا ولا تقول لنفسهــــا : إنني أرعى لسنوات من هذا المرعى وهذه الروضـــة .

٢٨٦٥- ولم ينقص رزقي منها ذات يوم قط ، فما هذا الخوف والحزن والقلق الذى لدى ؟!

- لكنها عندما يحل الليل ، فإن تلك البقرة الضخمة لا تفتأ تئن وتتوجع قائلـــة : لقد انقطع الرزق .

- إن النفس هي تلك البقـــرة ، وذلك الوادى الأخضـــر هو الدنيـــا ، فهي لا تزال تصاب بالنحول خوفا على الخبـــــز .

- قائلـــة : عجبا !! ماذا سآكل في المستقبل ، ومن أين أطلب الدسم في الغد ؟

- لقد أكلتِ لسنوات ، ولم ينقص الطعـــام ، ودعك من التفكير في الغد ، وانظرى إلى الماضي .

٢٨٧٠- وتذكـــرى ما قد أكلت من لحـــم وشحم ، ولا تفكرى في المستقبل البعيد ، وكفاك نواحـــا .(١)

---

(١) ج/١٢-٣٢٨:- فلتلق بقصـــة هذه البقـــرة جانبـــا ، وأرسل رسالة إلى ذلك الحمار وذلك الأسد الفحل .

صيد الأسد لذلك الحمار ، وظمىء الأسد بعد افتراسه للحمه ، فذهب ليشرب من عين ماء وحتى عودته كان الثعلب قد أكل القلب والكبد والكلى وهي ألذ ما فيه ، فطلبها الأسد ولم يجدها ، وسأل الثعلب : أين القلب والكبد ؟ فقال الثعلب : لو كان له قلب أو كبد ثم رأى ذلك الرعب في ذلك اليوم ونجا بنفسه بألف حيلة ، فمتى كان سيعـــود إليك ؟ (لوكنا نسمع أو نعقـــل ، ما كنا في أصحـــاب السعيـــر)

– لقد اصطحب الثعيلب الحمار حتى الأســـد ، ، فمزقـــه إربا ذلك الأســـد الهصـــور .

– وظميء من لحمه ملك الوحوش ، فذهب صوب النبـــع ليشرب المـــاء .

– فأكل الثعيلب كبده وقلبه في تلك اللحظـــة ، عندما سنحت لـــه الفرصـــة .

– وعندما عاد الأســـد من النبع إلى الطعـــام ، بحث في " جثة " الحمـــار عن القلب ، فلم يجد لا قلبا ولا كبدا .

٢٨٧٥– فقال للثعلب : أين الكبد ؟ وماذا حدث للقلب ؟ فلا بد لكل حي من وجود هذين !!

– فأجاب : متى كان سيعـــود إلى هنـــا ، إن كان له قلب أو كبـــد ؟

– كان قد رأى تلك القيامة والحشـــر ، وسقوطه من الجبل والهول والفرار ،

– فلو كان له كبد أو كان له قلب ، متى كان سيعـــود إليك ثانيـــة ؟

– وعندما لايكون نور في القلب ، لايكون قلبا ، وعندما لا تكون روح ، ليس ثم إلا طين .

٢٨٨٠– وتلك الزجاجـــة التي لا تحتوى على نور الروح ، هي قارورة بـــول ، لا تسمها قنديلا .

– ونور المصبـــاح عطية من ذى الجلال ، وذلك الزجاج والخزف هو صنعـــة الخلق .

- فلا جرم أن يكون التعدد موجودا في الآنيـــــة ، ولا يكون في اللهب والنـور إلا الوحدة .

- ذلك أنه عـــندما تمتزج أنوار قناديل ستـــة ، لا يكون فـي أنوارهـــــا عد أو حصـــــر .

- لقد أشرك ذلك اليهـــودى لأنه " وقف" على الآنيـــــة ، لكـن ذلـك المؤمـن رأى النور وأدركه .(١)

٢٨٨٥- وعندمــــا يقع بصـــر الروح على الوعــــاء ، تراهمـا إثنين شيث ونوح عليهما السلام .

- والجدول الحقيقي هو الـذى يحتوى علـى مـــــاء ، والإنســــان هـو الـذى يكون ذا روح .

-أما هؤلاء " الذين تراهم " فليسـوا برجـــال ، إنهـم صـــور ، فهـم موتـى الخبـــز وقتلى الشهوة .

حكايـــة ذلك الراهب الذى كان يطوف نهارا بمصبـــاح وسط السوق مـمـــا كان يعانيـــه من حال

- كان أحدهم يطـوف بالسوق نهـارا وهـو يحمـــل مصباحـــا ، وقلبـــه مليء بالعشق والحرقـــة .

- فقال له فضـــولي : هيـــا ، قل لي ، عـم تبحث وتمضـي صـــوب كـل حانوت ؟

٢٨٩٠- هيـــا ، قل ، عم تطـوف باحثـــا بالمصبـــاح في رابعـة النهـار المضيء ، فأى بحث هــذا ؟

(١) ج/١٢ ٣٣٣٠:- وعندمـــا ينظر المرء إلى الروح ، يجدهما واحدا ، المصطفى والخليل عليهما السلام .

- قال : إنني أبحث في كل صـــوب عن إنســـان ، يكون حيـــا بحياة تلك النفخة " الإلهيـــة "(١)

- فهل ثم رجـــل ؟ فأجاب : هذا السوق مليء بالرجال آخرا أيها الرجل الحر

- قال : أريد رجلا على الجادة في طريقين ، إن وجد في طريق الغضب ، وإن وجد في طريق الشره والشهوة .

- فأين رجل عند الغضب وعند الشهوة ، إنني أسرع من حي إلى حي طالبا لرجل !!

٢٨٩٥- فأين رجل واحد في الدنيـــا إن وجد في هاتين الحالتين ، حتى أفديـــه بروحي اليـــوم .

- قال : إنك تبحث عن شيء نادر ، لكنك غافل عن الحكم والقضـــاء ، فانتبـــه .

- وأنت ناظرٌ إلى الفرع غافلٌ عن الأصـــل ، ونحن فروع ، والأصـــل هو أحكام القدر .

- والقضـــاء يجعل الفلك الدوار ضالا ، والقضاء يجعل من مائة عطـــارد بلهاء .

- ويجعل دنيـــا من الحيل شديدة الضيق ، ويجعل الحديد والصخر مـــاءً .

٢٩٠٠- فيا من رسمت " وخططـت " للطريـق خطـوة بخطـــوة ، إنـك ســاذج سذاجة شديدة .

- فما دمت قد رأيت دوران حجر الطاحـــون ، أنظـــر آخرا إلى ماء الجدول وتعـــال .

---

(١) ج/١٢*٣٣٣:- قال : لقد صرت باحثـــا عن إنســـان ، ولا أجد إنسانـــا على الإطلاق ، وصرت حائـــرا .

- ورأيت التراب قد ارتفع في الهـــواء ، فانظر إلى الريح من بين التراب .
- وإنك لترى قدور الفكـــر وهي آخذة في الغليـــان ، فـانظر أيضـــا إلى النار بوعي ويقظـــة .
- وقد قال الحق لأيوب ﷺ " وهو يحدثه" عن مكرماته لـه : لقد أعطيتك صبـــرا بكل شعرة فيك .
٢٩٠٥- فانتبه ولا تنظر إلى صبرك هذا كثيـــرا ، لقد رأيت الصبر ، فانظـــر إلى عطاء الصبر .
- وحتام تنظـــر إلى دوران الساقيـــة ، أطل برأسك ، وانظر أيضـــا إلى الماء المندفع .
- وأنـت لا تفتـأ تقـول : إننـي أراه ، لكـن رؤيتـه ذات علامـات وأمـارات واضحـــة .
- ولما كنت قد رأيت شيئـــا من دوران الزبد ، فإن كنت تريد الحيرة ، فأمعن النظر في البحر .
- فذلك الذي رأى الزبد ، يكون متحدثا بالأســـرار ، وذلك الذى رأى البحـر ، يكون حائـــرا .
٢٩١٠- وذلك الذى رأى الزبد ينتـــوى النوايـــا ، وذلك الذى رأى البحر خاطر وتهور وأقدم .
- وذلك الذى رأى الزبد يكون مشغولا بـالعدد ، وذلك الذى رأى البحـر ، صـــار بلا اختيـــار .
- وذلك الذى رأى الزبد ، يكون فـي دوار وطـواف ، وذلك الذى رأى البحـر ، يكون صافيـــا لا كدرفيه .(١)

---

(١) ج/١٢-٣٣٤:- وذلك الذى رأي الزبد جعله عاطلا ، وذلك الذى رأى البحر حمله إلى المشنقـــة .- وذلك الذى رأى الزبد صار ثملا به ، وذلك الذى رأى البحر غرق في ذاته هو .- وذلك الذى رأى الزبد أخذ=

دعـــوة المسلـــم للمجوســـى

– قال أحدهم لمجوسي : هيـــا يا فـلان ، أدخـل فـي ديـن الإسـلام ، وكـن مـن المؤمنين .

– قـال : إن شـاء اللـه أصير مؤمنـــا ، وإن زادنـي مـن فضلـــه ، أكـون أيضـــا موقنا .

٢٩١٥– فقال له : إن الله يريـد إيمانك ، حتى يخلص روحك من بين براثـن الجحيم .

– لكن النفس الشؤم وذلك الشيطـــان القبيح ، يجرانك نحو الكفران ونحو معبـد النيـــران .

– فقال له : أيها المنصف : إذا كان هذان غالبين ، فلأكن رفيقـــا لمن يكـون قويـــا .

– إنني استطيع أن أكون رفيقـــا لذلك الذى يكـون غالبـا ، وأنضـم إلـى ناحيتـه فالغالب جاذب .

– فإذا كان الله يريد مني الصدق القـوى العظيـم ، فـأى نفـع لإرادتـه هذه إن لـم تتقدم وتغلب ؟

٢٩٢٠– والنفـس والشيطـــان قد أرادا ونفذا ، أمـا تلك العنايـة فقـد هزمـت وتحطمت ، وصارت بددا .

– و"هـب" أنك قد بنيت قصـرا شامخـــا ، وقمـت بتزيينـه بمئـات الصـور الجميلـــة .

– وقد أردت أن يكون ذلك المكان مسجدا للخير ، فجاء آخـــر وجعل منه ديرا

-في الحديث ، وذلك الذى رأى البحر ، فرغ من " أنا" و"نحن" .– وذلك الذى رأى الزبد صار مصفى " من الكدر" ، وذلك الذى رأى البحر ، إستراح من كل شيء .

- أو أنك نسجت كرباسا لتجعل منه قباءً تلبسه سعيدا ؛

- وكنت تريده قباء ، فجاء خصمك معاندا وجعل من الكرباس سروالا بالرغم منك ؛

٢٩٢٥- فما حيلة الكرباس يا روحي إلا الاستسلام لذلك الرأى الغالب ؟

- وإذا كان الكرباس قد أرغم ، فما ذنبه ؟ ومن ذلك الذى لايكون مغلوبا لمن يكون غالبا ؟

- وإذا كان أحدٌ قد هاجم أحدهم رغم إرادته ، وغرس أجمة شوك في منزله وفي ملكه ،

- ويكون صاحب الدار على هذه الدرجة من الضعف والذلة ، بحيث يجرى عليه هذا الأمر خلافا لرغبته ؛

- أأصير أنا مهانا خلقا لمثل هذا الذليل حتى وإن كنت نضرا فتيا ؟!

٢٩٣٠- وما دامت رغبة النفس قد انتصرت ، فإن قولك " ما شاء الله كان " يكون سخرية .

- وأنا وإن كنت عارا على المجوس كافرا ، فلست بالذى أظن في الله هذا الظن .

- وهو أن يكون أحدٌ على غير مشيئته ورغبته نافذ الأمر في ملكه .

- وتقوم النفس بالاستيلاء على ملكه هذا ، ولا يستطيع خالق النفس أن ينبس بحرف .

- إنه يريد دفعه وهكذا ينبغي له ، لكن الشيطان يزيد له في الأحزان في كل لحظة .

٢٩٣٥- فينبغي أن يكون المرء إذن عبدا للشيطان ، مادام الشيطان هو الغالب في كل محفل .

– وذلك حتى لا ينتقم الشيطان منى ، ولا كان ذلك ، وأى عون يسديه لي آنـذاك ذو المنن؟!

– وما دام ما يريده ذلك " الشيطـــان " يتحقق له ، فمـن أى شـيء إذن ينصلح حالي وأمرى ؟

مثـــل الشيطـــان على باب الرحمـــــن

–حاشـــا للـه ، بل مـا شـــاء اللـه كـان ، هـو الحـاكم " الفـرد " فـي المكـان واللامكان .

– ولا أحد يزيد في ملكه بمقدار طرف شعرة واحدة ، اللهـم إلا كـان هـذا بأمــــره .

٢٩٤٠– فالملك ملكـــــه ، والأمر لــــــه ، وذلك الشيطان هو أقل الكلاب علـى بابه .

– ذلك أن التركماني إن كان له كلب على بابـــــه ، فإنه إنما ييمم وجهه ورأسه شطر هذا الباب .

– فيقوم أطفال الدار بشده مـن ذيلـــــه ، ويكـون ذليـلا بيـن أيـدى أولئـك الأطفـــــال .

– لكن عندما يمر غريب بهذه الديــــار ، يهجم عليه وكأنه الأسد الهصور .

– إنه يعمل مصداقا لــ ﴿ أشداء على الكفـــار ﴾ ، إنـه ورد علـى الولـي شوك على العدو .

٢٩٤٥– ومن الماء بالدقيق أو النخالـة الذى يطعمـه إيـــاه التركمـاني ، صـار وفيـــا إلى هذا الحد وحارســـا.

– ومن هنا فإن الكلب الشيطـــان الذى يخلقه الحق ، يجدل " فـي خلقتـه" مائـة فكرة ومائة حيلة .

- ويجعل طعامه من ماء وجوه " البشر " ، حتى يريق ماء وجه الصالح والطالح

- والماء بالنخالة بالنسبة له هو ماء وجه العموم ، إذ يجد منه الكلب الشيطـــان القوت والطعـــام .

- فكيف لا تكون روحه فداءً للحكم على باب مخيم القدرة ؟ ألا فلتخبرني .

٢٩٥٠- والحاكمون والمحكومون قطيعا قطيعا ، كالكلاب " على هذا الباب " باسطو أذرعهم بالوصيد .

- إنه على باب كهف الألوهية كأنه الكلب ، ممتثـــلا للأمر بكل كيانه ، نافر العرق " تحفزا " .

- ويا أيها الكلب الشيطـــان ، داوم على الامتحـــان ، حتى ترى كيف يضع الخلق أقدامهم في هذا الطريق

- وداوم على الهجوم والمنع ، وانظـــر ، حتى يتميز الذكر من الأنثى في الصـــدق .

- فمن أى شيء تكون " المعوذة " ؟ عندما يصبح الكلب من التوقح سريـــع الهجوم .

٢٩٥٥- فإن المعوذة تعني : أيها التركي الخطائي ، استدع كلبك ، وافتح الطريـــق .

- حتى آتي على باب مخيمك ، وأطلب حاجة من جودك ومن جاهك .

- وإذا كان التركماني عاجزا أمام سطـــوة الكلب ، فإن هذه " المعوذة " وهذا الصياح لا يجوزان .

- وهل يقول التركي أيضـــا : إنني استعيذ الله من الكلب ، فإنني أيضا قد ضقت ذرعا بالكلب فى موطنى ؟

– وإنك لا تجرؤ على المجيء إلى هذا الباب ، كما أنني لا أجرؤ على الخروج من نفس الباب .

٢٩٦٠– فلتحث التراب إذن على رأس التركي ورأس ضيفه ، ذلك أن كلبا يأخذ بخناقيهما .

– حاشا لله ، إن التركي ليصيح صيحة واحدة ، وماذا يكون الكلب بعدها ؟ إن الأسد الهصور ليقيء دما.

– وأنت يا من سميت نفسك أسد الله ، لقد مضت سنوات وأنت عاجز من كلب .

– وإذا كان هذا الكلب يقوم بالصيد من أجلك ، فكيف أصبحت صيدا للكلب على الملأ ؟

جواب المؤمن السني على الكافر الجبرى ، وإيراده الدليل على إثبات الاختيار للعبد ، والسنة طريق سلكه الأنبياء عليهم السلام ، وعلى يمين ذلك الطريق صحراء الجبر التى لا ترى لنفسها اختيارا وتنكر الأمر والنهي وتقوم بتأويلها ، وإنكار الأمر والنهي يستلزم إنكار الجنة والنار ، فإن الجنة هى جزاء مطيعي الأمر ، والنار جزاء مخالفي الأمر ، ولا أقول إلام يتطور الأمر فالعاقل تكفيه الإشارة ، وعلى يسار ذلك الطريق صحراء القدر التى تعتبر قدرة الخالق مغلوبة لقدرة الخلق ، ومن ذلك تتولد أنواع من الفساد يعددها ذلك المجوسي الجبرى .

– قال المؤمن : استمع أيها الجبرى إلى الخطاب ، لقد قلت ما عندك ، وآتيك عليه الآن بالجواب .

٢٩٦٥– ولقد رأيت لعبتك يا لاعبا بالشطرنج ، فانظر إلى لعبة خصمك نظرة شاملة متمعنة .

– ولقد قرأت كتاب اعتذارك ، فاقرأ كتاب السني ، ولأى شيء عجزت .

– لقد ذكرت نقطة عن القضـــاء كما يقول الجبريـــون ، فاستمع إلى سرها الآن ، فيما حدث .

– فإن لنا اختيارا دون أدنى شك ، وإنك لا تستطيع أن تنكر الحس ، عيانا بيانـــا .(١)

– فإن أحدا لا يقول للحجـــر تعال ، ومن مدر لا يطلب أحدٌ الوفـــاء .

٢٩٧٠- ولا يقول أحد لإنســـان : هيا ، طر ، أو تعال أيها الأعمـــى وانظـــر إليّ .

–فقد قال الله :﴿ ليس على الأعمى حـــرج ﴾ ، فمتى يضع على أحد حرجـــا رب الفرج ؟

– ولا يقول أحد لحجر لماذا تأخرت في المجيء ، أو يقول : أيتها العصـــا ، لماذا قمت بضربي ؟

– فهل يطالب أحدٌ مجبرا بأشيـــاء ، أو هل يلومن أحد معذورا أو يضربـــه ؟

– فالأمر والنهي والغضب والعقاب والثواب ، لا تكون إلا للمختار يا طاهر الجيب .

٢٩٧٥- وهناك اختيـــار في الظلم والضيـــم ، وأنا الذى أردتهما من الشيطـــان والنفس .

– وهناك اختيـــار كامن فى باطنك ، ما لم ير مثيل يوسف ، لا يقوم بجرح اليد .

– كان الاختيار وكان الداعي موجودا في النفس ، رأى وجهه ففتح الجناح والقـــوادم .

---

(١) ج/١٢-٣٥٧: فانظر إلى اختيارك ولا تكن جبريـــا ، ولقد تركته فعد إليه ، ولا تمش باعوجـــاج .

- فالكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط بصبص بذنبــــه .

- والحصـــــان يصهل عندما يرى الشعيـــــر ، والقطة تموء عندمـــا يتحرك اللحم .

٢٩٨٠- فالرؤيـــة تحريك لهذا الاختيـــار ، كالنفخ يثير من النار الشـــرار

- ومن هنا فإن اختيارك قد تحرك ، عندمـا صـار إبليس رسول غـرام ، وأتـاك برسالة من محبوبك .(١)

-وعندما يعرض الشيء المشتهى على امرىء مـا ، فـإن الاختيـار النـائم يتمطـى وتتفتح أعطافـــه .

- ثم إن ملائكة الخير - برغم أنف الشـيطان - تعـرض هـي الأخـرى مـا لديهـا وتقيم ضجة في القلب .

- حتـى يتحـرك اختيـار الخير لذلك ، فقبل العرض ، تكـون هاتـان الخصلتـان نائمتين داخلك .

٢٩٨٥- إذن فالملاك والشيطـــــان كلاهما عارض عليـك ، وذلـك مـن أجـل أن تتحرك عروق الاختيار فيك

- فمن أنواع الإلهام وأنواع الوسوســـة ، يكون اختيـار الخيـر والشـر عنـدك ، بقدر ما يكون عند عشرة أشخاص .

- ومن هنا فعند ختم الصــــلاة أيها المليح ، ينبغي منك السلام على الملائكة .

- وكأنك تقول : إنه من دعائكم وإلهامكم الطيب ، كان اختيارى لهذه الصــــلاة مشمولا بالنفاذ ,

- ثم إنك من بعد ارتكاب الذنب تلعن إبليس ، الذى صرت من وساوسـه منحنيـا هكذا .

---

(١) حرفيا : من ويس ، وويس هو محبوب رامين في القصة المشهورة .

٢٩٩٠- إن هذين الضدين يقومان بعرض " ما لديهما " عليك في الباطن ، جاءا من حجاب الغيب عارضين عليك .

- وعندما يرتفع حجاب الغيب من أمامك ، فإنك ترى وجوه من يقومون باقتيادك

- وتعلم ثانية من كلامهم دون أدنى أذى أو ضـــــرر ، أنهم هم الذين كانوا يتحدثون إليك في الســر.

- فيقول لك الشيطـــان : يا أسير الطبع والجســد ، لقد كنت أعرض عليك ، ولم أجبرك .

- ويقول لك ذلك الملاك : لقد قلت لك أنك سوف تزداد حزنا من هذا السرور " الذى أنت فيه " .

٢٩٩٥- وألم أقل لك في يوم كذا أن طريقك إلى الجنان موجود من هذه الناحيـــة ؟

- ونحن محبوك بالروح ، ونحن الذين نطيل في عمرك ، ونحن الذين سجدنا بإخلاص لأبيك .

- ونحن الآن لا زلنا في خدمتك ، ونحن الذين ندعوك نحو السيد " العظيـــم "

- وتلك الجماعة كانت عدوة لأبيك ، وقد رفضت الخطاب الإلهي القائل ﴿أسجدوا لآدم ﴾ .

- ولقد أخذت ما قدموا ، وتركت ما قدمناه ، ولم تعرف لنا حق الخدمـــة والاحتـــرام .

٣٠٠٠- فانظر الآن عيانا إلينا وإليهـــم ، وأمعن النظـر ، وتعرف من اللهجة والبيـــان .

- إنك عندما تستمع إلى سر في منتصف الليل من صديق ، تعرف من هو هذا الصديق عندما يتحدث عند انبلاج الصبـح .

- وإذا جاءك شخصان بخبر بليـــل ، فـإنك تعرفهما فـي ضـوء النهـار عندمـا يتحدثـــان .

- لقد بلغ مسمعه زئير الأسد ونباح الكلاب في الليل ، لكنه لم ير شكل أيهما في الظلمة .

- وعندما انبلج الصبح ، وأطلق كل منهما صوتـه المعهـود ، فإنـه يعرفهمـا من الصوت ، ذلك الذكي الأريب .

٣٠٠٥- الخلاصــــة ، أنهمـا كلاهمـا الشيطان والـروح عارضـان ، كلاهمـا موجود من أجل إتمام الاختيـــار .

- وهناك اختيار في وجودنا مستتر غير ظاهر ، وعندما يرى موضوعين يزداد

- والأسـاتذة يقومـون بضـرب الأطفــــال " تأديبـا" ، ومتـى يقومـون بتـأديب الحجارة السوداء هكذا ؟

- وإنك لا تقول أبدا لحجر : تعال غدا ، وإن لم تأت عاقبتك عقابا شديدا .

- فهل يضرب عاقل قط مدرا ؟ وهل يعاقب أحد قط حجرا ؟

٣٠١٠- والجبر في نظر العقل أكثر افتضاحا من القدر ، ذلك أن الجبرى ينكر حســـه .

- لكن القدرى ليس منكرا للحس ، إنه يقـــول : إن فعل الله لا يكون حسيـــــا يا بنى .

- والمنكر لفعل الإلــــه الجليل ، هو قائم على إنكـار المدلـول الـذى قـام عليـه الدليل .

- إنه - أى القدرى - يقول : هناك دخــــان ولا نار ، وهناك نور شمع ، دون شمع مضيء .

– أما هذا –أى الجبرى – فيرى النار جهارا نهـارا ، ويقـول أنهـا غـير موجـودة لمجرد الإنكـــار .

٣٠١٥– إن ثوبــه يحترق ، ويقول : لا توجد نار ، وهو يخيط ثوبه ، ويقـول : لا يوجد خيط .

– ومن ثم فدعوى الجبر هذه من قبيل السفسطـــة ، ومن هنا فهي أسوأ في هـذه الناحية من دعوى القدر .

– والجبرى يقول : هناك عالم ، لكن لا رب ، وذلـك لأنـه يقـول : يـا رب ، ولا يستجاب له .

– والآخر يقول : الدنيا في حد ذاتها عدم وهبـــاء ، فهو سوفسطائي في التواء واعوجـــاج .

– فالعالم بأجمعه مقر بالاختيار ، والأمر والنهي ، وافعل هذا ولا تفعل ذاك .

٣٠٢٠– وهو يقول بأنه لا أمر ولا نهي ولا اختيار ، وهذا كله هباء .

– والحيوان مقر بالحس أيها الرفيق ، لكن إدراك الدليل " بالنسبة له " دقيق .

– ذلك أن الاختيـــار محسوس لنـــا ، ويجمـل أن يـأتي عليـــه التكليـف بالأمـــر .

في بيان أن الإدراك الوجداني كالاختيار والاضطرار والغضب والاصطبـار والشبع والجوع في محل الحس الذى يعلم الأصفـر من الأحمر ويفرق بينهما ، والصغيـــر من الكبير والمر من الحلو والمسك من البعر والخشن من الناعم بحس اللمس ، والحار من البارد والمحرق من الفاتر واللين من الخشن وملمس الجدار من ملمس الشجـــرة إذن فمنكر الوجدان هو منكر الحس ، ونزيد على ذلك بأن الوجدان أظهر من الحس لأنه من الممكن قطع الطريق على الحس ومنعه من الإحساس ، وليس ممكنا قطـع الطريق على الوجدانيات ومدخلها ، والعاقل تكفيـه الإشـــارة

– إن الإدراك الوجداني يا عمـــاه هو في موضـــع الحس ، كلاهمـا يجريـان في جدول واحد .

– وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف وما يجـــرى وما يقـــال .

٣٠٢٥– وقولك : أافعل هذا " الأمر " غدا أو ذاك الأمر هو دليل الاختيـار أيهـا الوسيم الحسن .

– وذلك الندم الذى يعتريك أنك أكلت من ذلـك " الطعـام " السـيء ، قـد صـرت مهتديا إليه باختيارك أيضـــا .

– وكل القرآن أمر ونهـي و" وعـد" ووعيـد ، ومـن رأى حجـرا مـن المرمـر قـد وجـــه إليه أمر ؟

– ولا يوجد عالم أو عاقل قط يغضب من حجر أو مدر أو يحقد عليـــه .

– قائلا : لقد قلت لكم افعلوا هذا او افعلـوا ذاك ، فكيـف لـم تقومـوا بفعلـه ، أيهـا الموتى العجزة ؟

٣٠٣٠– ومتى يحكم العقل على الخشب أوالحجر ، ومتى ينشب الإنسـان مخالبـه في صورة مخلب ؟

– أو يقول : أيهـا الغـلام المقيـد اليـد المبتـور القـدم ، هيـــا خذ الرمـح وتعـال صوب الوغـــى ؟

– والخالق الذى يخلق الكواكب والأفـلاك ، كيـف يقـوم بـأمر أو نهـي يـدل علـى جهل ؟

– لقد محوت احتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته –جل وعـلا – جـاهلا ذاهـلا سفيهـــا .

– والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليـــه ، وإن الجهل ليكـون أقبـح مـن العجـــز .

٣٠٣٥- والتركي يقول لضيفــــه من كرمه ، تعال إلى بابي بلا كلب ولا خرقـــة .

- وتعال من ناحيـــة كذا بتؤدة وأدب ، حتى يصرف الكلب عنك أسنانه وفمه .

- وأنت تفعل عكس ما يقول وتمضي نحو البـــاب ، فلا جرم أن تجرح من عضـــة الكلب .

- كذلك فامض كما مضى الغلمان ، ليصبح كلبه حنونا مؤدبـــا .

- وإنك إن اصطحبت معك كلبا أو ثعلب ، فإن كل كلب يثور ويهيج من داخل كل خيمـــة .

٣٠٤٠- وإن لم يكن هناك اختيـــار لغير الحق ، فكيف تغضب أنت على المجرم ؟

- وكيف تصر بأسنانك غضبـــا على العدو ، عندمـــا ترى منه ذنبـــا وجرمـــا ؟

- وإذا انكسر لوح خشب من سقف المنزل ، وسقط عليك وجرحـك ؛

- فإنك لا تغضب أبدا على هذا اللوح من الخشب ، ولا تكون حياتك كلها وقفا على الإنتقـــام منه .

- وأنت تتساءل : لماذا سقط عليّ وكســـر يدى ؟ لقد كان عدوا لـي وخصمـــا لروحي .

٣٠٤٥- وكيف تضرب الأطفـــال الصغـــار ، ما دمت تنزه الكبـــار عن " ارتكاب الجرم " ؟

- ومن يسرق مالك ، تقول : اقبضوا عليه ، واقطعوا يده ورجلـــه ، واسجنـــوه .

– ومن يقصـــد حريمك بالســـوء ، يتفجر فيـك عليه مئـات الآلاف مـن أنـواع الغضب .

– وإن أتى سيل وجرف متاعك ، فهل ينتقم عاقل قط من سيـــل ؟

– وإن هــبت الريح واختطفت عمـامتك ، متـى أبـدى قلبك ضيقـــا مـن تلك الريح ؟

٣٠٥٠– لقد صار غضبك بيانا للاختيــار ، حتى لا تقوم – كما يفعل الجبريون – بالاعتذار .

– وإن ضرب جمالٌ جملا ، فإن ذلك الجمـــل يهاجم الجمال الضـــارب .

– ولا ينصب غضب الجمل على العصـــا التي ضربته ، إذن فقد فهم البعير شيئـا عن الاختيار .

– وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينثني عليك أنت بالهجوم .

– وإن أبدى بعض الغضب على الحجـــر ، فلأنك بعيـــد ولا تطولك يداه .

٣٠٥٥– وإذا كان عقل الحيوان قد فهم الاختيـار ، فـلا تقـل هـذا القـول يـا عقـل الإنسان ، واخجـــل .

– وهذا شديد الوضــــوح ، لكن طمعا في السحور ، يغمـض ذلك الآكـل عينيـه عن النور .

– ولما كان كل ميله منصبـــا على الطعـــام ، فإنه يتجه إلى الظلام ، قائلا : لم يطلع النهار .

– وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهـــان ؟

حكاية في إثبات الاختيار أيضا ، وبيان أن القضـاء والقدر لا ينـفيـــان الاختيــــار

- قال لص للشرطي : أيها العظيم [1] ، إن ما ارتكبته كان من حكم الإلـــه .

٣٠٦٠- قال الشرطي : وما أفعله أنا أيضا " من عقاب " ، هو حكم الله أيضا يا نور عيني .

- فإن سلب أحدهم فجلة من حانوت ، على أن هذا هو حكم الحق عليه أيها العاقل ؛

- فإنك تقوم بلكمه على رأسه مرتين أو ثلاثة قائلا له : أيها الكريه ، هذا هو حكم الحق ، أعد ما سرقت .

- فإذا كان عذرك هذا لا يكون لدى البقال مقبولا في شأن فجلة أيها الفضولي ؛

- فكيف تعتمد على هذا الغدر ، وتحوم حول مواضع الأفاعي ؟

٣٠٦٥- ومن مثل هذا العذر أيها الساذج الوقح ، كيف تحل دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ؟

- فإن كل إنسان إذن يقوم بنزع شعر شاربك ، ويعتذر لك بأنه مجبر على هذا الأمر .

- فإذا كان يجوز لك بأن تعتذر بأن الأمر هو حكم الحق ، علمني إذن إياه وافتني .

- فإن عندى مائة نزوة وشهوة ، لكن يدى معقودتان خوفا وهيبة " من الله " .

- فتكرم علينا إذن وعلمنا العذر ، وفك القيود عن أيدينا وأقدامنا .

٣٠٧٠- لقد قمت بحرفة ما طوعا واختيارا ، قائلا : إن لي اختيارى وفكرى

---

(١) حرفيا : أيها الملك .

- وإلا ، كيف اخترت تلك الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيـــان .
- وعندما تأتي نوبة النفس والهـــوى ، يكون عندك اختيـــار بقدر ما يكـون عند عشرين رجل .
- وعندما يبخسك رفيقك مثقـــال حبة ، فـإن اختيـــار العـراك قد تفتـح فـي روحك .
- وعندما تحل نوبة شكـــر النعم ، فلا اختيار لك ، وتكون أقل من حجـــر .
٣٠٧٥- ويقينا أن الجحيم سوف يعتذر لك قـائلا : أعذرنـي فـي حرقـي " إياك " هكذا .
- إن أحدا لن يعذرك بهذه الحجـــة ، ولن تبعدك هذه الحجة عن كف الجلاد .
- ومـن ثـم فـإن الدنيـــا قد انتظـم سلكها بهذا الحـاكم ، ومنهـا صـار حـال الآخـــرة معلوما برمته لك .

حكاية جوابـــا على الجبرى أيضا وصحة الأمر والنهي ، وبيان أن عذر الجبرى ليس مقبولا في أية ملـــة وأى دين ، وليس موجبا للخلاص مما تم اقترافه من ذنوب ، مثلما لم ينج إبليس الجبرى بقوله (رب بما أغويتني) والقليل يدل على الكثيـــــر

- أخذ أحدهـــم يتسلق شجـــرة ، وأخذ خلسة يلقي بثمارهـــا بشدة .
- فجاء صاحب الحديقـــة وقـال : أيهـا الدنـيء ، أيـن حيـاؤك مـن اللـه ؟ مـاذا تفعـــل ؟
٣٠٨٠- قال : إذا أكل عبد الله الثمر (١) من حديقـــة الله ، فإن هذا هو عطـاء الحق ، قد أعطاه إيـــاه .

---

(١) حرفيـــا : البلح .

- فكيف تقوم بلومـــــي هكذا بشكل عامي ؟ أثم بخل على مائدة اللـــه الغنى ؟

- فنادى : يا أبيك ، هات ذلك الحبل ، حتى أجيب على حاوى المحاسن هذا .

- فأحكم شد وثاقه إلى الشجرة ، وأخـذ يضربـه بالعصـــــا علـى سـاقه وظهـره ضربا شديدا .

- فقال له : إستحي آخرا من الله سبحانه وتعـالى ، إنـك تقتـــل هـذا البرىء صبــــرا .

٣٠٨٥- فقال : إن عبد الله يضرب عبده الآخـــــر بعصا الله ، " يضربه " على ظهره سعيدا .

- إنها عصا الحق ، كما أن الظهر له ، والجنب له ، وأنا مجرد غلام لـه ، وأداة لتنفيذ أمره .

- قال : لقد تبت عن الجبر أيها الماكـــــــر ، هنـاك اختيـار ، هنـاك اختيـار ، هناك اختيار .

- واختياره هو الذى اختار كل أنواع الاختيـــــار ، واختياره كالفارس " مخفي " في الغبار .

- واختياره هو الـذى يقوم باختيارنـا ، ومن ثم صــــار الأمر مستندا على الإختيار .

٣٠٩٠- والتسلط على صورة بـلا اختيـــــار ، موجـود عند كل مخلوق عند قدرته عليهـــــا .

- حتى ليجر الصيد دون اختيار من هذا الصيد ، وحتى يسحب زيـدا جارا إياه من أذنيـــــه .

- لكن صنع الصمد يستطيع بلا آلة قط ، أن يجعل اختيـــــاره وهقـــــا له .

- فإن اختيـــــاره يقيد زيدا هذا ، يصيده الحق دن كلب دن فخ .

- النجار يكون مسلطـــا على الخشب ، وذلك المصور يكن حاكما على الجمال " الذى صوره " .

٣٠٩٥- كما أن الحداد قيـــم على الحديـــد ، والبناء مسيطر على آلـة عملـــه .

- العجيب أن كل هذه الإختيارات ، تسجد أمام اختياره كالعبيد .

- قدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أى منها ؟

- ومن ثم فإن قدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقم بنفي الاختيـــار عنها .

- فدام على القل بأنها مشيئة الله على وجه الكمـــال ، فليس فيها نسبة الجبر أو الضـــلال .

٣١٠٠- ما دمت قد قلت إن كفرى هو مشيئتـــه ، إعلم أن مشيئتك أيضـــا موجودة .

- ذلك أن كفرك لا يكون دون مشيئـــة منك ، إن الكفر بلا مشيئـــة منك قول متناقض .

- فالأمر للعاجز قبيح وذميم ، والغضب " عليه " أقبح ، خاصة عندما يكون من الرب الرحيـــم .

- والثور الذى لايقبـــل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا لم يحقر قط لأنه لم يطر .

- وإذا لم يكن الثور معذورا في فضول الفعل والقول ، فمن أى شيء يكون صاحب الثور الوقح معذورا ؟

٣١٠٥- وما لم تكن مريضـــا ، لا تربط رأسك ، فالإختيار لك ، ولا تسخر من شاربك .

- وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتصير آنذاك متجردا عن ذاتك بلا اختيـــار .

- وعندما تصبح تلك الخمر هي اختيارك الكلي ، تصير كالثمل معذورا على الإطـــلاق .

- وكل ما تدقه ، يكون مدقوقا بتلك الخمر ، وكل ما تكنســـه يكون مكنوســـا بها .

- ومتى يفعل ذلك الثمل إلا العدل والصـــواب ، فلقد شرب من كأس الحق الشــــراب .

٣١١٠- ولقد قال السحرة لفرعون : قف ، ليس عند الثمل اهتمامٌ باليد والقدم .

- إن أيدينا وأقدامنا هي خمر ذلك الواحد ، واليد الظاهـــرة مجرد ظل لا قيمة لـــه .(١)

معنى ماشاء الله كان أي أن المشيئـــة مشيئته والرضا له ، فاطلبوا رضاه ، ولا تضيقـــوا برد الآخرين وغضب الآخرين ، وبالغم من أن كان فعل ماض إلا أنه لا ماض ولامستقبل في فعل الله مصداقا لـ(ليس عند اللـــه صباح ولا مســـاء)

- إن قول العبد : ما شاء الله كان ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساســه .

- لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أى زد في تلك العبادة وكن مستعدا .

- فإذا قيل لك : إن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعل فعلك ، " فقم بـه " حسب هواك .

---

(١) ج/١٢-٤٠٥:- وما دامت كأســه مليئة من خمره على الدوام ، فإنه يستولي على منزل القلب بأجمعـــه

٣١١٥- يجوز لك حينذاك أن تتكاسل ، فإن كل ما تريده وكل ما تقوله هو الـذى يصيـــر .

- وعندما يقال لك : ما شاء الله كان ، يعني أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .

- وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبوديـة حـول بابـــه ؟

- فإذا قيل : إن كل ما يريده الوزير يكون له ، سواء في الأخذ أو في الرد ؛

- فهل تحوم حوله سريعا وبقوة مائة رجل ، حتى ينثر فوق رأسك الإحســـان والجود ؛

٣١٢٠- أو تهرب من الوزير ومن قصـــــره ؟ إن هذا لا يكون بحثا عن " عطائه" وعن نصره .

- لقد قلبت هذا الكلام وصرت كســـولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك

- " فالأمر أمر السيد فلان " ماذا تعني ؟، تعني : قلل الجلوس مع غيـــره .

- وطف حول السيد ما دام الأمر لــــه ، إنه يقتل العدو ، وينجي روح الصديق

- وكل ما تريده سوف تجده على سبيل اليقين ، وقلل السير عبثا ، واختر محضره وخدمته .

٣١٢٥- أو .. لا .. ما دام حاكما لا تطف حوله ، حتى تصير أسود الكتاب مصفـــر الوجه .(١)

- إن التفسير الصحيح هو الذى يجعلك متحمســـا ، ويجعلك مليئا بالنشاط والرجاء وذا حيـــاء .

- أما إذا جعلك واهنا ، فاعلم حقيقة أنه تبديل ، ليس بتأويل " أو تفسير " .

---

(١) ج/ ١٢-٤١٢:- فما دام هو الحاكم ، إلزمه فحسب ، فليس لغيره حكم ولا منه عـــون .

– ولقد جاء هذا القول من أجل التشجيــــع ، وجعل المرء متحمســـــا ، وذلـك حتى يأخذ بأيدى القانطين .

– فاسأل عن معنى القرآن من القرآن فحسب ، ومن ذلك الـذى أضـرم النـار فـي هوســـــه ونزوتـــــه .

٣١٣٠– وصـار للقـرآن فـداءً وأمامـــــه ذليـلا ، حتـى صـارت عيـن روحـه قرآنـــــا .

– والزيت الذى صــار بأجمعـــه فداءً للـورد ، سواءٌ عليـك أن تشـمه زيتـــا أو تشمه وردا .(١)

وأيضـــا [قد جف القلم] يعنى جف القلم وكتب لا تستوى الطاعة والمعصية لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفـران ، جف القلم أن الله لايضيـــع أجر المحسنين .

– وهكذا أيضـــا تأويل قد جـف القلـم ، إنهـا مـن أجـل التحريـض علـى الشـغل الأهـــم .

– إذن فقد كتب القلم أن لكل فعل ما يليق به من تأثيـــر وجزاء .

– تسير معوجـــا ، يـأتيك الاعوجـاج ، جـف بهـذا القلـم ، وإن أتيـت بـالصدق والاستقامة ، تتولد لك السعادة .

٣١٣٥– وإذا ارتكبت الظلم ، فـأنت مدبـر سـيء الحـظ ، جـف القلـم بهـذا ، وإن عدلت ، فأنت ذو نصيب من الرحمة ، بهذا جف القلم .

– وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمـر يصـير ثملا ، جف القلم .

---

(١) ج/١٢–٤١٣:– وإن كنت لا تعلم فابحث عن تأويله ، حتى تشرق " الحقيقة " على قلبك عيانا .

- فهل تجيز ، وهل يكون في الأصـــل جائزا أن يكون الحق معزولا عن حكمه الذى سبق ؟

- أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدى ، فلا تلجأ إليّ كثيرا وكفاك تضرعـا لي ؟

- لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندى سيـــان : العدل والظلــــم .

٣١٤٠- ولقد فرقت ما بين الخير والشر ، كما فرقت أيضا بين السـيء وما هو أســـوأ .

- فإن كانت عندك ذرة من الأدب ، أكثر مما لـدى رفيقك ، فإنما يعلمها فضل الرب .

- فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها جبـــــل .

- والملـك الذى لا يكون هناك فرق أمام عرشه بين الأمين وبين الظلوم " الخئون " ؛

- ولا يكون هناك فرق بين من يرتعد خوفـــا من أن يرد لديـــــه ، وبين ذلك الذى يسخر حتى من جده " وإقباله " ؛

٣١٤٥- وكلاهما يكونان عنده سواء . لا يكون ملكا ، بل احث التراب الكدر على رأســـــه .

- فلو أن مثقـــال ذرة تزيد في جهدك ، فإنها تكون موزونة في ميزان الله .

- وأنت أمام هؤلاء الملوك تقتلع الروح خدمة دائمـــا ، وهم غافلون عن الغدر وعن الصفـــاء .

- وقول واحد من نمام واش يُدس لـك ، يضيع ما قمت به من خدمة وطاعة لسنوات .

– وعند الملك الذى هو سميــــع وبصيــــر ، لا يكون هناك موضع لقول الوشــــاة .

٣١٥٠– وكل الوشـــاة عندما ييأســـون منه ، يأتون نحونــــا ، ويزيدون لنا في القيـــود .

– إنهم يتحدثون بالسوء عن المليك أمامنـا ، قائلين : إمضوا ، لقد جف القلم ، كفاكم وفاءً .

– فهل معنى جف القلم لأن يكون الأمر هكذا ؟ أن تكون أنواع الطاعة وأنواع المعصية سواءٌ بسواء؟

– بل إن الجفاء جزاءٌ على الجفاء ، جف القلم ، والوفاء ثواب على الوفاء ، جف القلم .

– ويكون العفو ، لكن أين بهاء الرجـــاء ؟ وأن يكون العبد أبيض الوجه من التقـــوى .

٣١٥٥– وإن اللص إن عُفى عـــنه ينجو بروحه ، لكن متى يصير وزيــــرا أو خازنـــا ؟

– فيا أمين الدين الرباني " أيها الإنســـان " أقبل ، فمن الأمانة نبع كل تاج ولـــواء .

– وإن ابن السلطان إن ارتكب الخيانة في حقـــه ، تفصل من جرائها رأسه عن جسده .

– وإن أبدى غلامٌ هندى الوفـــاء ، فإن إقباله يعزف له لحن : طال البقاء .

– أى غلام وأى مملوك ؟ وإن كان على الباب كلب وفي ، يكون في قلب سيده عليه مائة رضـــاء .

٣١٦٠- فإذا كان يقبل فم الكلب من هذا " الوفاء " ، فما بالك إن كان أسدا ، أي نصر يهبه إيـــاه ؟

- اللهم إلا ذلك اللص الذى يقوم بكثير من الطاعات ، فيبتلع صدقه أساس القسوة والجفاء .

- مثل الفضيل قاطع الطريق ، الذى قامر بطهــــــر ، ذلك أنه أسرع بقوة عشرة رجال نحو التوبـــة .

- ومثل سحرة فرعـــــون ، أولئك الذين سودوا وجهه من الصبــــــر والوفـــــاء .

- وضحوا بأيديهم وأرجلهم قودا لجرمهم ، ومتى يصير " لامريء" ذلك بعبادة مائة عام ؟

٣١٦٥- وأنت الذى قمت بالخدمة والطاعة لمدة خمسين سنة ، متى حصلت على مثل هذا الصدق ؟

حكاية ذلك الدرويش الذى رأى في هراة غلمان عميد خراسان المزدانين على جياد عربية وفي أقبية مطرزة بالذهب وقلانس معرقة وغيرهـــا فســـأل : من هؤلاء الأمراء والملوك؟ فقيل له : ليسوا أمراء لكنـــهم غلمان عميد خراســـان ، فاتجه إلى السماء قائلا : يا ألله ، تعلـــم إكرام العبيد من العميد ، وهناك يسمون المستوفي عميـــــــدا

- كان أحدهم يمضي متسكعا في هـــــراة ، فرأى غلامـــا لعظيـــم ؛

- يرتدى ثوبا من الأطلس ويسير متمنطقـــا بحزام ذهبي ، فاتجه إلى قبلة السمـــــاء ؛

- قائلا : يا ألله ، كيف لا تتعلم معاملة العبيد من هذا السيـــد ذى العطايــــا والمنن ؟

– تعلم إكرام العبيد يا ألله من ذلك الرئيس الذى اختاره مليكنـــــا !!

٣١٧٠– كان محتاجا عاريا بلا زاد ، شديد الإرتعاد في الشتاء من " برودة " الجـــو .

– فأبدى بعض الانبساط ذلك الغائب عن نفســـه ، وأبـدى جرأة " على الله " من فجاجتـــه .

– كان اعتماده على آلاف من المواهب التى وهبها الله لـه ، وعلى أنـه صـار نديما للحق وأهلا للمعرفـــة.

– فإذا أبدى نديم الملك يعض التوقح عليه ، لا تبدها أنت ، يا من ليس لك سنـــد .

– لقد وهب الله الخاصرة ، والخاصرة أفضل من الحـزام ، وإذا كـان أحدهم قد وهب تاجا ، فقد وهب هو جل شأنه الرأس .

٣١٧٥– حتى حدث أن اتهم الملك ذلك السيد" العميد " ، ووضع يديه وقدميـــه في الأغلال .

– وأخذ في تعذيب أولئك الغلمان قائلا : هيـــا ، دلوني على دفائن سيدكم سريعا .

– هيـــا أيها الأخســـاء ، قوموا بإفشـــاء سره لي ، وإلا قطعت حلوقكم وألسنتكم .

– وعذبهم الملك لمدة شهـــر كامل ، كان التعذيب والعصر والألم يستمر ليل نهار .

– ومزقهم إربـــا ، لكن غلاما واحدا لم يفش سر السيد " العميد " من رعايته له وحبه له .

٣١٨٠- فقال هاتف للدرويش في النوم : تعال أيها العظيم وتعلم العبودية بدورك .

- وأنت يا من مزقت جلود أمثال يوسف ﷺ وقمت باغتيابهم ، إذا مزقك الذئب ، فاعلم أن هذا من نفسك

- فالبس إذن مما تنسجه طوال العام ، وتغذ مما تزرعه طوال العام .

- إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، وهذا هو معنى قد جف القلم

- فلن تجد لسنتنا تبديلا من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .

٣١٨٥- فهيا ، إعمل ، فإن سليمان ﷺ لا يزال حيا ، وما دمت شيطانا ، فإن سيفه بتار .

- ولما كان الملاك قد صار آمنا من السيف ، فإنه لا يشعر من سليمان ﷺ بأدنى خوف .

- فإن حكمه ماض على الشيطان لا على الملَك ، والكدح فوق التراب ، وليس فوق الفلك .

- فاترك هذا الجبر ، فهو فارغ تماما ، حتى تعلم ما هو سر سر الجبر .

- واترك جبر جماعة الكسالى حتى تجد خبرا عن ذلك الجبر الذى هو كالروح .

٣١٩٠- واترك كونك معشوقا ، وكن أنت عاشقا ، يا من تخيلت أنك طيب وخير وفائق .

- ويا من أنت أكثر صمتا في " معرفة " المعنى من الليل ، حتام تبحث عن مشتر وطالب لكلامك .

- إنهم يحركون رؤوسهم " إعجابا" أمامك من أجلك ، وذهب عمرك هدرا هوسا بهم .

- وإنك تقول لي : لا تضمر الحســـد لي ، وأى حسـد يحس بـه المرء إن فاتـه الهباء والعبث .

- وإن تعليم الأخســـاء أيها الوقح ، مثل نقش المنمنمات والصور على المدر .

٣١٩٥- فعلم نفسك العشق والنظــــر ، فإنه يكون كالنقش في جرم الحجر .

- وإن نفسك معك ، تلميذ وفي لك ، وقد فنى كل ما سواها ، فأين تبحـث عنـه ؟ أين ؟

- وما دمت تجعل من الغير حَبرا وفاضــــلا ، فـإنك تجعـل مـن نفسـك سـيء الطبع وخاليـــا وفارغا .

- لكن إذا اتصل قلبك " ببحر" عدن ، هيا تحدث ، ولا تخش أن تصبح فارغـــا

- فالأمر يأتيـــه قائلا : أيها الصــــادق ، هيا قل ، لن يقل " علمـك " فهـذا هـو البحر .

٣٢٠٠- وأنصتوا تعنى أن هذا بـلاغ لمـاء " علمـك " ، إنتبـه ، قلـل الإسـراف ، فالبستان جاف الشفة ظمـــآن.

- وهذا الكلام لا نهايـــة له أيها الأب، فاترك هذا الكلام ، وتدبر العاقبـــة .

- وإن غيرتي لا تسمح لي بأن " أراهـم " يقفـون أمـامك ويسـخرون منـك ، فهـم ليسوا بعشــــاق .

- وعشاقك من خلف حجاب الكـرم ، أنظـر إليهم صـائحين " وجـدا " مـن أجلـك لحظة بلحظة .

- فكن عاشقــــا لعشـــاق الغيب أولاء ، وقلل من اكتساب العشاق الذين يدوم عشقهم خمسة أيام .

٣٢٠٥- فقد أكلوك مـن خداعهـم وجذبهـم لـك ، ولـم تـر منهـم مثقـال حبـة لعـدة سنوات .

- وحتام تقيم محفـــــلا على الطريق العام ، وقد أهلكت الخطـو ، ولـم تحصـل على رغبة واحدة .

- وفي وقت الصحة ، الكل رفـاق وأحبـاء ، وعنـد الحـزن والألـم ، أيـن الأليـف سوى الحق ؟

- وعند وجع العين والأسنان ، لأحد قط يأخذ بيدك ، إلا المغيث الفرد .

- فتذكر إذن نفس هذا الوجـــــع والمرض ، واعتبر بالسـترة الجلديـة مثـل إيــــاز .

٣٢١٠- فالسترة الجلدية هي حالة مرضك هـذه ، وهـي التـي استمسـك بهـا إيـاز بكلتا يديه .

جواب ذلك الكافر الجبري ثانية على ذلك السني الذي كان يدعـوه إلى الإسلام ، وترك الاعتقاد بالجبر ، وامتداد المناظرة بين الطرفين ، إذ لا يقطـــع مادة الجدل والجواب إلا العشق الحقيقي الذي لا يهتم بذلك وذلك فضـــل الله يؤتيه من يشـــــاء

- وبدأ الكافر الجبرى في الجواب ، بحيث تحير ذلك الرجل المنطيق .

- لكنى إذا ذكرت كل الأسئلة والأجوبة ، فإنني أحيد عن هذا المقـــــال .

- وعندنا أقوال أهم ، ذلك أن فهمك يجد بها الدليل .

- لقد ذكرنا قليلا من ذلك النقاش أيها العتل ، ومن القليل يكـون موجـودا القـانون الكل .

٣٢١٥- وهكذا يجرى النقاش حتـى حشـر البشـــــر ، بيـن أهـل الجبـر وأهـل القدر .

- فإن عجز كل منهم عن دفـــــع خصمه ، لاختفى مذهبـــه من الوجود .

– ولو لم يكن لهم من الجـواب مخـرج ، لفروا مـن ذلـك الطريـق ذى الخسـران والتباب .

– ولما كـان دوام ذلـك المسلك مقضيــــا ، فإنـه يعطيهم بعض الانتشـار عـن طريق الدلائل .

– حتى لا يصير الخصم ملزما من الإشكال ، وحتى يكون الخصم محجوبا عـن الإقبال .

٣٢٢٠– وحتى تبقى هذه الإثنتان وسبعون فرقـــة في الدنيـا علـى الـدوام وحتـى يوم الحشــــر .

– ولما كانت هذه هي أرض الظلمة والغيب ، فإنـه يجب أن تكـون هنـاك أرض من أجل الظل.

– فتبقى هذه الإثنتان وسـبعون فرقـة حتـى القيامـة ، ومـن ثـم لا تعـوز المبتـدع الدلائل .

– وعزة المخزن وقيمته ، إنما تتجلى عندمــــا يكون عليه أقفال كثيــــرة .

– وعزة المقصــــد أيها الممتحن ، تكون في وعـورة الطريـق ووجـود العقبـات وقطاع الطرق فيه .

٣٢٢٥– وعزة الكعبــــة وتلك البادية ، مـن قطـع الأعـراب للطريـق ، واتسـاع المهمه .

– وكـل سلوك فـي طريـق يكـون محمـودا ، لا بـد أن يصـادف عقبـات وموانــع وقطاع طرق .

– وهذا السلوك – أى الجبر – صـار خصمـا لذلـك السـلوك – أى الإختيـار – ، حتى يصبح المقلد حائرا بين طريقين .

- فيرى صدق كل مذهب فـي سلوكه الطريـق ، ويـرى كـل حـزب ، فرحـا بمـا لديـــــه .

- فإن لم يكن ثم جواب على كل مذهب يقطع الجدل ، لبقي الأمر على هذا الحال حتى يوم القيامة .

٣٢٣٠- وإن عظماءنا يعلمون هـذا الجـواب " المفحـم " ، وإن اختفـى عنـا نحـن وجــــه الصواب .

- والعشق هو الذى يضع كمامة على فم الوسوســــــة ، وإلا فمتى ســـد أحد " طريق " الوسواس " الخناس "؟

- فهيـــــا ، صر عاشقا ، وابحث عن حسنـــــاء جميلـــــة ، وداوم على صيد طيور الماء من جدول إلى جدول .

- ومتى تأخذ رواءً من ذلك الذى يريق ماء وجهك ؟ ومتى تفهـم مـن ذلـك الـذى يسلب فهمك ؟

- وإنك لتجد معقولات غير هذه المعقولات في العشق ذى البهاء والصولة .

٣٢٣٥- وهناك عقول للحق غير عقلك هذا ، تقوم بتدبير أسباب السمـــــاء .

- وإنك بهذا العقل تحصــــل على الأرزاق ، وبذلك العقـل الآخـر تجعـل طبـاق السماء أرضـــــا .

- وعندمـا تخســــر العقـل فـي عشـق الصمـد ، فإنـه يعطيـك عشـرة أمثالـه أو سبعمائة مثـــل .

- وأولئك النسوة عندما قامرن بالعقل ، حملن على رواق عشق يوسف عليه السلام .

- فسلب عقولهن لحظـــــة واحـدة سـاقي العمــــر ، فمللـن مـن العقـل بـاقي العمر .

٣٢٤٠- وجمال ذى الجلال أصـــل لجمال مائة من أمثال يوسف ﷺ ، فيا أقل من امرأة ، كن فداءً لذلك الجمـــال .

- إن العشق هو الذى يقطـــع هذا الجدل فحسب ، إذ يكون مغيثـــا من القيل والقال .

- فالعشق يصيب ذلك النطق بالحيرة ، فلا تكون لديه جرأة على الجدل .

- إذ يخاف إن فتح فاه ليعطي الجواب ، أن تسقط جوهرة من بين شدقيه خارجا

- فيطبق شفتيـــه تماما عن الخير والشر ، حتى لا يسقط الجوهر من هذا الفم

٣٢٤٥- مثلمـــا قال ذلك الصحـابي : عندمـا كـان الرسـولﷺ يقـرأ علينـا الفصـــول ؛

- كان ذلك الرسول المجتبى يطلب منا وقت العطاء الحضور والوقار الشديد .

- وكأن على رأسك الطيـــر ، فمن فوات ذلك العطاء ، تكون مرتعد الروح .

- فلا تستطيع أن تتحرك من مكانك ، حتى لا يطير طائرك الجميل في الهواء .

- ولا تستطيع أن تتنفس ، وتحبس السعال ، حتى لا يطير ذلك الطائر الهمـايوني الميمون .

٣٢٥٠- وإن تحدث إليك " أحدهم " بخير أو شر ، فإنك تضـــع إصبعك على شفتيك بما يعني : أصمت .

- والحيـــرة هي ذلك الطائر الـذى يسكتك ، يغلق عليك الإنـــاء ، ويغليك جيـــدا .

سؤال الملك إياز عامدا : حتام تتحدث بفرحك وحزنك إلى الحذاء والسترة وهما جمادان ؟ حتى يدفـع إياز إلى الكلام

- يا إيـاز ، ما هذا الحب لحذاء قديـــم ؟ ومـا نتيجتـــه ؟ كـأنك عاشـق لصنم .

- لقد جعلت من حذاء قديم دينـــا لـك ومذهبـــا ، كما جعل المجنون من وجه ليلى " دينه ومذهبه " .

- ولقد مزجت حب روحك بشيئين قديمين ، وعلقتهما كليهما في حجرتك .

٣٢٥٥- فحتام تتحدث مع قديمين بالكلام الجديد ، وحتـام تنفث السر القديم فـي جماد ؟

- ومثل " الشاعر " العربي تطيل حديثك عن العشق مـع الربـع والأطـلال يـا إيـــاز .

- فربع أى وزير عظيم كآصف حذاؤك هذا ؟ وكأن سترتك الجلدية هـي قميص يوسف عليه السلام .

- مثل المسيحي الذى يعترف للقسيس بجرائم عام كامل من الزنـــا والغل والغش .

- حتى يتجاوز له القسيس عن تلك الذنوب ، فإنه يعتبر عفوه من عفو الإلـــــه

٣٢٦٠- ولا خبر لذلك القسيس عن الظلم أو العدل ، لكن العشق والاعتقـاد أمران شديدا السحر .

- إن الحب والوهم ينسجان مائة في جمال يوسف عليه السلام ، وهمـا أشـد سـحرا مـن هاروت وماروت .

- وإنك لتخلق صورة ما على ذكراه ، وانجذابك بـالصورة يدفعك إلـى الحديث والكلام .

- وتتحـدث إلى الصـورة بأسرارك آلاف المرات ، مثلما يتحدث الحبيب إلى حبيبه .

- وفي حين أنه لا صورة هناك ولا هيكل ، قد انبعث منها مائة سؤال ومائة جواب .(١)

٣٢٦٥- مثل إمرأة مسلوبة الفؤاد ، تكلى أمام قبر ولدها الذى مات حديثـــا .

- إنها تتحدث إليه بالأسرار بجد واهتمام ، وذلك الجماد يبدو لها حيـــا .

- إنها تعتبر ذلك التراب حيا وحاضـــرا ، وترى للغثـــاء عينـــا وأذنـــا

- وعندها أن كل ذرة من تراب ذلك القبر ، لديها وعي ولديها أذن ، عند الوجد الذى يبدر منها .

- إنها تعتبر ذلك القبر مستمعا ، وذلك بشكل جاد ، فانظر إلى هذا العشق الساحر .

٣٢٧٠- وهي تتجه جادة إلى تراب قبره الحديث لحظة بلحظة ، وتضع وجهها الدامع عليه .

- بالرغم من أنها لم تتجه قط بهذا الشكل إلى إبنها الحبيب كأنه الروح ، عندما كان حيـــا .

- وعندما تمر عدة أيام على الحداد والسواد ، تسكن نيران وجدها وعشقهـــا .

- فإن العشق للميت لا يبقى ثابتـــا ، فاعشق الحي الذى يطيل في العمر ويزيد في الروح .

- فإنها من بعد ذلك من نفس ذلك القبر يأتيها النوم ، ويتولد لها جماد من جماد .

٣٢٧٥- ذلك أن العشق اختطف تعويذته ومضى إلى حال سبيله ، وعندما انطفأت النار المتأججة ، بقي التراب .

- وذلك الذى يراه الشاب في المرآة ، إنما يراه الشيخ في قطعة من المدر .

---

(١) حرفيا : ماءٌ ألست وبلى .

- والشيخ هو عشقك ، لا صاحب اللحية البيضـــــاء ، فهو الآخذ بـأيدى مئات الآلاف من القانطين .

- والعشق يخلق الصور في الفراق ، وعند اللقاء يبدو ما لم يدر في خلد ومــا لـم يُتصور ؛

- قائلا : إنني أصل أصل الصحو والسكر ، والذى كان على الصور هو إنعكاس حسننا .

٣٢٨٠- ولقد رفعت الحجب في هذه اللحظــة ، ونشرت الحسن بلا واسطــــــة

- ذلك أنك من كثرة ما اندمجت مع صورتي ، وجدت القوة على تجريد ذاتي .

- وعندما سيرت جذبتي من هذه الناحية ، لا يرى أن هناك جذبا بيننــــا .

- فيطلب المغفرة من الجرم والخطأ ، من وراء هذا الحجاب ، من لطــف اللـــــه .

- وعندما ينفجر نبع من صخرة ، فإن الصخرة تتوارى في هذا النبـــــع .

٣٢٨٥- ولا يسميها أحدٌ من بعد ذلك حجـــــرا ، ذلك أنه قد فــاض منها ذلك الجوهر .

- فاعلم أن هذه الصور مجرد أوعيـــــة ، وتـأخذ قيمتها مما يصبـــــه الحق فيها .

قول أهل المجنون له : إن حسن ليلى محدود وليس فائقا وأجمل منها كثيرات في مدينتنا ، فلنعرض عليك واحدة واثنتين وعشرة منهن ، وخلصنا وخلص نفسك وجواب المجنون عليهـــن

- قال البلهاء للمجنون جهلا ، إن حسن ليلـى ليس طاغيـــــا ، إنـه أمـر سـهل يسيـــر .

- فأجمل منها مئات الآلاف من الفاتنات ، كأنهن الأقمار في مدينتنا .[١]

- قال : إن الصورة كالوعـاء والحسن خمر ، واللـه تعالى يسقيني الخمـر مـن صورتها هي .

٣٢٩٠- وربما أعطاكم الله الخـــل من وعائهـــا ، حتى لايكون عشقها جارا لكم من الآذان .

- فمن وعاء واحد ، يعطي الله تعالى السم والعســـل لكل إنســـان .

- وإنـك لـترى الوعـاء ، لكـن الشـراب ، لا يبـدى وجهـه لعيـن مـن ليـس علـى الصواب .

- وقاصرات الطرف يكن لذة للروح ، لا يبدين أمارتهن إلا لمـن خـاصم نفسـه " التي بين جنبيه " .

- وهذه المدام بمثابة قاصرات الطرف ، وحجب الأوعية بالنسبة لهن كالخيام .

٣٢٩٥- فالبحر خيمـــة ، فيها الحياة للبط ، لكنه ممات للغربـــان .

- والسم يكون للحيـــة قوت وزاد ، ولغيرها يكون سمها آلاما وموتـــا .

- وصورة كل نعمة ، وصورة كل محنة ، هي لهذا جحيم ، ولذاك جنـــــة .

- إذن فكل الأشيـــاء والأجســـام التي تبصرونهـــا ، فيهـا قـوت أو سـم لا تبصرونهمـــا .

- وكل جسد كأنه الوعـــاء أو كأنـه الإنـــاء ، فيـه قـوت وفيـه أيضـا تعـب وحرقة للقلب .

٣٣٠٠- فالوعـــاء ظاهر والرغد مختف فيه ، ويعلم طاعمه ما الذى يأكلـــه منه .

---

(١) ج/١٢-٤٤٨:-هناك الآلاف أكثررقة منها وكأنهن الحـــور ، فاختر من بينهن- رفيقة جميلـــة .- وخلص نفسك وخلصنا نحن أيضا من هذا الهوس القبيح المريب .

- وكانت صورة يوسف ﷺ مثل كـأس طيبـــة ، منهـا يشـرب أبـــوه الخمـر الطروب .
- وكان لإخوته منها السم الزعاف ، الـذى كـان يزيـد مـن غضبهم وحقدهـــم الدفين .
- ثم كان لزليخــا منها الشهد والسكـــر ، فكـانت تجـذب منهـا أفيونـا آخـر للعشق .
- وغير ما كان ليعقوب من يوسف عليهما السلام ، كان منه الغذاء من نوع آخر لتلك الحسنـــاء .
٣٣٠٥- إن الشراب متنوع والوعاء واحـــد ، حتى لا يبقى هناك شك في خمر الغيب .
- والخمر من الغيب ، والوعاء من هذه الدنيـا ، والوعاء ظاهر والخمـر شـديدة الإستتار فيه .
- إنها شديدة الخفاء عن أبصـــار من لم يـؤذن لهم ، لكنهـا ظـاهرة للعيـــان لمن أذن لهـــم .
- " يـــا إلهي سكـــرت أبصــارنا * فاعف عنا أثقلت أوزارنـــــا
- يا خفيـــا قد ملأت الخافقيــــن* قد علوت فوق نـــور المشرقين .
٣٣١٠- أنت ســر كاشف أســرارنا * أنت فجـــر مفجرٌ أنهارنـــا
- ياخفي الذات محسوس العطـــــا * أنت كالمـــاء ونحن كالرحـــى
- أنـت كالريـــح ونحـن كالغبـــار * تختفي الريـــح وغبراهـــا جهـــار ." (١)

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســـي .

- فأنت ربيـــــع ونحن كالبسـاتين النضـــــرة ، وذلـك أن الربيـــــع مستتر وعطايـــــاه ظاهرة .

- وأنت كالروح ، ونحن بمثابة اليـــد والقدم ، فالقبض والبسط يتأتيان لليد من تأثير الروح .

٣٣١٥- وأنت كالعقل ، ونحن بمثابة هذا اللســـان ، وهـذا اللســـان لـه مـن العقل البيـــان .

- وأنـــت كالســـرو ونحـــن الضاحكـــــون ، فنحــــن نتيجـــــــة للســـــرورمتهللــــون .

- وإن حركتنا في كل لحظـــة ناطقة بالشهادة ، هي شهادة على " وجـود " ذى الجلال السرمدى .

- ودوران حجر الطاحون اضطرابا ، هو شهادة ناطقــــة بوجود الماء .

- فيا من أنت خارج أوهامنا وقالنا وقيلنـــــا ، ليكن التراب على مفرقي ، وعلى الأمثلة التي أقدمها .

٣٣٢٠- فإن العبد لا يصبر عن صورتك الطيبـــــة ، وكل لحظة يقول : لتكن روحي وطاءً لك .

- مثل ذلك الراعي الـذى كـان ينـاجيك قائـــــلا : يـا ألـلـه ، تعـال إلـى راعيك ومحبك .

- حتى أخلى من القمل قميصـــك ، وأخصف نعلك ، وأقبـــل طرف ثوبك .

- لـم يكـن لـه قريـن فـي الهـوى والعشـق ، لكنـه كـان عييـــا عـن التسـبيح والمقـــال .

- لقد نصب عشقـــه خيمـة على الفلـك ، وصـار الـروح كلبـا أمـام خيمـة ذلـك الراعي .

٣٣٢٥- وعندما جاش بحر عشق الإلـــــه ، أثر في قلبــــه ، بينما أثر على أذنيك ,

حكاية جحا الذي تنقب وجلس بين النساء أثناء الوعظ، ثم قام بتصرف ما عرفت منه إمرأة أنه رجـــل وصرخت

- كان هناك أحد الوعاظ ، وكان مفوهـــا جدا في بيانــــه ، يجتمع الرجـــال والنساء أسفل منبره .

- وذهب جحـــا وتحجب وتنقب ، وتسلل خفيـــة وجلس بين النســـاء .

- وسأل أحد الحاضرين الواعظ هامسا " على استحياء " : هل يكون شعر العانـة منقصا " لأركان " الصلاة ؟

- وأجاب الواعظ : عندمـــا يطول شعر العانـة ، تكون منـه كراهـة عنـد الصـــلاة .

٣٣٣٠- فأزله بالنورة أو بالموسي ، حتـى تتم أركـان صلاتـك ، وتكـون كاملـة طيبة .

- قال السائـــل : إلى أى حد ترى يكون طولهـــا ، بحيث يكون فيه " خطر " نقص أركان الصلاة ؟

- قال : عندما يكـون بقدر حبـة شـعير فـي الطـول ، تكـون الإزالـة واجبـة أيهـا السئول .

- فقال جحا " لجارته " : أنظـــرى أيتها الأخت ، هل صار شعر عانتي بنفـس ذلك الطول ؟

- ومن أجل رضـــا الله مدى يديك وتحسسـي ، أترينـه قد وصـــل إلـى حد الكراهـــة ؟

٣٣٣٥- فمدت المرأة يدهـــا في سروال الرجـــل ، فاصطدمت يدها بذكر الرجل .

- فصرخت على الفور صرخـــة عاليـــة ، فقال الواعظ : لقد بلغ قولي منها سويداء القلب .(١)

- قالت : لا ، لم يطرق القلب ، بل طرق اليد ، والويل كل الويل ، إن كان قد طرق القلب ، يا عظيم العقل .

- لقد طرق قلوب أولئك السحـــرة قليـــلا ، فصـــارت أيديهم والعصـــا شيئـــا واحدا .

- فإنك إن أخذت العصـــا مـن شيخ أيها المليك ، لتألم أكثر مما تألم أولئك السحرة عند فقدانهم الأيدى والأقدام .

٣٣٤٠- ولقد وصلت صيحاتهم بـ (لا ضيــر) إلى الفلك ، قائلين : هيا خذها ، فقد خلصت الروح من آلام النزع

- ولقد علمنا أننـــا لسنا هذا الجســـد ، وأننا مـن وراء الجسد ، نحيا بالله " الواحد الأحد " .

- وما أسعده ذلك الذى عرف نفســـه ، وبنى قصـــرا في الأمن السرمدى .

- والطفل يبكي من أجل الجـــوز والزبيب ، بينما يكون هذا أمرا هينا بالنسبة للعاقل .

- فالجوز والزبيب هما بمثابة الجســـد بالنسبة للقلب ، ومتى يصل الطفل في المعرفة إلى مرتبة الرجال .

٣٣٤٥- وكل من هو محجوب ، هو طفل في حد ذاته ، والرجل هو من يكون بعيدا عن الشك .

---

(١) ج/١٢-٤٥٣:- هيـــا تعلموا الصدق من هذه المـــرأة ، فعندما أثر قولي في قلبها صرخت هكذا .

– ولو كـان الرجـل رجـلا بلحيتـه وخصيتيـــــه ، فـإن لكـل تيـس لحيـة وشـعرا كثــــا .

– وذلك التيس يكون قائدا خائبـــا من عجلته ، فيأخذ رفاقـــه حتى " حـانوت " القصــــاب .

– لقد مشط لحيته قائلا "بفخر" : إنني سابق " متفوق " ، أجل إنـه سـابق ، لكـن إلى الألم والحزن .

– فهيــــا اختر السلوك ، ودعـك مـن اللحيـــة ، واتـرك قولـك " أنـا ونحـن" وهذه الجلبـــة .(١)

٣٣٥٠– حتى تصبح مثل عبير الـورود مـع العاشـقين ، قـائدا ومرشـــــدا إلـى رياض " الجنـــان " .

– وما هو عبير الورود ، إنها أنفاس العقل والنهـى ، فهـو مرشـــد طيـب إلـى طريق ملك الأبـــد .

أمر الملك لإياز مرة أخرى أن : إشرح سر الحذاء والسترة بوضـــوح حتى يجد أترابك الموعظة من تلك الإشـــارة ، فالدين النصيحـــة

– بين ســـر الحذاء يا إيـــاز ، وما هذه الضراعة الشديدة أمـــام حذاء ؟

– حتى يشرب " سنقر " و " بركيارق ، سر سر سترتك ونعلك .

– ويــــا اياز ، لقد وجدت العبودية منك النــــور ، وأسرع نـورك منطلقــــا من الحضيض إلى أوج الأفلاك

٣٣٥٥– فصـــــارت العبوديـة حســـــرة للأحـرار ، عندمـا وهبـت أنـت العبوديـــة الحياة .

---

(١) ج/١٢-٤٥٤:– لقد جعلت من لحيتك مزرعـــة للضحك ، فكفاك دلالا أنك أنبت لحيـــة .

– والمؤمن هو ذلك الذى في جزر" الحياة " ومدها ، يكون الكافـــــر في حســـرة من إيمانه .

حكاية الكافـــر الذى قيل له في زمن إبي يزيد : أدخل في الإســـلام وجوابه

– كان هناك مجوسي في زمن أبى يزيد ، فقال له أحد المسلمين ، وكان بشوشـــا ميالا إلى المزاح :

– مـاذا يكون لو دخلت في الإســـــلام ، حتى تظفر بالرئاســـــة وترتقي كثيـــرا ؟

– فقال : إذا كان الإيمــــان أيها المريــــد ، هو ذلك الذى عند شيخ العالم أبي اليزيـــد ؛

٣٣٦٠– فلا طاقة لي عليه ، ولا قدرة لي على احتماله ، فهو فوق ما تقوم به مساعي الروح .

– وبالرغم من أنني غير مؤمن أو موقن بدين الإســــلام ، لكنني معتقد جدا في إيمانـــه .

– وعندى إيمــــان هو أعلى من كل هذا ، هو إيمـان لطيف ذو ضيـــــاء وذو بهـــاء .

– إنني مؤمن بإيمانــــه في سرى وباطنــــي ، بالرغم من أن هناك قفلا محكما على فمي .

– وإذا كان الإيمــــان في حد ذاته هو ذلك الذى لديكم ، فليس عندى ميل إليه أو اشتهـــاء .

٣٣٦٥– وذلك الذى يكون لديه إلى الإيمان " بالإسلام " ، عندمـا يرى إيمـانكم ، يفتر ميلــــه .

– ذلك أنه يرى اسمـــــا ولا معنى ، كمـــا يطلق على الصحراء اسم المفازة .

– فيتجمد عشقـــه لإبداء الإيمـــــان عندمــــا يرى إيمانكـــم .

حكايـــة ذلك المؤذن قبيح الصوت الذي أذن في دار الكفر وأهداه رجل كافر هديـــة

– كان أحد المؤذنين ذا صوت شديد القبـــح ، وقام بالأذان في دار الكفر .(١)

– فقالوا له وكرروا القول : لا تؤذن ، فقد تنشب الحرب ويطول العداء .

٣٣٧٠– لكنـه عـاند ، وبـلا أدنـى احتــراز ، قـام بـأداء الأذان فـي دار الكفـــــر .

– وخاف الخلق من فتنة عامــة ، لكن أحد الكفار جاء بنفســـه يحمل ثوبـــا " كهدية " .

– وأحضر كهدية الشمع والحلوى وذلك الثوب الفاخـــر ، وأقبل كأنه "الرفيق" الأليف .

– وأخذ يتســـاءل : أين ذلك المـؤذن ؟ إن نداءه وأذانه لـيزيدان في الــراحة " والسرور" .

---

(١) النص هنا عند نيكلسون ومن تبعوه شديد الغموض ، فلطالما فكرت : كيف يـؤذن المـؤذن فـي دار الكفر؟! وعند جعفرى "١٢–٤٦٠" تبدأ الحكاية بأحد عشر بيت توضح النص إلى حد كبير على النحو التالي :–
– استمع إلى هذه الحكاية ياشديد الذكاء ، دعـك من صورتهـا واستمع إلـى معناهـــا .كان أحد المؤذنين ذا صوت شديد القبح ، كان طوال الليل يمزق حلقه بهذا الصوت .– وجعل النـوم العميق حراما علـى النـاس ، وأصيب بالصداع منه الخواص والعوام . – فالأطفال في خوف منه وهم في ثياب النوم ، والرجال والنساء فـي عذاب من صوته .– فاجتمعوا على الخلاص منه ، من أجل دفع إزعاجه وأذاه .– فاستدعوه في التو واللحظة ، وبذلوا له الأموال ، وقالوا : يا فلان :– إننا جميعا معجبون بأذانك ، لقد أكرمتنا كثيرا ليل نهار أيها العظيـم .– ولقد وصل لكل منا دولة وإقبال منك ، لكن النوم فارقنا منذ فترة .– فمن أجل راحتنا إعقد لسانك قليـلا ، وفـي المقابل فإن لدينا رحلة حج ، إصحبها .– وأخذت القافلة تسير نحو الكعبـة بشـوق ، فـأخذ الأمـوال ، وسـار مـع القافلة .–وفي الليل نزل أهل القافلة للراحة في موضـع مـا بـدار الكفـر.– وذلـك المـؤذن الـذى كـان عاشقـــا لصوته ، أذن في ذلك الموضع بدار الكفر .

- ماذا ؟! أية راحة في هذا الصوت القبيح ؟! قال : إن صوته بلغ مسامعنا حتى الكنيســـة .

٣٣٧٥- ولي إبنة لطيفة وذات بهاء شديد ، وكانت تشتهي الدخول في الإسلام .

- ولم تكن هذه الرغبة العارمة تفارق رأسها قط ، وكم كان ينصحها كثير من الكفار .

- لقد كان حب الإيمان قد نبت في قلبها ، وكان الحزن في قلبي كالمجمر وأنا عليه كالعود .

- كنت في آلام وعذاب ونصب وتعذيب ، فقد كانت تحرك السلسلة " نحو الإيمان " لحظة بلحظــة .

- ولم أكن أعرف حيلة لهذا الأمر ، حتى " تفضل " ذلك المؤذن بذلك الأذان .

٣٣٨٠- فقالت البنت : ما هذا الصوت الكريه الذى صك مسمعي صكــا شديدا ؟!

- إنني لم أسمع قط طوال عمرى مثل هذا الصوت القبيح ، سواءٌ في الدير أو في الكنيســة .

- فقالت لها أختها : هذا هو صوت الأذان ، إنه إعلان المؤمنين بالإسلام وشعارهــم .

- ولم تصــدق ، فســألت أخــرى ، فقالت لها الأخرى : أجل ، " هو هذا " ، يا " روح " أبيك .

- وعندما تأكدت من الأمر اصفر وجهها ، وفتر الحماس للإسلام في قلبهــا .

٣٣٨٥- ونجوت أنا ثانية من القلق والعذاب ، ونمت ليلة الأمس نوما عميقــا ، لا خوف فيه ولا قلق .

- لقد كانت راحتى هذه من صوته ، وأتيت له بهدية على سبيل الشكر ، فأين هذا الرجل ؟

- وعندما رآه ، قال له : تقبل مني هذه الهدية ، فلقد صرت لي مجيرا ومعينا .

- وما قدمته لي من إحسان وبر ، جعلنى عبد " إحسانك " على الدوام .

- ولو كنت غنيا بالمال والثروة ، لملأت فاك هذا بالذهب .

٣٣٩٠-" قال المجوسي " : وإيمانكم هذا هو احتيال وزيف ومجاز ، وهو قاطع للطريق مثل ذلك الأذان .

- لكن من إيمان أبي اليزيد وصدقه ، أصيب قلبي وأصيبت روحي بالحسرات .

- مثل تلك المرأة التي رأت جماع الحمار ، فقالت : واحسرتاه ، ما هذا الفحل الفريد ؟

- إذا كان هذا هو الجماع فقد فازت هذه الحمير ، أما هؤلاء الرجال فيغوطون على فروجنا .

- ولقد أعطى بايزيد جملة الإيمان حقه ، وليكن الثناء الجم على مثل هذا الأسد الفريد .

٣٣٩٥- فلو أن قطرة من إيمانه قد مضت إلى البحر ، لغرق البحر في قطرته هذه .

- وكالنار ، لو أن شررا واحدا منها سقط في غابة ، لكان الفناء من هذا الشرر لتلك الغابة .

- مثل ظن واحد يطرق قلب الملك أو الجنود ، وقد جعل الخصوم بددا في القتال .

- ألم يبدُ نجم واحد هو نجم محمدﷺ ، ففنى منه أصـــــل اليهود والمجوس ؟[1]

- وذلك الذى وجد الإيمان ، مضـى فـي أمـــــان ، أمـا كفر البـاقين ، فقـد بقـي قائمـــــا على الظن .

٣٤٠٠- وربما لم يبق ذلك الكفر المحض الذى كان عند الأولين ، فقد حل محلـه إما الإسلام وإما الخوف .

- إن هذا الإيمــــان هو مزج للزيت بالماء إحتيالا ، وهذه الأمثال تشـبه الـذرة ، ليست نورا .

- ولا أقصـــــد بالذرة تلك التي تكون هبـــــاء متجســــدا ، أو ذلك الشيء الذى لا يتفتت ولا ينقسم .

- فاعلم أن لدى مرادا خفيا من ذكرى للذرة ، لكن ليس مأذونا لك بالبحر ، فأنتْ زبدٌ الآن .

- وإن الشـمس النـيرة لإيمــــان الشـيخ ، لـو أشـرقت بوجههـا مـن مشـرق روح الشيخ ؛

٣٤٠٥- فـإن كـل الوهـاد تحتـوى علـى الكنـوز حتــى " قــاع " الـثرى ، وكـل النجـــاد تظفر بالخلد الأخضـــر.

- فـإن لـه روحـا مـن النـور المنيــــر ، كمـا أن لــه جســـــدا مـن الـتراب الحقيـــــر .

- فواعجبـــا !! أهو هذا أو ذاك ، لقد عجزت عن " حل " هذه المشكلة يا عماه

- فإذا كان هو الجســـد يا أخي ، فما تكـون تلـك التـي منهـا امتـلأت السموات السبع بالنور ؟!

---

[1] ج/ ١٢- ٤٦١:- ولقد بزغت نجمة واحدة في محمدﷺ ففنى بها كل الكفر في الشرق والغرب .

- وإذا كان هو تلك " الروح " فما هذا البدن أيها الصديق ؟ واعجباه !! من هو ؟ وأيهمـــا يكون ؟!

حكاية تلك المرأة التي قالت لزوجها : إن القطة أكلت اللحم ، فوضع الزوج القطة على الميزان فوجد وزنها نصف من ، فقال : يا إمرأة ، كان اللحم نصف من وأكثر فإذا كان هذا هو اللحم ، فأين القطة ؟! وإذا كانت هذه هي القطة ، فأين اللحم ؟

٣٤١٠- كان هناك رجل رب بيت ، وكانت له زوجة عيابـــة سليطـــة وقذرة وطويلة اليد .

- وكل ما كان الرجل يحضـــره ، كانت المرأة تبدده ، وكان الرجل مضطرا إلى الاستسلام والسكوت .

- وأحضر ذلك المعيل لحما " ذات مرة " من أجل ضيف ، وحمله إلى المنزل بعد جهد جهيـــد .

- فأكلته المرأة شواءً مع الشراب ، وجاء الرجل ، فقدمت إليه عذرا واهيـــا .

- وسأل الرجل : أين اللحم ؟ فقد وصل الضيف ، وينبغي أن يقدم الطعام الدسم للضيف .

٣٤١٥- فقالت المرأة : لقد أكلت هذه القطـــة ذلك اللحم ، فاشتر لحما آخر إن وجد ، هيـــا .

- فصاح : يا " أيبك " ، هات الميزان ، وسوف أقوم بوزن القطـــة .

- ووزنها ، وكان وزن القطة نصف " من " ، فقال ذلك الرجل : أيتها المرأة المحتالـــة :

- لقد كان اللحم يزن نصف " من " ويزيد رطلا ، والقطة نصف من يا سيدتى .

- فإذا كانت هذه هي القطـــة فأين ذلك اللحم ؟ وإذا كان هذا هو اللحم ، فأين القطة ، إبحثي عنها .

٣٤٢٠- فإذا كان هذا هو بايزيد ، فما تلك الروح ؟ وإذا كـان هـو تلـك الـروح ، فما هذه الصـــــورة ؟

- إنها حيرة في حيرة أيها الصديق ، وليس هذا شأنك ، كما أنه ليس من شأني .

- إنه كلاهما معا ، لكن من محصـول الـزرع ، تكـون البـذور أصـلا ، أمـا هـذا التبن والقش ففرع .

- وإن الحكمة قد جمعت هذه الأضداد معا ، وهذا القصـــــاب يجمع معا ما حول الفخذ وما حول الرقبة.

- والـروح بـلا جسـد لا تستطيــــــع العمـــل ، وجسـدك بـلا روح يكـون بـاردا متجمدا .[1]

٣٤٢٥- وجسـدك ظـاهر ، أمـا روحـك فخفيـة ، وبهذيـن كليهمـا صحـت أسـباب الدنيـــــا .

- وإنك لتقذف الرأس بالتراب فلا تشج ، وتصب المـاء علـى تلـك الـرأس ، فـلا تشج أيضـــــا .

- وإذا كنت تريد أن تشج الرأس ، فعليك أن تخلط الماء بالتراب .

- وعندمـا تشـج الـرأس يذهـب ماؤهـا نحـو أصلـــــه ، ويـأتي الـتراب صـوب التراب يوم الفصـــل .

- والحكمة التي صارت للحق من هذا الازدواج ، قد حصلـت مـن الحاجـة ومـن الفراق واللجاج .

٣٤٣٠- وتكـون حينـذاك ازدواجـات أخـــــرى ، لا سـمعت بهـا أذن ولا أبصرتهـــا عين .

---

[1] ج/١٢-٤٧٠:- والجسد بلا روح أقل من التراب أيها الحبيب ، والروح كاللب والجسد كالقشـــــر .- والجسد بلا روح لا يتأتى منع عمل ، فجاهد حتى تحصـــل على روح أيها المحتـــال .

– وإذا كانت أذن قد سمعتهـــا ، فمتى كانت تبقى أذنا ، أو مـن أين كـان يتـأتى لها ثانية ضبط الكلام ؟

– وإذا كان الثلج والبَرَد قد أبصرا الشمس ، لقطعا مـن بعدهـا الأمـل فـي طبيعـة الثلـــج .

– ولصـــارا ماءً خاليين من العروق والعقد ، ولصنع داود الهواء والنسيم مجنا من ذلك الماء .

– ولصارا من بعدها دواءً لكل شجرة ، ولسعد جد كل شجرة من قدومهما .

٣٤٣٥– وذلك الثلج المتجمد قد بقي " منطويا" على نفســـه ، وقد قرأ على كـل شجرة (لامساس) .

– " ليـس يـألف ، لـيس يؤلــف جسمـــــــه * ليـس إلا شحـــ نفــس قسمـــــه " .(١)

– إنه لا يذهب هدرا ، ومنه يستفيق الكبـــد ، لكنـه لا يكـون رسـولا وسـلطانا للنبات .

– يـا إيــــاز ، إن نجمـك سـامق الإرتفـــاع ، وليـس كـل بـرج قـابلا لعبـــوره .

– ومتى تقبل كل وفـــاء همتك ؟ ومتى تصطفي كل صفـــاء صفوتك ؟ .

حكاية ذلك الأميــر الذي قال للغلام : أحضر خمرا . فذهب الغلام ، وعندما كان عائدا بجرة الخمـر ، كان هناك زاهد يمر بالطرق للأمر بالمعروف ، فقذف الجرة بحجر وكسرها ، وعلم الأمير ، وتوجه لعقاب الزاهد . وهذه القصة حدثت في زمن عيسـى عليه السلام ، ولم تكن الخمر قد حرمت بعد ، لكن الزاهد كان يتقزز منهـا ويمنـــع التنعم بهـــا

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســـى .

٣٤٤٠- كان هناك أمير حلو الروح معاقر للخمر ، كان كهفا يلجأ إليه كل مخمور وكل مسكين .

- كان مشفقا مكرمـا للمساكين عادلا ، كان أصيـلا واهبا للذهب ، قلبه كالبحر .

- كان ملكا للفتيـان ، وأميرا للمؤمنين ، كان حافظا للطريق عالما بالسر ، ناظرا إلى الصديق .

- كان العهد عهد عيسى والأيام أيام المسيح ﷺ ، كان الخلق طيبي القلوب قليلي الأذى ، صبوحين .

- فأتاه ضيف فجأة ذات ليلـة، كان أميرا على شاكلته ، حسن المذهب .

٣٤٤٥- وكانت الخمر تلزمهمـا في نظم أمورهما ، فقد كانت الخمر في ذلك الوقت حلالا مسموحا بها .

- وقلت الخمر أمامهمـا ، فنادى : يا غلام ، امض واملأ الإبريق ، وايت لنا بالخمر ؛

- من فلان الراهب ، فإن عنده خمـرا خاصـة ، ومنها يجد الخواص والعوام الخلاص .

- وإن ما تفعله جرعـة من خمر ذلك الراهب ، هو ما تفعله آلاف الجرار والدنـان .

- ففي تلك الخمـر مادة خفيـة ، مثلمـا يكون سلطـان متخفيـا في عباءة .

٣٤٥٠- فقلل أنت النظر باستهانـة إلى الخرقة الممزقة ، فلقد سـود ظاهـر الذهب .

– ولقد صـار منبـوذا ومـردودا مـن أجـل عيـن السـوء ، كمـا سـود ظـاهر ذلـك الياقـــوت بالدخان .

– ومتى تكون الكنوز والجواهـر داخـل الـدور ؟ إن الكنـوز توجـد دائمـــا فـي الخرابات .

– وعندما دفن كنز آدم في خرابـــة الجســـد ، صـار جسده تعويذة لعين ذلك اللعين .

– كان ينظـــر إلى الطيـن باستهانـــة شـديدة ، وكـانت الـروح تقـول لـه : إن طيني سد أمام عينيك .

٣٤٥٥– وأخذ الغلام الجـــرة وأســـرع راضيـــا ، وفي لحظـة وصـــل إلى دير الرهبان .

– ودفـــع الذهب ، وأخذ خمرا كأنها الذهب ، لقد أعطى حجرا وأخـذ عوضـا عنه جوهـــرا .

–" أخذ" خمرا لو أنها صعدت إلـى رؤوس الملـوك ، لوضعـوا تـاج الذهـب علـى مفرق الساقـــي .

– ولأثارت الفتن وألوان الشغب ، ولاختلط العبيــــد بالســـادة .

– ولمضت العظـــام وصارت كلهـا أرواحـــا ، ولتسـاوى فـي تلـك اللحظـة العرش مع لوح الخشب .

٣٤٦٠– فهمـــا وقت الصحـــو كالماء والزيت ، وهمـا وقـت السـكر كـالروح في الجسد .(١)

---

(١) ج/١٢–٤٧٥:– مثل الهريســـة ، اللحم والبُر ممتزجان معا ، لا يسبق أحدهما الآخر ، ولا فرق بينهمـــا .

– وعندمـــــا صارا كالهريسة ، لم يعد ثم فـرق ، فـلا فـرق هنـاك ، إذ ليـس ثـم غرق .

– كان ذلك الغلام لا يزال يحمل خمرا كهذى ، نحو قصر الأمير ، حسن السمعة

– فتقدم منه زاهد محزون متعصب ، متيبس اللب ، متلفع بالبلاء ؛

– قد أذاب الجسد في ميــــزان القلب ، وأخلى الدار من كل ما سوى الله .

٣٤٦٥– و" تعرض " لأذى المحن دون توقف ، والجراح فوق الجـراح ، بحيث تبلغ الآلاف .

– خبرها قلبه كل لحظـــــة من الجهاد " في الطريق" ، فقد كان عاكفا ليل نهـار على هذا الجهـــاد .

– ولقد تمرغ في الدم والتراب لسنـــــوات ، وفر منه الصبر والحلـم فجـأة ، فـي منتصف الليل .(١)

– فقال الزاهد : ما هذا الذى في الجرار ؟ قال الغلام : خمر ، قال : لمن ؟

– قال : إنها لفلان الأمير الأجـــــل ، قال : أمثل هذا العمل يكون للطالب ؟

٣٤٧٠– أيكون طالبا لله ثم قصـف ولهـــــو ؟ وخمـر الشيطــــان تكـون لمـن عنده نصف وعـــــى ؟

– إن وعيـــك بلا خمر ذابل هكذا ، وهناك ألباب ينبغي أن تكـون مرتبطـة بلبـك هذا .

– فماذا يكون وعيك عند السكـــــر ؟ يـا مـن صـرت مثـل طـائر سـقط فـي فـخ السكر .

---

(١) ج/١٢-٤٧٥:- فرأى في الليل غلاما حسن الخطـــــى ، يطوى الأرض طيــــا من سرعته .

حكايــة ضيـاء دلق الذي كان مفرطا في الطول وأخيه شيخ الإسلام تاج بلخ الذي كان شديد القصر ، وكان شيخ الإسلام هذا يشعر بالعار من أخيه ضياء . ودخل ذات مرة إلى درســه ، وكل صدور بلخ حاضرون ، فحياه ضياء ومر ، وهم له شيخ الإسلام بالقيام بلا اهتمام؛ فقال له : نعم ، أنت طويل جدا ، اختلس قطعة من طولك

- كـــان ضيـــاء دلق هذا حاضر البديهـــة ، وكان أخا لشيخ الإسلام تـاج بلخ. (١)

- أما تاج ، فكـان شيخ الإسلام في الحاضـــرة بلـخ ، كـان قصير القامـــة ضئيلا وكأنه فـــرخ .

٣٤٧٥- وبالرغم من أنه كان فاضلا فحلا حاويـــا للفضائل ، فقد كان ضيـــاء يبزه في الظرف .

- كان قصيـــرا ، بينما كان ضياء مفرطا في الطول ، وكان شيخ الإسلام يتسم بكبر وفخر شديدين .

- وكان يشعـــر بالعار من هذا الأخ ، في حين أن ضيـــاء كـان واعظـا أيضـــا ذا هدى .

- وفـي يـوم المحفل دخـل ضيـــاء ، وكـانت الحضـرة مليئـة بالقضـــاة والأصفيـــاء .

- ومـن كبريائـــه الشديد ، قـام شـيخ الإسـلام نصـف قومـــة لهـذا الأخ الرشيـــد .

٣٤٨٠- فقال له : حقـــا ، إنك مفـرط الطول ، فمـن أجـل الأجـر والثـواب ، اختلس جزءا من قوامك السروى .

---

(١) ج/١٢-٤٨٠:-ومن أجل العلم، كان خلق يفدون إليه على الدوام يلازمون درســـه .

- ومن ثم ، فأى لب وأى عقل لك بحيث تشـــــرب الخمـــــر يا عدوا للمعرفـــــة .
- وإن كان وجهك مليحـــــا ، فضع عليه قدرا من النيلـــــة ، فالنيلة على وجه الحبشي تكون أضحوكة .
- ومتى حل فيك نور" أيها الغوى ، حتى تصبح باحثا عن الغيبوبـــــة والظلام ؟
- والقاعدة هي البحث عن الظل في النهـــــار ، فهل تصير باحثا عن الظل في الليل الملبد بالسحب ؟
٣٤٨٥- فإذا كانت قند أحلت قوتـــــا للعوام ، فإنها قد حرمت على طالبي الحبيب .
- وخمر العشـــــاق هي دماء قلوبهم ، وعيونهم تكون على المنـــــزل والطريق .
- وفي مثـــــل هذا الطريق لهذه الصحراء المهولـــــة ، هذا العقل المرشد ذو مائة غياب وكسوف .
- وإنك لتحثو التراب في وجوه المرشدين ، وتجعل القافلة هالكة ضالـــــة .
- وحقا إن خبز الشعير يكون حراما وتزيدا ، فضـــــع أمام النفس خبز النخالـــــة .
٣٤٩٠- وأذل عدو طريق اللـــــه ، ولا تضع اللص على المنبر ، بل ضعه على المشنقـــــة .
- وأولى باللص أن تقطـــــع يده ، وإن عجزت عن القطع ، فقيد تلك اليـــــد .
- فإن لم تقيد يده ، قيد هو يدك ، وإن لم تكســـــر قدمه ، كسر هو قدمك .
- فهل تعطي العدو الخمر وقصب السكـــــر ؟ لماذا؟ ، فلتضحك ضحكة مسمومة ، ولتقل له : كل التراب .

- لقد قذف الزاهد من غيرته الجـــرة بالحجارة ، فتحطمت ، فألقى بها الغلام ، وفر من الزاهد .

٣٤٩٥- وذهب إلى الأميـــر ، فسأله : أين الخمر ؟ فقص لـه ما حدث بالتفصيــــل .

ذهاب الأمير غاضبــا لمعاقبــة الزاهد

- صار الأميـــر كالنار ، ونهض واقفا ، وقال : أخبرني أين دار ذلك الزاهــد .

- حتى أدق رأسه بهذه الهراوة الثقيـــلة ، تلك الرأس الخالية من المعرفة ، ابن الخاطئـــة ؟

- أي علم له بالأمر بالمعروف ؟ أمن طبيعته الكلبية ؟! إنه طالب للصيت والشهــرة .

- حتى يجعل لنفسه مكانة بهذا النصب والاحتيال ، حتى يظهر نفسه ، ويشهرهـــا بشيء ما .

٣٥٠٠- وهو لا يملك فضـــلا سوى هذا ، وهو أن يتعرض متنطعا لهذا وذاك

- فإن كان مجنونا مشعــلا للفتنـــة ، فإن دواء المجنـــون هو قضيب الثور " السوط " .

- حتى يخرج الشيطـــان من رأســـه ، وكيف يسير الحمار دون وخز من الحمارين ؟

- وانطلق الأمير خارجا والهراوة في يده ، وجاء في منتصف الليل إلى الزاهد وهو نصف ثمل .

- وكاد من " شدة " غضبـــه أن يقتل الزاهد ، فاختفى الزاهد تحت غطاء من الصوف .

٣٥٠٥- كان الزاهد يسمع ذلك من الأميـــــر ، بينما هو مختف تحت صوف بعض الغزالين .

- وقال لنفســـــه : المرآة التي قســـا وجهها فحسب هي التي تستطيــــع أن تبرز قبح المرء في وجهه .

- وينبغي وجهٌ في صلابـــة وجه المرآة ، ليقول لك : انظـــــر إلى وجهك القبيح .

حكاية غلبة المهرج لسيد شاه ترمذ في الشطرنج

- كان سيد شاه ترمذ يلعب الشطرنج مع المهرج ، فهزمه المهرج سريعا ، وغضب سيد شاه غضبا شديدا .

- فما إن قال : مات الملك ، مات الملك ، حتى أخذ ذلك الشاه المتكبر يضربه بقطع الشطرنج قطعة قطعـــة فوق رأســـه .

٣٥١٠- قائلا : هاكه فخذه، ملكك أيها الديوث ، فصبر ذلك المهرج وقال : الأمان أيها الملك .

- وأمر الأمير بأن يلعبـــا دورا آخـــــر ، فكان " المهرج" مرتعدا وكأنه العريان في الزمهرير .

- وخسر الأمير الدور ، ومات ملكه ، وجاء دور قول " مات الملك " وأوانـــه

- فقفز ذلك المهرج وذهب إلى ركن ، ووضع سريعا ستة من اللباد فوق جسده

- وتحت الوسائد واللباد الستة ، اختفى نائمـــــا ، لكي ينجو من ضرب الأميـــــر .

٣٥١٥- فقال الأمير : ماذا فعلت ؟ وما هذا ؟ فقال : الملك ..الملك .. الملك مات ، أيها الملك المختار .

- فمتى يمكن قول الحق إلا تحت اللحاف ، معك " بالذات " أيها الغاضب ناری الطبـع .

- فيا من هزمت أنت ، ومت أنا من ضربات الملك ، ها أنا أقول لك : مات الملك .. مات الملك ، وأنا تحت ثيابك .

- لقد امتلأ الحـي بصيحات الأمير " الآخر " ورفسه الأبواب بالأقدام ، والشد والجذب .

- ونهض الخلق خارجين من دورهم من على اليسار واليمين ، قائلين : أيها المقدم ، هذا هو أوان العفو والرضا .

٣٥٢٠- إن ذهنـه متيبس ، وعقله في هذه اللحظة أقل من عقول الأطفال وأفهامهم .

- والزهد والشيخوخة صارا ضعفا فوق ضعف ، وهو على زهده ذاك ، ليس على سماحة وبسـط .

- ولقد تجرع الآلام ، ولم ير نفعا من رفيق ، وقام بأعمال كثيرة ، ولم ير نتيجة أو أجرا من عمله .

- فإما أن عمله هذا لم يكن من أجل " العمل " ذاته ، أو أن حين الجزاء لم يحن بعد .

- أو أن سعيه هذا كان مثل سعي اليهـود ، أو أن الجزاء مرهون بوقتـه .

٣٥٢٥- ويكفي الرجل ألما ومصيبـة أنه بلا أهل في هذا الوادى المليء بالدم

- لقد قبع في ركن من داره شديد وجع العينين ، وقد عبس بوجهه ، وأرخى شدقيـه .

- فلا كحـال يعتني به " ويعالجه " ، ولا عقل له ليسعى في أثر علاج وكحـل .

- وهو يجتهد على الوهم والظن ، وأمره قائم على احتمال التحسن .

- ومن هنا فطريقه حتى رؤية الحبيب بعيدة ولا مجال للبحث عن الرئاسة في رأسه .[1]

٣٥٣٠- فهو حينا مع الله في عتاب ، قائلا : إن نصيبي كان العناء من هذا الحساب .

- وحينا مع حظه في جدال ، " قائلا" : الجميع محلقون ، وأنا مقطوع الجناح .

- وكل من هو سجين للون والرائحة ، حتى ولو كان الزهد ، يكون ضائقا تماما .

- وما لم يخرج من هذا الجو الضيق الكئيب ، لن يصير طيب الخصال واسع الصدر .

- وعندما يكون الزاهد منفردا بنفسه ، ينبغي ألا يُعطى نصلا أو موسيا من قبل أن يحدث البسط .

٣٥٣٥- فإنه ضجرا يمزق بطنه ، حزنا على ما أصيب به من خيبة وأحزان .

هم المصطفى ﷺ بإلقاء نفسه من جبل حراء خوفا من تأخر نزول جبريل عليه السلام ، وإظهار جبريل عليه السلام نفسه له قائلا : لا تلق بنفسك ، فأمامك ألوان من الإقبال

- عندما امتد الهجر وفراق " جبريل " للمصطفى ﷺ ، كاد أن يلقي بنفسه من فوق الجبل .

- حتى قال له جبريل عليه السلام : حذار ، لا تفعل ، فإن لك دولة عظيمة من أمر " كن " .

---

(١) الشطرة الثانية عند جعفرى " ١٢-٤٩٠" : لم يبق له مخ من عشقه للقشور .

– فكان المصطفى ﷺ ينصرف عن إلقـــاء نفســـه ، ثم كان الفراق يهاجمه مرة ثانيـــة .

– فكان يهم بإلقاء نفسه مرة أخرى منقلبا من الجبل ، وذلك من شدة الحزن والهم

٣٥٤٠– فكان جبريل ﷺ يظهر له مرة أخرى قائلا لـه : لا تفعل ، أيها الملك الذى لابديل له .

– وهكذا ظل الأمر حتى كشف الحجاب ، وحتى وجد جوهـــره ، من داخله هو .

– وإذا هم الناس بقتل أنفسهم عند كل محنـــة ، فماذا هم فاعلون في النفس التي هي أصل كل المحن ؟

– وإنني لفي عجب وحيرة من تضحيـــة الناس ، وكل منهم يضحي من أجل سيرة ما .

– وما أسعد ذلك الذى ضحى بالجسد ، من أجل ذلك الذى يستحق الفداء والتضحيـــة .

٣٥٤٥– ولما كان كل امريء مضحيـــا من أجل شيء ما ، فهو صارفٌ فيه العمر ، مستعد أن يقتل من أجله ؛

– مستعد للقتل مستقبله ذات شروق أو ذات غروب ، فلا مشتاق يبقى بعدها ، ولا موضع شوق .

– اللهم إلا هذا المقبل المضحي من أجل هذا الفن ، تكون لـه مائـــة حياة في القتل .

– فهو عاشق ومعشوق وعشقـــه في دوام ، وهو حسن السمعة في الدارين ، ذو نصيب .

- " يـا كرامــي ، ارحمـــــوا أهـــــل الهـوى * شـــأنهم ورد النـــوى بعـــد النـــــــوى " (١)

٣٥٥٠- فـاعف أيهـا الأميـــــر عن حدته وغلظتــــــه، وانظرإلىآلامــــــه وشقائـــــه .

- حتى يعفو الله بدوره عن ذنوبك ، ويجازيك على ذلك بالمغفرة .

- ولقد حطمت أنت جرارا كثيـــــرة من الغفلة ، ومع ذلك فقد رجوت العفو مـن أعماق قلبك .

- فاعف حتى تجد العفو عند الجـــزاء ، فإن القدر يدقق كثيرا عند الجزاء .(٢)

جواب الأمير على المتشفعين للزاهد وجيرانـه قـائلا : لماذا توقـم وكسـر جرتنـا ؟

لن أقبل شفاعةفي هذاالأمر،فلقدأقسمت علىعقابــــه

- فقال الأمير : من يكون هذا حتى يقذف جرتنا بحجـــــرويكسرها ؟!

٣٥٥٥- والأســـد الهصور عندما يمر من الحـي الذى أسكن فيـــــه ، يمـر بوجل شديد وبحذر .(٣)

- ولماذا ضـــــايق غلامنـــــا وآذاه ، وأخجلنـــــا أمام ضيوفنـــــا ؟

- وأراق شربـــــة هي أفضل من دمــــــه ، ثم هرب الآن منا كالنســـــاء .

- لكنه لن ينجو بروحـــــه مني ، حتى ولو صار طائرا وحلق في الأعالي .

---

(١) البيت بالعربية في المتن الفارســـــــي .

(٢) ج/١٢-٤٩٣:- وكن في وعيك بالنسبة لمن يدققون في أمور القدر ، واستمع إلى قصتنا جيدا . - واستمع إلى سيرة الأمراء الآخرين ، حتى تجد من الحكاية مائـــــة خبر .

(٣) ج/١٢-٤٩٦:- بل إنه ليفقد مخلبه رعبا منى ، والأفعى أمام قهرى تتحول إلى نملـــــة .

- فإنني أرميه بسهـــم غضبي الذى يصمي جناحــــه ، وأقتلع جناحه وقوادمه الحقيـــرة .(١)

٣٥٦٠- ولو مضى إلى قلب صخرة صمـــاء ، فإني بجهدى أخرجه في التو من قلب الصخرة .(٢)

- ولسوف أوجه ضربة منى إلى جســده ، بحيث يكون عبرة لكل القوادين .(٣)

- ومع كل هذا الاحتيـــال .. ومعنا أيضا !! فلسوف أعطيه حقه ومائة من أمثاله الآن .(٤)

- ولقد صار غضبـــه السفاك في قمته ، وكانت النيران لا تفتأ تخرج من فمــــه .

قيام المتشفعين للزاهد وجيرانه بتقبيل يد الأمير وقدمـــه والتضرع إليـــه مرة أخـــرى

- ومن أنفاســـه المعربدة ، أخذ أولئك الشفعاء يقبلـــون يديه وقدميـــــه كثيـــرا .

٣٥٦٥- قائلين : يا أيها الأمير ، إن الانتقام لا يليق بك ، وإذا كانت الخمر قد أريقت ، فأنت طيب بلا خمر .

- وإن الخمر لتستمـــد مادتها من لطفك ، ولطف الماء يتحسر من أجل لطفك أنت .

---

(١) ج/١٢-٤٩٦:- ولو صار سمكة في مــــاء ، رعبا مني يتقلب ظهرا لبطن .

(٢) ج/١٢-٤٩٦:- لن ينجو بروحه من سيفي ، ولو قام بمائة حيلة وتدبير وفن .

(٣) ج/ ١٢-٤٩٦:-وإن عمله هو الاحتيال والشعوذة والغش ، وهدفه نيل الشهـــرة .

(٤) ج/١٢-٤٦٩:- سوف أدق رأســه تماما بهذه الهراوة الثقيلـــة ، بحيث يغادر جسده كنز الروح .

- فزاول الملوكيـــــة ، واعف أيهـــــا الرحيـــــم ، أيها الكريم ابـن الكريـم ابـن الكريم .

- فكل شراب عبد لهذا القد ولهذا الخد ، وكل السكارى حســـــاد لك .

- ولست محتاجا إلى الخمر الوردية علـى الإطــــــلاق ، فـاترك تلـك الورديـة ، أيها المورد .

٣٥٧٠- يا من وجهك الذى كالزُهرة شمس الضحــــــى ، ويا مـن يتسـول منـك اللون الوردى ، كل ما هو وردى اللـــــــون .

- والخمر التي تغلى في الدن خفيــــــة ، إنما تغلى شوقـــــا إلى وجهك .

- ويا من أنت بأجمعك بحر ، بماذا يجديك الطــــــل ؟ ويـا مـن أنـت بـأجمعك وجـــــود ، أى عدم تبحث عنه وتطلبــــــه ؟

- ويا أيها القمر المنيـــــر ، مـاذا تريـد أن تفعـل بالغبـار ؟ يـا مـن يكـون القمـر أمامك مصفر الوجـــــه .

- إنك طيب وجميـــــل ومعدن لكل جمــــــال ، فلماذا تمتن لهذه الخمــــــر ؟

٣٥٧٥- وإن تاج ﴿ كرمنا ﴾ موجود على مفرق رأسك ، وطوق ﴿ أعطينـــــاك ﴾ قلادة فوق صدرك .

- إن الإنســــــان جوهر ، والفلك عرض بالنسبة له ، وكلها فروع وأسباب وهـو الغرض .

- ويا من غلمانك العقل والتدابير واللب ، لماذا تبيع نفسك هكذا رخيصـــــا ؟

- إن خدمتك واحترامك أمران مفروضان علـى الجميع ، فكيـف يطلـب جوهرٌ النجدة من عرض ؟

- وإنك لتبحث - وا أسفاه - عن العلم مـن الكتـب ، وتبحـث - وا أسـفاه - عـن اللذة من الحلـــــوى .

٣٥٨٠- وبحـــــر من العلم قد اختفى في قطرة طل ، وفي جسد مساحته ثلاثـة أذرع ، أضمر عالم " بأســـره " .

- فماذا تكون الخمر ؟ أو السماع ؟ أو الجمـاع ؟ حتـى تبحـث عـن طريقهـا عـن السرور والارتفـــاع ؟!

- لقد صارت شمسٌ طالبة قرضـــا من ذرة ، وكوكب الزُهـــرة طالبا للكأس من جرة .

-والروح التي لا كيفية لها صارت حبيسة للكيفيـــة ، والشمس حبيسـة لعقـدة !! يالها من خســـارة !!

جواب الأمير عليهم مرة ثانيـــــة

- قال : لا ، لا ، فأنا خدن لتلك الخمـــــر ، ولست قانعا بلذة تلك السعادة " التـي تتحدثون عنها " .

٣٥٨٥- إننـي أريدهـــا بحيث أصيـــــر كالياسمين ، أتمايـــل حينـا ذات اليسار وحينا ذات اليمن.

- متخلصـــا من كل خوف ومن كل ألـــم ، أتمايل في كل صـوب ، وكـأنني أشجار الصفصاف .

- مثل غصن الصفصاف ، أتمايل ذات اليمين وذات اليســار ، فله من الرياح ، ألوان من الرقص .

- وإن كل من اعتاد على سرور الخمـــــر ، متـى يقبـل هـذا السـرور " الـذى تذكرون " ؟ هه :.. أيها السيد.

- وكون أن الأنبيـــاء فد استثنـوا من هـذه اللـذة ، فذلـك لأنهـم امـتزجوا بلـذة الحق .

٣٥٩٠- ذلك أن أرواحهم كـانت قد رأت تلك اللذات ، فأصبحت هذه اللذات عندهم لهوا ولعبا .(١)

- وعندما صار المرء رفيقا لمحبوب حي ، كيف يقوم بمعانقـــة ميت ؟!(٢)

تفسير هذه الآيـة ﴿وإن الدار الآخـرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ فالأبواب والجدران في ذلك العالم وساحته ومائه والقدور فيه والثمار والأشجار كلهـا حية متحدثة مستمعة ، ومن هنا قال عليه السلام [الدنيا جيفة وطلابهـا كلاب] وإن لم تكن للآخرة حياة ، لكانت جيفة بدورها ، والجيفة تسمى جيفة لأنها ميتـة ، لا من أجل رائحتها النتنة وقذارتهـا

- لما كانت ذرات ذلك العالم ذرة ذرة من الأحيـاء العالمـة بالنكـات الدقيقـة والمتحدثـة ؛

- فلا راحة لها في عالم الموتى ، فإن هذا العشب ليس لائقا إلا بالأنعـــام .

- وكل من تكون له الرياض محفلا ووطنـــا ، متى يشرب الخمر في مستودع القمامـــة ؟

٣٥٩٥- وموضع الروح الطاهرة هو عليين ، ويكون دودة ذلك الذى يجعل البعر موطنا لـــه .

- والكأس الطهور من أجل السكران بالله ، والماء المالح من أجل هذه الطيور العميـــاء .

---

(١) ج/١٢-٥٠٣:- وكل من أسفر له النور الحقيقي عن وجهه ، متى يصير قانعا بالظلمة والدخان ؟- وكل من أكل في جوعه طعام الله ، متى يحمل هم الخبز والحساء ؟ وكل من نام في الرياض ، متى يميل إلى مستودع القمامة كالبلهاء ؟ وكيف يتجب المصاب بالاستسقاء الماء ؟ وكيف يبتعد المخمور عن الشراب ؟ ولا يشبع عاشق قط من الحبيب ، ولا يمل المريض قط من الطبيـب . ولا يكون العاشق نفورا من المعشوق ، إذ يرى به كل الكون والمكان. ولا أحد قط لم يصر عاشقا لغير الحق ، ولم يصـر أحد واقفا على ذلك السر إلا الحق .

(٢) ج/ ١٢-٥٠٣ :- وربمـــا يعانق أحدٌ ميتا ، إن لم يكن له علم بدنيــا الروح .

- وكل من لم يبدُ له عدل عمرﷺ ، يكون الحجاج السفاح عادلا في رأيـــــه .

- وإنهم ليعطون البنات الصغيرات دميــــة جامدة ، إذ ليس لديهـن علم بـاللعب الحية .

- وعندما لا يكون للأطفال من الفتوة يد قويــــــة ، يكون السـيف الخشـبي أفضـــل بالنسبة لهم.

٣٦٠٠- والكفار قد صاروا قانعين بصـور الأنبيـــــاء ، التـي صوروهـا علـى جدران الأديـــرة .

- ولما كانت لنا نوبـة الضيـــــاء من هؤلاء العظمـــــاء ، فليس لدينـا أدنـى اهتمام بنقوش الظلال .

- لقد بقيت صورة أحدهم في الدنيـــا ، لكن الآخر صورتـه كـالقمر فـي كبـد السمـــاء .

- وهذا فمه متحدث بالنقاط الدقيقة مع الجليس ، وذاك متحدث مـع الحـق ، وهـو له جليس .

- وأذن جسده مسجلة لهذا الكلام ، وأذن روحه تجذب الأسرار من قائل " كن "

٣٦٠٥- وعين الجسد ناظرة إلى حليـــة البشـــر ، وعين السر حائرة في ﴿ ما زاغ البصـــر﴾ .

- وقدم الظاهر مصطفة في صف المسجد ، وقدم المعنى في طواف فوق الفلك .

- وهكذا فعدد أعضائه عضوا عضوا على هذا النسق ، هذه داخل الوقت ، وتلـك خارج الحين .

- وما هو في وقت يكون حتى الأجل ، لكن أعضاء المعنى رفيقة للأبـد ، قرينـة للأزل .

- وإن " أحدهم " ليسمى ولي الدولتين ، ويوصف الآخر بأنه إمام القبلتين .

٣٦١٠- فلا تلزمه خلوة ، ولا تلزمه أربعينيــة ، فـلا غيم قـط يستطيع أن يحجبـــه .

- فإن قرص الشمس هو منزل خلوته ، فكيف يحجبه الليل الغريب ؟

- ولقد انتفت عنه العلة والخشيـــة ، ولم يبق بُحران ، صار كفره إيمانـا ، ولـم يبق ثم كفران .

- صار متقدما كالألف من استقامته ، وهو لا يملك شيئـا من أوصاف نفســـه

- وصار منفصـــلا عن كسوة طباعـه ، وصـارت الـروح عاريـة إلا مـن ذلـك الذى يطيل العمر .

٣٦١٥- وعندما مضى عاريـــا إلى ذلك المليك الفرد ، كساه المليك ثوبـا مـن الأوصاف القدسيـــة .

- ولبس خلعة من أوصاف المليك ، وحلق من حضيض البئر ، إلى إيوان الجـاه

- هكذا مثلما صفـــا ماءٌ كدر ، فصعد من قاع الطست إلى أعلى الطست .

- فبالرغم من أنه ملوث بالكدر من قـاع الطسـت ، ومـن شـؤم امتزاجـه بـأجزاء البدن ؛

- والرفيق السوء قد عقد جناحه وقوادمه ، إلا أنه كان في الأصل مبرزا .

٣٦٢٠- وعندما وجهوا إليه العتاب بـ " اهبطوا" ، علقوه منكســـا كهاروت .

- لقد كان هاروت من ملائكة السماء ، وعقابا صار معلقا هكذا .

- ولقد نكس ، لأنه ابتعد عن الرأس ، وجعل نفسه رأســـا ، وساق " مركبـه " منبتـــا .

- وتلك السلة عندما رأت نفسها مليئة بالماء ، استغنت وانفصلت عن البحر .

- فلم تبق على كبدها قطرة واحدة من الماء ، فأشـفق عليهـا البحـر ، واسـتدعاها إليـــه .

٣٦٢٥- إنها رحمة بلا علة ، " ولا تسبقها " طاعة ، تأتي من البحر في ساعة مباركـــة .

- قائلة : ناشدتك الله ، طوفي حول شاطيء البحر ، بالرغم من أن أهل السواحل يكونون صفر الوجوه .

- حتى يأتي لطف العطـــاء ، ويحمر الوجه الأصفر من الجوهر " الإلهي " .

- إن اصفرار الوجه هو أفضل الألوان بالنسبة له ، ذلك أنه يكون في انتظـــار هذا اللقاء .

- لكن اللون الأحمر على ذلك الوجه الذى يكون لامعا ، كان هكذا لأن روحه قانعـــة .

٣٦٣٠- فإن هذا الطمع يصيب بالنحول والاصفرار والذلة ، ولا يكون هذا بسبب الأبدان العليلة .

- وعندما يرى أحد وجهـــا أصفر بلا سقـــم ، فإن جالينوس نفسه يصاب منه بالحيرة .

- وما دمت قد طمـــعت في أنوار " هـــو " ، فإن المصطفى ﷺ يقول في أمثالك [ذلت نفسه] .

- والنور بلا ظل لطيف وعال ، وذلك " الظل " المشبك هو ظل الغربـــال .

- والعشـــاق يريدون الجســـد عاريـــا ، وعند المصابين بالعنة ، سواء الثوب والبدن .

٣٦٣٥- وذلك الخبز ، وتلك المائدة يكونان للصائمين ، وسواء عند الذبابة الحســـاء والقدر .

استدعاء الملك لإيـــاز مرة أخرى قائلا له : فسر لنا عملك ، وحل مشكلة المنكرين والطاعنين ، فليس تركهم في هذا اللبس من المروءة

– إن هذا الكلام يفوق الحد والحصــــر ، فيا إياز ، تحدث الآن عن أحوالك .

– فإن أحوالـك هذه نابعـة من منبع جديد ، ومتى تصير أنت راضيــا بهذه الأقوال ؟

– هيـــا ، وقص علينا " طرفا" من تلك الأحوال الطيبة ، وليكـن التراب على أحوال العالم المحسوس(!) ودرســـه .

– وإذا كان حال الباطن لا يتأتى في مقـــال ، فإنني أشرح لك حال الظاهر أزواجا وأفرادا .

٣٦٤٠– فمن لطف الحبيب تصير مرارتنا على الروح أحلى من سكر النبات .

– ولو أن ذرة واحدة من ذلك السكر تمضي إلى البحـر ، لتحولت ملوحة البحر كلها إلى حلاوة .

– وعشرات الآلاف مـن الأحوال قد وردت هكذا ، ثم عادت إلى الغيب أيها الأمين .

– وحال كل يوم ليس شبيها بحال الأمس ، مثل جدول في جريانه ، إن لم يكن ثم سدود .

– وسرور كل يوم من نوع جديد ، ولفكـــرة كل يوم تأثيـــر آخـــر .

تمثيـــل جسد الإنسان بدار ضيافة وأفكاره المختلفة بمختلف الضيوف ، والعرف في رضـاه بتلك الأفكار المحزنة والمفرحة مثل المكرم للضيف المتلطف مع الغريب كالخليل ﷺ ، فإن باب الخليل كان مفتوحـا دائما لإكرام الضيف ، سواء كان كافرا أو مؤمنا أمينا أو خائنا ، وكان يبش في وجه كل ضيف

(!) حرفيـــا : عالم الحواس الخمسة والجهات الستـــة .

٣٦٤٥- إن هذا الجسد أيها الفتى كأنه دار ضيافـــــة ، يأتيه مسرعا كـل صبـاح ضيف جديد .(١)

- هيـــا ولا تقل لقد بقى كَلا عليّ (٢) ، فإنه لن يلبث حتى ينطلق طيرانا نحـو العدم .

- فكل ما يأتى من عالم الغيب ، هو ضيف في قلبك فأكرمه .

حكاية ذلك الضيف الذي قالت عنه ربة الدار : لقد انهمر المطـــر وبقي الضيف في رقابنـــــا

- نزل ضيف على أحدهم فجأة ، فجعله كالطوق في العنق " إكراما " .

- ومد السماط وأبدى له أنواع الإكرام ، وفي تلك الليلـة كـان هنـاك حفلٌ فـي حيـــه .

٣٦٥٠- وأســــر الرجل إلى زوجته قائلا : أعدى فراشين الليلة أيتها السيدة .

- ومدى فراشنـــــا إلـى جـوار البـاب ، أمـا فـراش الضـيف فمديـه فـي الناحيـة الأخرى .

- فقالت المرأة : بكل احترام وبكل سرور ، سمعا وطاعة يا نور عينـــــي .

- ومدت المرأة الفراشين ومضت إلى حالها ، نحو حفل الختان ، وبقيت هناك .

- وبقي الضيف العزيز مـع زوجهـــــا ، وقـد وضعـا بينهمـا النُقل مـن أخضـر ومجفف .

٣٦٥٥- وتســامرا بما شــــاء لهما السمر من خير ومـن شـر حتـى منتصـف الليل .

---

(١) ج/ ١٢-٥١٦:- لا ، لقد أخطأت ، إنه يأتي لحظة بلحظـــــة ، ذلك الضيف الجديد ، والفكرة السارة والفكرة المحزنة . - فكن مضيفا متهلل الوجه كالخليل ، ولا تغلق الباب ، وقف منتظـــــرا في الطريق .

(٢) حرفيـــا : بقي في رقابنـــا .

- ثم إن الضيف غلبه النوم وتعب من السمـــــر ، فمضى إلى الفراش الذى عند الباب .

- ولم يقل له الزوج شيئـــــا حياءً ، لم يقل لـه : إن موضع نومك في الجهة الأخرى أيها العزيز .

- أو : لقد مددت لنومك فراشـــا يا ذا الكرم في الناحية الأخــــرى .

- وبُدل ذلك الترتيب الذى كان قد رتبه مع زوجته ، وراح الضيف في النوم على الفراش الآخر .

٣٦٦٠- وفي تلك الليلة انهمر المطــــر مدرارا ، بحيث تعجبت السحب نفسها من شدته .

- وجاءت المرأة ظانة أن الزوج قد نام إلى جوار الباب ، وأن الضيف قد نام في الناحيــــة الأخرى .

- وذهبت كالعروس عريانة تحت اللحاف ، ومنحت الضيف عددا من القبلات برغبتها .

- وقالت : كنت أخشى أيها الرجل العظيــــم ، وما خشيته قد حدث ، ما خشيته قد حدث !!

- كنت أخشى أن يحبس الطين والمطر ذلك الرجل الضيف ، ويبقى لاصقا بك كأنه الصابون السلطاني .

٣٦٦٥- فمتى " يمكنه " أن يذهب في هذا المطر والوحل ، وسوف يبقى غرما على رأسك وروحك .

- فقفز الضيف على وجه السرعة وقال : دعيني أيتها المرأة فلدى حذاءٌ برقبة ، ولا يهمنى الطين .

- إنني ذاهب إلى حال سبيلي ، ولكم الخير ، ولا أراح الله الروح من السفر لحظة واحدة .

- حتى تمضي بأقصى ما تستطيع من سرعة نحو معدنها ، فإن هذا التوقف في السفر ، يكون قاطعا للطريق .

- فندمت المرأة على قولها السخيف ، عندما نفر ذلك الضيف الفرد ، ومضى إلى حال سبيله .

٣٦٧٠- وأخذت المرأة تردد : الخلاصة أيها الأمير ، لقد كنت أمزح ، فلا تدقق .. من طيبتك .

- لكن سجود المرأة وضراعتها لم تجد فتيلا ، ومضى و قد تركهما في حسرة .

- ولبس الرجل وزوجته من بعدها ملابس الحداد ، عندما رأيا وجهه كالشمع ، بلا حوض " يوضع فيه "

- لقد أخذ يمضي ، والصحراء من نور شمعه ، تحولت إلى جنة ، وانفصلت عن ظلمة الليل .

- وحول " الرجل " منزله إلى دار ضيافة ، من حزنه لما حدث وخجله منه .

٣٦٧٥- وفي داخل كليهما ، وفي كل لحظة ، ومن طريق خفي ، كان خيال الضيف يحدثهما قائلا :

- لقد كنت رفيقا لكما وكأنني الخضر ﷺ ، وكنت سأنثر عليكما مائة كنز من الجود ، لكن لم يكن من نصيبيكما .

تمثيل الفكر التي تحل كل يوم بالقلب بالضيف الجديد الذي يحل بالمنزل في أول النهار ، ويبدي لرب الدار التحكم وسوء الخصـال وفضيلة إكرام الضيف وتحمـل دلالـه

- في كل لحظة تحل فكرة كأنها الضيف العزيز بصدرك ، وفي كل يوم أيضـا .

- فاعتبر الفكرة أيهـا العزيز بمثابة الشخص ، ذلك أن المرء له من فكره القدر والروح .

- والفكرة الحزينة وإن قطعت أسباب السرور ، فإنها تقوم بإعداد الأسباب من أجل الأفراح .

٣٦٨٠- إنها تقوم بكنس المنزل على وجه السرعة من الغير ، حتى يحل سرور جديد من أصل الخير .

- وتقوم بنفض الأوراق الصفراء من غصن القلب ، حتى ينمو الورق الأخضـر على الدوام .

- وتقوم باقتلاع جذور السرور القديم ، حتى تتبختر لذة جديدة قادمة مما وراء "المحسوس " .

- وإن الحزن ليقتلع الجذر المعوج المهترىء ، حتى يطل بوجهه ذلك الجذر المختفي .

- وكل ما يريقه الحزن من القلب أو يسلبـه ، فإنه يعوضـه بما هو خير منه

٣٦٨٥- وبخاصة لمن يكون متيقنا من هذا الأمر ، أن الحزن يكون عبدا لأهل اليقين .

- فلو لم يعبس السحاب والبرق بوجهيهمـا ، لاحترق الكرم من ضحكات "ابنة " الشـرق .

- والسعد والنحس كلاهما ضيف على قلبك ، كأنهما الكواكب ينتقلان مـن منزل إلى منزل .

- وذلك الزمان الذى يكون فيه مقيما في برجك ، كن مثل طالعه ، حلوا نشطا .

- حتى يقوم بشكرك أمام سلطـــان القلب ، وحتى يصير متصـــلا بالقمر .

٣٦٩٠- ولسبع سنوات ، كان أيوب عليه السلام سعيدا في البلاء بصبر ورضـــا ، لأنه كان ضيفـــا من الحق .

- وذلك حتى يـؤدى ذلـك البـلاء الشـديد شـكره أمـام اللـه ، عندمـا يحـول وجهـه عنـــه .

- قائلا : إنه لم يحول وجهه بعبوس عنى أنا قاتل الأحبة لحظة واحدة .

- ومن وفائه وحيائـــه وعلمه بالله ، كان مع البلاء ، كأنه اللبن مع العسل .

- فتأتي فكرة إلى الصدر أولا بأول ، تكون أنت ضاحكا مستبشرا أمامهـــا .

٣٦٩٥- وتقول " أعذني خالقي من شرهـــا ، لا تحرمنى أنل من برهـــا .

- رب أوزعني لشكر ما أرى ، لا تعقب حسرة لي إن مضـــــى "(١)

- فحافظ على ذلك الضمير العبوس ، واعتبر ذلك العبوس حلوا كالسكـــر .

- وإذا كان السحاب عابس الوجه في الظاهر ، فإنـه هـو الـذى ينبـت الريـاض ، ويقتل البوار .

- فاعلم أن الفكرة العابســـة علـى مثـال هـذا السـحاب ، ولا تعبـس علـى هـذا النحو في من يعبس أمامك .

٣٧٠٠- فلعـــل ذلـك الجوهـر يكـون فـي يـده ، فجـاهد حتـى يمضـي عنـك راضيـــا .

- وحتى إن لم يكن جوهرا ولم يكن غنيـــا ، فإنك تزيد من عاداتك الطيبـــة

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن ومن شره بدلا من من شرها وبره بدلا من برهـــا .

- وتتفع عادتك هذه في موضـــــع آخر ، وتُقضى حاجتك فجـــأة ذات يوم .
- والفكرة التي تمنعك من الســـــرور ، إنما تكون بأمر الصانع وحكمته .
- فلا تستهن بها ، ولا تعتبر أنه لا قيمة لها أيها الفتى ، فلعلها نجمة سعد وصاحبة قران .

٣٧٠٥- ولا تقل إنها فرع واعتبرها أصـــلا ، حتى تكون دائمـــا مسلطا على المقصـــود .
- وإنك إذا اعتبرتها فرعا ، واعتبرتها أمرا مضــــرا ، تكون عيناك منتظرتين أصلهـــا .
- والانتظار ذو مذاق كمذاق الســـــم ، ودائمـــا ما تكون معايشـــا الموت من هذا السلوك .
- فاعتبرها أصـــــلا ، وقم بمعانقتها ، فالانتظار يفتح الطريق للموت دائمـــا .

إكرام السلطـــان لإيـــاز

- يا إيـــــاز ، يا كثير الضراعة ، يا مليئـا بالصدق ، إن صدقك أكثر " سعة " من البحر و"ثباتا " من الجبــــل .

٣٧١٠- فلا عثــــار لديك عند الشهـــوة ، بحيث يصير عقلك الذى كالجبل ، وكأنه قشــــة .
- ولا في وقت الغضب والانتقــــام تهن أنواع صبرك ، فهي مستقرة ذات ثبات
- وهذه هي الرجولة ، وليست باللحية والذكر ، وإلا كان فحل الحمير هو سيد الرجال .
- ومن هم هؤلاء الذين أطلق عليهم الحق في القرآن رجالا ، ومتى يكون لهذا الجسم مجالٌ هنـــا .
- وأى قدر للروح الحيوانية أيها الأب ؟ ألا فلتعبر سوق القصابين آخرا .

٣٧١٥- فهناك مئات الألوف قد وضعوا رؤوسهم على بطونهم ، وقيمتهم أقل من الإلية وأقل من الذيـــل .(١)

- والبغي هى التي من حركة الذكر ، يكون عقلها فأرا وشهوتها كالأســد .(٢)

وصية أب لابنتــــه قائلا : احتاطي لنفسك حتى لا تحملي من زوجك

- كان هناك أحد السادة ، وله ابنة ذات خد كالزهرة ووجه قمرى وصدر فضي

- ووصلت سن البلوغ فزوجها ، ولم يكن الزوج كفؤا لهـــا .

- وعندمـــا تنضج الدابوقة تمتليء بالمـــاء ، فإن لم تشقها تتلف وتهلك .

٣٧٢٠- فزوج الفتاة لغير كفؤهـــا للضرورة وخوفا عليهـــا من الفتنة .

- وقال للبنت : حذار ، وإياك أن تحملي من زوجك هذا .

- فقد كان تزويجك لهذا الشحاذ من قبيل الضـــرورة ، ولا وفاء عند هذا الغجرى .

- فهو يمضي فجأة إلى حال سبيله تاركا الجميـــع ، ويبقى طفله مظلمة عليك

- قالت الفتاة : سمعا وطاعة يا أبي ، إن نصحك مقبول عندى وغنم .

٣٧٢٥- وكل يومين أو ثلاثـــة ، كان ذلك الأب يقول للبنت : الحذر الحذر .

- وحملت الفتاة منه فجأة فقد كان كلاهما شابا ، وكانا زوجا وزوجـــة .

- وأخذت تخفي الأمر عن أبيهـــا ، حتى بلغ حملها خمسة شهور أو ستـــة .

- وصار ظاهرا ، فقال الأب : ما هذا ؟ ألم آمرك أن تبتعدى عنه ؟

- لقد ضاعت نصائحي كلها هباء ، ولم يجدك نفعا نصحي ووعظي .

٣٧٣٠- قالت : يا أبي كيف أتجنبـــه ؟! والرجل والمرأة كالقطن والنـار لاجدال .

---

(١) ج/١٢-٥٢٩:- فلا تكن عبدا للشهوة ما استطعت ، ولا تجعل روحك رهنا في أثر الشهوة . - وإلا اقتلعت الشهوة دارك ومالك ، ولوضعتك حيـــا في قبر أســـود .

(٢) ج/ ١٢- ٥٢٩ : - فلأذكر لك حكايـــة في هذا المعنى ، حتى أمجو الشهوة من قلبك .

– وأى حذر للقطن من النار ؟ وأى احتياط أو تقى من النار ؟

– قال : وهل قلت لا تقربيــه ؟ إن كل ما قلته لا تقبلي منيــــه .

– فعند ذروة اللذة والإنزال والمتعة ، ينبغي أن تنحي نفسك عن طريقــــه .

– قالت : وكيف أعلم متى يكون إنزاله ؟ إن هذا أمر خفي جدا وبعيد الغور .

٣٧٣٥– قال : عندمـــــا يختلط بياض عينه بسوادها ، افهمي أن هذا يكون وقت إنزاله .

– قالت : في ذلك الوقت الذى يختلط فيه بياض عينه بسوادها ، تكون عيناى الجريئتان هاتان قد عميتا .[1]

– وليس كل عقل حقير يكون ثابتـــــا ، عند الحرص وعند الغضب وفي معمعة المعركـــــــة .

وصف ضعف قلب صوفي منعم ووهنه ، إذ لم يجاهد ولم يذق ألم العشق وحرقته واغتر بتقبيل العوام يده ونظرهم إليه باحترام وإشارتهم إليه بالبنـان قائلين : إنه صوفي العصر ، فمرض بالوهم ، مثل ذلك المعلم الذى قال له الأطفال إنك مريض . واعتمادا على وهمه بأنه مجاهد وأنه يعتبر بطلا في هذا المجـــال ذهب مع الغزاة للغزو قائلا : لا بد من هذا الأمر ، فأنا في الجهاد الأكبر من الأفذاذ المستثنين فما قيمة الجهاد الأصغر عندى ؟! لقد رأى خيـــال أسد ، فأبدى ألوان الشجاعة ، وصار ثملا بهذه الشجاعة ، واتجه إلى الغابة للقاء الأسد "المقيقي" فقال الأسد بلســان الحال : ﴿كلا سوف تعلمــون ، ثم كلا سوف تعلمـــــــون﴾

– ذهب أحد الصوفية مع الجند للغزو ، وفجأة حل أوان قعقعة السلاح و" ضجة الوغــــى .

---

(١) هكذا في نسخة جعفرى "١٢–٥٣١" وهي تبدو أصح من عيناى العمياوان التى وردت عند نيكلســـون " 5-237"

- وبقي الصوفي مع المؤن والخيـــام والضعاف ، بينما اتجه الفرســـــان إلـى المصـــــاف .

٣٧٤٠- وبقي الذين اثاقلوا إلى الأرض في أماكنهـــم ، أما السابقون السابقون ، فقد حملوا وهاجموا .

- وقاتلوا أشد القتال وانتصروا ، وعادوا بغنائــــم نافعة .

- وجاءوا إلى الصوفي أيضـــا" ببعض الغنائــــم" هدية له قائلين : هي لـك أيها الصوفي أيضـا، فألقى بها خارج الخيمة ، ولم يأخذ شيئـــا .

- فقالوا له : لماذا الغضب ؟ فقال : لأني بقيت محروما من الغزو .

- ولـم يـرض الصوفـي قـط بهـذا العطـاء ، لأنـه لـم يسـل خنجـره فـي ميـدان المعركـــــة .

٣٧٤٥- فقالوا له : لقد جئنا بعدد من الأسرى ، فخذ واحدا منهم ، واقتله .

- واقطع رأسه بدورك ، لتكون أيضا غازيا ، فسعد الصوفي قليلا ، وقوى قلبه .

- وقال : إذا كان في الوضوء بالماء مائة نور ، فالتيمم واجب إن لم يوجد " هـذا الماء الطهور " .

- وأخذ الصوفي ذلك الأسيـــر المغلـــول ، و" مضى "إلى ما وراء الخيـام ، وذلك لكي يقوم بالغزو .

- وتأخر الصوفي هناك مع الأسيـــر ، فقال القوم : لقد تأخر الفقير .

٣٧٥٠- إن الكافر مغلول اليدين ومقتول لا محالة ، فما السبب يا ترى في تأخره في ذبحـــه ؟

- وذهب أحدهم متفحصــــا في أثره ، فرأى الكافر فوق " صدره "

- لقد حط ذلك الأسير كالأسد فوق ذلك الفقير ، وكأنه ذكر يعتلى أنثــــى .

- وأخذ يعض حلق الصوفي وهو مغلول اليدين ، وقد امتلأ بالغضب والحقد عليه .

- أخذ ذلك المجوسي يعض حلقه بأسنانه ، وقد سقط الصوفي تحته فاقد الوعي .

٣٧٥٥- وقام ذلك المجوسي مغلول اليدين بجرح حلقه دون حربة ، وكأنه القط .

- وكاد الأسير أن يقتله بأسنانه ، وكانت لحيته قد خضبت بالدماء من حلق ذلك الصوفي .

- مثلك أنت ، من غلبة النفس مغلولة اليدين ، صرت دنيا بلا وعي مثل ذلك الصوفي .

- ويا من صار مذهبك عاجزا أمام تل ، إن مئات الآلاف من الجبال " لا تزال " أمامك .

- ومن تل بهذا الحجم قد مت من الخوف ، فكيف تمضي على مرتفعات كأنها الجبال ؟!

٣٧٦٠- وقام الغزاة بقتل الكافر بالسيف حمية وفي نفس اللحظة ، دون إمهال .

- ورشوا وجه الصوفي بماء الورد ، حتى عاد إلى وعيه من إغمائه ونومه .

- وعندما عاد إلى وعيه ، رأى أولئك القوم ، فسألوه : كيف جرى ما جرى ؟

- ناشدناك الله ، ما هذا الحال أيها العزيز ، ومن أى شيء صرت فاقد الوعي هكذا ؟

- أمن أسير نصف قتيل مغلول اليدين ، سقطت هكذا ذليلا فاقد الوعى ؟

٣٧٦٥- قال : عندما اتجهت إلى رأسه بغضب ، نظر إلى نظرة عجيبة ذلك الوقح .

– لقد فتح عينيـــــه عن آخرها في وجهي ، ودور حدقتيـه ، فغـاب الوعـي عـن جسدى .

– ولقد أبدى دوران عينه لي عسكـــــرا ، لا أستطيع أن أصف ما كان عليه مـن هول .

– ولأقصر القول ، فمن تلك العين ، غبت عن وعيي على هـذا النحـو وسـقطت على الأرض .

نصح المبارزين له قائلين : بهذا القلب وبهذه الجرأة بحيث يغمى عليك من تقليب كافر لعينيه ، ويسقط الخنجر من يدك ، فالحذر الحذر ، إلزم مطبخ التكية ، ولا تمض إلى الحرب ، حتى لا تفتضـــح

– قال له القوم : لا تحم حول الوغى والقتـــال ، بمثل هذه المرارة " المسـكينة " التي لديك .(١)

٣٧٧٠–وما دمت من عين ذلك الأسير مغلول اليد ، قد تمزقت سفينتك وتحطمت؛

– فمـن ثـم ، عنـد هجـوم الأسـود الكواســــر ، التىتصير الـرؤوس بسـيوفهم كالكرات ؛

– متى تستطيـــــع أن تسبح في الدم ، ما دمت جاهلا بحرب الرجال ؟!

– ومن الأصوات التي تصاحب قطع الرقاب ، تكون الأصـــــوات التـى يحدثهـا القصارون عند دق الثياب ، أصواتا محتملة .(٢)

– وكثير من الأجســـاد التي لا رؤوس لهـا فـي اختـلاج ، وكثـير مـن الـرؤوس التى لا أجساد لها كأنها الحباب فوق الدم .

---

(١) ج/١٢–٥٣٨:– والزم المطبخ داخل التكية ، حتى لا تصير مفتضحا ثانية في الجيش .

(٢) ج/١٢–٥٣٨:– ومن أصوات تتابع السهام التي تسلب الروح ، يخجل سحاب الربيع " الممطر" عندما يقرن بها .

٣٧٧٥- وتحت أقدام الخيول وقوائمها في ميدان المعركة ، مئات من الأبطال القتلة قد غرقوا في الفناء .

- ومثل هذا اللب الذى فر من فأر ، كيف سيتحمل السيف في ذلك النزال .

- إنه صراع وقتال وليس وليمة صوفية (١) ، حتى تشمر الأكمام كما تشمرها للطعام .

- ليس بأكل للصوفية (٢) هنا ، وانظر إلى السيف ، فإن " حمزة " هو الذى يلزم لهذا الصف الحديدى .(٣)

- وليس القتال بعمل كل رقيق قلب ، يفر كالخيال ، عندما يرى خيالا .

٣٧٨٠- إنه عمل " صناديد " الترك ، لا عمل النساء(٤) ، ومكان النساء هو المنزل ، فعد إلى المنزل (٥)

حكاية العياضي رحمه الله ، وكان قد شهد سبعين غزوة عاري الصدر على أمل الشهادة وعندما يئس من نيلها ، اتجه من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر واختار الخلوة ،وفجأة سمع طبل الغزاة ، فأخذت النفس تمزق الأغلال من الداخل لتتجه إلى الغزو ،واتهامه لنفسه في هذه الرغبة

- قال العياضي : لقد أتيت تسعين مرة " إلى الغزو " عارى البدن ، على أن أصاب بطعنة .

---

(١) حرفيا : أكل الجرجير عند الصوفية وفي ترجمة أخرى أكل حساء البرغل .

(٢) حرفيا : أكل الجرجير ، ولعب هنا بكلمتى حمزة أى الجرجير وحمزة بن عبد المطلب ﷺ

(٣) ج/١٢-٥٣٨: ليس بالطعام الدسم ، إنه السيف والخنجر ، نبغي المغامرة فيه بالرأس ، فما قيمة الرأس ؟

(٤) في النص تَركان وهو من الأسماء الشائعة للنساء .

(٥) ج/١٢-٥٣٨:- أى غزو تستطيع القيام به ومن تلك العين ، ضعت هكذا وسقطت على الأرض .

- كنت أواجه السهـــام عارى الجسـد ، حتى أصاب بسهـــم نافذ .

- ذلك أن تلقي سهم في الحلق أو في مقتل ، أمرٌ لا يجده إلا كل شهيد مقبل .

- وليس على جسدى موضع واحد بلا جرح ، وأصبح هذا الجسد من السهام ، كأنه الغربال .

٣٧٨٥- لكن السهام لم تصبنى في مقتل ، وهذا أمر من الحظ ، لاجلد ولا دهـــاء .

- ولما لم تكن الشهادة رزقا لروحـي ، فقد أهرعت إلى الخلوة للقيام بأربعينيـــة .

- وألقيت بالبدن في الجهاد الأكبر ، وفي ممارسة الرياضة " الصوفية " وإنحاله " بالعبادة " .

- فوصل قرع طبول الغزاة إلى مسمعي ، منبئا بأن الجيش المجاهد يمضي سعيدا .

- فنادتني النفس من الباطن ، بحيث سمعتها بأذن الحس في الصبـــاح ؛

٣٧٩٠- قائلة : انهض ، لقد آن أوان الغزو ، فامض ، وأشغل النفس بالغزو .

- قلت : أيتها النفس الخبيثة عديمة الوفـــاء ، أين منك الميل إلى الغزو ؟

- أصدقيني القول أيتها النفس ، فإن هذا احتيال ، وإلا فإن النفس الشهوانية بريئة من القيام بالطاعات .

- وإن لم تصدقينى القول ، حملت عليك حملة شديدة ، وأثقلت عليك في الرياضة، فوق ما أفعل .

- فصاحت النفس تلك اللحظة من باطنـــه بفصاحة ودون فم وبدأت في الملق والوسوسة .

٣٧٩٥- إنك تقتلني هنا كل يـــوم ، وتؤذى روحي ، وكأنها روح المجوس .

– وليس عند أحد علم بحالـــــــي ، وأنك تقتلني بمنع الطعام والنوم عنى .

– وفـي الغـزو ، أقفز بطعنـة واحـدة خــارج البـدن ، ويـرى الخلـق شـجاعتى وإيثـــــارى .

– قلت : أيتها النفس الحقيرة ، لقد عشتِ في نفاق ، وها أنت تموتين أيضـا علـى النفاق .. فماذا تكونين ؟

– لقد كنت مرائية في الدارين ، وهكذا كنت في الدارين بلا جدوى ولا فائدة.

٣٨٠٠– وقد نذرت ألا أطل برأسي من الخلـــــوة ، ما دام هذا البدن حيـــــا .

– وذلك أن كل ما يفعله هذا الجسد في الخلـــــوة ، إنما يفعله لا من أجـل وجـوه الرجال والنســــاء .

– فحركته وسكونه في الخلــــوة ، ونيته لا تكون إلا من أجل الحق .

– وهذا هو الجهاد الأكبر ، وذاك هو الجهاد الأصـغـــــر ، وكلاهما مـن أعمـال أمثال رستم وحيدر .

– وليس ذلك الذى يفر لبه ووعيه من جســـــده ، عندما يتحرك ذيل فأر .

٣٨٠٥– وينبغي على مثـــل هذا الإنســــان ، أن يبتعد كالنســاء عن الحـرب والسنــــان .

– وهذا صوفي ، وذاك صوفي ، ويـا للخســـــارة ، لقد قتـل ذاك بإبـــــرة ، وهذا هو طعمة السيف .

– إنه يكون صورة لصوفي ولا روح ، لقد ساءت سمعة الصوفيــــة من هـؤلاء الصوفيــــة .

– فعلى باب الجســـد المعجون من الطين وجداره ، رسم الحـق من غيرتــــه صورا لمائة صوفي .

- ومتى تتحرك تلك الصور من السحـــــر ، ما دامت عصا موسى عليه السلام مختفيــة .

٣٨١٠- وتلك الصور يبتلعها صدق العصـــــا ، وعين فرعون " راغمـة " مملوءة بالتراب والحصى .

- وهناك صوفي آخر ، دخل إلى ميدان الحرب عشرين مرة ، من أجل الطعن والضـــرب .

- كان مع المسلمين على الكفار عند الكر ، لكنه لم يعد مع المسلمين عند الفـــر .

- لقد جرح ، لكنه ربط جرحه ، وحمل مرة أخرى " على العدو" قائــــلا :

- حتى لا يموت الجســـد بطعنة واحدة موتا رخيصـــا ، وحتى يصـــاب بعشرين طعنة في المصـــاف .

٣٨١٥- كان يشعر بالخســـارة أن يسلم الروح نتيجة لطعنة واحـــدة ، وإن الروح لتنجو بيسر من يد صدقة .

حكاية ذلك المجاهد الذي كان يلقي كل يوم بدرهم من كيسه في الخندق على مرات لمكافحة الحرص ورغبة النفس ووسوستها وهي تقول : لماذا تلقي " بالدراهم" في الخندق على مرات ، ألقها دفعة واحدة ، حتى أنتهي ، لأن اليأس إحدى الراحتين ، فقال:حتى هذه الراحة لا أهبهـــا لك

- كان مع أحدهم أربعون درهمًا ، فكان يلقي كل ليلـة بواحد في اليـم ؛

-حتى يكون ذلك صعبـــا على النفس المجازيــــة ففي التأني يكون ألم نزع الروح طويـــلا .(١)

---

(١) نسخة نيكلسون - والتي أخذت عنها أغلب النسخ - مضطربة هنا تماما لأن البيت التـالي لهذا البيت تكرار للبيت ٣٨١١ والأبيات التالية له مرتبطة بالموضوع السابق ولا علاقة لها

– وكـــانت النفس تصيح بـه كل ليلـة والمسكينة تعــانى مــن القلــق والحمــى قائلـــــــة :

– لماذا لا تلقي بالدراهم دفعة واحدة ؟ لقد قتلتني من الحزن وانعدام الحيلـــة .

٣٨٢٠– من أجل الحق ، أد الدين للنفس دفعة واحدة ، فاليأس إحدى الراحتين .

– لكنه لم يلتفت إلى النفس ، وأخذ هكذا يقوم بقتلها مشقة وعنـــــاء .

عودة إلى حكاية ذلك المجاهد في القتـــال

– مثل ذلك الصوفي عند القتال ، لقد ضيق كثيرا على النفس من أجل الحق .

– فعند الكر ، كان يمضي سريعا مع المسلمين ، وعند الفر لـم يكـن يعـود معهـم سريعا .

– وطعن طعنة أخرى ، وجرح ، فربطــه أيضــــا ، ولعشـرين مـرة انكســـر رمحه وسهمه .

٣٨٢٥– وبعد ذلك لم تبق لديه طاقة " على الثبــات " ، فسـقط فـي المقدمـة ، فـي مقعد الصدق ، من صدق عشقه .

– فـالصدق هـو بـذل الـروح فهيـــا سـابقوا ، واقـرأ مـن القــرآن آيــة ﴿ رجــال صدقــــوا﴾ .

– إن كل هــذا ليـس بمـوت ، إنــه مـوت الصــــورة ، وهـذا البـدن لـلروح مثـل الآلـــة .

=بهذا الموضوع ومن ثم اعتمدنا في ترجمة هذا الموضـع علـى نسـخة جعفـرى " ١٢–٥٤٤" حتى نهاية الحكاية ، والعنوان الجديد ليس موجودا أيضــا في نسخة نيكلسون ولا البيت الذى بعده وهما أيضا من نسـخة جعفـرى " ١٢–٥٤٧" وبعد ذلك يتفق النصـــان بزيـادة خمسـة أبيات على نسخة نيكلسون في المتن العربي .

- ورب ساذج سفك دمـــــه ، لكـن نفسه الحيـــــة ، أهرعـت إلـى تلـك الناحيـــة .

- كسرت آلتــــه ، وبقي قاطع الطريق حيـــا ، والنفس حيـة بـالرغم مـن أن المطية قد قتلت .

٣٨٣٠- قتلت المطية ، ولم يصبح طريقــــه مطروقـا ، ولـم يصبـح إلا سـاذجا قبيحا مضطربـــا .

- ولو صار شهيدا كل من سفك دمه لكان الكافر القتيل في مقام " أبي سعيد " !!

- ورب نفس شهيـــد معتمد ، ماتت في الدنيـــا وهو يمضي كالأحيـــاء .

- ماتت النفس قاطعة الطريـق ، والجسد الـذى هـو سيفها ، بقـي فـي كـف ذلـك الغازى .

- فالسيف هو ذلك السيف ، والرجل ليس ذلك الرجل ، لكـن هـذه الصـورة مثـار دهشة بالنسبة لك .

٣٨٣٥- وعندما تبدل النفس ، يصير سيف البدن هذا ، موجودا في يد صنـع ذى المنن .

- فهذا رجل قوته كله من الألم ، وهذا رجل آخر أجوف كأنه الغبـــــار .

وصف أحد الوشاة لجارية ، وإظهاره صورتها في ورقة لخليفة مصــر ، وعشقه إياها وإنفاذ الخليفة لأمير مع جيش إلى جبال الموصل ، وقيامه بالقتل والتخريب لهذا الغرض

- قال أحد الوشـــاة لخليفة مصـــر ، إن عند أمير الموصل جارية كأنهـا مـن الحور العين .

- إن بين " أحضانه" الآن جاريـــة ، لا مثيل لحسنها في العالــــم .

- وحسنها بلا حد ، لايصفــــه بيان ، وهذه هي صورتها في هذه الورقـــة .

٣٨٤٠- وعندما رأى ذلك الملـك الصـــــورة ، دار رأســـــه ، وسقط الكأس من يده .

- وعلى الفور أرسل أحد الصناديد إلى الموصل على رأس جيش لجب .

- وقال له : إن لم يسلمك هـذا القمر المنـير ، فاخلع بـاب بلاطـه وجدرانـه من الأساس ؛

- وإن أعطـاك إياهـــا ، فدعـه لحـال سبيلـــــه ، وهـات الحسنــــاء ، حتـى أعانق القمر وأنا على الأرض .

- فمضـى البطـل إلـى الموصـل مـع الجيش ، مـع الآلاف مـن أمثـال رسـتم ، والطبل والعلم .

٣٨٤٥- وكأنهم الجراد المنتشر حول حقل بـلا عد ولا حصر ، ومضـى لإبـادة أهل تلك المدينة .

- وفي كل ناحية من المدينة ، نصب منجنيقـــا كأنه جبل قاف وأخذ في قصفها؛

- " واستعرت " ضربات السهام والرمي بالمنجنيق والسيوف في الغبـار لامعـة كالبرق " الخاطف " .

- وقام بهذه المذبحة المهولة لأسبوع كامل ، وصار برج المدينة الحجـرى واهنـا كأنه الشمع اللين .

- ورأى ملك الموصل القتـــال المرير ، فأنفذ إليه رسولا من داخل المدينة .

٣٨٥٠- قائلا له : ماذا تريد من دماء المؤمنين الذين يقتلون فـي هـذه الحـرب الضروس ؟

- فـإذا كـان مـرادك هـو مُلـك الموصـــــل ، ليكـن لـك دون أن تقـوم بهـذه المذبحــــة .

- وسوف أخرج من المدينة الآن فادخلهـــــا ، حتى لا يحيق بك " جـرم " دمـاء المظلومين .

- وإذا كــــان مـرادك المـال والذهـب والجواهر ، فهـذا أمـره أيسـر مـن مُلـك المدينة .(١)

إيثار صاحب الموصل الخليفة بتلك الجارية حتى لا يستمر القتل في المسلمين

- وعندمـا جـاء الرسـول إلـى البطـــــل ، أعطـاه الورقـة التـي تحتـوى علـى الصورة والأمارة .(٢)

٣٨٥٥- " وقال" : انظر في هذه الورقـــــة ، وهيا ، أعطنـي صاحبتهـا ، وإلا فأنا غالب لكم الآن (٣)

- وعندما عاد الرسول ، قال ذلك الملك الشجاع : دعك من التمسـك بـالصورة ، وخذها إليه سريعا .

- فلست في عهد الإيمــــان بعابد للصنم ، فالصنم أولى بذلك الوثني .(٤)

- وعندما أتى الرسول بها ، وقع ذلك البطل من فوره في عشق جمالها .

- والعشق بحر ، والسماء من فوقه زبــــد ، وهناك مائة زليخا في هوى يوسف

٣٨٦٠- فاعلم أن دوران الأفلاك من العشـق ، وإن لـم يكـن ثـم عشـق ، لتجمـد الكون .

- ومتى كان الجماد ينمحي في النبات ؟ ومتى كان النبات يصبح فداءً للروح ؟

- ومتى كانت الروح تصير فداءً لذلك النفَس الذى من نفخته حملت مريم ؟

---

(١) ج/١٢-٥٥٠:- وكل ما يلزمك من فضة أو ذهب ، أرسله لك ، فما هذه الفتنة والشر ؟

(٢) ج/١٢-٥٥٢:- وقال له : انظر في هذه الورقة صورة من تكون ، وأرسل صاحبتها سريعا لتنجو أرواحكم ويسلم ملككم .

(٣) ج/١٢-٥٥٢:- وعندما عاد الرسول وقص الأحوال ، سلم الورقة ، وأبدى تلك الصــــــورة .

(٤) ج/١٢-٥٥٢:- وأعطاه الجارية داعيــــا له بالبركة ، فأخذها من فوره وعاد بها إلى المعسكـــــر .

- وإذن لتجمد كل واحد في مكانه كأنه الثلج ، ومتى كان يصير محلقا ومنتشرا كالجراد ؟

- إن عشـــاق ذلك الجمال يسرعون ذرة بـــذرة نحو العــلو ، وكأنهم الغصن " الشامخ " .

٣٨٦٥- وإن (سبح لله) هى سرعتهـــم ، إنهم يقومون بتنقية الجســـد من أجل الروح .

- ولقد ظن البطل البئر كالطريق ، وأعجبته الأرض البور ، فألقى فيها بالبذور .

- وعندما رأى ذلك النائم خيالا في النوم ، اجتمع به ، وســال منيـــه .

- وعندما ذهب النوم ، وصحـا سريعـــا ، رأى أن تلك الحسناء لم تكن في اليقظـــة .

- فقال : لقد أسلت منيي على هباء ، وآسفاه ، وتجرعت إغراء تلك اللعوب ، وآسفـــاه .

٣٨٧٠- كان بطلا بالنسبة للجســـد ، ولم تكن عنده رجولة " الطريق " ، فأراق بذور الرجولة في مثل هذا الرمل .

- ولقد مزقت مطية عشقـــه مائة زمام ، فأخـــذ يصيح " لا أبالى بالحِمـــام ؛

- ايش ابال بالخليفة في الهوى ، استوى عندى وجودى والنـــوى " (١)

- فلا تزرع هذه الحرقة ، ولا تتهور آخرا ، واستشـــر أحد الحكمـــاء .

- وأين المشورة ؟ وأين العقل ، وسيل الحرص قد أنشب مخالبه في " أرض خراب .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســـي .

٣٨٧٥- فمن بين الأيدى سد ، ومن الخلف سد ، فهو قليلا ما يرى قدامه ووراءه ، ذلك المفتون بالخد .

- لقد اتجه سيلٌ أسود قاصدا الروح ، حتى يقوم الثعلب بإسقاط الأسد في البئر .

- لقد أبدى من البئر خيالا معدوما ، حتى يلقي في قاعه بأسود كالجبال .

- فلا تجعل أحدا قط أمينا على النساء ، فهما معا على مثال القطن والشرر .

- وينبغي أن تطفأ النار بماء الحق ، فيكون المرء مثل يوسف عليه السلام ، معتصما في رهوقه .

٣٨٨٠- لقد سحب نفسه من زليخا لطيفة الوجه والقد ، وكأنه الأسد .(١)

- لقد عاد ذلك البطل من الموصل وأخذ يسير في الطريق ، حتى نزل في غابة ومرج .

- وكانت نار عشقه قد زادت أوارا ، بحيث لم يعد يدرى أرضا من سماء .

- فاتجه إلى تلك الحسناء في خيمتها ، فأين العقل ؟ وأين الخوف من الخليفة ؟

- وعندما تقرع الشهوة طبولها في هذا الوادى ، ماذا يكون عقلك أنت ، أيها الضعيف ابن الضعيف ؟!(٢)

٣٨٨٥- ومائة خليفة قد صاروا أقل " قدرا" من ذبابة ، أمام عينه النارية في تلك اللحظة .

- وعندما خلع سرواله ، وقعد بين ساقي المرأة ، ذلك العابد للمرأة ؛

---

(١) ج/١٢-٥٥٣:- ومتى يمكن أن تنتصر على نفسك ، إلا بمعونة عقل ذكي ذى فنون .- فهيا سق المركب نحو إتمام القصة ، فهذا الكلام لا نهاية له أيها البطل .

(٢) حرفيا : يا فجلة ابن فجلة .

– وبينما كان يمضي مستقيمـــــا نحو المستقر ، قامت ضجـة شـديدة فـي المعسكـــــر .

– فقفز عارى المؤخــــرة نحو صف القتال ، وسيفــــه في كفه وكأنه النار .

– فرأى أسدا هصــــورا أسود ، قد هاجم المعسكر من تلك الغابــــة ،

٣٨٩٠– وانطلق مهاجما كل حظيرة وكل خيمــــة ، وكأنه شيطـــــان .

– وأخذ ذلك الأسد يندفع قافزا من طريق خفي في الهواء ، وكأنه موج البحـر ، ولعشرين ذراعا .

– وواجه البطل ذلك الأسد بشجاعة وبلا حذر ، وكأنه الأسد الهصور الثمل ؛

– وضربه بالسيف ضربة شقت رأســــه ، ثم أسرع نحو خيمـــة الحسنـــاء

– وعندما أظهر نفسه لتلك الحورية ، كان ذكره لا يزال منتصبــــا .

٣٨٩٥– لقد اشتبك في قتال مع ذلك الأسد ، لكن ذكره بقي منتصبـــا لم يرتخ

– فتعجبت تلك الحسنــــاء حلوة اللقـــاء قمرية الوجه ، من رجولتـــه .

– فاقترنت به برغبة وميـــل في تلك اللحظة ، واتحدت هاتان الروحان ، برهة من الزمـــان .

– ومن اتصـــال هـــاتين الروحيـن معـــا ، تنضـم إليهمـا مـن الغيـب روح أخـــرى .

– وتظهر عن طريق الميـــلاد ، إن لم يكن هناك قاطع طريق يمنـع تعلقهـا واتصالها .

٣٩٠٠– وكل اثنين يجتمــعان على حب أو علـى بغض ، فلابد أن يلحق بهمـا ثالث ، على سبيل اليقين .

– لكن تلك الصـــور تتولد فـي الغيـب ، وعندمـا تمضـي إلـى تلـك الناحيــة تراها عيانا .

- " وتدرك " أن تلك النتائج قد تولدت من قراناتك ، فانتبه ، ولا تسر سريعا من كل قرين .
- وابق منتظرا ذلك الميقات ، واعلم أن إلحاق الذريات مبدأ صادق .
- فقد جعلوا لكل امريء من العمل والعلل ، صورة ونطقا وطللا .
٣٩٠٥- وتصل أصواتهم من ربات الحجال ، منادية إياك ، يا غافلا عنا ، على وجه السرعة ، إلينا تعال ،
- وأرواح الرجال والنساء منتظرة في الغيب ، فما تلكؤك هذا ، جد في السير .
- ولقد ضل الطريق من ذلك الصبح الكاذب ، وسقط في إناء المخيض كأنه الذبابة .

ندم ذلك القائد على الخيانة التي ارتكبها وأخذه الأيمان على تلك الجارية بألا تفشي الأمر للخليفة

- ولقد ظل عدة أيام على ذلك النحو ، ثم صار نادما على ذلك الجرم البشع .(١)

- وأخذ عليها المواثيق ، وقال : يا من وجهك كالشمس ، لا تتحدثي بشيء مما حدث إلى الخليفة .(٢)
٣٩١٠- وعندما رآها الخليفة ، صار ثملا ، وسقط طسته هو الآخر من فوق السطح .

---

(١) ج/١٢-٥٥٩:- أخذ عليها المواثيق قائلا : أيها البدر المنير ، كوني على حذر ، ولا يعلمن الملك شيئا .
(٢) ج/١٢-٥٥٩: ولأقصر القول ، فإن ذلك البطل قد حمل الجارية إلى مليك العالم .

– فلقد رآها أضعاف أضعاف ما وصفت لـــــه ، ومتـى تكـون الرؤيـة فـي حـد ذاتها مثل السمـــاع ؟

– إن الوصف " مجرد " تصوير من أجل عين الوعي ، واعلم أن الصورة تكـون من أجل العين لا من أجل الأذن .(١)

– لقد سأل أحدهـــم أحد الفصحاء ســؤالا : قل لي ما هو الحق وما هو الباطل يا حسن المقال .

– فأمسك بأذنه وقال له : هذا هو الباطل ، والعيـن هـي الحـق ، إذ يحصـل منهـا اليقين .

٣٩١٥– إن الأذن باطلة بالنسبة للعين ، وهذا أمر نسبي ، وأغلب الأحكام نسـبية أيها الأمين .

– فإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإنه لا يكون محجوبا عن خيــــال الشمس .

– وإن مجرد خيــال لا يزال يخوفه ، وخياله ذلك يسوقه نحو الظـــــلام .

– وذلك الخيال لا يفتأ يخوفه من النور ، ويلصقه بليـــل الظلمات .

– ومن خيال العدو وصورته " التي في ذهنـك " اعلـم أنـك قـد التصقـت بـالرفيق والصديق .

٣٩٢٠– ويا موسى ، إن كشفك قد نشر اللمع فوق الجبــــل ، وذلك المقيم على الخيال ، لا قدرة له على تحقيقك .

---

(١) ج/ ١٢-٥٦٠:- عنوان " سؤال لأحد العظماء عن الفرق بين الحق والباطــــل " ثم بيت زائد :

– إنني سأضرب لك مثالا فاستمع إليه الآن ، وافهم الأمثال وعِ معناهــــا .

– فهيـــــا ـــ ولا تصر مغرورا بـأنك قـابل لخيالـه ، وأنـك واصـــلٌ مـن هـذا الطريق .

– فمن خيال الحرب ـ لا يهلع أحد ، فلا شجاعة قبل الحرب ، اعلم هذا فحسب .

– والمخنث على خيال الحرب مقيمٌ علـى الفِكَـــــر ، إنـه يقـوم " فـي خيالـه " بمائة كر وفر كرستــــم .

– وصورة رستم تلك التي تكون فى الحمام ، تكون مقترنة بفكر كل جلف ساذج ،

٣٩٢٥– وخيال السمع هذا عندمــــا يتحول إلى بصــر ، ماذا يكون المخنث ؟ إنه يتحول إلى رستم عاجز .

– فجاهد حتى تمضي من " مجال " أذنك إلى " مجال " عينـك ، ومـا كـان بـاطلا يصبح لك حقــا .

– ومن ذلك الوقت فصاعدا ، تصير أذنك في نفس طبع العين ، وتصبـح جوهـرا تلك الأذنان اللتان تشبهان الصوف .

– بل إن كل الجســـد يصير كالمرآة ، يصير له عينا وجلاءً للصـــدر .

– فإن الأذن تثير الخيال ، وذلك الخيال ، هو الواسطة لوصال ذلك الجمــال .

٣٩٣٠– فجاهد حتى يصير هـذا الخيـــال زائدا ، حتـى يصـير واسـطة تقـود المجنـــون .

– وذلك الخليفة المخدوع نال أيضا " السعادة" فترة مـن الزمـن ، وتحـامق سـعيدا مع تلك الجاريــة .

– فالملك لك ، فخذ أنت ملك الغرب والشرق ، وما دام لا يبقى لك ، فاعتبره من قبيل البرق .

– والمملكة التى لا تبقى إلى الأبد ، اعتبرهـــا حلما ، يا من نام قلبك .

- فحتام تقوم أنت بهذا النفاق والكبرياء ؟ حتى يأخذ بحلقك ، وكأنه الجلاد !!

٣٩٣٥- وحتى في هذا العالم، اعلم أن هناك مأمن، وقلل الاستماع إلى المنافق ، فلا قول له .

حجة منكري الآخرة ، وبيان ضعف تلك الحجة ، لأن حجتهم تعود إلى قولهم : لا نرى غير هذا

- إن الحجة التي يقدمها منكر البعث ، ويقولها في كل لحظة ، إذا كان هناك شيء غير هذا لرأيته .

- وإذا كان الطفل لا يرى العقل ، فلا يعنى هذا ألا ينقل العاقل عن العقل أبدا .

- وإن لم ير العاقل أحوال العشق ، فإن قمر العشق المقبل لن ينقص .

- وأبصار إخوة يوسف عليه السلام لم تر حسنه ، وما الذى خفي منه عن قلب يعقوب عليه السلام ؟

٣٩٤٠- وعين موسى عليه السلام رأت العصا خشبة ، أما عين الغيب فقد رأتها أفعى وفتنة .

- وعين الرأس في قتال مع عين السر ، لكن عين السر غلبت وأبرزت الحجة .

- وعين موسى عليه السلام رأت يده مجرد يد ، لكنها كانت نورا طاهرا أمام عين الغيب .

- إن هذا الكلام لا نهاية له في الكمال ، وهو أمام كل محروم يكون كالخيال .

- وما دامت الحقيقة أمامه هي الفرج والحلق ، فقلل الحديث أمامه عن أسرار الحبيب .

٣٩٤٥- والفرج والحلق عندنا من قبيل الخيال ، فلا جرم أن الروح تبدي لنا كل لحظة جمالها .

- وكل من جعل الفرج والحلق طبعا له وطريقة ، أقول له : من أجل هذا نزلت ﴿ لكم دينكم ولي دين﴾ .

- ومع إنكار كهذا ، أولى بك أن تقصر الكلام ، وقلل الحديث يا أحمد مع من شاخ على المجوسيـــــة .

مقاربة الخليفة لتلك الحسناء من أجل الجماع

- لقد جمع الخليفة رأيـــــه ، وأزمع أمرا ، ومضى نحو تلك المرأة ليجامعها .

- ولقد ذكرها ، وجعل ذكره ينتصب ، واتجه لجماع تلك التي تزيد الحب .

٣٩٥٠- وعندما قعد بين ساقي تلك السيدة ، حم القضاء ، وقطع طريق متعته .

- ووصل إلى سمعه صوت خشخشة من فأر ، فارتخى ، وهدأت شهوته تماما .

- لقد كان خائفا من أن يكون هذا الصرير ، من حية تتحرك بين الحصير .

ضحك تلك الجارية من ضعف شهوة الخليفة وقوة شهوة ذلك الأمير

وفهم الخليفة "شيئا" من ضحك الجاريـــــة

- ورأت المرأة وهنه هذا ، ومن دهشتها قهقهت وغلبهـــــا الضحك .

- وذكرت رجولة ذلك البطـــــل ، الذى قتل الأسد ، وعضوه على حالـــه .

٣٩٥٥- وطال استغراقها في الضحك ، وهي تجاهد " لتكتمه " ، لكـن الشفـــــة لم تغلق .

- أخذت تضحك بشدة ، وكأنها من مدمني المخدرات ، غلب الضحك " عندهم " على النفع والضــــر .

- وكلمـــا فكرت وتذكرت زاد الضحك ، وكأن سدا أمام سيـــــل قد فتـــح فجــــأة .

– والبكاء والضحك ، وسرور القلب وحزنـــه ، اعلم أن لكل منهما معدنـا مستقلا .

– ولكل منهما خزانة ، اعلم أيهـــا الأخ ، أن مفتاحها في يد الفتـــاح .

٣٩٦٠– ولم يكن يبدو أنها سوف تقلع عن الضحك ، فتطير الخليفة ، واستشاط غضبـــا .

– فأســرع بسل سيفـــه من غمده ، وقال لها : تحدثي عن سر هـذا الضحك ، هيا أيتها الدنســـة .

– لقد وقر في نفسي ظن ما من هذا الضحك ، فتحدثي بالصدق ، فلـن تستطيعي خداعي .

– وإن تحدثت إلى مخادعة بغير الصدق ، أو سقت لي حجة واهية مكشوفة ؛

– فإنني سوف أعرف ، فهناك نور في قلبي ، فينبغي أن تقولي لي ما هـو جدير بالقول .

٣٩٦٥– واعلمي أن في قلوب الملوك قمرا ساطعا ، وإن كان بين الحين والآخر، يصير من الغفلة مخفيا بالغمام .

– وهناك مصباح في القلـب عند الطـواف ، وعنـد الحـرص والغضب ، يختفـي تحت الطست .

– وأنا أحس أن هذه الفراسة توجد معي الآن ، وإن لم تقولي الحق الـذى ينبغي أن يقـــال ؛

– فســـوف أضرب عنقك بهذا السيف ، فلن يجدى تعللك بالأعذار .(١)

– وإن تحدثت بالصدق ، فسوف أعتقــك ، وأسـعدك ، ولـن أنقض عهدى أمـام الله .

---

(١) ج/١٢– ٥٦٩:– أقتلك في هذه اللحظة بلا أدنى شك ، ومد إليها السيف قائلا : هيا ، الآن .

٣٩٧٠- ووضع سبعة مصـــاحف حينذاك فوق بعضـــها ، وأقسم عليها ، علـى ما قاله لها .

إفشـــاء تلك الجارية ذلك السر للخليفة خوفا من الضرب بالسيف وإصرار الخليفة على أن تقول له السبب في هذا الضحك وإلا قتلها

- عندما أسقط في يد المرأة تحدثت بـالأحوال ، وقصـت عـن رجولـة ذلـك الـذى يشبه مائة رستم وكثيرين من أمثـــال زال .

- وأعادت على مسامع الخليفة ما جرى في تلك الخلوة التي حدثـت فـي الطريـق بتفصيلـــه .

- وقتل ذلك الأسد ، والمجيء نحو الخيمة ، وذلك الذكر المنتصب وكأنـه قـرن الكركدن .[1]

- ثـم وهـن هـذا المجـاهد فـى هتـك الأعـراض ، الـذى همـد عندمـا اسـتمع إلـى خشخشـــة فأر .

٣٩٧٥- إن الحق سبحانه وتعالى يقوم بهتك الأسرار ، فلا تزرع بذور السـوء ، مادامت سوف تنمو .

- فالماء والسحاب والحرارة وهذه الشمس ، تقوم باستخراج الأسـرار مـن بـاطن التراب .

- وهذا الربيع الجديد النضر من بعـد تسـاقط الأوراق ، برهـان لـك علـى وجـود القيامـــة .

---

(١) ج/١٢-٥٧٢: - وأنه كان بهذه القوة ، ومن صيد الأسد ، لم يتغير فيه شيء وبقي على ما هو عليه .- " وقالت " : وعندما رأيت ذاك منه وهذا منك ، ضـحكت ، وهذا هو السبب يا مليك العالم .

- ففي الربيع تظهر تلك الأسرار " على الملأ " ، وكل ما أكلته هذه الأرض ، يفتضح " أمره " .

- وينبثق ذلك من فمها ومن شفتيها ، حتى يظهر للعيان ضميرها ومذهبها .

٣٩٨٠- وسر جذر كل شوكة ومأكلها ، يظهر كله على رأسها .

- وكل حزن تكون متأذى القلب منه ، هو من خمار تلك الخمر التي شربتها .

- لكن كيف تعلم من أى خمر شربتها قد بدى الآن ألم الخمار ؟

- إن هذا الخمار هو برعمة تلك البذرة ، وهذا يعلمه كل من هو أريب وذكي

- والغصن والبرعمة لا يشبهان البذرة ، فمتى تشبه النطفة جسد رجل ؟

٣٩٨٥- وهما لا يتساويان معا : الهيولى والأثر ، ومتى تكون البذرة شبيهة بالشجر ؟

- والنطفة " من نتاج" الخبز" والطعام " ، فمتى شابهت الخبز ، والناس من النطفة ، فمتى يكونون مثلها ؟

- والخبز من النار فمتى يشبه النار ؟ والسحاب من البخار ، ولا يكون كالبخار .

- ومن نفس جبريل ﷺ تمثل عيسى ﷺ بشرا سويا ، فمتى كان شبيها له في الصورة أو ندا له؟

- والإنسان من التراب ، فمتى شابه التراب ، وهل يوجد عنب يشبه الكرمة ؟

٣٩٩٠- ومتى يكون لص على شكل المشنقة ؟ ومتى تكون الطاعة كالجنة الخالدة ؟

– ولا يوجد أصـــل قط يشبه الأثر ، ومن ثم لاتعلم أصل التعب ووجع الرأس .

– لكن هذا الجزاء لا يكون بلا أصـــــل ، وكيف يعذب اللـــــه بلا ذنب ؟

– وما هو أصل لهذا الشيء ويجذبـــــه ، هو منه ، وإن لم يشبهه .

– إذن فاعلم أن ألمك هو نتيجة زلة ، وآفة هذه الطعنة فيك من هذه الشهوة .

٣٩٩٥– وإذا كنت لا تعرف ذلك الذنب من العـبرة ، فـادخل فـي التضـرع سريعـــــا ، واطلب المغفرة .

– واسجد مائة مرة ، وقل دائمـــــا : يا ألله ، إن هذا الحزن الـذى بـي ليس إلا جزاء ، حاق بي عن استحقاق.

– ويا من أنت سبحانك مبرأ من الظلم والجـور ، متـى تصيـب الـروح بـلا جـرم بالألم والغم ؟

– وأنـــــا لاأعــرف لنفـــسي ذنبا معينـــــا ، لكن لا بد أن لكل ذنب حزنـــــا " يصاحبه " .

– وما دمت قد سترت السبب للاعتبــــــار ، فاستر ذلك الذنـب والجـرم علـى الدوام .

٤٠٠٠– فـــــإن الجـزاء يكـون إظهـارا لجرمـــــــي ، ومـن العقـاب تبـدو لصوصيتي .(١)

عزم الملك عندما عرف تلك الخيانة على أن يسترها ويعفو ، ويهبه الجارية وعلمه أن تلك الفتنة كانت جزاء تعديه وظلمه لصاحب الموصل ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ومن أساء فعليهـــــا﴾ وقوله ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وخوفه من أن يحل به الانتقام إذا انتقم ، كما حاق به جزاء الظلم والطمـــع

– عاد الملك إلى وعيه ، واستغفر ، وذكر جرمه وزلته وإصـــــــراره .

---

(١) ج/١٢-٥٧٣:- فلأعد صوب الحديث عن توبة الملك ، حتى تصير أسرار الضراعة معلومة لديك .

– وقال في نفسه ، ما فعلته بالناس ، إنما فعلته بنفسـي ، وقد حاق جزاؤه بروحـي .

– ولقد تعديت على أعراض الآخرين بجاهي ، وحاق ذلك بي وسقطت في " نفس البئر " .

– ولقد قرعت باب منزل شخص آخر ، فلا جرم أنه أيضـا قد قرع باب داري .

٤٠٠٥– وكل من صار طالبا للفسق مع حريم الناس ، اعلم أنه " في نفس الوقت" قواد لأهلـه .

– ذلك أن الجزاء من جنس العمل ، فجزاء سيئة سيئة مثلهـا .

– وعندما هيأت أسباب الفسق ، فقد جذبت إلى نفسك مثلـه ، ومن ثم أنت ديوث وأكثر .

– ولقد غصبت الجارية من ملك الموصـل ، فغصبت مني أيضـا على وجه السرعة .

– ولقد كان "ذلك القائد " أمينا لي ومن أتباعي ، لكن خياناتي جعلت منه خائنـا .

٤٠١٠– وليس هذا وقت الثأر والانتقـام ، فأنا الذى ارتكبت بيدى فعلا ساذجا ليس بناضج .

– وإن قمت بالانتقام من ذلك الأمير والمرأة ، فإن عاقبته سوف تحيق بي أيضـا .

– وكما أنني قد جوزيت على فعلي الأول وجربته ، فليس عليّ أن أجرب المجرب .

– ولقد حطم الألم الذى أحس به صاحب الموصل عنقي ، فلن أجرؤ على توجيه ضربة إلى هذين .

– ولقد أنبأنا الحق علما عن الجزاء ، وقال ما معناه " إن عدتم به عدنا به "(١)

٤٠١٥– ولما كان التزيد هنا عديم الجدوى ، فلا شيء محمود هنا غير الصبر والمرحمة .

– رب إننا ظلمنا " أنفسنا" وجرى علينا السهو ، فارحمنا يا عظيم الرحمات

– ولقد عفوت ، فاعف أنت عني يا الله ، وتجاوز عن الذنب الجديد والزلات القديمة .

– ثم قال : الآن ، أيتها الجارية ، لا تنبسي لأحد بحرف واحد مما قد سمعت منك .

– فسوف أزوجك من أميرك ، فناشدتك الله لا تتحدثي إلى أحد بما حدث .

٤٠٢٠– حتى لا يكون هو خجلا أمامي ، فلقد ارتكب إساءة واحدة ، وقدم إلى مائة ألف حسنة .

– ولقد قمت بامتحانه عدة مرات ، وأمنته على من هن أجمل منك .

– فوجدته شديد الأمانة ، لكن هذا الذى قضى به الحق ، من فعلي أنا .

– ثم استدعى ذلك الأمير إلى حضرته ، "بعد" أن قتل في نفسه الغضب الذى يفكر في الانتقام .

– وتعلل له بحجة مقبولة ، وقال : لقد صرت نفورا من هذه الجارية .

٤٠٢٥– فإن " أم الولد" شديدة الغضب والاحتجاج غيرة من هذه الجارية وحقدا عليها .

– ولأم الولد حقوق كثيرة ، وهي لا تستحق مثل هذا الجور والجفاء .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

– وهي تشقى كثيـــرا من إحساسها بالحسد والغيــرة ، وتحس بمرارة شديدة من هذه الجاريـــة .

– وما دمت سوف أهب هذه الجارية لأحـد ، فأنت أولى بها ، فخذها ، أيها العزيـــز .

– فلقد أبديتَ شجاعة وفدائية من أجلهـــا ، ولا يجمل أن توهب لســـواك .

٤٠٣٠– وعقد للأمير عليهـــا ، وحطـــم غضبه وحرصـــه .

في تفسير (نحن قسمنا) أي أنه تعالى يقسم لأحدهم شهوة الحمير

وقوتها ولآخر كياسة الأنبياء والملائكة وقوتهم:

إن إمالة الرأس هوًى من الرئاسة * وترك الهوى قوة نبويـــة

والبذور التي لا تلقـــى شهـــوة * لا يكون ثمرها جديرا إلا بيوم الدين

– إن ذلك السلطـــان وإن كان متصفا بالوهن فيما يختص بفحولة الحمير ، فقد كان متصفا برجولة الرسل .

– ذلك لأن ترك الغضب والشهوة والحرص ، يعد رجولـة ، وعرقا من عروق النبوة .

– فقل ، لا كانت فحولة الحمير هذه تجرى " في عروقه ، فإن الحق يدعوه عظيم أمرائـــه .

– وأن أكون ميتـــا " أظفر " بنظرة الحق ، أفضل من أكون حيا ومبعدا ومطرودا .

٤٠٣٥– فاعلم أن هذا هو لب الرجولـة ، أما هذه الشهوة فهي قشرها ، وهذه الشهوة تقود إلى الجحيم ، أما لب الرجولة فيحمل إلى الجنان .

– فقد ورد أن الجنة قد حفت بالمكاره ، واتضح أن النار قد حفت بالهوى .

-فياإيـــــاز ،ياأسداهصورا ، ياقاتل الشيطـــــان ، قلل من التزيد في رجولة الحمر ، وزد في رجولة اللب .

- فإن ما لم يدركـــــه مائة مـن الصدور والعظــــام ، كـان بالنسبة لـك لعب أطفــــال ، فهاكم الرجـــل .

- ويا من أدركت لذة الأمر" الصادر " منـي ، وأودعت الروح وفاءً تلبيـة لأوامري .(١)

٤٠٤٠- واستمع الآن إلى قصـــــة تذوقه للأمر ولذته به ، في هذه البيانات المعنوية .

إعطاء الملك وهو وسط الديوان والمحفل جوهرة لأحدالوزراء وسؤاله : كم تكون قيمتها ؟ ومبالغة الوزير في تقديرقيمتها وأمر الملك له قائلا : إكسرها الآن ، وقول الوزير : كيف أكسر هذه الجوهـــــرة إلى آخـــر القصـــــة

- ذهب الشاه " محمود " ذات يوم إلى الديـوان ، فوجد كـل أركـان الدولـة موجودين فيـــــه .

- فأخرج جوهرة ذات ضيـــــــاء شديد ، ووضعها على الفـور فـي كـف الوزيـــــر .

- وســـــأله : كيف تراهــــا ؟ وكم تســــاوى هذه الجوهـــــرة ؟ قال : إنها تساوى ما يزيد على مائة حمل حمار من الذهب .

- فقال له : إكسرها ، قال : كيف أكسرهـــــا ؟! وأنا الراغب في الخير لمالك وخزانتك .

٤٠٤٥- وكيف أوافق على إهدار هذه الجوهـــــرة التي لا تقدر بثمن ؟

---

(١) ج/١٢-٥٨٤:- ويا من أنت على علم بأمر تعظيمـــــه، إستمع إلى هذه الحكاية إن كنت والها .

– فقال : لتسعد ولتهنأ ، وخلع عليـــــه ، وأخذ منه الجوهـرة ذلـك الملـك الفتـــى .

– وآثر ملك الجود ذلك الوزير بكل لباس وحلة كان يرتديها ، وخلعها عليه .

– وشغلهم بالحديث ساعة من الزمن ، عما استحدث من أمور ، ومـا كـان قديمـا منها .

–ثم أعطاها إلى أحد الحجاب قائلا : كم تساوى هذه الجوهرة لطالبها ؟

٤٠٥٠– قال : إنها تســـاوى نصف المملكة ، ألا فليحفظها الله من التهلكـــة

– فقال له : إكسرها ، قال : يا من سيفك في ضياء الشمس ، قال: إن في كسرها خسارة شديدة .

– دعك من قيمتها ، أنظر إلى تلألئها ولمعانهـــا ، لقد صـــار ضوء النهـار تبعـــا لها .

– فكيف تتحرك اليد قاصدة كسرها ؟! ومتى أكون عدوا لخزانــــة الملك ؟!

– فخلع عليه الملك ، وزاد في راتبـــه ، ثم انطلق في مدح عقلـــه .

٤٠٥٥–وبعد ساعة أخرى وضــــع الدرة في يد أمير العدل قائلا لـه : قم بامتحانهـــا .

– فقال نفس القول ، وكرر كل الأمراء نفس القـول ، فوهب كل واحد منهـــم خلعة ثمينـــة .

– وأخذ الملك يزيد في رواتبهم ، وحمل أولئك الأخســـاء من الطريق إلى البئـــر .

– هكذا قال خمسون أو ستون أميـــرا ، كلهم واحـدا بعـد الآخـر ، تقليـدا للوزيـــر .

- وبالرغم من أن التقليد هو عماد العالـــم ، إلا أن كل مقلد يفتضـــح عند الإمتحـــان .(١)

وصول الجوهرة من يد إلى يد إلى إياز في نهاية الدور ، وكياسة إياز وعدم تقليده إياهم ، وعدم انخداعه بإعطاء الملك للكيل والمال وزيادة الرواتب والخلع ومدحه لعقول المخطئين ، إذ لا يجوز أن يعتبر المقلد مسلمـــا ، ويكون نادرا أن يثبت المقلد على ذلك الاعتقـــاد ويخرج من هذه الامتحانات سالما ، فليس لديه ثبات المبصرين ، إلا من عصمه الله ، لأن الصواب واحد ، وله أضداد كثيرة توقع في الخطأ وعندما لا يعرف المقلد ذلك الضد ، لا يعرف الصواب لذلك ، ولكن لأن الحق يرعاه مع جهله هذا ، فإن هذا الجهل لا يؤذيـــه

٤٠٦٠- يا إيـــاز ، ألا تقول لي كم تساوى هذه الجوهرة وهي بهذا اللمعان والفن ؟

- قال : " ثمنها " أكثر مما أستطيـــع أن أقول ، فقال : الآن حطمهـا إلى قطع صغيـــرة .

- كانت في كمه حجارة ، فحطمها على وجه السرعـــة . وكان ذلك هو الصواب في رأيـــه .(٢)

- أو أنه كان قد رأى ذلك فيما يرى النائـــم ، ووضع حجرين تحت إبطـــه .

- مثل يوسف عليه السلام الذى كشفت له عاقبة أمره وهو في قاع البئر بأمر اللـــــه .

٤٠٦٥- وكل من تراسل معـه الفتـح والظفـــــر ، يتساوى عنده الظفـر والحرمـــان .

---

(١) ج -٥٨٧-٥٨٦/١٢:- عندما امتحنهم الملك جميعا ، وخلع عليهم جميعا خلعا بلا حد .- هكذا دارت الجوهرة من يد إلى يد ، حتى وصلت يد إياز صاحب البصيرة ووضعها الأخير في يد إياز ، قائلا له : أيها الرفيق قوى البصيرة .- لقد رأى الجميع واحدا بعد الآخر هذه الجوهرة ، فانظر إلى إشعاعها بإمعان أيهـــا المحترم .

(٢) ج/١٢-٥٨٩:- ومن اتفاق طالعه مع إقباله ، فقد حدثت في تلك اللحظة حكمتـــه النادرة .

– وكـــل مـن صـارت عاقبتـه وصـل الحبيـب ، أى خـوف يعتريـه مـن الهزيمـة والقتال ؟

– فما دام قد تيقن من أنـه منتصــــــرفي آخـر دور " الشـطرنج " ، فـإن ضيـاع الحصان والفيل ، يكون من قبيل الترهات .

– فإن سُلب جواده كل من هو باحث عن جــــواد ، فقل له : إمض ، أليس هـو المُقدم " لا الجواد" ؟

– وأية قرابة تكون للرجل مع الجواد ؟ إن عشقه للجواد يكون من أجل أن يكـون سباقا .

٤٠٧٠– فـلا تتحمـل هـذه المشقــــــة والنصـب مـن أجـل الصــــــور ، وخـذ المعنىدون صداع الصورة وكدرهــا .

– والزاهد يحمل هم عاقبة أمره ، وماذا يكون من أمره يوم الحســــاب .

– أما العارفون فقد صاروا واعين مـن البدايـــــة ، فـارغين مـن الهـم وأحـوال الآخــــرة .

– وعند العـارف أيضـــــا نفس هذا الخـوف والرجــــاء ، لكـن علمـه بماسـبق قضى على خوفه ورجائه .

– وذلك الذى قد سبق أن زرع القيطانـــــي ، يعلم ماذا يكون طعم حبوبهـــا

٤٠٧٥–إنه عارف ، فرغ من الخوف والرجــــاء ، وصيحات وجده شقها سيف الحق إلى نصفين .

– كان عنده خوف من الحق ورجــاء فيه ، وفنى الخـوف ، وبقـى الرجـاء فـى الله عنده عيانـــا .(١)

---

(١) ج/١٢–٥٨٩:– لقد طوى الخوف ، وصار بأجمعه رجاء ، صار نورا تابعا للشمس .– كان إيازعالما بامتحان الملك ، ولم يتجرع إياز خديعة الملك . – ولم تجعله الخلع والرواتب يحيد عن الطريق ،فحطم الجوهرة بأمر الملك وجعلها بددا

– وعندما كسر الجوهرة الخاصة في تلك اللحظـــــة ، ارتفعت من أولئـك الأمراء ضجة شديدة وصراخ .

– وقالوا : أية جرأة هذه ؟! إنه كافر والله ، ذلك الذى يحطم جوهرة بهذا الضيـــاء .

– وتلك الجماعة كلها من الجهل والعمـــــى ، حطمت جوهــــرة أمر الملك .

٤٠٨٠– فكيف خفيت الجوهرة القيمـة " أى أمرالملـك " وهـي نتيجـة الحـب والـــود على أمثال تلك الخواطر ؟

تشنيـــــع الأمراء على إيـــاز " وسؤالهم" إياه عن سبب كسرها ، وجواب إيـــاز عليهـــــم

– قال إيـــاز : أيها العظمـــاء المــشاهير ، هل أمـر الملـك أعلـى قيمـــــة أو هذه الجوهرة ؟

– وبحق الله ، قولوا لي : هل أمر السلطــــان أولـى عندكـــــم أو هـذه الجوهــــرة القيمة ؟

– ويا من أنظاركم مثبتة على الجوهرة لا على أمر الملـك ، إن قبلتكم غـول " الصحراء" لا جادة الطريق .

– وأنا لا أحول نظـــرى عن الملك ، ولا اتجــــه إلى حجر كالمشرك .

٤٠٨٥– وهي بلا أصـــل تلك الروح التى تختار حجرا ملونــــا وتمارى الملك .

– فأدر ظهرك إلى اللعبة وردية اللــــون ، واجعل العقل حائرا في خالق الألــــوان .

– وادخـــل إلى الجدول ، وحطم الجـــرة ، وأضرم النار في الروائح والألـــوان .

- وإن لم تكن في طريق الدين من قاطعي الطريق ، لا تعبد الألوان والروائح كالنساء .(1)

- ولقد طأطأ أولئك الأمراء رؤوسهم ، وأخذوا يعتذرون عن ذلك السهو والنسيان " من أعماق" أرواحهم.

٤٠٩٠- وأخذت الآهات الحرى ترتفع من صدر كل منهم في تلك اللحظة إلى عنان السماء .

- وأشار الملك إلى جلاده العتيق قائلا : أبعد هؤلاء الأخساء عن صدارة مجلسي

- فأية لياقة عند هؤلاء الأخساء بصدر مجلسي ، أولئك الذين يكسرون أوامرى من أجل حجر ؟!

- ومن أجل حجر ملون صارت أوامرنا ذليلة غير ذات قيمة عند أمثال هؤلاء من أهل الفساد .

هم الملك بقتل الأمراء وتشفع إياز أمام عرش السلطان قائلا : العفو أولى

- فنهض إياز زائد المودة ، وأسرع إلى عرش ذلك السلطان العظيم .

٤٠٩٥- وسجد سجدة ، ثم أخذ بحلقه قائلا : يا عظيما يحار الفلك فيك .

- أيها الطائر الملكي الذى تأخذ منه طيور المُلك بركتها ، ويستمد منك كل سخي سخاءه .

- يا كريما تتمحي ألوان الكرم في العالم أمام إيثارك الخفي .

- ويا لطيفا أبصرته الورود الحمراء ، فمزقت أكمامها خجلا .

---

(1) ج/١٢-٥٩٤:- لقد كان الجوهر هو أمر الملك أيها الأخساء ، ولقد حطمتموه عيانا بيانا .- وعندما أفشى إياز السر ، صار كل الأمراء أذلاء مضطربين .

- ويا من من غفرانك ، شبع الغفران والتسامح ، ومن عفوك تسلطت الثعالب على الأسـود .

٤١٠٠- وكل من تجرأ على أمرك ، أى سند كان له سوى عفوك ؟

- وغفلة هؤلاء المجرمين ووقاحتهم ، هي نتاج وفور عفوك يا ملاذ العفو .

- والغفلة دائما ما تنتج عن الوقاحة ، كما يسلب الرمد التعظيم من العين .

- والغفلة والنسيان عند من أسيأت تربيته ، إنما تصير محترقة بنار التعظيم .

- ثم إن هيبته تمنحه اليقظة والفطنة ، فينطلق السهو والنسيان خارج قلبه .

٤١٠٥- وفي وقت الغارة ، لا يطرق النوم جفن أحد ، حتى لا يسرق منه أحد حاجياته .

- وإذا كان النوم يفر من أجل ثوب خلِق ، فمتى يكون نوم النسيان عند الخوف من الذبح .

- لقد صارت ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ﴾ شاهدا علينا ، بحيث يكون النسيان ذنبا من وجه ما ,

- ذلك أن " الناسي " لم يقم بتعظيمه تماما ، وإلا ما سيطر عليه النسيان .

- وبالرغم من أن النسيان لابد منه ولا محيص عنه ، فإن المرء مختار في مزاولة الأسباب " التي أدت إليه " .

٤١١٠- إذ أنه تهاون في تعظيم " الإله " كما ينبغي ، حتى تولد من ذلك النسيان والسهو والخطأ .

- وذلك كالسكران الذى يرتكب الجرائم والأخطـــــاء ، ويقول : كنت معذورا غائبـــا عن نفسي .

- فيقال له : لكن السبب يا قبيح الفعل كان منك ، وكـان الاختيـار منـك أنـت فـي جريانــــه عليك .

- والغيبة عن الوعى لم تحدث مـن تلقـاء نفسهـــا ، بـل دعوتهـا ، ووعيـك لـم يمض عنك من تلقاء نفسه ، بل طردتـــه .

- فلو كان هذا السكـــر قد حدث دون اختيـــار منك ، لكان ساقي الـروح قـد حفظ عهدك .

٤١١٥- ولكان ظهيرا لك ومعتذرا عنك ، وأنا غلام لزلة السكـــر بالله .

- والعفو الموجود في كل الكـــون مثقال ذرة ومجـرد انعكـاس لعفـوك يـا من منك كل نفع .

- وإن أنواع العفو لتثني على عفوك ، ﴿ ولم يكن له كفوا أحـــد﴾ يا أيها الناس اتقــوا .

- فهبهـــم أرواحهـــم ولا تطردهـــم عنك ، فهم من حليت أفواههم منك ، أيها الموفق .

- وارحم ذلك الذى قد شاهد وجهك ، وتصور كيف سيتحمل فراقك المر .

٤١٢٠- وإنك لتتحدث عن الفراق والهجر ، فافعل مـا تشـــاء ، لكـن لا تفعل هذا .(١)

- فإن مئات الآلاف من أنواع الموت المضاعفة ، لا تساوى فراق وجهك .

---

(١) ج/١٢-٥٩٩:- فلا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من هجـــر الحبيب ، واستمع إلى هذا الكلام من عاشقك

– فأبعد مرارة الهجـــــر عن الذكور والإناث ، أبعدها يا من أنت للمجرمين الخاطئين الغيـــاث .

– فالموت على أمل وصلك يكـــــون حلوا ، ومرارة هجرك تكون أفظـــــع من النار .

– وإن المجوسي ليقول وهو في سقر ، أى حزن عندى ، مادام قد نظر إلـــيّ .

٤١٢٥– فإن تلك النظرة تجعل الآلام حلـــــوة ، وهي ديـــــة لأيدى سحرة " فرعون " وأقدامهـــم .

تفسيـــــر قول السحرة لفرعون عند توقيـــع العقاب عليهم

﴿ لا ضيــــر ، إنا إلى ربنـــــا منقلبـــــون ﴾

– لقد سمعت السمـــــاء قوله ﴿ لاضيـــــــر ﴾ ، فصار الفلك كرة في أثـــــر ذلك الصولجـــان .

– أى : لا ضير لنـــــا من ضربة فرعون ، فإن لطف الحق غالب على قهر من ســــواه .

– فلو أنك تعلم سرنـــــا أيها المضـــــل ، فإنك في الحقـيقة تخلصــنامن ألمنا يا أعمى القلب.

– هيـــــا،وأقبل من تلك الناحيـــــة حتىتسمـــع الأرغنـــــون، يعـزف لحن ﴿ يا ليت قومي يعلمـــون﴾ .

٤١٣٠– ولقد وهبنـــــا الحق فرعونيـــــة ، ليست فانيـــــة كفرعونيتـك وملكك.

– فـأطل برأسـك ،وانظـر إلـى الملـك الحي الجليل ، يـا مـن صـرت مغـرورا بمصــــــرونهر النيـــــل.

-وإنـك إن تركـت هـذه الخرقـــــــة النجســـــــة ، فـإنك تجعـل النيـــــل غارقـــــا في سيل الروح.

- هيــــا، وانفض يافرعون يدك عن مصـر ،ففي وسط مصـــر الروح ،مائة قطر ومصــــر .

-إنك تقول للجميـــــع (أناربكم الأعلى) ،وأنت غافل عن ماهية هذين الإسمين

٤١٣٥- فمتى يكون الرب مرتعدا من عابده ؟! ومتى يكون العـارف بذاتـه فـي قيد الجسم والروح؟

-والآن فإن تلك الــــ "أنـا " التـي تخصنـا قـد نجـت مـن أنيتهـا ، ومـن تلـك الــ"أنا" المليئـــة بالعناء والبلاء.

- وتلك الــ " أنا " التي كانت شؤمـــاعليك أيها الكلب ،كانت بالنسبة لنا دولة محتومــــة.

-فلو لم تكن لك الـــ " أنا "المنتقمـة ، متـى كنـت تجلـب لنـا هـذا الإقبـــال والسعد؟

- والشكــــر لله أننا نخلص من هـذه الـدار الفانيــــة، وأننـا علـى رأس هـذه المشنقــــة نوجه لك النصائح .

٤١٤٠- ومشنقــــة قتلنـــــا هــي بـراق رحلتنـــــا،ودار ملكـك غـــرور وغفلــــة .

-وهذه حيــــاة مستتـــرة وخفيـــــة في صـــــورةالموت ،وما أنت فيـــه موت خفي في غلاف حياة.

- فإنهــــا تبدىالنار نـورا والنــــور نـارا، وإلا فمتـى كـانت الدنيـا "توصـف" بأنهــــا دار الغرور .

-فهيـــا ، لاتتعجـــل ، وصـــر عدمـــا من البدايـــة ، وعندما تغرب ، اطلع من مشرق الضياء.

-فمن "أنيـــة " الأزل، صـــارالقلب حائـــرا ،وهذه الـ" أنا " صـارت باردة سخيفـــة وصـــارت عارا.

٤١٤٥-ومن تلك الـ "أنا" التي بلا " أنا " سعدت الروح ،صارت هاربة من الدنيـــا ومن أنية الدنيـــا .

- وعندمـــا نجت من الـ " أنا " صارت فحسب تعد أنيـــة ، فلتكن أنواع الثنـــاء على ال " أنـــا" التي لاعنـــاء فيهـــا .

-فهي هاربـــة والذات في أثرهـــا ، وهي تســـرع عندما تراهـــا في أثرهـــا .

- وأنت طالب لها ،ولا تكون هي طالبة لك، وعندما تموت ، صـــار طالبك مطلبـــالك.

-وأنت حي ، فمتى يقوم غاســـل الموتى بغسلك ؟ وأنت طالب ، فمتى يبحث عنك مطلوبك؟

٤١٥٠- ولو كان العقل مبصـــرا للطريق في هذا المبحث ، لكان فخرالدين الرازى عالما بسر الدين .

- لكن لما كان "من لم يذق لم يدر" ، فإن عقلـــه وأوهامـــه وخيالاته قد زادت في حيرتك .

- فمتى كان الكشف من تفكر هذه الـ " أنا " ،وتلك الـ " أنا " تكشفـــه بعد عناء ؟!

- وتسقط هذه العقول من افتقادها "للكشف " في مغارة الحلول والاتحـــاد.

- فيـــا إياز الذى صرت فانيا من القرب ، كأنك الكوكب في أشعة الشمس

٤١٥٥- بل كالنطفـــــة قد بدلت إلـى جســـــد ، لا عن طريـق الإتحـــاد ولا عن طريق الحلول .

- أعف ، يا من يكون العفو في خزانتك " أنـت " ، وأنـت سـابق فـي اللطـف ، والكل مسبوق منك .

- فمـن أكـون أنــا حتــى أقــول لـك أعـفُ ، يــا مــن أنــت سلطـــــان ، وخلاصــــةالأمر بكن فيكون .

- ومن أكون أنا حتى أقترن بأنيتك ، يا من أخذت كل الأنيات بطرف ردائك .

اعتبار إياز نفسه مجرمـا في هذاالتشفع ،والاعتذار عن هذا الجرم واعتبار نفسه مجرما في هذا الإعتذار . وهذا الإنكسار ينبـع من معرفـــة عظمـــة الملك، مصداقا لقوله عليــه الســلام [أنا أعلمكم بالله ،وأخشاكم لله "ولقولــه تعالى (إنما يخشـــى الله من عبـــاده العلمـــــاء)

- ومتى أثيـــــر أنا الرحمة في قلب الغـاضب ؟ أوأبدى طريـق الحلم للمـزدان بالعلــــم ؟

٤١٦٠- إننـى أستحق لهذا آلاف الصفعات ، إذا كنت أنت الذى تعرضنـي للصفع .

- فما هذا الذى أقوله وأعلنه أمامك ، أو أعلمك أو أذكرك بشروط الكرم .

- وما هوهذا الذى لا يكون معلوما لك ؟ وما هو الذى يعزب عن علمك في هذا الكون ؟!

-ويا من أنت منزه عن الجهـــل وعلمك منـــزه عنـــه ، بحيث يكون الخفـي منسيـــا عنده .

- لقد اعتبرت من ليس بشخص قط شخصـــــا ،ورفعتـــــه بـالنور وكأنـه الشمس .

٤١٦٥- وما دمت أنت الذى جعلتني إنسانا ، استمع إلـى شكواى من كرمك ، عندما أشكـــو .

-ذلك أنك عندمـــا رفعت الحجاب عن صورتـــي ، أنت نفسك الذى جعلت هذه الشفاعة لي .

- والآن ، وقد خلا هذا الوطـن مـن كـل أسـبابي وحاجيـاتي ، "اتضـح" أن أخضـــر الدار ويابسها ليس ملكا لي

-حتىالدعـــاء أجريته أنت مني وكأنه المـــاء ، فامنحـــه الثبات " يا إلهـي " واجعله مستجابا .

- إنك أنت في البداية الآتي بهذاالدعـــاء ، فكن المُرتجى في الإجابـــة فـي نهاية الأمر .

٤١٧٠- حتى أثرثر أنا قائلا :إن مليك العالم ، من أجلي قد عفا عن المجرمين .

- وكنت ألما بأجمعي أنا المغرور المعجب بنفســـه ، فجعل منـى الملك دواءً لكل متألم .

- وكنـت جهنميـــا مليئـا بالفتـــنة والشـــر ، فجعلتنـي يـد فضلـــه كوثـــرا .

- وكل من تحرقـــه النار قـــودا ، أنبت أنا جسده مرة ثانيـــة .

- فما هو عمل الكوثـــر ؟ أن كل محترق يصبح منه نابتـــا متراكمـــا .

٤١٧٥- وكل قطـــرة منـــه منادية بـالكرم ، قائلـــة: إنـني أعيد كـل مـن أحرقه الجحيـــم.(١)

---

(١) ج/١٢-٦١٢:- إنني كالمرهم على كل جرح عفن ، فـ " ينبت لحما جديدا خالصـــا".

- إن النار مثل رياح الخريف ، والكوثر كأنه الربيع ، أيتها الروضة .[1]

-والنار كأنها الموت وتراب القبر ، والكوثر مثله مثل نفخ الصور .

-فيا من احترقت أجسامكم في الجحيم ، إن الإكرام لا يفتأ يجذبكم نحو الكوثر .

- ذلك أن لطفك قد قال أيها القيوم الحي " خلقت الخلق كي يربح عليّ

٤١٨٠-لا لأن أربح عليهم "[2] ، وهذا هو جودك، الذى منه يجبر كل كسير ،ويتم كل ناقص .

- فاعف عن هؤلاء العبيد ، عبدة الجسد ،والعفو أولى من بحر العفو .

- وعفو الخلق كأنه الجدول وكأنه السيل ، تسوق خيلها كلها نحو ذلك البحر.

-وألوان العفو كل ليلة ، تأتي من فلذات القلوب هذه ، "طائرة " إليك كالحمائم أيها المليك.

- فتردها طائرة مرة ثانية عند الفجر ، وتجعلها محبوسة في هذة الأبدان حتى الليل .

٤١٨٥-ثم تطير مرة ثانية عند العشاء خافقة بأجنحتها ، عشقا لذلك الإيوان والسقف " الأعلى ".

---

(١) ج/١٢-٦١٣:- والنار كأنها الموت والفناء ،والكوثر هو نفخ الصور من الكبرياء .

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- حتى تقطـــــع خيوط الوصـــــال مع الأجســـــاد ، وتقبـل نحـوك ،لأن لهـا الإقبـــال منك ؛

-خافقة بأجنحتهـــا ، آمنـة مـن العـود المنقلب ، محلقــــة فـي الهـواء قائلـة (إنـــا إليه راجعـــون).

- فيهتف بها هاتف من الكرم أن " تعالـــوا " ، وبعد تلـك الرجعــــة لا يبقـى حرص ولا غـــم .

- فكـم مـن غربـــــة تكبدتمـــــوها فـي الدنيـــا ،فكونـوا عـارفين بقـدرى أيهـــا العظمـــاء .

٤١٩٠- ومدوا سيقانكـــم مستريحين تحت ظـــل هذه الشجـــرة ثملين بالكرم .

- تلك السيقـان التي عانت كثيــرا في طريق الديـن ، فهيا كونـوا إلـى جـوار الحور، وفي أحضانهن خالدين

-والحور يكن حنونات يغمزن لبعضـهن بأعينهن قائلات :لقد عاد هؤلاء الصوفية من السفــــر .

-الصوفيــــة الأصفيـــاء كأنهم نور الشـمس ، كـانوا قد سقطوا فترة فـوق التراب وفوق القذر .

-وعادوا بلا أثــــر من التراب طاهرين من القذر ، مثـــل نـور الشـمس صوب القرص العالي .

٤١٩٥- وهذه الطائفـــة من المجرمين أيها المجيـــد ، قد دقوا رؤوسهـــم جميعـــا بالجدار .

- ولقد وقفـــوا على ذنوبهـــم وعلـى جرائمهــــم ، وبـالرغم مـن أنهـم قـد هزموا في لعبة نرد المليك.

- إلا لأنهم توجهوا إليك الآن متأوهين، يامن لطفك لايزال يجذب المجرمين .

- فعجـــل في إعطـــاء الطريق ،العجـــل ،إلـى فـرات العفـو ، وعيـن المغتســـل.

- حتى يغتسلـــوا من هذا الجرم الممتـــــد ، ويذهبـــواإلى الصـــلاة في صف الأطهـــار .

٤٢٠٠- وفي تلك الصفوف هناك من لا يمكن حصرهم وعدهم ،غارقـــون في نور (لنحن الصافون) .

- وعندمـــا وصـــل الكلام إلى وصف هـذه الحالـة ، تحطـــم القلم ، وتمزقت الأوراق .

- فهل وســـع البحرَ قط إنـــاءٌ فخارى ، وهل ظفـــر قط حمـــلٌ بأســـد ؟

- فإذا كنت في حجـــاب ، فاخرج عن الاحتجـــاب ، حتى ترى ذلك المُلك العجـــاب .

- وإذا كان السكارى قد حطموا كأسك ، فالعذر لمن هو ثمـــلٌ بك .

٤٢٠٥- فإن سكرهـــم بالجـــاه والمـــال ، لا من خمرك يا حسن الفعـــال .

- واعـلم أيها المليك أنهم السكارى بك ، فاعف عن الثمـــل بك أيها العفـــو .

- وإن لهجـــة تخصيصك "لهـــم " عنـــد الخطـــاب ، يتـأتى منهـــا ما لا يتأتى من مائة دن من الشراب .

- وما دمت أنت الذى أسكرتني ، لا تقم على الحـــد ، فالشرع لا يحد السكارى " أثنـــاء سكرهم " .

- وعندمـــــا أفيق ، أقم علـى الحد آنـذاك ، ومـن ثـم ، فلـن أصيــــر مفيقـا أبــــدا .

٤٢١٠- وكل من شــــرب من كأسك يـــــا ذا المنن ، نجـــا إلـى الأبـد مـن الوعي ومن التعرض للحد .

- إنهــــم " خـالدون فـي فنـــــاء سكرهــــم ، مـن تفانـــــىفي هواكـم لـم يقـــم ".(١)

- فلا يزال فضلك يقول لقلوبنـــا : امـض ، يـا مـن صـــرت رهنــــا فـي مخيض عشقنــــا .

- لقــد ســـقطت ، كماســـقطت الذبابـــــة فـــي المخيـــض ، فلســـت ثملــــةأيتهاالذبابـــة، أنت الخمرنفسهـــــا .

- ولقد صار النســــورثملين منك أيتهـــا الذبابـــــة، عندمـــــا تسوقين مطيتك نحو بحر العسل .

٤٢١٥- والجبال تصيـــر كالذرات ثملـــــة بك ، والنقطــــة والفرجـــال والخط في يدك .

- والفتنة التى ترتعـــــد منه مرتعدة منـك وكـل جوهـر غـال الثمـن رخيص عندك .

- ولــــو كان الله قد وهبني خمسمائــــة فم ، لقمت ببيانك آنـذاك يـا روح العالــــم .

- وإن لي فمــــا واحدا ، ومن ثم ، فأنا منكســـر خجلا منك يا عالمــــا بالســـــر .

---

(١) مابين القوسين بالعربيــــة في المتن الفارســـــي .

– لكنى لست أكثـــــرانكســـــارا في الأصـــل من العدم ، ومن فمه انبثقت كل هذه الأمم .

٤٢٢٠– وهنـاك مئـات الآلاف مـن الآثـــار الغيبيـــة فـي انتظــــار أن تخرج منك بلطف وبر .

– وإن رأســي لتكون دائــــرة من طلبك إيــــاى ، يا من أكون أناميتا أمـام هذا الكـــرم.

– ومجرد رغبتنــــا هذه من طلبك أنـت ، وجذبـــة الحـق سـارية فـي كـل مكـــان .

– ومتــى يصعد التراب إلى أعلـــى دون ريـــاح ؟! وهـل تسيـــر سفينـــة في طريقهـــا دون بحر ؟

– وأمــــام ماء الحيـــاة لم يمت أحــــد وإلى جوار مائك ، يكـون مـــاء الحياة كدرا .

٤٢٢٥– ومــــاء الحيـــوان هو قبلــــة أرواح الأحبــاب ، ومـن المـــاء يكون البستــــان أخضــر نضرا ضاحكـــا .

– لكن من يشــــربون الموت أحيـــاء من عشقـــه ، قد صرفوا قلوبهـــم عن الروح ومـــاء الروح .

– وعندمـــا لحق بنـــا مـاء عشقك ، صـــار مـاء الحيـــوان غير ذى قيمـــة عندنـــا .

– ولكـل روح البعث والجدة من مـــاء الحيـــاة ، لكنك مــــاء مـــاء الحيـــاة .

– وإنك لفي كل لحظـــة تهبني موتـــا وحشـــرا ، حتى أرى غلبـــة ذلك الكـــرم .

٤٢٣٠- وصـــار هذا الموت بالنسبـــة لي كأنـــه النوم ، وذلك من شدة ثقتي في البعث من الله .

- والبحـــار السبعـــة إن أصبحت كلهـــا سرابـــا ، فإنك تأتي بها جارا إياها من آذانها يا ماء الماء .

- والعقـــل مرتعد من الأجـــل ، وذلك العشق متجرؤ " عليـــه " ، ومتى يخشى الحجر من الماء كما يخشـــاه المدر ؟

- وهذا هو الخامس من صحف المثنـــوى ، إنه في بروج فلك الروح كأنه الأنجـــم .

- ولا تجـــد كل حواس الطريق إلى الأنجم ، اللهم إلا " حـواس " ذلك الملاح العالم بالنجوم .

٤٢٣٥- وليس للآخرين من نصيب إلا النظـــر ، وهم غافلـــون عن السعود والقرانات .

- فتعرف طوال الليـــل وحتى الأصبـــاح ، على مثل تلك الأنجم محرقة الشيطـــان .

- وكل منهم في دفـــع الشيطـــان القاصد بالســـوء ، كأنه الرامي بالنفط من قلعة السمـــاء .

- والنجـــوم مع الشيطـــان كأنهـــا العقرب ، ولأربـــاب السعادة كأنها الولي الأقـــرب .

- فالقوس وإن كان يصمي الشيطـــان بسهم ، فهناك الدلـــو وهو مليء بالمـــاء للزرع والثمر .

٤٢٤٠- والحوت وإن كان يحطـــم سفيـــنة الغي ، فإنه يزرع للولي وكأنه الثـــور .

– والشمس وإن كانت تمزق الليل وكأنهـــا الأســد ، للياقوت منهـــا خلعة من الأطلس .(١)

– وكل وجـــود أطل برأســـه من العدم ،هـو لأحدهم سم ، لكنـه للآخـــــر شهد .

– فصـــــرحبيبـــا وابرأ من الطبـــع السيء ، لتنـال السكـــر حتـى ممـن هو في الصورة سم .

– ومـن هنـــا لـم يُصـب الفـاروقﷺ أذى مـن الســــم ، فقـد كـان ذلـك السـم سكـــرا بالنسبة لترياقه الفاروقي .(٢)

تمت ترجمة الكتاب الخامس بحمده تعالى وتليها الشروح بإذنه تعالى

---

(١) ج ٦١٥/١٢-٦١٦:– وإذا كان شكل العقرب معوج السير ، فإن هيئة الميزان على عكســـه .– وإذا كا عمل المريخ هو سفك الدمـــاء ، فهو مسكين أمام ذلك الذى يشرق من تبريز .– وإذا كان تأثيـــر النحس يتأتىمن زحــــل، فإنه من ناحية العمل تتأتى منه دقة الفكر .– وإذا كات السمكة تضرب بكفيهـــا الشمس ، فليس للزُهرة جرأة على الحديث عنها .– بل إن عطارد ليفقدن منزلـــه ، ومن جنونه يقوم بكســـر الجوزاء .– وترتعد يد المشترى ويخفق قلبه ، ويقع القمر على وجه الماء كأنه السلال .– والنســـر الطائر يفقد ريشه من الخجــــل ، ومن الطمع يصبح التنين في ليونة الشمع .– وبنات النعش يحملن ويجتمعن ويصفقن .– دعك من هذه الرموز فهذا ليس وقتهــــا ، ودرب التبانة امتلأ بالتبن من السنبلـــة .– لقد أطلت الشمس من الجبـــل فاتقوا ، لكن هذا الحديث يصبح مرا عليكـــم .– إنك عدو ومن العدو الشهد واللبن ، يصبح بلا تكلف سما في الفم

(٢) ج/١٢-٦١٦:– فهيـــا، ابحث عن تريــــاق الفاروق أيهـــا الغلام ، حتى تصبح فاروق زمانك . والسلام .

شروح وهوامش

المقدمة :

يرى يوسف بن أحمد (٢/٥) أن هذا الدفتر من دفاتر المثنوى يشتمل على أصول الشريعة ومسائل الطريقة وأسرار الحقيقة . والواقع أن كل علوم الصوفية تدور حول هذه المصطلحات الثلاثة : الشريعة و الطريقة والحقيقة . ولعل أول من تناول هذه المصطلحات بشكل مفصل هو سنائي الغزنوى في منظومته التى كانت مصدرا من مصادر المثنوى "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة" (انظرترجمتها العربية لكاتب هذه السطور - دار الأمين - القاهرة ١٩٩٥) والكيمياء المذكورة هنا هى كيمياء التبديل ، وتبديل النحاس إلى ذهب رمز إلى تبديل الإنسان المخلوق من طين إلى ملائكى وربانى عن طريق الرياضة الصوفية ، أما عبارة " طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم "فتنسب إلى أبى الحسن الحوارى ، كما أن عبارة لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع ، تنسب إلى الكرامية (كشف المحجوب - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وآخرين -ص ٤٦٥) . وينسب الصوفية إلى الرسول ﷺ حديثا نصه { الشريعة أقوالى والطريقة أفعالى والحقيقة حالى } (انقروى ٣/٥) .

أما الآيات القرآنية الواردة في المقدمة فهى :

﴿ منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (الروم ٣١-٣٢) .

﴿ قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ (يس ٢٦-٢٧)

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه﴾ ﴿و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا ﴾ (النبأ ٤٠).

﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ، يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه ﴾ (الحاقة ٢٥-٢٩) .

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف ١١٠) .

ويقول محمد معصوم الشيرازى في كتابه طرائق الحقائق : "قال بعض المحققين أن الشريعة والطريقة والحقيقة أسماء صادقة على حقيقة واحدة هى حقيقة الشرع المحمدى باعتبارات مختلفة ولا فرق بينها إلا باعتبارات المقامات ، لأنه عند التحقق الشريعة كاللوزة المشتملة على القشر واللب ولب اللب فالقشرة الشريعة واللب كالطريقة ولب اللب كالحقيقة ، فهى باطن الباطن واللوزة جامعة للكل ويظهر ذلك في مثل الصلاة فإنها خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة مرتبة الشريعة والقربة مرتبة الطريقة والوصلة مرتبة الحقيقة . واسم الصلاة جامع للكل ومن هنا قيل : الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهده ، وقيل : الشريعة أن تقيم أمره والطريقة أن نقوم بأمره والحقيقة أن تقوم به . وهذا المعنى هو المذكور في الحديث ، فإن الأقوال هى التى تجب إقامتها ، والأفعال هى الأمر الذي يقام به الأقوال والأحوال هى التى تتصف بها فالمرتبة الأولى علم اليقين والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين . وكذلك الإسلام والإيمان والإيقان ، وكذلك الظاهر والباطن وباطن الباطن والعام والخاص وخاص الخاص ، والمبتدئ والمتوسط والمنتهى . فالشريعة عند التحقيق تصديق قول الأنبياء والرسل وأوصيائهم والعمل يوجب طاعة وانقياد . والطريقة التحقق بأفعالهم اتفاقا واتصافا والقيام بها عملا وعلما والحقيقة مشاهدة أحوالهم ومقاماتهم كشفا وذوقا والقيام بها حالا ووجدانا فإن كل واحد من الأولى بمثابة الشريعة ومن الثانية بمثابة الطريقة ومن الثالثة بمثابة الحقيقة والحقيقة واحدة ، لو سميت بألف اسم جاز " (عن محمد تقى جعفرى ، تفسير ونقد تحليل مثنوى جلال الدين محمد بلخى ، جـ ١١ ، ص ١١٠ - ١١١ ، الطبعة ١١ ، ١٣٦٧ طهران - فيما يعد يكتفى باسم جعفرى) . أما القول "لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع" فلا يعنى أن الوصول يسقط العبادة بقدر ما يعنى أن الطريق إلى الحق لابد وأن

يكون قائما على أساس من الشريعة كما ورد في الحديث الذي يروى عن الرسول ﷺ وعلى ؓ في وقت واحد : "لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً" . وفي قول على ؓ "ما شككت في حق مذ رأيته" . وفي تفسير لنجم الدين كبرى عن العمل الصالح المذكور في الآية الكريمة ، قال : " هو متابعة النبى ﷺ والتأسى بسنته ظاهرا وباطنا فأما سنته الظاهرة ، فترك الدنيا واختيار الفقر ودوام العبودية ، وأما سنته الباطنة ، فالتبتل إلى الله تبتيلاً وقطع النظر عما سواه كما فعل (إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى) وهذا تحقيق قوله : " (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)، أي ما أشرك في طلب اللقاء شيئاً من الدنيا والآخرة ولهذا (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وبلغ المقصد الأعلى (فكان قاب قوسين أو أدنى) (مولوى ٦/٥) .

(١ – ٣) : بالنسبة لحسن حسام الدين وحياته وموقعه من مولانا جلال الدين الرومى ودوره في تأليف المثنوى ينظر : مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول لكاتب هذه السطور ، ويرجع أيضاً إلى الكتاب الأول الأبيات :٢٩٤٧-٢٩٥٠ والكتاب الثاني الأبيات ٣ و١١٢٧ و٢٢٩٠ والكتاب الثالث أيضاً البيت ٢١١٠ والرابع الأبيات ١ و ٧٥٤ و ٢٠٧٥ و ٣٤٢٣ و ٣٨٢٤ والكتاب السادس الأبيات ١٨٣ و ١٢٠٢ و ١٩٩١ و ٢٠١٠ .

(٥ – ٧) : مزج الماء بالزيت كناية عن إخفاء لباب الحقيقة في قشور الكلام، والسجناء هم سجناء الحس والطبع والنفس البهيمية .

(١٧) : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، قول سائر ، منسوب في تمهيدات عين القضاة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢٤) : استفادة المريد من الشيخ شرطها الأدب والتعظيم الشيخ . قال أبو عثمان : "إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب" . وقال أبو على الدقاق ، إنما قال أيوب ؑ : (أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) ولم يقل ارحمنى لحفظ الأدب في الخطاب . وقال عيسى ؑ : (إن تعذبهم فإنهم عبادك) ولم يقل لا تعذبهم وقال أيضاً : (إن كنت قلته فقد

علمته) ولم يقل : لم أقل لحفظ الأدب ، ومولانا يدق كثيرا على نقطة أن المستمع الواعى المنتبه المتيقظ القائم بشرط التعظيم هو الذى يمكن له أن يستفيد من المرشد وأن يجعل النقاط العظيمة تنهمر من فم المرشد بعكس المستمع البليد الذى يجعل حافظة الشيخ تنام . انظر مثنوى٣/٣٦٠٤ وما بعده .

(٣٠) : إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (البقرة /٢٦٠) . وتناول مولانا جلال الدين لتفسير الآية وجعله الطيور رموز الصفات أقرب إلى ما ورد فى تفسير نجم الدين كبرى : " إنك محجوب بها عنى فأنت بحجاب صفاتك عن صفاتى محجوب، وبحجاب ذاتك عن ذاتى ممنوع، فإن مت عن صفاتك تحيا بصفاتى، وإذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقائى، فخذ أربعة من الطير وهى الصفات الأربعة التى تولدت منها العناصر الأربعة التى خمرت طينة الإنسان منها وهى التراب والماء والنار والهواء ، فتولدت مع ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان ، فمن التراب وقرينه هو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد أحدهما وجد قرينه ، ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينا يوجدان معا ، ولكل واحد من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن إليها كحواء وآدم، ويتولد منها صفات أخرى، فالحرص زوجه الحسد والغضب زوجه الكبر،وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هى كالمعشوقة بين الصفات يتعلق بها كل سفيه، فمن كان الغالب على صفته فيها يدخل النار بذاك الباب، فأمر الله خليله بذبح هذه الصفات وهى الطيور الأربعة فلما ذبح الخليل بسكين الصدوق وحده هذه الطيور، وانقطعت منه متوالداتها ما بقى له باب يدخل به النار (مولوى ٥/١١) . وفى راوية أبى الفتوح الرازى أن المفسرين اختلفوا فى أمر هذه الطيور ، فقال عبد الله بن عباس : هى الطاووس والنسر والغراب والديك ، وقال مجاهد

وعطاء وابن يسار وابن جريج هي الغراب والديك والطاووس والحمامة ، وقال أبـو هريـرة : هى الطاووس والديك والحمامة وطائر يقال له الفرنوق (الغرنوق؟!). وقال عطاء الخراسـانى: أوحى له تعالى أن يأخذ أربعـة طيـور : بطـة خضـراء وغرابـا أسود وحمامـة بيضـاء وديكـا أحمر ، وقال أهل الإشارة أن هذه الطيور حددت لأن الطـاووس طـائر جميـل والغـراب طـائر حريص والديك شهوانى والنسر طويل العمر والحمامـة أليفة (هى الآن خمسة !!) قالو اخذهذه الطيور الأربعة بمعانيها واقتلهـا وبقتلهـا يقتـل هـذه المعـانى الأربعـة فـي نفسـك : اقتـل النسـر واقطع الطمع في طول العمر واقتل الطاووس واقطـع الطمـع فـي زينـة الدنيـا، واقتـل الغـراب واقطع حلق الحرص، واقتل الديك تقتل من طائر الشهوة الجناح والقوادم واقتل الحمامة واقطـع الألفة من الدنيا كلها . (عن مـآخذ قصـص وتمثيـلات مثنـوى ، بديـع الزمـان فروزانفـر ، ص ١٥٩) ، كما وردت الفكرة في حديقـة الحقيقـة لسـنائى ، إن الطبـاع الأربعـة فـي البـدن طيـور أربعة فاقطع رؤوسها كلها من أجل الدين ثم أصمها هى الأربعة بإيمان العشق ودليـل العقـل ، مثلما فعل الخليل (حديقة /الأبيات:١١٣٧٠-١١٣٧٥) . كما وردت الفكرة فـي مرصـاد العبـاد لنجم الدين بن الدايه (الباب الرابع) عـن طيـور إبراهيـم الأربعـة وبتفسير مشـابه عـن مراتـب النفس (استعلامى ٢١١/٥ - تهران ١٣٧٠ هـ.ش) .

(٣٥) : مال الشارحون إلى اعتبار البيت موجها إلى حسن حسام الدين ، لكن البيت موجه إلى الإنسان عموما ، فهو الشكل ، وهو العالم الكبير ، وكل هذه أجزاء منه عليه أن يتخلص منها .

(٦٠ - ٦٣) : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا واللـه واسع عليم ﴾ (البقرة /٢٦٨) .

(٦٣) : الحديث النبوى الشريف : { المؤمن يشرب في معى واحد والكـافر يشـرب فـي سبعة أمعاء } ، وورد في الجامع الصغير (١٨٤/٢) أحاديث مثنوى ، ص ١٤٥

(٦٤) : أصل هذه الحكاية الرواية التالية :

بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، أنه قال : خرجت خيلٌ لرسول الله ﷺ فأخذت رجلا من بنى حنيفة لا يشعرون من هو حتى آتوا به رسول الله ﷺ فقال: أتدرون من أخذتم؟! هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا أساره ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : أجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر بلفحته أن يغدى إليه بها ويراه فجفل لايقع من ثمامة موقفا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول : أسلم يا ثمامة فيقول : إيهاً يا محمد ، إن تقتل تقتل ذام دم ، وإن ترد الفداء فسل ماشئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال نبى الله يوما : أطلقوا ثمامة،

فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتطهر فأحسن الطهور ، ثم أقبل فبايع النبى ﷺ على الإسلام ، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتوه به من طعام فلم يأكل إلا قليلا ، وباللفحة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك : مم تعجبون ، أمن رجل أكل أول النهار في معاء كافر وأكل آخر النهار في معاء مسلم ، الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في معى واحد ، (ابن هشام ٤/٣١٥-٣١٦) . وجاء في نوادر الأصول : " عن أبى صالح السمان قال قدم ثلاثون راكبا على رسول الله ﷺ من غفار منهم رجل يقال له أبو بصيرة مثل البعير ، فقال رسول الله ﷺ بددوا القوم وجعل الرجل يقيم الرجل والرجل يقيم الرجلين على قدر ما عنده من الطعام حتى تفرق القوم غير أبى بصيرة ، فقال : وكل القوم يرى أن ليس عنده ما يشبعه ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذاك قام واستتبعه فتبعه فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه فكأنما لحسهن ثم دعا بقدح فجعل فيه مشربه حتى حلب له في سبعة أقداح فشربها ، فبات عند رسول الله ﷺ يعرض عليه الإسلام فتكلم منه بشئ فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الغداة واستتبعه فتبعه فصلى معه الغداة ، فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على القوم بوجهه فقال : علموا أخاكم وبشروه ، فأقبل القوم بنصح يعلمونه وألقى عليه رسول الله ﷺ ثوبا حين أسلم ثم قال ، فاستتبعته فتبعه ، فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه ، فلم يأكل إلا يسيراً ، حتى قال : شبعت ، ثم دعا له بقدح فحلب فيه ، فلم

يشرب إلا يسيرا حتى قال رويت ، فضرب رسول الله ﷺ على منكبه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إنك كنت أمس كافراً وإنك اليوم مؤمن وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وأن المؤمن يأكل في معي واحد . كما وردت رواية مشابهة في موطأ مالك ، ومسند ابن حنبل ، (عن مآخذ / ١٦٠ – ١٦١) .

(٧٣) : الناس على دين ملوكهم ، حسوب إلى الرسول ﷺ . وفي شعر الشاعر (المتنبى) :

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

(٧٨) : أبو قحط عوج بن غز : بالطبع أبو قحط كنية ساخرة وعوج بن غز تحريف عن عوج بن عنق ، والغز هم الترك ويضرب بهم المثل في الإغارة وعوج بن عنق كما ورد في قصص الأنبياء للثعلبى ، "كان طول عوج ثلاثون وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الأول ، وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ويأكله ، ويروى أنه أتى نوحا أيام الطوفان فقال له : احملنى معك في سفينتك ، فقال : اذهب يا عدو الله فإنى لم أومر بك ، فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى ، وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقد منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم ، فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى تورت الصخرة ، وانثقبت فوقعت فى عنق عوج بن عنق فطوقة فصرعته ، فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع فى الأرض ، فقتله ، قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه ، فلما قتل ، وقع على نيل مصر فحسره سنة " . وعنق هى أمة بنت آدم عليه السلام (عن هوامش الكتاب الثانى من المثنوى ، كفافى ، ص ٥١٧ – ٥١٨) .

(٨٨ – ٨٩) : فكرة أن الذي يمتلئ فكره بشئ ما في اليقظة يحلم به أثناء النوم ، وردت في كتاب ابن سيرين ، كما أثبتها علم النفس الحديث .

(٩٣) : ﴿ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ (الفرقان /١٤) .

(١٠١) عن صبغة اللـــــه انظر الكتاب الأول البيتين :٧٦٩-٧٧٠.

وصبغة الله هى صنع الله في خلقه البعيد عن الروائح والألوان وعما درج عليه الناس من ربط الأشياء بالأسباب أو ما فسره نجم الدين كبرى في تفسير الآية الكريمة ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ (البقرة / ١٣٨). كما أن للكف صبغة فللدين صبغة، فليس العبرة فيما يتكلفه الخلق وإنما العبرة فيما يتصرفه الحق فتصبيب الأشباح من صبغة الله توفيق القيام بالأحكام وحظ القلوب منها تصديق المعارف بالعوارف وكفل الأرواح منها شهود الأنوار وكشف الأسرار والمراد أيضاً بصبغة الله دينه الذي فطر الناس عليه (مولوى ٢٠/٥) .

(١٠٦) : بالنسبة للهدم الذي هو تعمير ، انظر تفصيلات في الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٤١ – ٢٣٥٠ وشروحها .

(١١٢) : من أنواع التكريم الذي خص به الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أنه أقسم به وبحياته ، فقال عز من قائل : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ (الحجر / ٧٢) . والبيت ١١١ يشير إلى إيمان مولانا بأن جسم رجل الحق لا يعرفه جسد مادى آخر ، انظر بيت ٣٠ من الكتاب الثالث (استعلامى ٢١٤/٥) .

(١٢٢) : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح /١٠) .

(١٢٣ – ١٣١) : عندما رأى الكافر أن رسول الله ﷺ هو الذي يغسل ملابسه بنفسه ، تجلى له كفره على أسوأ صورة ، فأصابته حالة من الوجد بحيث حذر الناس من الاقتراب منه ، لقد تجلت له حقارته التى لا نهاية لها إلى جوار العظمة التى لا نهاية لها المتمثلة في تواضع الرسول ﷺ ، ومولانا جلال الدين يرى أن حالات السكر والوجد قد تطرأ على الكافر ، ربما كان مثالها الواضح في المثنوى ما ورد في قصة ذلك الشيخ من قوم فرعون الذي طلب من

زاهد من قوم موسى أن يملأ له ماء النيل ليشرب دون أن يتحول إلى دم (الأبيات ٣٤٩٥ وما بعدها وشروحها من الكتاب الرابع) .

(١٣٤ - ١٤٣) : يدق مولانا جلال الدين على فكرة أن الله سبحانه وتعالى عندما يرضى على عبده يهبه البكاء والضراعة . ومن البكاء والضراعة تجيش الرحمة الإلهية ، مثلما يفور ثدى الأم باللبن لبكاء رضيعها . فكان بكاء الرضيع هو الذي جلب اللبن ، مثلما يجلب بكاء التائب الرحمة ، ومن هنا فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة /٨٢) . ليس هذا فحسب بل إن عماد الدنيا كلها البكاء والحرقة ، ومع السحاب وحرقة الشمس ، فكأن العالم بأكمله وحدة واحدة ، تتجلى في مظاهر الطبيعة مثلما تتجلى في نفس العبد ، وفي علاقته مع ربه ، وفي علاقته بالبشر ، والبكاء هو آية إظهار الخضوع. والفكرة هنا تكرار لما ورد في الكتاب الثانى (الأبيات ١٦٥٩-١٦٦٩) وفسر شيخنا كفافى الحرارة بأنها حرارة القلب ، والماء بأنه دموع الخوف والرجاء والبستان بأنه عالم الروح (ثان ٤٨٩) . وسيأتى تفسير آخر للبكاء والدمع في نفس هذا الكتاب في الأبيات ١٢٧١ وما بعدها فلتطلب في موضعها من النص والشرح .

(١٤٦) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ (المزمل /٢٠) .

(١٤٧) : إشارة إلى الحديث القدسي : (أعددت لعبادى الصالحين المتطهرين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) " .

(١٤٩) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (الأحزاب / ٣٣) . ومن تعليق ليوسف بن أحمد : فإن رسول الله ﷺ طهر ثوب الضيف بيده وأشار بهذا الصنيع إن الذي لا يتجنب كثرة الأكل والشرب لا ينجو من النجاسة ولا يتخلق بأخلاق أهل البيت (مولوى ٥/٢٦) .

(١٥٣):إشارة إلى حديثين نبويين :{ نفسك مطيتك فارفق بها } و{ أعط كل بدن ما تعوده } .

(١٦١) : عن الحزم وعدم التردد ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٨٨٤ – ٢٨٤٩ وشروحها .

(١٦٤) : { حفت الجنة بالمكارة والنار بالشهوات } حديث نبوى ، (جامع ١٤٨/١) .

(١٦٧): إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (الشورى / ٣٨) . وعن رفقة العقل لعقل صديق ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٩٧٠ وما بعده وشروحها .

(١٧٤ – ١٨٢) : الدهليز في رأى للسبزوارى هو عالم الطبيعة شبه بالدهليز لضيقه (شرح مثنوى ٣٣٣) و " ألست " و " بلى " إشارة إلى العهد والميثاق الوارد في الآية الكريمة ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف / ١٧٢) أي قلنا في عالم الأرواح بلى فأرسلنا إلى محكمة الدنيا لنشهد ، وحملنا هذه الأمانة ، فعلينا أن نؤديها قبل أن تغرب شمس الروح ، هذا العهد وهذه الأمانة هى الالتزام الإنسانى الأول ، وهذا العهد هو جذور الإنسان كما ورد في الأبيات (١١٦٦ – ١١٧٠) من الكتاب الذي بين أيدينا وسوف يرجع إليها في موضعها .

(١٨٣ – ١٩٥) : مثلما يكون الإنسان شاهدا على وجود الإله وشهادته هذه هى العهد الموجود بينه وبين الله تعالى منذ يوم الميثاق فإن أعمال الإنسان نفسها شهود عليه . إنها كلها تدل على باطنه وعلى ما في هذا الباطن من جواهر أصيلة تترجم إلى أعمال وعلى إجابته بالإيجاب في يوم العهد ، وهذه الشهادة إن أديت رياء وسمعة فهى تخرج من محكمة عدل الإله ، فضلا عن أنها تطعن في صوم الصائمين وزكاة المزكين بإخلاص ، لكن بالرغم من هذا تظل رحمة الله سابقة غضبه ، وتمنح هذا الاعوجاج نورا إليها فينقلب إلى استقامة ،

ويعتبر العمل الذي أدى رياء وسمعة عملا من البر والإخلاص ، وأعمال الإنسان تصديق على إيمانه والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

(٢٠٠ –٢١٥) : الأعمال تغسل الذنوب ، ثم يغسلها الله سبحانه وتعالى تماما كالماء ينزل طهوراً من السماء ، فيتكدر ، فيرفعه الله سبحانه وتعالى، ليعود طاهراً مطهرا ينادى أولئك الذين دنستهم الأفعال الشيطانية والتسويلات النفسانية . هذا الماء الطهور هو الفيض الإلهى هو الرحمة الإلهية (وهو فيض الله الذي لا ينقطع ونور الله الذي لا يأفل) . (سبزوارى ٣٤٣–وانظر ١٢٧٥/٣) وكما أن الماء لا يلزم إن لم يوجد الدنس . فالرحمة لا توجد إن لم توجد المعصية ، هذه هى سعة روح مولانا جلال الدين وسعة أفقه ، فلا يلزم أن يكون الإنسان ملاكا ، لكى تدركه رحمة الله ، بل هى أولى بالعصاة (انظر الكتاب الرابع ، شرح الأبيات ٨١–٩٤) .

(٢٢١ – ٢٢٣) : يفسر مولانا جلال الدين ما هو المقصود بهذا الماء ،.إنه أرواح الأولياء ، (انظر الكتاب الرابع ٣٣٥٨/٤ وما بعدها) هى التى تغسل ما لحق بالنفوس الإنسانية من كدر ، ثم تعود إلى مولاها فيطهرها ، وهذا العود عروج معنوى لا مكانى وعن زيد بن على ابن الحسن رضى الله عنهم أجمعين، قال: قلت يا أبت أليس الله جل ذكره لا يوصف بمكان ، فقال : بلى : تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، فقلت : فما معنى قول موسى ﷺ لرسول الله ﷺ (فى المعراج) : ارجع إلى ربك ؟ فقال رضى الله عنه : معناه قول إبراهيم ﷺ {إنى ذاهب إلى ربى سيهدين } ومعنى قول موسى ﷺ { وعجلت إليك رب لترضى } ومعنى قوله عز وجل : { ففروا إلى الله } يعنى فحجوا إلى بيت الله ، يا بنى إن الكعبة بيت الله فمن حج البيت فقد قصد إلى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلى ما دام في صلاته فهو واقف بين يدى الله عز وجل (جعفرى ١٥٧/١١–١٥٨) .

(٢٢٤ – ٢٢٦) : معراج العودة إلى الله إذن هو الصلاة ، ومن ثم كان ﷺ إذا أهمه أمر قال : أرحنا بها يا بلال ، فهى معراج المؤمن ، ومن هنا فعند الخروج منها يسلم المؤمن دليلا على عودته من معراجه .

(٢٢٧ – ٢٣٤) : وهذه كلها مجرد وسائط وإلا فإن لطف الله سبحانه وتعالى ينصب على عباده دون واسطة ، ودون مساعدة من أحد ، المريد فحسب هو الذي يحتاج إلى المرشد يأخذ بيده ، لكن المرشد نفسه في غنى عن الواسطة ، والعوام هم الذين يتعلقون بالوسائط والأسباب (عن الأسباب ، انظر الكتاب الثالث البيت ٣١٥٥ وما بعده)، البيت ٢٥١٦ وما بعده ، والسمندل في المثال المذكور كناية عن أهل الله ، الخليل هو الذي يدخل النار فتكون عليه برداً وسلاماً ، وأهل الله هم الذين يشبعون دون خبز ، واللطف من الحق وإن كان الناس يلتمسونه في الرياض والبساتين . (انظر حكاية الصوفى المراقب في الرياض في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٣٥٨ وما بعدها) . لكن أهل الله والأنبياء يجدون هنا الأمور مباشرة ودون واسطة أو علة أو كسب .

(٢٣٥ – ٢٤٠) : وردت الأفكار الواردة هنا في الكتاب الثالث ، انظر الأبيات ٢٧٠٢ وما بعدها وشروحها ، وفي الكتاب الرابع ، انظر الأبيات ١٧٩٤ وما بعدها وشروحها .

(٢٤٨ – ٢٥٠) : إن ما يصاحب العبادات من حركات وتصرفات هى بمثابة العرض ، والعرض ما هو إلا مظهر لجوهر ما ، وقد تناول مولانا جلال الدين هذه الفكرة في الكتاب الثانى (الأبيات٩٤٨–٩٧٠ وانظر أيضاً ٨٠٩/٤).ولقد سكت مولانا هنا عن قول الغلام أى بحشر الأعراض ، لكنه في الأبيات التى بين أيدينا يوحى بقوله بعدم حشر الأعراض ، بل إن حصادها من بقاء جوهر الروح الذي هو الدليل يوم الحساب على أن هذه الأعراض قد تم القيام بها .

(٢٥٥ – ٢٦٠) : يشير مولانا جلال الدين إلى هذا المرض المستشرى ، التناقض الشديد بين القول والفعل ، يعشق الإنسان العدالة ومع ذلك يمارس الظلم ، يتحدث عن الأمانة ويخون ،

يعشق العلم ويستخدمه كأداة للوصول إلى المال والجاه والمنصب ، ينطلق في الحديث عن التصوف وأعلامه دون أن يحاسب نفسه ادنى حساب . هذا التناقض بين الأقوال والأفعال هو الذي تعبر عنه الآية الكريمة ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل /٤) . أى متعدد الطرق والمسالك متناقض الأهداف ، أفعالك وأقوالك غير مقبولة ، حياتك لا تدور حول محور واحد لا يبالى بك الله في أى واد هلكت ، ولا يأبه بك أصحاب القلوب ولا بأقوالك أو أفعالك ، بل هم ما دمت في عنادك وفي جدلك هذا ، يعاندونك ، وما دمت في مكرك يمكرون بك (جعفرى ١٦٧/١١-١٦٨) . وفي البيت الأخير إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ (السجدة / ٣٠) .

(٢٦٧ - ٢٧٢) : إشارة إلى الآيتين الكريمتين : ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (الإسراء /٦٣ - ٦٤) .

(٢٧٣) : إشارة إلى حديث نبوى ، قاله الرسول ﷺ لسيدنا على ﷺ ما معناه : إذا لامست أهلك فقل اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنى ، فإن رزقت بولد لم يصبه ضرر . (عن انقروى ٧٨/٥ ، وجلبنارلى ٥٥/٥) .

(٢٧٥ - ٢٧٦) : إشارة إلى أن عازر الذي أحياه سيدنا عيسى ﷺ بأمر الله وفي الأناجيل أنه كان امرأة (عن جلبنارلى ٥٦/٥) وتقول الروايات إن عازر أو اليعازر مات لتوه مرة أخرى بعد أن أحياه سيدنا عيسى ﷺ .

(٢٨٩ - ٢٩٠) : ينقل جعفرى هنا حديثا ليس موضعه هو : ما بعث الله رسولا إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلان الناس بعده (١٧٤/١١) لكن الحديث هنا " لكل امرئ شيطان ، لكن شيطانى أسلم" .

(٢٩١ – ٢٩٢) : أي إيمان وأية عقيدة لا يمكن أن يقضى عليها إلا إيمان آخر وعقيدة أخرى ، والعشق الإلهى هو قمة الإيمان وفوق أية عقيدة ، بل إن ظاهرة الإيمان نفسها هى من قبيل العشق ، والشيطان نفسه لو أنه ذاق قطرة من منزل سر اليقين ، لتغير حاله وتبدل .

(٣٠٠ – ٣٠٤) : من مناجاة سيدنا على ﷺ الواردة في نهج البلاغة " سبحانك خالقا ومعبوداً بحسن بلائك عن خلقك ، خلقت دارا وجعلت فيها مأدبة ، مشربا ومطعما ، أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها ، من عشق شيئا أعشى بصره وأمرض قلبه " (عن جعفرى ١١/١٧٩) .

(٣٠٥) : قال نجم الدين في تفسير ﴿ لقد آثرك الله علينا ﴾ بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصل ﴿ وَإن كنا لخاطئين ﴾ في الإقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية والإعراض عن الحقوق الربانية .

(٣٠٧) : عن الرائحة والجرعة التى أنزلها الله تعالى من لطفه كنموذج لهذه اللطف في الدنيا حتى يطلب الناس أصلها ومنشأها (انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٣٧٥ وما بعدها).

(٣٠٩) : عن الدعاء الذي يستجاب دون أن يقال ، انظر الكتاب الثالث : في بيان أن عين دعائك هو قول الحق لبيك ، الأبيات ١٨٩ وما بعده .

(٣١٠ – ٣١٥) : لقد صور الله سبحانه وتعالى صورا جميلة من العدم ، لكنه جعلها كالحروف ، وعن طريق قراءة هذه الحروف يمكن للمرء أن يقرأ كتاب الجمال الكلى ، وإلى مثل هذا ذهب الشيخ الشبسترى :

كل ما هو موجود عيانا في الكون	كانعكاس شمس ذلك العالم
والدنيا كالجديلة والخط والخال والحاجب	كل شئ فيها حلو في مكانه

(عن استعلامى ٥/٢٢٥)

ومن هنا فخليق بالأفكار والعقول أن تتجه إلى العدم ، فمن العدم يتأتى الوجود ، فكأن العدم هو أساس الوجود وهو مصنعه ، ووردت الفكرة في ٣٧٧/٣ ولتفصيل هذه الفكرة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٤٤١ - ٢٤٦٨ وشروحها .

(٣١٧ - ٣٢٧) : لا يزال يفصل فكرة أن منشأ الموجودات كلها من العدم ، فالعقول النورانية تقرأ كل يوم من اللوح المحفوظ حظها ، أي تكون كل اهتماماتها من لدن الحكيم الخبير ، فعقل المعاد هو الذي يخط حروفا على صفحات القلوب بلا بنان ، لكن أرباب الشهوات في حيرة من هذه الخطوط ، لأن كلا منهم مرتبط بخيال ما قد عكف عليه ، وكل إنسان تتفرق به السبل، ما دام قد انصرف عن البحث عن قبلة الروح ، هذا الخيال من بحث عن الذهب أو الدر أو الزهد والتزهد أو قطع الطريق ، أو الطبابة ، كل إنسان وما ينبعث من باطنه ، ذلك أنه إذا اختفت قبلة الروح أو الهدف الأسمى فإنما يبحث كل إنسان عن شفاء لعليل نفسه في ناحية ما .

(٣٣٥) : الساهرة المراد بها يوم الحشر إشارة إلى الآيات الكريمات ﴿ يقولون أءنا لمردودون في الحافرة ، أئذا كنا عظاما نخرة ، قالوا تلك إذاً كرة خاسرة ، فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة ﴾ (النازعات ١٠-١٤) .

(٣٣٦) : الشموع الموجودة في الدنيا كناية عن الخيالات والاهتمامات الموجودة في الأبيات من ٣١٧ - ٣٢٧ .

(٣٣٨ - ٣٣٩) : النار الموسوية الإقبال : هي تلك النار الإلهية التي شاهدها موسى عليه السلام على الجبل ، والتي نودي عندها ، وهي رمز للشهود الإلهي والدخول إلى الحقيقة .

(٣٤١) : شمع الظفر كناية عن معرفة الله سبحانه وتعالى بنور الله ، وكلما أفنى المرء نفسه فيه تحقق وجوده تحققا أكثر ، وظفر بالوجود الخالد .

(٣٤٢) : شمع السوء كل ما شغل عن الحق من اهتمامات وخيالات مذكورة آنفا ، وكل ما شغلك عن الحق هو طاغوتك .

(٣٤٤ - ٣٤٥) : احتراق الشموع غير الحقيقية كناية عن فناء كل ما يشغل الإنسان عن الهدف الأسمى .

(٣٥٠) : الأعزاء هم الصوفية ، واللا صوب أو اللا مكان هو ما لا تحده جهات الدنيا .

(٣٥٣) : ديدن الصوفية هو على غير ما تعارف عليه أهل الدنيا ، والصوفى لا يمزق القباء إلا وجداً ، والوجد هو قمة الشعور والإحساس الصوفى ، فكأنه يبلغ بالتمزيق ما لا يبلغه غيره بالرتق .

(٣٥٤ - ٣٥٥) : الحكاية المذكورة هنا واردة في مقالات شمس الدين التبريزى: مزق جبته ، وقال : وافرجاه فسميت الجبة الممزقة فرجية (مقالات شمس ، ص ٢٩٥ من طبعة محمد على موحد طهران ١٣٦٩هـ - ش، مآخذ / ١٦١) وربما يمزق الصوفى قباءه وجدا ، ومن ثم شاع لبس الجبة الواسعة ذات الأكمام الواسعة والتى لا ياقة لها والرسم السائد عند المولوية أن يلبس الشيخ خرقة ذات أكمام ، أما المريد فجبة بلا أكمام . ثم سميت فيما بعد بالخرقة (جلبنارلى 72-73/5) .

(٣٥٦) : ثم يعود مولانا ويقول إنه لا حاجة للصوفية بالألفاظ والألقاب والرسوم ، فكلها كدر ، والصوفى لا يهمه إلا الصفاء .

(٣٦٢) : الجبة هنا هى الوجود ، وهى الجسد ، وهى النفس فبدون تمزيقها لا يتأتى الصفاء الحقيقى .

(٣٦٣ - ٣٧٠) : إياك أن تظن أن التصوف هو الخرقة وما إليها ، إنك إن ارتديت الخرقة هادفا ذلك الصفاء الذي ينبغي أن يتميز به الصوفى . يجمل بك ذلك ، لكن إذا انتقلت سريعا من الخيال والوهم، إلى الحقيقة لم تعكف على الانتقال من خيال إلى خيال ومن وهم إلى وهم

وكل وهم يسد الطريق أمامك ويقول لك : قف هنا ، إنك قد وصلت ، فتظن أنـك وصلـت مـن حيث فصلت . والملك الحقيقى هو الذي لا تسيطر عليـه هـذه الخيـالات والأوهـام ، إنـه يبدى هيبة الملك وينطلق في طريقه وهو يعرف هدفه تماما .

(٣٧٢ – ٣٨٩) : ترى ما هو سر الجمال وسر العظمة الموجودة فى هذا العالم ، الذي نسميه عالم الوجود ، ما الذي فيه ويجذبنا إليه كل هذا الانجذاب ؟! يجيب مولانـا جـلال الديـن علـى هذا السؤال إجابات مختلفة ، ففى الكتاب الثالث ، يرى أن كل سعادة نابعة مـن القلـب ، لطـف اللبن والعسل ، إنما ينبـع مـن القلـب ، ومـن ثـم ، فـالقلب هـو الجوهـر ، والعـالم كلـه عـرض بالنسبة له ، هو الحقيقـة وكـل مـا سـواه ضـلال (انظـر جعفـرى ٧ فـي شـرح الكتـاب الثـالث الأبيات ٢٢٤٦ وما بعدها) . الإجابة الثانية هى ما يوجد بالأبيات التى بين أيدينـا، إنهـا جرعـة من كأس الجمال الإلهى صبت على هذا التراب القبيح كما يصب الكرام جرعة على الأرض :

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة وللأرض من كأس الكرام نصيب

ومن هذه الجرعة التى تبلغ عشر معشار الجمال الحقيقـى يوجـد كـل مـا فـي عـالم الكـون مـن جمال ، مجرد صدى من الجمال الحقيقى انعكاس نـور الشـمس علـى الجـدران الصمـاء ، كمـا ورد في الكتاب الثالث ، وعند سعدى الشـيرازى يظـل معـدن الجمـال هـو الإلـه نفسـه ، وهـو معنى تكرر عند مولانا جلال الدين أيضاً يقول سعدى :

إننى سعيد من الدنيا لأنها تتضرت من هو وأنا عاشق لكل العالم لأن كل العالم منه

(عن جعفرى ١١/١٩٦ – ١٩٧)

(٣٩٠ – ٣٩٢) : جرعة الجمال التى صبت على الحمأ المسنون هى كما هو واضح الـروح ، والجرعة الأخرى هى التوفيق الإلهى للخلاص من تبعات الحمأ المسنون .

(٣٩٥) : الطاووس ذو اللونين هـو رجـل الجـاه والمـال والدنيـا يتجلـى بمظهـره فيخلـب اللـب وينظر إلى باطنه فإذا هو كساق الطاووس .

(٤٠٠ – ٤١٠) : وهناك من البشر من هم على مثال الطاووس ، إنهم يهتمون بظواهرهم ، فظاهرهم خلاب ، كلامهم سلس ولين ، ودودون ، إن كل هذه شباك يصيدون بها الخلق ويمضى عمرهم ، ويقترب من نهايته ، وهم مغترون بأن " معارفهم كثر " ، وأصدقاءهم (في كل مكان) ، فما فائدة صيد الخلق ، إنك إنما ألقيت بنفسك في شباكهم ، ولم تصد في النهاية شيئا ينفع ، إنه أشبه بصيد الخنازير ، لقد ربيت في نفسك الكبرياء ، الناس مخدوعون بك ، وأنت مخدوع بنفسك .

(٤١١ – ٤١٧) : لقد صرفك غرامك بصيد الخلق عن الاهتمام بصيد العشق ، لكن العشق لا يصاد ، بل يصيد ، فدع كونك صيادا إذن وانقلب إلى صيد، والملوكية الحقيقة في العبودية لله والملوك الحقيقيون هم أولئك الذين ملكوا أنفسهم وسيطروا على شهواتهم فوجدوا الملك الإلهي أما ملوك الدنيا فما أشبههم بقبور الكفار ، ظاهرها جميل ، لكن في باطنها غضب الله عز وجل ، نفس الأبيات التى ذكرها محمد إقبال وهو يصور الحضارة الغربية ، (كبرياء وعنجهية وتسلط وظاهر خلاب ثم قهر الله عز وجل) .

(٤٢٢ – ٤٢٣) : النار هنا هى نار الطاعات والمجاهدات وترك الأهواء على فحوى حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، ونهر الكوثر هنا ، رمز للشهوات تطير في عيون أهل الدنيا كأنها مياه الكوثر فيعرضون عن الطاعات وهى في الحقيقة الكوثر ويرغبون في الشهوات التى هى في الحقيقة نار ، وهذا هو اللعب المعكوس (مولوى ٥/٦٨) وهذا أشبه بقول ابن الفارض :

فإحياء أهل الحب موت نفوسهم ... وموت قلوب العاشقين مصارع

وربما استند هنا مولانا على قول منسوب للإمام على ﷺ : " سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته واشتدت لأعدائه نقمته في سعة رحمته " (انقروى ٥/١١٩) وقوله تعالى ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (الملك /٢) .

(٤٥١) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ (إبراهيم /٤٦) .

(٤٥٤) : في النص " خوش جواز " وقد ترجمتها " أحل الطيبات " ، أي اجازها . وروى استعلامى حديثا هو : قال رسول الله ﷺ : كان من خلقى الجواز " (٢٣٤/٥) أما عن العقل : عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ: بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال ﷺ : بالعقل ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس ما يجزون بأعمالهم ؟ قال : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل، وبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ، وقال ﷺ : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه ، وعن أبى سعيد الخدرى ، قال ﷺ : { لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله بقدر عقله تكون عبادته } (انقروى ١٢٦/٥) .

(٤٥٩) : بشأن مناقشة قضية تفاوت العقول من الفطرة انظر الكتاب الثالث الأبيات من ١٥٤٠ وما بعدها وشروحها .

(٤٦٧ – ٤٧٥) : ليس المقصود بالأمر أمر إقبال وحظ وأن الأمور تجرى بالمصادفة بل الأمر كله من عطاء الله ومن توفيقه ، فليس عليك أن تعتمد على عظمة عقلك الجزئى ، فهذه العقول الجزئية لا قيمة لها إلى جوار العقل الكلى ، والحل هنا هو التواضع والتسليم ومعرفة أن قدرة الخلق مهما عظمت إلى حدود، وأن مكر الإنسان لا يساوى شيئاً إلى جوار مكر الله، وإن الأمر منوط بالدعاء والضراعة والدموع ، فقلل اعتبار القوة هنا ذات فعل أو أثر .

(٤٦٩) : المقصود بأن تجد النبوة في الأمة ، أن تجد المشيخة ورتبة الإرشاد ، فالشيخ في قومه كالنبى في أمته .

(٤٧٧) : الحكاية التى تبدأ بالبيت من الحكايات المشهورة في التراث العربى ، ولم يلتفت إليها فروزانفر في "مآخذ قصص وتمثيلات مثنوى" ، ونظمها شاعر مصرى معاصر . والبيت المذكور لأبى المهوش الأسدى ورد في الميدانى (٢١٦/٣) من تحقيق أبى الفضل إبراهيم ،

دار الجبل . والشاعر المعاصر المصرى الذي نظمها هو حافظ إبراهيم وأشار إلى أنها مثل ، ولم أجد هذا المثل على طول ما بحثت عنه ، يقول حافظ في قصيدته في الدعوة إلى الجامعة المصرية :

ودونكم مثلا أوشكت أضربه ∴ فيكم وفي مصر إن صدقا وإن كذبا

سمعت أن امرءا قد كان يألفه ∴ كلب فعاشا على الإخلاص واصطحبا

فمر يوما به والجوع ينهشه ∴ نهشا فلم يبق إلا الجلد والعصبا

فظل يبكى عليه حين أبصره ∴ يزول ضعفا ويقضى نحبه سغبا

يبكى عليه وفي يمناه أرغفة ∴ لو شامها جائع من فرسخ وثبا

فقال قوم وقد رقوا لذي ألم ∴ يبكى ، وذو ألم يستقبل العطبا

ما خطب ذا الكلب ؟! قال الجوع يخطفه ∴ منى ، وينشب فيه النار مغتصبا

قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية ∴ هذا الدواء فهل عالجته فأبى

أجابهم ودواعى الشح قد ضربت ∴ بين الصديقين من فرط القلى حجبا

لذلك الحد لم تبلغ مودتنا ∴ أما كفى أن يرانى اليوم منتحبا

هذى دموعى على الخدين جارية ∴ حزنا وهذا فؤادى يرتعى لهبا

(ديوان حافظ إبراهيم ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، جـ ٣ ، المطبعة الأميرية ، مصر ١٩٤٨ ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزينى ، إبراهيم الابيارى).

كما علق عليها شاعر قديم ببيت شعر جرى مجرى الأمثال :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى ∴ وفي حياتى ما زودتنى زادى

والحكاية تبين نوعا من البشر يوجد في كل زمان ومكان ، ذلك الذي لا يتجاوز تعاطفه الكلمات الرنانة وذرف الدموع وإعطاء الكلام حقه والتفجع ما ينبغى له ، لكنه لا يتجاوز هذا الأمر نحو أي نوع من الفعل ولو كان قادرا عليه ، فرسان الكلام وأبطال المقال هؤلاء كانوا

يثيرون مولانا جلال الدين ويشحذون مقدرته على السخرية ، وهـؤلاء لا يكذبـون علـى البشـر فحسب بل يكذبون على أنفسهم قبل أن يكذبوا على الخلق .

(٤٨٦ – ٤٩١) : هذا الصنف من الناس مستعد لكل ما ليس من شأنه أن يجعله ينفق شيئاً أو يبذل جهداً ، إنه يظن من خسته أن الدمع أرخص من لقمة الخبز ، مع أن الدمع هذا دم تحـول إلى ماء ، إن الدمع الحقيقى والبكاء الحقيقى يجعل السماء نفسها تبكى معه ، تتضرع إلـى اللـه سبحانه وتعالى أن يقبل ضراعته ويقبل بكاءه مصداقا للحديث النبوى : { بكت السموات السبع ومن فيهن ومن عليهن والأرضين السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزيز ذل ، وغنـى افتقـر } ، لكن الذي لا يبذل وجوده في سبيل الله هو من قال الله في شـأنه : ﴿ فمـا بكـت عليهـم السـماء والأرض ﴾ .

(٤٩٢ – ٤٩٥) : النحـاس العـابد للهمـة هـو الإنسـان عندمـا يـدرك جوانـب نقصـه ويحـس بالانكسار ويعرض نفسه على كيمياء التبديل فيتضرع تاركا جوانب المكر والاحتيال ، والحول والطول مسلماً نفسه لكل ما تأمر به الإرادة الإلهية .

(٤٩٩ – ٥٠٠) : جناح طاووسك هو عجبك وكبرياؤك وحولك وقوتك ومـا يبـدو أنـه وسـائل في يدك وهو ما تراه جميلا في وجودك جديراً بأن ينظر إليه الناس ، بل انظر إلـى القـدم مـن هذا الطاووس إلى ألوان قبحك وضعفك واحتياجك وانكسارك ولتخش على الأقل وأنت تعرض جوانـب القـوة فيـك مـن نظـرات الحاسـدين ، واقـرأ الآيـة الكريمـة ﴿ وإن يكـاد الذيـن كفـروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (القلـم ٥١/٥٢) . قال البيضاوى : والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظـرون إليك شذرا بحيث يكـون يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر إلى نظرا يكـاد يصرعنـى، أو انهـم يكـادون يصيبونـك بالعين ، إذ روى انه كان في بنى أسد حاسـدون فـأراد بعضهـم أن يعيـن رسـول اللـه ﷺ أي يصيبه بالعين ، فنزل ، وفي الحديث : إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر .

(٥١٢ – ٥١٤) : والأمور كلها موكولة إلى القضاء لكن الأمر يكون في حاجة إلى سبب ، فالعين حسودة تصيب مثلما تكون الساقية ، ظاهرة في دوران الماء لكن الماء هو الذي يديرها. ومن الممكن أن تقف عين المرشد الطيبة أمام العين الحسودة ، فالعين الطيبة من الرحمة ، والعين الحسودة من النقمة .

(٥١٧ – ٥٢٤) : عودة إلى قصة سيدنا إبراهيم ﷺ فحرص البط حرص إلى الطعام ، وحرص الطاووس حرص إلى الزينة والشهرة والكبرياء ، والعجب والتفاخر ، وهذا المقصود، بإضعاف الحرص إلى الطعام ، وإذا كنت تريد مثالا لزلة البطن والباه فانظر إلى آدم، إن زلته تنزل وليست كبرياء إنها مرض لكنها ليست كزلة إبليس ، كبرياء وعجب وحرص على الرئاسة ، وفي الحرص على الرئاسة أنواع من الأمراض النفسية تزيد على هذا الأمر زيادة كبيرة ، إنه يصل إلى مرحلة الشيطنة نفسها ، بل قد يزيد ويصبح طامعا في مقام الألوهية ، فالمال حية والجاه أضر منها .

(٥٢٦ – ٥٣٠) : إن عشق الجاه والسلطة ليس مجرد شهوة بسيطة إلى الطعام أو إلى النساء، لا تلبث أن تطفأ ، لكنها شهوة لا تشبع ، إذ لا نهاية لها ، إن كل متجبر جبار ، يكون كالنار تأكل كل شئ ، والطاغية يكون دائما في حاجة إلى وقود لناره هذه ، ومن هنا فهو يفتك بكل من يتصور أن ينازعه حتى لو كان ابنه ، ومن هنا قيل : " الملك عقيم " ، ويمضي مولانا مع سيكولوجية الطغيان إلى نهايتها ، فالطاغية كالنار والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله .

(٥٣١ – ٥٣٤) : إن من العصمة ألا تجد " في طلب البسطة لا تجتهد " هكذا قال مولى المتقين على كرم الله وجهه ، فما دمت لا تملك شيئاً ، ولا تتصدر وتبدى رأسك فلن تصير هدفا للسهام ، إن جبارى الأرض لا ينتبهون إلا إلى أولئك الذين ينتظرون منهم الخطر ، وما دمت متواضعا فلن تثير خوفا من طاغية ، (انظر أيضاً شروح الأبيات ٧٧٨ – ٧٨٩ من الكتاب الثالث).

(٥٣٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت كما قال فروزانفر مأخوذة من أبيات للشاعر سعد الدين شرف الحكماء كافى البخارى :

رأيت طاووسا يقتلع جناحه ، قلت له : لا تفعل فإن جناحك جميل ذو بهاء .

فبكى بكاء مرا وقال لى : أيها الحكيم ألست عالما بأن عدوى اللدود هو جناحى هذا ؟! (مآخذ /١٦١-١٦٢) . والواقع أن الفكرة تكاد تكون عامة وشائعة ، وقد تناولها مولانا بشكل أقل تفصيلا في الكتاب الأول : (الأبيات٢٠٩-٢١٢) نعم ، إن مقتل المرء في موضع الجمال فيه وفي موضع القوة فيه ، وإلا فمن الذي يقصد الضعفاء بسوء ، وأقوى عضو في الإنسان هو الذي يصاب بأخطر الأمراض .

(٥٤٢ - ٥٤٨) : يقابل مولانا جلال الدين بين سلوكين في الطريق ، سلوك الدلال ، وهو مستهجن ، لأنه فيه يكمن الخطر ، فمهما كنت معززا مكرما عند المليك ، فإنه يريد منك الضراعة وشكر النعمة ، لا التدلل ، والخروج عن هذه النعمة ، فإن هذا من الكفران ، الله لا يقول لك : اخرج عن النعمة التي انعمتها عليك ، بل يقول لك إياك أن تخرجك هذه النعمة عن طورك ، فأين العفة إن لم يكن ثم إغراء ، وأين الإنفاق إن لم يكن ثم كسب ، وأين الاعتصام إن لم يكن ثم إغواء ، وأين الجهاد إن لم يكن ثم حرب (انظر الأبيات ٥٧٤ - ٥٨٢ من هذا الكتاب) .

(٥٤٩ - ٥٥٢) : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴾ (الأنعام /٩٥) إذا كانت الأشياء تخرج من أضدادها ، والوجود يخرج من العدم ، فكن ميتا لتحيا وعدما لتصبح موجوداً ، تواضع لكى تجد الرفعة ، فكيف ينبثق منك النهار دون أن تكون ليلا ، والربيع دون أن تكون في البداية شتاء ، وفي تفسير صوفى لنجم الدين كبرى : يخرج القلب الحى بنور الله من النفس الميتة عن صفاتها وأخلاقها الذميمة إظهاراً للطفه ورحمته ، ويخرج القلب الميت من الأخلاق الحميدة الروحانية من النفس

الحية بالصفات الحيوانية الشهوانية إظهارا لقهره ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون من العدم إلى الوجود، (مولوى ٨٧/٥)، ويضيف السبزوارى "على ما جاء فى قول أفلاطون : مت بالإرادة تحيا بالطبيعة" (سبزوارى / ٣٤١) .

(٥٥٧ - ٥٥٨) : ليس المقصود بالطبع النهى عن الفكر على أساس أنه هو الذى يخرج النفس المطمئنة عن اطمئنانها، بل الخواطر الفاسدة والفيهقة والتزيد والتنطع وتصنع الفكر ومناقشة ما لا يناقش ، كلها أمور تعكر صفو النفس المطمئنة هذا هو الجدال فيما نهى عن الجدال فيه، إنها كلها كأنها أظافر مسمومة ، ووجه الروح الجميل يخمش منها بعمق ، ويروى يوسف بن أحمد حديثا: " إياكم والتعمق في الدين، فإن الله تعالى قد جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون " . والحديث المروى هو : { إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين } . (٨٩/٥) والنفس المطمئنة في تعريف لنجم الدين الرازى هى نفوس الأنبياء والأولياء وهى في الصف الأول في عالم الأرواح (مرصاد العباد ٣٦٩)

(٥٥٩ - ٥٧٠) : إن كل هذه العقد والمشاكل التى تطرحها الفلسفة لكن تطرح لها الحلول لا طائل من ورائها إلا تضييع العمر ، إن العقدة الحقيقية والمشكلة الأولى التى ينبغى أن يطرحها الإنسان على نفسه ، هى : هل هو شقى أو سعيد ؟ هذا هو المشكل الوحيد حقيقة ، فالفكر المجرد ، والمشاكل المجردة التى تطرحها الفلسفة وإن أثرت تاريخ الفكر الإنسانى ، إلا أنها حقيقة لم تسهم بدور يذكر في حل المشاكل الحقيقية التى تواجه البشرية ، إنها حرب تدور في مخايل المفكرين والفلاسفة حول مشاكل مجردة حول الوجود والماهية وما إلى ذلك (جعفرى ٢٣٦/١١) إن كل الأعيان والأعراض ذات حدود معلومة ، لكن أي حد يمكن أن يستوعب روح الإنسان التى جاوزت كل الحدود ، أليست في النهاية روحا ربانية " وليس هناك شأن ليس فيه شأنه " ، (سبزوارى /٣٤١) ، فالموجود المطلق هو الموجود بوجود الله وبإيجاد الله والباقي المطلق هو الباقى ببقاء الله وبإبقاء الله ، وهو القادر على الوصول إلى اللامحدود أي

مرتبة " لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل " ، وأين من هذا طوائف المشتغلين بالدليل ، والقياس والاستنباط ، والأسباب والوسائط والاستدلال بالصنع على وجود الصانع ؟ كل هذا من قبيل الجهل الذي يدفع الجاهل إلى البحث عن الشمس الساطعة على أضواء الشموع (سبزوارى /٣٤٢) والصفى يمضى إلى لب الحقيقة دون وسائط (عن الفرق بين أسلوب الفلسفى وأسلوب الصفى ، انظر الكتاب الأول ، الأبيات ٢١٦٢ و ٣٢٩١ و٣٢٩٦ وشروحها والكتاب الرابع الأبيات ٢٨٣٤ وما تلاه وشروحها) .

(٥٧٤ – ٥٨١) : عن أنس قال : توفى لعثمان بن مظعون رضى الله عنه ابن ، فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ من داره مسجداً يتعبد فيه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : يا عثمان إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية ، إنما رهبانية أمتى الجهاد في سبيل الله " ، ليس في الإسلام عفة بخصى ، أو جهاد بغير عدو ، وكيف يمكن معرفة صمودك أمام الإغواء ، إن لم يكن إغواء ؟! إنما يكون الجهاد بقدر ما يكون العدو ، ويكون الانتصار بقدر مرارة الحرب ، وكيف يبين الإنسان الصبر إن لم يكن هناك ما يصبر عليه أو يتصبر عنه ؟! وكيف يمكن معرفة صدق المرء إن لم يتعرض للابتلاء ؟! وبقدر المشقة يكون الجزاء. ليس المطلوب أن تقتلع الطبيعة من نفسك بل أن تقاومها !!

(٥٨٦ – ٥٩٩) : من الحديث القدسى : " من عشقنى عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعلى ديته ومن على ديته فأنا ديته " (سبزوارى / ٤٤٣) . أورده فروزانفر (أحاديث مثنوى / ١٣٤) من أحبنى قتلته ومن قتلته فأنا ديته ، عن المنهج القوى ٣٩٨/٤ . وعن العشق عد إلى الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٨٣٠ وما بعده وشروحها وثمة فرق شاسع بين تعبيره هناك وتعبيره هنا ، وبقدر الوجد يكون التعبير عن العشق ، إنه يعبر هنا عن أفكار شديدة المباشرة ، فالعشق نار يحرق كل ما سواه ، وسيف " لا " في عبارة " لا إله إلا الله " ، هو الذي يحرق كل شئ ويقضى على كل شئ ، فلا يبقى " إلا الله " ، وكل أنواع الحسن في العالم انعكاس

للحسن الإلهى ، بل إن الحسن الإلهى هو بمثابة الروح لأنواع الحسن أو بتعبير ابن الفارض :

وكل مليح حسنه من جمالها   معار له بل حسن كل مليحة

(انقروى ١٥٩/٥) . وما تفرق الناس خلف كل لذة يظنونها إلا لأنهم ابتعدوا عن هذا الجمال الحقيقى ، ولم لا ، إن أي جمال بالنسبة له كالدخان بالنسبة للنار ، ومن لم ير عدالة عمر بن عبد العزيز يظن الحجاج بن يوسف عادلا ، والطائر أو الروح التى لم تعرف العشق الخالص، إنما تطوف حول العشق المجازى وهو بمثابة الماء المالح بالنسبة للماء العذب .

(٦٠٠ - ٦٠٣) : ومن هنا فأنت في هذه الدنيا حتى تعرف قيمة الجنة والدار الآخرة وهى الحيوان لو كنت تعلم وما حياتك فيها عندما تدرك ما وراءها إلا كالقائم بنخل التراب عسى أن يجد فيه فتات رزق ، وأنت هلوع من الموت نفور من ذلك العالم الطاهر ، لازلت متمتعا في السجن مع أنك تدعى الإيمان ، وما الدنيا إلا "سجن للمؤمن" .

(٦٠٥) : قال السيوطى في كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب ، أخرج النسائى عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : " ما على الأرض نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها " (مولوى ٩٨/٥) . ونقل جعفرى عن انقروى (ولم أجدها عند انقروى) ما من أحد يموت إلا ندم ، إن كان محسنا ندم ان لم يكن ازداد (؟) وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون نزع " (جعفرى /١١-٢٤٨) .

(٦١٢ - ٦١٩) : عودة إلى حوار الطاووس مع الحكيم ، لقد اقتنع الطاووس بقول الحكيم ، وهنا هو يحار جوابا فيبكى بكاء مراً ، إنه بكاء ذلك الذي فصل من حيث أراد الوصل وأبعد من حيث أراد القرب ، وهو البكاء الجدير بأن يثير بكاء الأرض وبكاء السماء ، والعقول والقلوب تبكى لأنها منسوبة إلى العرش ، ومن ثم فهى من معدن الرحمة .

(٦٢٠ - ٦٢٤) : يتكرر مثال هاروت وماروت كثيرا في مثنوى مولانا (الكتاب الأول : الأبيات ٣٣٣٤ وما بعده ، الكتاب الثانى ، الأبيات ٢٤٧٥ما بعده والكتاب الثالث الأبيات ٧٩٦

- ٨٠٢) . ويدق مولانا على الموضع على أساس أن الإنسان يستطيع أن يتفوق على الملائكة مع أن الشهوة مركبة فيه ، لأن الملائكة أنفسهم لو ركب فيهم ما ركب في البشر ما استطاعوا مقاومته والمثال هاروت وماروت وتتضح هذه الفكرة فيما ورد في الكتاب الأول .

لقد كان حبس هاروت وماروت في جب بابل أشبه بحبس الروح والعقل في بئر الجسد والطبيعة ، ويتناول مولانا هنا تعلمهما السحر ، لقد كان تعلمهما إياه على سبيل الفتنة والامتحان ، ومع ذلك فهما يعلمانه للخلق لكن بعد تبصيره بأنه فتنة ، وهكذا فليس كل علم مما يتعلم لأى إنسان (انظر حكاية اسم الله الأعظم في الكتاب الثانى ، وحكاية تعلم لسان الطير والكلام في الكتاب الثالث)، ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ . ويعارض الانقروى بعض أجزاء الرواية الخاصة بوقوعهما أي الملكين على امرأة تسمى زهرة ، وإنها صعدت معهما إلى السماء فتعلمت السحر إلى آخره ، فهذا نقلا عن القاضى البيضاوى مروى عن اليهود أي أنه من الإسرائيليات ، كما نقل عن .الفخر الرازى ، إن هذه الرواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدل عليها بل فيه ما يدل على خلافها من وجوه ، الأول : ما فيه من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة من كل المعاصى وثانيها : أن قولهم أنهما خيرا بين العذابين ممنوع إذ كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك ؟ وثالثهما : أن من أعجب الأمور قولهم إنهما يعلمان السحر حالة كونهما معذبين أما الإمام السيوطى فقد اعترف بصحة الرواية ، ويفرغ الانقروى إلى مثل ما علق به أحدهم على حاشية البيضاوى ، وهو - أى المعلق - بالتأكيد ذو مشرب صوفى وتفسيره أقرب إلى تفسيرات نجم الدين كبرى على القرآن الكريم ، المراد بأحد الملكين الروح الإنسانى وبالملك الآخر العقل ووجه التعبير بالملكين إنهما مصدران لكل خير وهبوطهما إلى الأرض نزولهما من عالم الأنوار إلى عالم الطبيعة وبالمرأة المسماة بالزهرة هى النفس الأمارة بالسوء وتعشق الملكين بها ابتلاء الروح والعقل بالنفس

الأمارة بأنهما انقادا لأمرها بالشرور وبكونهما محبوسين في بئر بابل ابتلاء الروح والعقل بجب البدن الترابى وبكونهما معذبين في البئر إلى يوم القيامة عبارة عن ابتلائهما بالكدورات البشرية إلى الموت فإنهما يتجردان عند خراب البدن فيعودان إلى عالم الأنوار (انقروى ١٦٧/٥-١٦٨) وواضح أن مولانا في المثنوى طابق هذا التفسير تماما .

(٦٢٥ - ٦٤٠) : انعدام الوسيلة خير بالنسبة لمن لا يستطيع المقاومة ، والخير والشر كلاهما كامن في النفس البشرية ، وكلاهما مستعد للحركة عند الدعوة ، والفكرة تتكرر عند مولانا بشكل أو بآخر ، (مثلها الأكثر وضوحا في الكتاب الثالث ، حكاية صياد الحيات والحية التى ظنها ميتة لكنها كانت متجمدة حركتها شمس الفراق ، وهى رمز للنفس المتجمدة التى لا تجد الوسيلة لكنها إن وجدتها فهى أسد هصور) وهذه النفس هنا مثال الكلاب النائمة الهامدة ، لأنه ليس هناك ما يحرك شهوتها ، حتى إذا نفق حمار في الحارة استيقظت فيها كل صفاتها السبعية ، أو كالبزاة عندما تخاط عينها فلا تفتح إلا على الصيد ، أو كشهوة المريض إلى الطعام ، عظيم ، إن كنت قادرا فتعرض للامتحان ، ولكن إن لم تكن قادرا ، فأولى بك أن تترك كلاب البدن نائمة .

(٦٤٧) : روى عن ابن عمر فى الجامع الصغير أنه ﷺ قال : ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات، فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية ، وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السرات (الغدوات الباردات) ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام " (مولوى ١٠٣/٥) ، جامع ١٣٨/١ .

(٦٥٠ - ٦٦٠) : إن لم تكن متقيا ، وإن لم تكن آمنا أنك في حفظ الله ، فدعك من الآلة ، وتخل عنها ، وهذا الجناح هو الآلة ، آلة عجبك وتيهك وغرورك ، إنه سلاح في يد طفل أو

في يد ثمل فانزع هذا السلاح ، وإلا وقع سلاحك في يد خصمك وقضى به عليك ، نعم : القوة لمن يستطيع أن يسيطر عليها لا لذلك الذي تسيطر عليه والسلطة كذلك .

(٦٧٠ - ٦٧٢) : هكذا يكون من خصمه نفسه التى بين جنبيه ، من يحمل بين جوانحه سلاحا يقضى عليه ، إنه يكون في هلع دائم ، ومن هنا كان ﷺ يقول : { اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى } إن هذه النفس العدوة تكون تابعاً للمرء كأنها ظله ، وهل يستطيع الإنسان أن يهرب من ظله ؟! والنفس ظل في مقابل العقل والقلب اللذين هما بمثابة النور .

(٦٧٢ - ٦٨٢) : صاحب الفناء الذي اختار الفقر على الغنى والضعف على القدرة يكون نورا خالصا كمحمد ﷺ الذي كان نورا خالصا ومن ثم لم يكن لجسده ظل (جلبنارلى - 128/5) وهكذا لأنه ﷺ افتخر بالفقر فقال : " الفقر فخرى " وبه افتخر على كل الأنبياء ، صار نورا للدين وشمعا لليقين ، فهل هناك ظل للشمع ، الشمع بأجمعه نور ومن ثم فلا ظل له ، واللهيب محترق في الشمع ، والشمع محترق في اللهيب ، أي شمع وأى لهيب ؟ إننى أقصد هنا شيئا آخر فإياك أن تتصور الشمع الظاهرى ، إننى أقصد شمعا آخر هو شمعة الجسد التى تحتوى على نور الروح داخلها ، وكلما ذابت تجلى شعاع الروح كأعظم ما يكون التجلى ، ولا ظل للروح ، فمتى يكون النور الخالص ظل ؟!

(٦٨٣ - ٦٩٥) : ولأضرب لك مثلا آخر : من السحاب والقمر ، السحاب له ظل والقمر لا ظل له ، صحيح أن السحاب قد يغطى القمر لكن السحاب نفسه يظل قابسا من ضوء القمر ، فانظر إلى لطف القمر بالرغم من أن السحاب عدو له إلا أنه متمتع بنوره ، بالرغم من أنه حجاب عليه إلا أنه ينال نصيبا من نوره ، وهكذا رجل الله ، لا يمنع فيضه حتى عن العدو ، فهو لا ينقص لفيضه هذا ، لأن هذا الفيض يستمد من البحر الذى لا ينفد ، هذا النور الذى لا ينفد تستمد منه كل الموجودات نورها وإن كان النور أصيلا في القمر (النبى-الولى-المرشد) فهو عارية على كل من يستمد منه هذا النور .

(٦٩٦ – ٧٠١) : وفي القيامة ، تعلم أصل النور ، تعلم أن الشمس واسطة والقمر واسطة ، وتعلم أن كل ما تظنه أصلا إنما هو في الحقيقة عارية أظهرت الجمال الإلهى فترة من الزمن على هذه الموجودات الصماء الخالية من الجمال ، وأن معدن الجمال الحقيقى هو السبب في كل هذه الأنوار وهو أصلها ﴿ فإذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر ، كلا لا وزر ، إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ (القيامة / ٧–١٢) . حينئذ يضع الإنسان يده على الأم الحقيقية ، ويعلم أن الملك لله الواحد القهار ، وأن كل هذه التى كان يظنها في الدنيا " أمهات " هن مجرد حواضن مستأجرات من أجل نور مستعار ومن أجل حنان بالأجر . وشتان ما بين الحاضنة والأم (عن الحاضنة والأم انظر أيضاً الكتاب الثانى الأبيات ٢٩٨١–٢٩٨٣) .

(٧٠٢ – ٧٠٥) : الوسائط تزيد في الوسائط ، إن طلب النور من الأصل ، أو طلب اللبن من الأم لا من المرضعة هو أطيب بالنسبة للمريد السالك ، ويعتبر المولوية أن الوسائط هى بمثابة (انتظار القلب) فاطلب لطفه من لطفه ورحمته من رحمته ، ودعك من الوسائط فإنها حجب (جلبنارلى 129-130/5) .

(٧٠٥ – ٧٠٩) : ألا تصدق إنه من الممكن أن يكون مطر (رحمة) بلا سحاب (وساطة) . عد إذن إلى ما ورد في الكتاب الأول قصة عائشة رضى الله عنها وسؤالها المصطفى ﷺ قائلة إن السماء أمطرت اليوم عندما ذهبت إلى المقابر فلماذا لم تبتل ثيابك ؟! (البيت ٢٠٢٣وما بعده) أما السقاية من مطر ولا سحاب فانظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣١٣٠ وما بعدها وشروحها) ، وهكذا الأجساد إن استمدت النور من معدن النور بلا واسطة تنتفى عنها صفات الأجساد .

(٧١٠ – ٧١٨) : يقول الطاووس إن جناحى متعة للغير ، ورأسى هى من أجلى أنا ، فيها سمعي وفيها بصرى ، فكيف يضحى المرء برأسه من أجل متعة الغير ، إن هذا كفر مطلق، كيف تزين نفسك وتجعل نفسك كالسكر ، من أجل أن تأكلك الببغاوات ؟! لماذا تجعل نفسك كالجيفة يمدحها الكلاب بينما هم يلتهمونها ، لا، فلتكن نفسك مرا للحم حتى لا يأتى الصيادون نحوك ، اعبس أيها الشيخ حتى لا يجتمع إليك كل عاطل من أجل الاستمداد منك (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٠٢٥ وما بعده وشروحها) .

فهمت إذن لماذا خرق الخضر السفينة ؟! ولماذا فخر أحمد ﷺ بالفقر ؟! ولماذا توضع الكنوز في الخرابات ؟! إذا كنت لا تستطيع أن تقتلع عوامل قوتك وغرورك وعجبك فابتعد عن الناس إذن حتى لا يأكلوك ويمزقوك بددا ، وتصبح بين مخالبهم كالجيفة بين مخالب الكلاب .

(٧١٩ – ٧٢٥) : عن أن كل العالم آكل ومأكول ، انظر مقدمة الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٧ وما بعده وشروحها . والمثال هنا عن اللص والمتاع والطويئر الذي يأكل الدود مكرر بنصه .

(٧٢٦) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ (الأنعام /١٤) .

(٧٢٩ – ٧٣٤) : بل إن الأفكار والأوهام ، والخيالات في داخلك تنقسم بدورها أيضاً إلى آكل ومأكول ، فكل فكرة تتغذى على فكرة أخرى وكل خيال يتغذى على خيال آخر ، وفكرة أن الأفكار كالنحل ، والنوم كالماء ، تفسير لفكرة سبق ورودها في الكتاب الرابع (الأبيات ٤٣٥ وما بعده وشروحها) . هذه الخيالات والأوهام التى تطوف حولك كالنحل أو الذباب وتشتتك وتفرق خاطرك ، هى أقل الآكلين، فدعك منها، واهرب من أفكارك وخيالاتك إلى الله ، ولتجعل همك هما واحدا حتى يخلصك مصداقا لقوله تعالى ﴿ إن ربى على كل شئ حفيظ ﴾ (هود /٥٧) وقوله ﴿ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾ (يوسف /٦٤) .

(٧٣٥ – ٧٤٥) : إن لم يكن ثـم عقل، وإن لـم تكـن تستطيع أن تعرف الطريـق إلـى أرحـم الراحمين ، فعليك بمن وجدوا الحفظ ، ضع يدك في أيديهم ، فهـذه هـى بيعتك فـي زمـانك ، وسوف تكون بعدها من أهل البيعة التى وردت في الـقرآن الكريم ﴿ إن الذيـن يبـايعونك إنمـا يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نـفسه ومن أوفى بما عـاهد عليـه الله فسيؤتيه أجرا عظيماً ﴾ (الفـتح :١٠) بهذه البيعة تكـون قد حضـرت علـى نبـي زمـانك ، تكون قـد حضرت الحديبية ، وتكون من العشـرة المبشـرين بالجنـة ، هنـا تتحقـق لكـل المعيـة " فالمرء مع من أحب " كما يقول ﷺ ، وتنال الدنيا والآخرة معا . فمن تشبه بقوم فمنهم ومـن أحب قوما حشر في زمرتهم.

(٧٤٨ – ٧٥٣) : وإذا كنت تريد أن تتعظ وتعلم النهاية فـانظر إلـى مصـارع الفجـار ، وكفـى بموت الجار واعظا ، إنك لا ترى يد اللـه التـى فـوق كـل الأيـدى، إذن فـاعلم أن اللـه سـبحانه وتعالى يُهلك بلا يد ، ويقمع بلا آلة ، وغدا يا منكر لوجوده ، تقر أثناء العذاب أنه موجـود ، ويا من تقول أنه بعيد ، تجأر بصوتك مناديا إياه مستنجداً قائلا " يا قريب " .

(٧٦١ – ٧٦٤) : لـقـد بقيت في الذنب واقعا في الفخ بحث إنك عندما فكرت أن تنجو ، كـان الفخ قـد التصق بك والتصق بجناحك ، فماذا أفعل ؟! وماذا ينبغى أن تفعل أنت إلا أن تستغنى عن هذا الجناح ، هيا ضح بالجناح من المال والجاه والمكنة والثروة كما يضحى الثعلـب بذيلـه من أجل أن يظفر بالخلاص ، وينجو . ها أنا أحدثك على قـدر عقلك ، وإلا فإن هناك وسـائل كثيرة ، لكنك لن تفهمها ، وربما تسئ فهمها ، فيزداد ضياعك ووقوعك في الفـخ ، هيـا اقطـع الحبال التى أحاطت بك ، حبال الحـرص والحسـد ، فحول نـفسك الأمـارة التـى تشبه زوج أبى لهب في جدلها وحقـدها وحسدها ، حبلٌ من مسد ، فحطم هذه الحبال وانج .

(٧٦٨ – ٧٧٥) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قـال فـاهبط منهـا فمـا يكـون لـك أن تتكبر فيهـا فأخرج إنك من الصاغرين ، قال انظـرنى إلى يوم يبعثـون ، قـال إنـك مـن المنظريـن ، قـال

فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ (الأعراف /١٣ – ١٦) . إن أتباع إبليس يطلبون العمر الطويل لا لطاعة الله بل للانغماس في المعصية ، فكأنهم يطلبون زيادة ذنوبهم ، لقد خلقت لهم قرنى اعتداء ، وبدلا من أن يطلبوا من الله أن يخفف من ذنوبهم ، يطلبون إضافة قرنين آخرين ، وبدلا من أن ينادوا ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف / ٢٣) يطلبون العمر الطويل ، وليتهم يطلبون التوبة أو القرب أو حتى الموت حتى لا يزدادوا انغماسا في المعصية ، وتزداد ذنوبهم .

(٧٨١) : قال السبزوارى : تبديل الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود وتبديل الماهيات من الليس إلى الأيس ومن الظلمة إلى النور وتبديل الذوات في التكميلات من الطبع إلى النفس ومن النفس إلى العقل ومن العقل إلى المحو في الحق والطمس والمحق فيه (سبزوارى / ٣٤٨) .

(٧٨٤) : ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ .

(٧٨٥) : تجعل من المخلوقين من التراب سكان سماء من أمثال الأنبياء والأولياء ، والنجوم في الأرض هم الأنبياء والأولياء والمرشدين ، مصداقا للحديث النبوى { أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم } .

(٧٨٦) : كلما ازداد تمتع المرء بطيبات الحياة الدنيا ، كان الموت أسرع إليه ، حقيقة ازدادت ثباتا أخيرا ، فكأن المرء وهو منصرف إلى لذائذ الدنيا بنهم وهى أشبه بالسم أو بالمخدر ، يكون أسرع إلى هدم قواه وأسرع إلى الموت .

(٧٨٨ – ٧٩٨٥) : كون فناء الإنسان رقى له ، انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٩٠٢ – ٣٩٠٧ وشروحها ، الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٨٧ وما بعدها وشروحها حيث يدق مولانا على هذه الفكرة كثيرا إن الإنسان يفنى من حيث يريد البقاء ويبقى من حيث يظن الفناء ، وكلها خلق

من بعد خلـق دون واسطة وعليك أن تبقى حائرًا فالحيرة هى الطريق إلى المعرفة ، ومن هنـا قال بعض الصوفية " يا دليل المتحـيرين زدنـى تحـيرا " (انظـر عـن الحـيرة الكتـاب الثـالث ، الأبيات ١١١٦ وما بعدها وشروحها) .

(٨٠٢ – ٨٠٦) : إنك على وعى تام بهذه المراحل وتحسها فيك ، فأنت جامع الجماد والنبـات والحيوان (انظـر ناصـر خسرو ، جامع الحكمتين ، الترجمة العربيـة لكـاتب هـذه السـطور ، ص ٣٧٧ وما بعدها ، وانظر الكتاب الرابع- مقدمة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) لكن إلى مرحلة معينة، إلى البر ،إلى عالم الخلـق ، لكن بداية من مرحلة عالم الأمـر تبدأ منـازل البحر الذي لا يدرك ساحله ، فبحر الحقيقة أو بحر الوحدة ليس فيه علامة أو مرتبـة أو مـنزل ، أصل منازله ليست على نسق منازل الأرض ذات السقوف والأبواب ، ولا أسماء لهـا ، ولا علامات فيها ، فالأسماء والعلامات والأوصاف كلها أمور جديـرة بعـالم الخلــق ، إن المـنزل الواحد فيها بكل المنازل التى قطعتها بين مرحلة النماء ، ومرحلة تحولك إلى عين من الأعيان ، فـتخيل إذن قيمة ما لا تعرف بنظرتك إلى ما تعرف وعجبك به على قلته .

(٨٠٩) : كل سنة جديدة أفضل لك من ثلاث سنوات قـديمة يعنى أن عطاء المبدل الذي يخلـع عنك الـقـديم يعوضك عنه بجديد يفوق هذا الـقـديم في كل شيء ، خلـقا من بعد خلـق ، في أحسن تقويم ، فانظر دائمـا إلـى الأمـام ، ولا تنظـر إلـى المـاضى وإلـى الخلـف ، فعطايـا اللـه سبحانه وتعالى في ازدياد كما ، وفي تحسن كيفا ، وإن لم تكن لتصدق ، فانظر إلى ماذا كنـت وكيف أصبحت ، لكى تستطيع أن تتخيل إن سرت على نـفس الجادة ، إلام ستصير ؟!!

(٨١٧ – ٨٢١) : ليست هذه قيمتك ، وليس هذا مكانك ولا يليق بك أن ترضى بما أنت عليـه من قبح ، لست قبيحا لكنك من معـدن الجمـال ، لسـت مـن الأرض بـل مـن الجنـة ، فـلا تقنـع بالأرض وليكن سعيك إلى تمام الدائرة ، وطى قوس الصعود ، حتى تتم الدائـرة ، وإلا فـأنت في عذاب حقيقى ، عذاب لوجودك في غير بيتك ، وفي غير المحيط الجديـر بـك ، وفـي غير

الجو الحقيقى الذي ينبغى أن تعود إليه ، ومن هذه أنت جدير بالرحمة وبالشفقة .

(٨٢٢ - ٨٣٢) : نعم أنت جدير بالرحمة والشفقة على موجب الحديث الشريف ارحموا ثلاثا ، عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما لعبت به الجهال) أي استهزءوا عليه (انظر أحاديث مثنوى ١٥٦ وفي رواية انه من أقوال الفضيل بن عياض) . وهو أشد الغرباء ، قال ﷺ أحب العباد إلى الله تعالى الغرباء قالوا من الغرباء يا رسول الله ؟! قال : الفرار بدينهم يجتمعون مع عيسى بن مريم يوم القيامة . قال شيخ الإسلام : الغريب حالا هو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين أو صديق بين قوم منافقين وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم على موجب قوله ﷺ (إن الدين بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء) قال شيخ الإسلام غربة العارف هى غربة القربة لأنه غريب في الدنيا والآخرة (مولوى ١٢٨/٥) وعن على ﷺ : ثلاثة يُرحمون عاقل يجرى عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوى ، وكريم قوم احتاج إلى لئيم . (جعفرى ٢٩٥/١١) . والأوصاف كالأجساد من اتصف بشيء غير مشهور في مجتمعه نبذ من هذا المجتمع ، ومن فقد صفة من صفته فكأنما فقد عضوا من جسده ، ونحن جميعا نعانى ، لقد شربنا كأس الميثاق ومعاهدة الله على العبودية، وكلنا يعانى من خمار تلك الخمر التى شربها في ذلك اليوم في المحضر الإلهى ، آفتنا الأولى أننا بشر ، من نفخة السلطان ، وأبناء الخليفة ، لو كنا من أصل سئ لاسترحنا ، فهل بحث كلب أو قط عن السلطنة إنه ابن آدم وحده الذي يعيش في غربة غريبة يعز به أنه أصبح في الأسمال والملابس الخلقة ، بينما هو في داخله يطمح إلى السيادة والسلطنة .

(٨٣٣) : حكاية أخرى من الحكايات التى تجاهلها فروزانفر ولم يذكرها في المآخذ وتبدو الحكاية من الأمثلة التى يضربها مولانا جلال الدين ، المهتم اهتماما خاصا بقضية المتجانس ضرب عليها الأمثلة كثيرا من عالم الحيوان وعالم البشر وعالم النبات .

(٨٤٥) : ذكر فروزانفر أن الحكاية مأخوذة عن معجم البلدان لياقوت عند ذكر قم ، كما نقل

القاضى نور الله الشوشترى في كتابه مجالس المؤمنين هذه الحكاية وقال أن نظيرها مذكور بالنسبة لمدينة سبزوار ، وهناك أيضاً حادثة تاريخية ذكرها عطا ملك الجوينى في الجزء الثانى من كتاب تاريخ جهانكشاى عن حصار للسلطان لسبوزار حتى تشفع أحد شيوخها ويسمى أحمد البديلى (استعلامى ٥/٢٥٥) ، وواضح أن مولانا كون من الحادثة التاريخية ومن رواية ياقوت حكاية تشبه هذه (عن مآخذ/١٦٢-١٦٣) وقد حكم محمد خوارزمشاه من ٥٦٨ للهجرة وكان هجومه على سبزوار سنة ٥٨٢ للهجرة .

(٨٨٧) : قتو : اسم مدينة في ما وراء النهر .

(٨٦٩) : { إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } (حديث نبوى) جامع ٧٤/١ .

(٨٧٢) : قال أبو يزيد البسطامى : لو كان العرش وما حوله في زاوية من زوايا العارف ما أحس به ، وورد في الحديث النبوى : ما وسعتنى أرضى وسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن (انقروى -٥/٢١٩) .

(٩١٩) : قال يوسف بن احمد " روحانية أهل الله لا تزول بصورة الفقر " (٥/١٤٠) .

(٩٢٥) : انظر شرح الأبيات ٨٢٢ - ٨٣٢ من نفس هذا الكتاب .

(٩٢٦ - ٩٣١) : تبدأ غربة الإسلام بقول مولانا جلال الدين عندما ينفر منه أهله يتركونه ويضيعونه أو يمسخونه ويأخذون الصورة التى يروجها أعداؤه عنها ، يؤولونه ويتركون أسسه ، يجردونه من السلطة ليظل مجرد شعائر وعبادات، يشوهه العدو في أعيننا ونتقبل نحن هذا التشويه ، يزاح من قلوبنا بعد أن أزيح من حياتنا ثم من عقولنا، يأتى العدو ويسلط عليه بعض المنتسبين إليه بالاسم ، فيقولون ما لا يجرؤ العدو على قوله ، هذه هى غربة الإسلام الحقيقية عندما يصبح غريبا بين أهله ، موضع كراهيتهم وقتالهم ، تظل منه صورة خالية من الطعم والرائحة ، مجرد صورة ، نتبجح على أساسها ونقول " ماذا حدث للإسلام ،

ألسنا مسلمين ؟! وبالتالى نظل في الضياع والتيه والفرقة والتبعية الثقافية والاقتصادية ، وحتى أغنياؤنا يظلون تبعا ، ولا يدرى أحد أن هذا التيه وهذا الضياع لأننا فرطنا في أساس وجودنا وكرهنا سبب حياتنا ، ونـفرنا من عنصر عزنا ، فأصبح فينا غريبا ، وأصبحنا مجرد أبقار منذ أن وضع أسد الإسلام في إهاب بقرة (حقيقة ليست مجازا) وإلا أفلا نبصر يوميا الأبقار التى ترعى وهى تتشدق بالإسلام ، يقول مولانا : أجل تشدقى أيتها الأبقار بالإسلام ، ولكن حذار ، فعندما ينشق إهاب البقرة الذي ركب على الإسلام سيسفر ذلك الإهاب عن أسد يفترس الأبقار السمان ، أو على الأقل يخرج منها طبيعة الأبقار ويجعلها في طبيعة الأسود .

(٩٣٢) : ﴿ وقال الملك : إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتونى في رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ (يوسف / ٤٣) . فالسمان هى الصفات البشرية السبع وهى التى بها القالب محبوس والكبر يأكلهن سبع عجاف وهى القناعة والسخاء والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع، فإذا أراد الله أن يخلص القلب من سجن صفات البشرية يذهب الذي هو ملك مصر القالب ويقول : أيها الأعضاء والجوارح والقوى أفتونى فيما رأيت في الملكوت إن كنتم للرؤيا تعبرون (مولـــــوى٥/٤٢) .

(٩٤٢) : الرواية هنا مأخوذة مما ورد في إحياء علوم الدين للغزالى : " وقال أبو أمامة إن رسول الله ﷺ قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب انزلتنى إلى الأرض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا ، فقال : الحمام ، قال : اجعل لى مجلسا ، قال : الأسواق ومجامع الطرق ، قال : اجعل لى طعاما ، قال : طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه ، فقال اجعل لى شرابا : قال : كل مسكر ، قال اجعل لى مؤذنا : قال المزامير ، قال اجعل لى قرآنا ، قال : الشعر ، قال اجعل لى كتابا ، قال : الوشم ، قال : اجعل لى حديثا : قال : الكذب ، قال : اجعل لى مصايد : قال النساء ، (عن مآخذ /١٦٤) . وفي الحديث القدسى ، " ما جعلت

فـتنة أضر على الرجال من النساء " ، كما فسر مولانا في الكتاب الأول الحديث النبوى (إنهن يغلبن العاقل ويغلبهن الجاهل) ، (الكتاب الأول الأبيات :٢٤٤٤-٢٤٤٨) .

(٩٦٠) : أي تجل للجمال يشاهده العارف كمظهر من مظاهر الجمال الإلهى أو كما قال ابن الفارض :

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر — فظنوا سواها وهى فيهم تجلت

وتظهر للعشاق في كل مظهر — من اللبس في أشكال حسن بديعة

(انقروى - ٥/٢٣٩-٢٤٠)

(٩٦١) : ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ (التين /١-٦) . ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ﴾ (يس / ٦٨) . والحسن المذكور في الأبيات ، إما أن يكون الحسن المجرد ، أو الحسن الذي كان في آدم عليه السلام بالطاعة وبالعلم ،والذي نزع عنه وطرد من الجنة بذل المعصية والاستماع إلى الشيطان .

(٩٦٥ - ٩٦٧) : تساقط الحلل إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ، يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ﴾ (الأعراف / ٢٦ وجزء من ٢٧) . والعز هو عز الطاعة بالطبع والذل هو ذل المعصية . والشيخوخة مآل كل حى ، لكن شتان ما بين شيخوخة وشيخوخة ، بين شيخوخة تشرف على عمر من الطاعة والنضج العقلى والفكرى ، وتقف على أرض صلبة مما تكون أثناء فترة الشباب والعمل ، وشيخوخة قضى صاحبها شبابه في لذات الجسد ، فلما ضاعت عنه ولم يعد قادرا عليها ضاع منه كل شيء ، الأول جميل ذو عز في شيخوخته مثلما كان في شبابه والثانى هو الذي ينكس ولا يكون له من وقار الشيخوخة وجمالها شيء بل خرف وانهيار وذل

ومسكنة .

(٩٧٤) : إنه نـور الله هو الذي ينقذ المرء من أن يرتد إلى أسفل سافلين ، هـو الذي يجعلـه ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنـون ﴾ ، إن قوتـه ليسـت مـن الجسد ، إنها قوة الروح وقوة الإيمان ، وإن كان واهن الجسد يكون قوى الروح ، وليسـت قـوة الـروح لأى إنسان ، ورب شيخ مهدم كانت شيخوخته هى قمة العطاء في عمره وفي حياته ، ألم يبدأ آية الله الخمينى كفاحه وهو في الحادية والستين من عمره وتوجه وهو في السابعة والسبعين من عمره ، وكان حتى آخـر لحظـة مـن حياتـه صـاحب الـقول الفصـل فيمـا يعـن لأمتـه مـن مشكلات !! أليس هناك شيوخ عديدون قادوا أممهم وهم في غروب العمـر ، هـذه شـيخوخة ، لكن قوة الإيمان ووضوح الطريق ووضوح الهدف والعمل من أجل الله والناس معا ، كل ذلك يجعل الشيخوخة الجسدية تعوض بشباب الروح ، فالروح لا تشيخ ولا تعجز ولا تسقط ، إنها ليست جسداً يجرى عليها ما يجرى على الجسد .

(٩٨٤ - ٩٩١) : ليت كل جميل يعلم أن جماله عاريـة ، وأنـه مجـرد انعكـاس بسيط لشـمس الحسن على جدار يعكس النور لكنه لا يبعثه (انظر الكتاب الثـالث حيث جـاء المثـال بنصـه ، الأبيات ٥٥٢ وما بعـده وشــروحها) أتـدرى مـا الـذي يجعلـك ذاهـلاً كـل هـذا الذهـول أمـام الحسان ؟! إن قبس النور قـد ضوعف ويكون من خلال زجاج ملون ، هذا هو فحسب ، لكن ليتك تعتاد على مشاهدة النور دون مشاهدة هذا الزجاج (ارجع إلى الأبيات ٣٧٢ - ٣٧٩ من هذا الكتاب حيث الحديث عن جرعة الحسن) .

(٩٩٢ - ٩٩٩) : أتدرى ما هو النور أيضاً من خلال الزجاج ، إنـه العلـم المكتسـب ، وليس العلـم الـذي وقـر فـي الـقلب مـن لـدن اللـه سبحانه وتعـالى ، وهـذا العلـم المكتسـب معـرض للنسيان ، إنــه مصبـاح مسـتعار ، لكنـك إن نسيت ، فاشـكر اللـه سبحانه وتعـالى لأنـه سـوف يعوضك عن هذا النسيان بالأضعاف المضاعفـة ، بـالنور الـذي يقذفـه فـي الـقلب ، إن شـرط

الشكر ، ﴿ ولئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ، ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ (محمد /١و٢) ، إن إضلال الأعمال ألا يحس الكافر بود أو شكر أو صلة قرابة ، إنه لا يحس بنصر إن بلغ أمله ، يظل طوال حياته يسرع في أثر رغباته ، ولا يحس أنه بلغ واحدة منها .

(١٠٠٨) : تمزيق الخرقة عند الصوفية : إشارة إلى ما يقوم به الصوفى عندما يبلغ به الوجد مداه في مجلس السماع فهو يمزق خرقته إربا ، ومن القطع الممزقة من الخرقة يصنع سجادة فمن المعيب أن ترتق خرقة مزقت عشقا (وخرقة الجسد إن مزقت في سبيل العشق كان ذلك علو شأن الروح) (جلبنارلى 181/5-182).

(١٠١٦ – ١٠٢٥) : عن أن العدم هو مصدر الوجود ، انظر الأبيات ١٩٦٠ وما بعدها ومن هذا الكتاب وشروحها ، والأبيات ٣٠٩٦ و ٣٦١٧ وما بعدها من الكتاب الثالث وشروحها . وعرف السبزوارى الإبداع بأنه إيجاد الشيء دون أن يسبق بمادة أو بمدة (سبزوارى /٣٥٦) .

(١٠٣٠) : عن الكلام الظاهر والفكر المستتر ، انظر ١٨٩٧/١ و ١٢٨٤/٢ .

(١٠٣٧ – ١٠٣٨) : عن هذا السر انظر ١١٦٤/٣ .

(١٠٤٥ – ١٠٥٠) : { يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله } (إحياء علوم الدين للغزالى ، جـ ٢، ص ١٤٣) ونقل فروزانفر روايات عديدة عن هذا المعنى عن الشيخ الصدوق وعن حلية الأولياء وعجايب نامه وفرائد السلوك (مآخذ /١٦٤ – ١٦٨) وكلها مجرد حكايات معتمدة على الحديث النبوى المذكور عاليه ، والحديث الذي جاء في العنوان الذي تلاه .

(١٠٧٢) : ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم

ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد/٤) .

(١٠٧٧ – ١٠٧٨) : الجواد هو الروح ، يقوم كيان المرء بها ولا يزال يتساءل أين هى .

(١٠٨٠ – ١٠٨٢) : ما أقرب هذه المعانى كلها إلى ما عبر عنه حافظ الشيرازى في بيتين اثنين :

لسنوات والقلب يطلب منا كأس جمشيد

وما فتئ يتمنى من الآخر ما هو موجود لديه

إن تلك الجوهرة التى خرجت من صدفة الكون والمكان

تطلب (الأشياء) من التائهين على شاطئ البحر

(جامع نسخ حافظ غزل ٢٠١ ، ص ١٦٣)

(١٠٨٤) : (من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله سائر همومه ومن تفرقت به الهموم لا يبالى الله في أى واد منها هلك) ، ورد في الأحياء مثيله (٢١٤/٤) : (من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة) .

(١٠٨٦ – ١٠٨٨) : الغصن السيئ كناية عن الأفكار السيئة النابعة من النفس الأمارة بالسوء ، والغصن الحسن كناية عن الأفكار الحسنة النابعة من القلب وقد عبر مولانا عن نفس هذه الفكرة في الكتاب الثالث ، في جذور الأحزان في القلب التى تنبت الأشواك وجذور البسط التى تهتدى إلى الأحباب ، (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٠ – ٣٦٤ وشروحها) .

(١٠٨٩ – ١٠٩٤) : لعله من أبسط التعريفات عن العدل : وضع الشيء في موضعه ،

وبالتالى فالظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن هنا فمن الظلم أن تضع أحمال البلاء على الروح ، لأنها هى الجديرة بكل نعم الله المعنوية .

(١١٠٤ – ١١٠٨) : ذكر جلبنارلى أن الرباعية المذكورة في العنوان من رباعيات مولانا جلال الدين ووردت في الديوان الكبير (جلبنارلى 197/5) لكن لم أعثر عليها في نسختى من الديوان الكبير ، ويقول مولانا جلال الدين إن على المرء أن يتحرك ويحاول، وإن لم يكن الطريق ظاهرا له فإن الحركة هى التى تكشف الطريق ، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت : ٦٩) ، المهم من المرء الحركة ومن الله البركة ، وزليخا قد تكون هنا رمزا للنفس الأمارة بالسوء ويوسف رجل الحق ، وقد غلقت زليخا الأبواب ، إلا أن يوسف وجد النجاة من الحركة .

(١١٠٩ –١١١٣) : يدق مولانا على فكرة سبق الحديث عنها في الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٩٢ وما بعده وشروحها) والكتاب الرابع (الأبيات ٣٠٦٠ وما بعده وشروحها) كما عاد إليها بعد العنوان التالى وهى أن الإنسان قطع مراحل قوس النزول من الجمادية إلى النباتية إلى الحيوانية ثم إلى الإنسانية دون أن يدرى ما هى المنازل التى قطعها وما هى طبيعتها ، وهو في مرحلة ما بين المرحلتين هذه كأنه في النوم ، وإذا بدأ قوس الصعود بالموت فسوف ينتقل أيضاً في منازل لا يعلم عنها شيئا ، فهل درى من أين جاء حتى يدرى إلى أين سيمضى ؟!

(١١١٤–١١١٨): إنك إن أغلقت عينيك ترى في النوم من الأماكن والمدن ما لا يخطر لك على بال ، ثم إنك إن أغمضت عينيك عن هذه الدنيا سوف تفتحها على ما لم لا يخطر لك ببال ، لكنك لا تريد أن تغمضها ، إن هناك آلاف الأشياء التى تنظر إليها ، أهمها جاه الدنيا وإقبال البشر (المشترين) الذين تتوقعهم وتجذبهم إليك ، إنك لا تهتم إلا بالجاه والناس مثلما تتهم بومة النحس بالخرائب ، وبضاعتك هباء ، ولا قيمة لها ، ولو كان عندك قوت من النور

الإلهى لما اهتمت أدنى اهتمام بإقبال الناس عليك .

(١١١٩) : بهذا البيت تبدأ قصة أخرى من القصص التى تجاهل فروزانفر البحث عن أصولها ، والقصة من التراث الشهير جدا بحيث انتقلت إلى الأدب الشعبى والخليفة المذكور في الروايات الشعبية هو هارون الرشيد .

(١١٢٥ - ١١٢٩) : انظر شروح الأبيات ١١٠٩ - ١١١٣ من نفس هذا الكتاب .

(١١٣٥) : دار السلام قد تكون بغداد وقد تكون الجنة وهو الأرجح على أساس أن الإنسان هبط من الجنة ، وعلى أساس أن ما يقابلها بالفعل دار الملام أي الأرض .

(١١٥٥ - ١١٥٩) : المثال هنا يشبه الحديث إلى الجنين الوارد في الكتاب الثالث (الأبيات ٥٤ وما بعده وشروحها) والمنقول بدوره من إحياء علوم الدين للغزالى:" فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم، ونسبة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا إلى الرحم بل أوسع وأعظم ، فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . (إحياء علوم الدين ٤/٦٤) .

(١١٦٥ - ١١٧٠) : تناول مولانا هذه الفكرة بشكل مبسط في الكتاب الذي بين أيدينا (الأبيات ١٧٤ - ١٨٢) ويعود إليها هنا على أساس أن العهد بالنسبة للإنسان هو بمثابة الجذر بالنسبة للشجرة ، وإن كانت الشجرة خضراء وجذرها فاسد فسرعان ما يختفى ، وربما إذا فسرنا هذا الأمر بلغة معاصرة نقول أن معيار الإنسانية بالشعور بالالتزام تجاه الخالق والرسالة الملقاة على عاتق الإنسان ، بأن يسعى إلى ربه سعيا فيلاقيه ، وأن يكون في الأرض جديرا بالنفس الإلهى الذي نفخ فيه ، وإن لم يحس الإنسان أنه مسئول أمام من هو أعلى ، فإن طبيعته النزاعة إلى الشر سوف تجره إلى أسفل ، بل وتصير كل مجهوداته حتى العظيم والمتعالى منها مجرد غثاء لا جدوى منه ، قشور ، فإن التزام الإنسان أمام الله في سره وجهره و في

العلم الذي يقوم به و في سعيه يمنح الإنسان تعاليا وتساميا في أهدافه ، ويهذب كثيرا من النفس البشرية النزاعة إلى الهوى وإلى الدم ، ويمنح كثيرا من نشاطاته جانبا يجعلها أكثر رأفة ورحمة بالإنسانية ، هذا الجانب فى الالتزام الإلهى خصيصة إسلامية يسيطر على كل مناحى الحياة الإسلامية حتى الفكرية والاقتصادية منها (انظر جعفرى ١١/٤١٠-٤١٨) .

(١١٧١ - ١١٧٩) : إذا كنت تريد أن ترى نموذجا حيا على فوائد الوفاء بالعهد ومضار الغدر فانظر إلى جزاء من أوفوا ، وإلى الشياطين الذين غدروا ، والوفاء بالعهد من صفات الله سبحانه وتعالى (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده وشروحها) . وليكن اعترافك بالعهد مقرونا بالصمت ، فالأمر أمر عمل لا أمر شقشقة باللسان " فمن قل كلامه كمل عقله " كما قال الإمام على ﷺ ، أو كما قال جعفر الصادق ﷺ " قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه " (جعفرى / ١١-٤٣٢) .

(١١٨٠) : يقول مولانا الحسد عصيان ، لأنه تدخل في ملكوت الله وفي عطائه ، وكان أول الحاسدين إبليس ، وجرد حسده إلى الشرك وإلى العصيان ، لأنه حسد آدم ، فأبى السجود واستكبر وطرد من ملكوت الله .

(١١٨١ - ١١٨٤) : وفاء العبد يقابله وفاء الحق ﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ (البقرة /٤٠) ، وللفكرة أكثر تفصيلا ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده وشروحها) .

(١١٨٨ - ١١٩٢) : دعك من الدعاء باللسان وازرع في مزرعة الدنيا ما بقى من مالك ومن أعمالك وابذرها وانثرها في سبيل الله تعالى ، فإن كل بذرة تتطلب أن تكون شجرة ودعاؤك وتضرعك يهبك أشجار العناية الإلهية وحتى وإن لم تكن عندك بذورها ، فمتى تقف العناية الإلهية والقدرة الإلهية عند الأسباب ، مثل مريم البتول لقد كان لها الرطب الجنى لأنها هزت النخل اليابس بأمر الله ، وألم يكن سبحانه وتعالى قادرا على أن ينزل عليها الرطب بلا

نخل ولا هز؟! كان قادرا سبحانه وتعالى لكن الضراعة والألم ذات تأثير عظيم في استنزال رحمة الله سبحانه وتعالى (انظر البكاء وتأثيره في استجلاب الرحمة في هذا الكتاب الأبيات ١٣٥ وما بعده وشروحها) .

(١١٩٦ - ١١٩٩) : هناك من الأمور من يجب الثبات عليه ، ويكون الثبات عليه أمرا صعبا ، ولا يدعو مولانا جلال الدين هنا الله بأن يهب الثبات في كل أمر ، بل في ما يجب من أمور : السلوك والطريق ، والعكوف على العلم ، والزهد في المادة في عالم أصبح يقيس كل شيء بالمادة ، والسير في طريق يراه الآخرون " غير مجز " ، و " غير مجد " ، ينظر الأخرون إليه بعجب ، ودهشة يحاولون إثناءه عن هذا الطريق الذي لا خير فيه ، في حين أن الإنسانية لم تتقدم إلا بأولئك الذين ساروا في طرق غير مسلوكة ، وعكفوا على تنمية النور الذي وضعه الله في القلب وفي العقل وفي الذهن ، وتحملوا سخرية الأخرين الذين يسيرون في الطرق المأهولة الموصلة إلى الغنى والثروة ويغيرونها كلما استدعت الحاجة ، أو كلما نزعت النفس إلى الهوى ، أولئك الذين يرون " الدنيا تجارة " ، فهم يغيرون معروضات محلاتهم طبقا " لرغبات الجماهير " ، و " آخر الواردات " ، هؤلاء الرجال " المعارض " ، لا يتأتى منهم جديد ، انهم ينتظرون الجديد فحسب .

(١٢٠٠ - ١٢٠٧) : إن هذا التنقل والتغير وتغيير مجال العمل وأسلوب الحديث (وأحيانا الأسرة والمعارف والأصدقاء) منشؤه الأصلي هو الحسد ، يتحاسد الناس في سبيل ماذا ؟! السلطة والثروة والنساء ، فهل هي أمور ثابتة أو دائمة ؟ هل دامت لأحد ، هل تدوم السلطة أو الثروة ، وهل تدوم لحظات متعة الشهوة والجسد ، حتى أولئك الذين سارت الركبان بقصص حبهم وعشقهم ، يس ومعشوقته رامين وخسرو ومعشوقته شيرين ، أين هم الآن ، فنوا وفنى حبهم وعشقهم ومعشوقهم، فما كان عشقهم عشقا وما كان معشوقهم بالذي يستحق كل هذا ، ضعف الطالب والمطلوب ، وفني العاشق والمعشوق . وكلهم عدم عاشق لعدم ،

وما جعل الله العدم عاشقا للعدم ، إلا لكي يضرب العدم ببعضه ، فيحمى سوق الدنيا القائم على الغفلة ، وينقلب العدم إلى وجود ، فهذا التحاسد هو الوقود الذي يجعل هذه الدنيا تبدو ذات وجود حقيقى .

(١٢١٠ - ١٢١٦) : لولا أن جعل الله من الشريعة عامل تلطيف في هذه الدنيا ، لفنى الناس تحاسدا وتباغضاً ، ولاشتعلت نيران الحسد في كل مكان ، ولاعتدى القوى على الضعيف ولأكل الغنى الفقير ولانقلب المجتمع إلى غابة ، والشريعة واضحة، من خلالها يعلم كل إنسان حقه ، ولا محيص له من قبول ما تحكم به الشريعة لأنها من لدن لطيف خبير يعلم من خلق ، وليست من وضع إنسان ، يعرضها كل لحظة للتغيير والتبديل ، والذي لا يقبل الشرع يبقى شيطانا حسودا يملأ هذه الجيفة القبيحة المسماة بالدنيا حسدا وحقدا .

(١٢١٦ - ١٢٢٤) : هكذا عندما تغيب الشريعة عن مجتمع ما ، فإن الذي يسطر على هذا المجتمع شياطين الجن وشياطين الإنس ، فمن اليسير الاحتيال على قوانين الأرض ، لكن متى كان الاحتيال على قوانين السماء ، ويستوى شياطين الجن وشياطين الإنس في جعل الأرض على هذه الدرجة من السوء والتدنى والتباغض والتحاسد والتقاتل ، وسرعان ما تطبع الشياطين بنى آدم بطابعها الذي يغلب عليه الحقد والحسد ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (الأنعام /١١٢) ، وانظر إلى مجتمع غابت عنه الشريعة ، وترك الناس ينطلقون وفق أهوائهم وغرائزهم دون ضابط أو رابط ، كلهم ساقطون في حبال الشيطان ، يستعين بهم الشيطان يجعل منهم المحتال والنصاب والقواد والديوث ، ينقلب المجتمع إلى قطعة من جهنم حيث لا قيم ولا أخلاق ولا فضيلة ولا علم ولا فن ، بل تدن وسقوط وانهيار ، وغيبة للعقل والمنطق والوعى ، وسقوط للبشر يوما بعد يوم ، بحيث يحتاج بقاء المرء نظيفا إلى قوة فوق قوى البشر .

(١٢٢٦ - ١٢٣٥) : عودة إلى قصة الخليفة ومدعى النبوة ، فالخليفة يسأله عن وحيه وعما

نزل به هذا الوحي عليه ، ويجيب الرجل إجابة خليقة حقا بالعقل وبالإنسان ، ولعلها إجابة جلال الدين نفسه ، لتعرض أن الوحى النازل على محمد بن عبد الله ﷺ قد انقطع بوفاته ، فهل يوجد إنسان بلا وحى ؟! هل الإنسان أقل من النحل ؟! الذي نزل فيه ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبالِ بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ (النحل /٦٨) ، أيكون الإنسان الذي نزلت فيه آية ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء /٧٠) ، أيكون مثل هذا المخلوق أقل من النحل بحيث يوحى إلى النحل ولا يوحى إليه ؟! وكيف تقرأ ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، وتبقى ناظرا لنفسك على أنك أقل من أن يوحى إليك ؟! أليس هذا الكوثر هو الخير مجموعا كله ، وهو أصل الخير ، وهل يمكن أن يختص محمد ﷺ بالخير ، دون محبيه وتابعيه والمؤمنين بالنور الذي نزل عليه ، وهل يكون النص منقطعاً ؟ لا بل إن كل من ترى في وجهه سيماء الإيمان ونضرة الاتباع لابد أنه نال نصيبا من هذا العطاء سواء كان القرآن أو حوض الكوثر أو الخير الكثير (شرح المثنوى للسبزوارى ٣٦١/٥ - جعفرى ٣٤٨/١١) وإذا كان المرء مع من أحب ، وكان فيه صفة الإيمان (والمؤمن إذا أحب أحب لله وإذا أبغض أبغض لله) (انقروى ٣٠٣/٥) ، ليس هذا فحسب ، وأنت إذا آمنت بالنبوة وحزت شرفها ووصلت إلى مرتبة ﴿ ولقد كرمنا ﴾ ، صار قلبك محل الوحى الإلهامى والإلهام إفهام القلب وما يلقى في الروع بطريق الفيض الإلهى فهناك بلا شك تقارب في المعنى ، قال جامى : " اعلم أن الفيوضات من الحق تعالى على قلوب كل عباده على نوعين منها ما يفيض عليهم بواسطة الملك بعبارات محفوظة عن التغيير مرادة تلاوتها وهو القرآن المنزل على نبينا ﷺ ومنها ما يفيض عليهم بغير واسطة وهى معانى صرفة وهذا النوع ليس مخصوصاً بالأنبياء بل يعم الأولياء وصالحى المؤمنين (مولوى ١٧٨/٥) .

(١٢٣٦ - ١٢٤١) : إذا أردت هذا الوحى ، فكن طالباً للكوثر ، وأين يطلب الكوثر إلا من

محمد بن عبد الله ﷺ وإلا عند من سبقوك إلى شرب هذا الكوثر ، لكن إن وجدت إنساناً لم يشرب من هذا الكوثر فاهرب منه ، إنه كالموت وإنه كالحمى ، يصيبك الجهل الذى عنده بموت الروح وهو أشر موت وإن كان الجسد حياً ، فر من مثل هذا الإنسان ولو كان أباك ، ولك فى إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (التوبة ١١٤) ، وأنت دون علم بهذا الطريق ما لم توف سر "لا وإلا" أى "لا إله إلا الله" أى سر التوحيد ، فالتوحيد إفراد لله سبحانه وتعالى عما سواه أو فيما ذهب إليه السبزوارى وأن "لا" نفى للتعيينات وسلب للماهيات والسرابات وإلا إثبات للذات وماء الحياة (شرح مثنوى ٣٦١/٥) وهذا هو المنهاج الواضح لهذا الطريق وسره الأول .

(١٢٤٢) : العنوان الوارد قبل البيت يحتوى على الآية الكريمة ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ (السجدة ١٦) وجرجيس عليه السلام أحد الأنبياء ظهر فى الفترة بين بعثة عيسى وبعثة محمد ﷺ وورد فى دائرة المعارف التركية أنه قد ولد فى الرملة وتوفى سنة ٣٠٣ ميلادية فى نيقوميديا ، وكان مأمورا بدعوة حاكم الموصل ، واستشهد أربع مرات تحت تعذيب هذا الحاكم " وفي رأى لاستعلامي ٢٧٦/٥سبعين مرة" ويسمى عند المسلمين سان جورج ، ولجرجيس بالذات وجود فى المأثور الشيعي فقد وردت عنه حكايات كثيرة فى بحار الأنوار للمجلسي ، وفى المأثور الشعبى الفارسى هناك مثل يقال عند تعرض المرء للكوارث دائماً " وكأن نبيه من بين الأنبياء هو جرجيس" (انظر جلبنارلي٢٢٣/٥-٢٢٢) وورد فروزانفر الحكاية إلى ما ورد فى إحياء علوم الدين "رأيت رجلاً متعلقاً بكم صبى وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبى وقال له إلى متى هذا الالتفات الذى تظهره لى؟! فقال: حتى تعلم الله أنى صادق فيما أورده حتى لو قلت لى مت لمت، قال إن كنت صادقاً فمت قال : فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجده ميتاً" (إحياء ٣٤٠/٤) ، كما ورد

ما يشبه هذا فى ألف ليلة وليلة وقائع الليلة السابعة بعد الأربعمائة (مآخذ ١٦٩) وما أشبه هذا بما ورد عند ابن الفارض :

وجانب جنـــاب الوصـــــل هيهات لم تكن * وها أنت حـــــي ، إن تكن صادقـــــا فمت .

(انقروى ٥/٣٠٧).

(١٢٤٧ - ١٢٥١) : المفروض أن العاشق لا يتحدث كثيراً عن عشقه فهذا أمر بالعمل والفعل وليس بالكلام ، فضلاً عن أن لغة العشق هى الإشارة والإيماء ، لكن العاشق مع ذلك لا يمل الكلام عن عشقه ومعشوقه خاصة إذا كان هذا المعشوق مستحقاً لهذا العشق وليس من قبيل العشق الذى تكون عاقبته عاراً ، والعاشق لا يتحدث لكى يعدد أياديه على المعشوق ، بل لأنـه بمجرد الحديث (انظر عن الحديث أو الصمت فى العشق الأبيات ٤٧١٠ وما بعده من الكتاب الثالث وشروحها) والنار الموجودة فى داخل العاشق ولا يمكن التعبير عنها أشبه بما يقوله حافظ الشيرازى :

لا أدرى من يوجد فى داخلى أنا المتعب الـقلب

فأنا صامت لكنه هو فى صياح وعويل

لعله السر الذى العاشق انه اصبح متواجداً به بحيث يصبح معه واحداً (حافظ نامه لبهاء الدين خرمشاهي ١/١٩٨) .

(١٢٦٥) : الحكاية الواردة هنا ذات تشابه بما ورد عن محمد بن على بن الحسن بإسناده عن منصور بن يونس أنه سأل الصادق رضى الله عنه عن الرجل يتباكى فى الصلاة المفروضة حتى يبكى فقال قرة عـين والله وقال إذا كان ذلك فاذكـــرونى عـــنده" وبرواية أخرى عن أبى حنيفة قال سألت أبا عبد الله عن البكاء فى الصلاة يقطع الصلاة فقال إن بكى لذكر جنة أونار فذلك هو أفضل الأعمال فى الصلاة، وإن كان ذكر ميتاً له فصلاته فاسدة .

(١٢٧١) : زويت لى الأرض : إشارة إلى الحديث النبوى { إن الله زوى لى الأرض أى

جميعها فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى إلى ما زوى لي منها } (انقروى ٣١٣/٥) ولم يتناول فروزانفر أصل الحكاية ، والواقع أنها ليست حكاية بالمعنى المفهوم ، بل مجموعة من الأفكار الصوفية وضع لها مولانا شخوصاً ، والأبيات تتناول مفهوماً شائعاً عن الوجد والتواجد، فالوجد صفة الشيوخ، والتواجد صفة المريدين ويصوره إبراهيم بن المستملى البخارى بصورة أدبية رائعة حيث إن التواجد يبدو فى ظاهره كأنه السيل المندفع لكنه عندما يصل إلى البحر يضيع فى خضمه ومن ثم فالتواجد صفة السالكين وعندما يصل السالك إلى الموطن لا يبقى التواجد (شرح التعرف ٣١/٤) والوجد خاص بكبار المشايخ لأنه بشارات الحق بالترقى إلى مقامات مشاهداته ، ومن ثم يكون التقليد من المريد مذموما (شرح التعرف ٢٦/٤) وعند الهجويرى " من شعر بالوجد فإما أن يكون مضطربا بالشوق المحرق فى حال الحجاب، أو مستكينا بالمشاهدة فى حال الكشف ،إما زفير وإما نفير ، إما حنين وإما أنين ، إما عيش وإما طيش ، إما كرب وإما طرب ، والتواجد هو تكلف الوجد بملاحظة نعم الله تعالى وآياته بالقلب والفكر فى الاتصال والرغبة فى أعمال الصالحين ، وبعضهم يتواجد على حسب الرسم ويقلدونهم بحركاتهم الظاهرة، ومثل هذا التواجد حرام لكن بعضهم يفعلونه رغبة فى الوصول إلى أحوال كبار الصوفية ومقاماتهم ومن تشبه بقوم فهو منهم ، (كشف المحجوب : الترجمة العربية ٤٩٩-٥٠١) والوجد هو أول درجات الخصوص وهو ميراث الصديق بالغيب فى قول لأبى سعيد الأعرابى وأشبه بما ورد هنا ما روى عن ذى النون المصرى من أنه سمع أبياتا من الشعر فقام وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذى يراك حين تقوم، فجلس ذلك الرجل وكان ذاك إطلاعاً من ذى النون على قلبه انه متواجد متكلف (إحياء علوم الدين ٢٩١/٢) وواضح من السياق هنا أن مولانا جلال الدين لا يحبذ التكلف فى إظهار الوجد من قبل المريدين الذين يقلدون الشيوخ تقليداً ، فإن الأمر هنا ليس بالتقليد بل بالذوق وعلى المريد أن يقتبس من نور الشيخ وألا يجد فى نفسه القابلية

على تقليده حتى فى الأمور الظاهرة .

(١٢٧٤ – ١٢٨٢) : يقدم مولانا عدداً من الأمثلة والصور لكى يبين كيف أن المريد الساذج يظن وهو لا يزال فى أول الطريق أنه قد بلغ مرحلة تتيح له أن يفعل ما يفعله الشيخ، وما ذاك إلا لأن شعاعاً من الشيخ قد سطع عليه وهو يظن أن هذا الشعاع من نفسه هو ، إن هذا الذى يظن أن الشعاع منه هو قد يزل وقد يطغي وقد يلقى به غروره هذا فى مهاوى النفاق والكفر ، فهو كالأصم الذى لا يسمع ما يقال ويرى القوم يضحكون فيضحك مثلهم ، وهو كالسلة فى الماء تظن الماء فيها وهو خارجها ، وكالمشكاة التى يتلألأ فيها ضوء القمر ، وقد وردت هذه الفكرة فى الكتاب الأول (الأبيات ٣٢٣٧-٣٢٤٠) .

ويبين مولانا فى نفس الموضع قصة كاتب الوحى ، الذى كان شعاع الرسول ﷺ ينعكس عليه ، فتجرى فى بواطنه أنهار الحكمة التى يأتى بها الوحى ، فظن أنه يوحى إليه ، إلى هذا الحد قد يدير نفسه من يظن لنفسه جناحاً قبل أن ينبت له ريش .

(١٢٨٤ – ١٢٩٦) : هناك مرحلتان لا بد وأن يمر المريد بهما المرحلة الأولى هى مرحلة الوهم والظن والخيال والتقليد، وهو فى هذه المرحلة يميل إلى النقاش والفيهقة فى الحديث والتعالم، وما أشبهه فى هذه المرحلة بالطفل الميال إلى الصخب الذى يظن بامتطائه الأعواد أنه يمتطى الخيول ويملأ حجره بقطع الفخار ويعتبرها ذهباً (انظر كليات ديوان شمس غزل رقم ١٣٥٣ ، ص ٥٢٥) وعندما يصل إلى محفل الرجال ينظر إلى حياته الماضية نظرة إشفاق وسخرية ، ويدرك أنه مهما كان ماهراً فإنه عندما يصل إلى أولئك الذين يعيشون فى البحار والمحيطات يدرك أن قدمه التى كان يسرع بها على البر كانت وسيلة متواضعة جداً وأن علمه المدعى كان يبتعد به عن العلم الحقيقى .

(١٣٠٠ – ١٣١٢) : مقابلة أخرى بين عالم المريد وعالم الشيخ ، وبين بكاء المريد وبكاء الشيخ ، وشتان ما بين هذين النوعين من البكاء، فالمريد قد يبكى لكن بكاءه قد يكون من

حزن وقـد يكون من فرح، ولا يعلم أن هناك أسباباً أخرى قـد يبكى منها الشيخ الذى قـد يكون بكاؤه وقـد يكون ضحكه لأسباب لا تدور للمريد فى خلد ، إن بكاءه مثله تماماً لابد وأن يكون من نوع آخر ، هذه العين التى تبصر ما لا يبصره الآخرون كيف يكون دمعها نابعاً من أسباب كالأسباب التى يبكى منها الآخرون؟ وكيف يمكن للمريد بوسائله القاصرة أن يدرك بكاءاً لا هو بالعقل ولا هو بالحواس وكيف يقيس نفسه به؟ كيف يقاس الليل بالنهار والبعوضة بالرياح؟! (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٤٦٣٠ وما بعده وشروحها) .
(١٣١٦ - ١٣٣٢) : كم تتشابه أشياء كثيرة فى المظهر لكنها فى المخبر متباعدة ويوجد فيما بينها بعد المشرقين ، تتشابه كل الحروف ، لكن متى كانت كل الحروف ذات تأثير كتلك الحروف التى تجىء فى فواتح السور ؟ ألم يقل ابن عباس إن لكل شىء لباباً ولباب القرآن الحواميم ؟ وألم يقل الشيخ الأكبر فى الفتوحات حاء الحواميم سر الله فى السور أخفى حقيقته عن رؤية البشر (انقروى ٣٢١/٥) لقد أخفى سر هذه الفواتح عن جبريل نفسه، وإنما كان الله سبحانه وتعالى يريد أن يعلم الرسول ﷺ شيئاً لا يريد أن يعلمه جبريل نفسه ، وقد روى فى الأخبار أن جبريل عليه السلام لما نزل بقول الله تعالى كهيعص فلما قال كاف قال النبى ﷺ علمت، فقال ها فقال علمت، فقال يا فقال علمت، فقال عين فقال علمت، فقال ص فقال علمت، فقال جبريل كيف علمت ما لم أعلم (مولوى ٢٠٠/٥وانظر أيضاً تفسير كهيعص فى الدفتر الرابع) هذا التفسير من الصوفية لفواتح السور يلتقى مع تفسيرهم للمعراج وللمرحلة التى وقف عندها جبريل وتقدم الرسولﷺ هذا الاصطفاء ميراث من الرسول ﷺ للأولياء والمشايخ المرشدين ، فإياك أن تظنهم مثلك ويشبهونك ولا تقم بقياس حالك على أحوال الأطهار ، فهناك فرق شاسع بين كلمتى "شير" بمعنى أسد و "شير" بمعنى لبن وان كانت يكتبان فى صورة واحدة وهذا من أوائل الموضوعات التى تحدث عنها مولانا جلال الدين فى المثنوى ولا يفتأ يعود إليها بين الآن والآخر (انظر الكتاب الأول الأبيات :٢٦٤-

٢٧٧وشروحهـــا) .

مثل هذا الدق الشديد على هذا الموضوع بين طبيعة نظرة مولانا جلال الدين التى تحاول أن تعرى النفاق والتقليد والوقوف على الظاهر والتظاهر ، إن الناس ينظرون نظرات سطحية ، يحبون ويبغضون ، يوافقون ويعترضون ، وفي موقف الاعتراض ، تضيع كثير من الأمور الدقيقة التى لا يدركها كل إنسان، إنها في حاجة إلى ذوق ، وإلى مرشد ، وإلى معلم ، وكم من المصائب والكوارث يقع فيها الإنسان الذى يظن أنه أصبح كبيراً على المرشد وعلى المعلم ويريد أن يتظاهر بالإرشاد والتعليم ، فيورد نفسه موارد التهلكة .

(١٣٣٣) : بهذا البيت تبدأ واحدة من أكثر حكايات مثنوى مولانا جلال الدين إثارة للنقاش والاستهجان بحيث قال محمد تقى جعفرى صراحة أن مثل هذا الحديث ومثل هذا الأسلوب لم يكن منتظراً من مولانا ولا كان يصح أن يصدر عنه (محمد تقى جعفرى مثنوى ٤٧٥/١١) ، ومن ثم لم يشرح الحكاية ولم يعلق عليها والحكاية من الحكايات الشائعة فى المأثور الشعبى ، ويقوم عليها مثل يقول "كيرديدى كدو نديدى" "رأيت الذكر ولم تر القرعة" لمن يرى محاسن الشىء دون أن يرى مخاطره ، وذكر استعلامى أن الحكاية لا مثيل لها قبل جلال الدين والواقع أنها موجودة فى المأثور الشعبى المصرى بكل تفصيلاتها وأذكر أننى سمعتها منذ وقت بعيد كما ذكر زرين كوب "سرنى ، جلد١ ، ص ٣٢٥ ، ط٣ ، تهران علمى ١٣٦٨" نقلاً عن نيكلسون أن القصة تذكر فى بعض تفصيلاتها بالقصة اليونانية المسخ القائمة على ممارسة امرأة للجنس مع حمار كان إنساناً ومسخه أحد السحرة. والواقع أن ثورة شراح المثنوى من المعاصرين على هذه الحكاية ليس له ما يبرره ، فأمثال هذه الحكايات عند مولانا تضرب للتمثيل ولشرح معان سامية ، وطالما قلنا أن المثنوى نص متعدد المستويات ، وهو نص تعليمى فى المقام الأول ، ووجود الحكايات ذات المدلول الجنسى منه ضرورة كان العصر يتقبلها ، وكل موسوعات الفكر الإسلامى التراثى تحتوى على أبواب كاملة تتحدث

صراحة عن الأمور الجنسية ، فلم يكن القوم ينظرون إليها نظرة الحرج التى ينظر بها المعاصرون ، وطالما دق سنائى ودق جلال الرومى على أن هزلها ليس هزلاً إنه تعليم ، ومستويات المريدين متفاوتة ، وقوة التعبير فى هذه الموضوعات تستلزم قدراً من الصراحة، والموقف كله موقف شاذ ، موقف المرأة التى تمارس الجنس مع حمار ، وفى ألف ليلة وليلة هناك جارية تمارس الجنس مع دب ، وحكايات هذه العلاقات الشاذة جزء من التراث الإنسانى نظر إليها الإسلام نظرته إلى موضوعات عادية جداً وطبيعية جداً وجزء من النفس البشرية وضعفها والتوائها وسقوطها، وهذا النص "القضاه الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضى التنوخى وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار للعقار، وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، فإذا أصبحوا عادوا إلى عادتهم فى التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء" (ياقوت الحموى معجم الأدباء ١٦٦/١٤ عن الإسلام والجنس تأليف عبد الوهاب بو حديبة ترجمة هالة العورى ص ١٩٠ القاهرة مدبولى ١٩٨٧) والنص التالى أيضاً من مسامرة أبى حيان التوحيدى للوزير أبى عبد الله العارض ومحادثته فى شتى صنوف المعرفة الإنسانية التى امتدت إلى أربعين ليلة ، ولنلق نظرة على الموضوع الذى تناولته الليلة الثامنة عشرة "وقال مرة: تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ونأخذ من الهزل بنصيب وافر، فإن الجد قد كدنا ونال من قوانا وملأنا قبضاً وكرباً ، هات من عندك ، قلت : قال حسنون المجنون بالكوفة يوماً وقد اجتمع إليه المجان يصف كل واحد منهم لذات الدنيا فقال : أما أنا فأصف ما جربته فقالوا : هات فقال : الأمن والعافية وصفع الصلع الزرق وحك الجرب وأكل الرمان فى الصيف والطلاء فى كل شهرين وإتيان النساء الرعن والصبيان الزعر ، والمشى بلا سراويل بين يدى من لا تحتشمه ،

والعربدة على الثقيل ، وقلة خلاف من تحبه والتمرس بالحمقى ومؤاخاة ذوى الرفاء ، وترك معاشرة السفلة" ومتن المؤانسة فى هذه الليلة لتغطى عشر صفحات من المجون ، ويعلق الناشر الذى علته حمرة الخجل "ويلاحظ أن المؤلف قد أتى فى هذه الليلة ببعض المجون الساقط والنوادر المبتذلة ولولا الأمانة العلية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عن الذوق" (الإسلام والجنس ١٨٦-١٨٧) نعم قد ينفر الذوق الغربى أو المستغرب الذى ينظر إلى الجنس فى الأصل كخطيئة وليس كجانب طبيعى من جوانب الحياة ، أو على الأقل كنوع من الضعف كما نظر إليه مولانا ، ومن هنا ترجم نيكلسون بعض أبيات الحكاية إلى اللاتينية لكى تكون فى متناول بعض خاصة المثقفين فحسب ، وهذا الموقف ناشئ عن اختلاف النظرة واختلاف التراث ، فالأدب الجنسى يمتد فى تراثنا الإسلامى عبر الف عام منذ الجاحظ وحتى حسن خان (مؤلف عثمانى فى القرن التاسع عشر) وقد أورد ابن النديم فى الفهرست قائمة بمائة رسالة ونيف لم يبق منها إلا القليل (يرجع إلى عرض ما تبقى منها فى الكتاب القيم الإسلام والجنس من ص ٢٠٣-٢٢٢) فلم يكن جلال الدين بدعاً لا فى تيار الآداب الإسلامية على وجه العموم ولا فى تيار الأدب الفارسى ، فقد كان معاصره الشيخ سعدى الشيرازى حكيماً لا يشق له غبار ومع ذلك كتب الخبائث والهزليات والمضحكات وهو مؤلف الكلستان والبستان ومن قبله كان سنائى ذلك الأستاذ الجهم ومع ذلك فقد ضمن حديقة الحقيقة حكايات لا تقل ابتذالاً "فى مفهومنا" عن هذه الحكاية، ومن بعده كان عبيد الزاكانى أعظم شعراء الفرس فى فن السخرية ، ومعهم وقبلهم كان سوزنى وأبو العلاء الكنجوى ، وعندما سقط بعض هذا التراث فى شعر الشاعر المعاصر ايرج ميرزا جلال الممالك قامت الدنيا ولم تقعد على كل حال كان مولانا جلال الدين بهذه الحكاية يحاول أن يشرح لنا بشاعة الشذوذ والجهل معاً ، والجهل المركب الذى يأخذ من الأمور بطرف لكنه يتكبر عن السؤال فتكون النهاية المفجعة بمفاد "كل ناقص ملعون" وهو حديث نبوى .

(١٣٤٢) : "من طلب شيئاً وجد وجد" ومن قرع باباً ولج ولج" حديثان منسوبان إلى الرسول ﷺ (انقروى ٣٢٧/٥) .

(١٣٦٣ - ١٣٦٤) : فسر استعلامى (٢٨٢/٥) البيتين بأنها صارت سعيدة سعادة من صار ماعزه الفاً ، وهذا تفسير خاطئ فالحديث حقاً عن شهوة الماعز ، وعن أن الماعز تصاد لإسراعها خلف الذكر من جبل إلى جبل بحيث إن الصيادين يكمنون بين جبلين عارفين بأن الماعز سوف تقفز إلى الذكر من جبل إلى آخر ، وتصور لها الشهوة أن المسافة بين الجبلين قصيرة للغاية فتسقط (من شهوتها) فريسة سهلة للصيادين (أنظر الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين الأبيات ٨٠٧-٨١٧ وشروحها) .

(١٣٦٧): من أجل الانجذاب والتحول انظر الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين الأبيات ٤٧٢٢-٤٧٢٥ وشرحها) .

(١٣٧٣-١٣٨٢): نفس التفسير النبوى لقوة الشهوة ، إذا أمر الرسول ﷺ بالصوم ، ويدق مولانا فى مواضع كثيرة من المثنوى على قلة الطعام اتباعاً للصوفية الذين قالوا "أم الشهوات شهوة الطعام" وفى هذا الجزء من المثنوى تفسير للحديث النبوى { المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء } (وينظر أيضاً الأبيات ١٦٣١-١٦٥١ و ١٩٧٢" من الكتاب الأول) لكن مولانا يلجأ إلى التوسط والاعتدال ، ولا يأمر بقمع الشهوة قمعاً كاملاً أو تجاهلها ، فلا رهبانية فى الإسلام وينصح بالزواج ، والقط يرمز إلى هوى النفس وكثيراً ما استخدم مولانا هذا التعبير ، أما الشحمة فهى التقوى وسلامة الروح ، وسرقة القط للشحمة مثل فارسي سائر ، وقد ربط نيكلسون بين هذا البيت وقصة الرجل النفاج الذى كان يدهم شاربه بالشحمة الواردة فى الكتاب الثالث (البيت ٧٥٨ وما بعده) ولا علاقة بينهما ، والحمار الذى يبرطع هو الشهوة ، والقدر والنار والحساء كلها رموز جنسية لا تخفى ، والمقصود كله كبح جماح الشهوة وإلا أحرقت صاحبها بنارها .

(١٣٩١): عذاب الخزى هو الواردة فى الآية الكريمة ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرا فى أيام نحسات لنذيقنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ (فصلت ١٦) .

(١٣٩٢ - ١٣٩٩) : المستفاد من هذه الحكاية أن هذا الحمار ما هو إلا النفس البهيمية ، وما الخاضع للنفس البهيمية إلا مثل تلك المرأة العجوز التى هلكت هلاكاً مقترناً بالفضيحة والعار ، وهكذا فان الناس في القيامة يحشرون على صورة نفوسهم ويحشرون على صورة الحيوانات التى تمثلها نفوسهم (انظر الكتاب الرابع ٣٦٦٤) والنار ولا العار صورة تكررت فى الكتاب الثالث (انظر البيت ٣٩٤) ، لكن هذا العار كله من نار الشهوات ونار الكفر ونار العناد ، ونار الحرص التى جعلت تلك المرأة تأكل لقمة أكبر من حلقها فغض حلقها بلقمة الموت المقترن بالعار والفضيحة ، الموت السئ المستقبح ، والحشر المفتضح ، إن كان مشغولاً فى الدنيا بالمأكل يحشر على موجب حظ نفسه سكران، وان كان نَاماً وفتانا يحشر بشكل القردة وإن كان مكاراً وغدار ومتغلباً علي الخلق لأجل حظ نفسه يحشر بشكل الجعل، وإن كان ديوثاً آكلاً للمال الحرام يحشر بشكل الخنزير، وإن كان مؤذياً للمؤمنين جافيا يحشر بشكل الحيات والعقارب (مولوى ٥/٣١٠) .

(١٤٠٠- ١٤٠٣) : إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق كل شئ خلقه كما ينبغى وجعل للميزان لساناً حتى يميز الأوزان من نقص وزيادة ، وأقرأ من سورة الرحمن ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ (الرحمن٧-٩) فلا ميل بالهوى إلى إفراط أو تفريط فلتقم لنفسك ميزاناً عند كل أمر ، ولا تترك الميزان من حرصك ، فمن الحرص والطمع تحيد عن العدل وعن القسط وعن حقائق الأمور والحريص طالب لكل شئ فاقد لكل شئ ، فلا أحد يريد كل شئ ويظفر به ، وكل شئ فى هذا العالم وضع بالقسط ووضع بالميزان ، وإن رغبت أنت فى كل شئ ، فإنك فى الوقت نفسه تفقد

كل شئ ، فإياك والحرص أيها الحقير التافه الذى ولدت من حقير تافه لم يعلمك أن تكون مقسطاً فى مطالبك ، وإلا فكل حريص محروم والحرص يوقع المرء فى الفقر كما قال الإمام على ﷺ .

(١٤٠٤-١٤١٧) : إن الجارية تنعى سيدتها وتنقدها وتقدم الدرس المستفاد من الحكاية هذا الدرس الذى يقول أن كل من يظن نفسه استاذاً ويستنكف عن السؤال عما لا يفهم فإنه فى الحقيقة يقوم بعمل أخرق وأهوج يعود بالسوء عليه هو نفسه قبل كل الناس، ومستويات هذا الدرس عديدة بداية من ذلك الذى يأخذ من استاذ حرفته علماً ناقصاً ، ثم يبدأ فى الاستقلال عنه فلا يكون مثله ، إلى ذلك المتعلم المستفيد الذى يظن نفسه استاذاً قبل الأوان، إلى ذلك المريد الذى يظن نفسه قد أصبح شيخاً وفى غنى عن إرشادات الشيخ فهو يضرب فى كل بيداء على الشبهة وعلى الظن الذى يعتبره علماً ، وما أشبههم جميعاً بهذا الطائر الذى ترك البيدر وطار فى أثر كل حب فسقط فى الشراك وأخذ الشراك بعنقه، وأكل العاقل لنعم فى مقابل تجرع الجاهل للأحزان وحمل هموم الدنيا من أفكار سنائى الغزنوى (الأبيات ٥٤٩٩-٥٥٠٢من حديقة الحقيقة) والشراك هو الطمع والتقاط الحب يعنى طلب القوت من غير موضعه "أو طلب العلم من حيث لا ينبغى" أو طلب الإرشاد من مرشد مزيف أو من لا مرشد على الاطلاق ، إن هذا يكون أشبه بالطائر الذى يلتقط الحب وهو فى الشراك ويكون فى هذا الحب موته ، وهكذا شراك الدنيا وشهواتها، وهكذا العوام فى شراك الدنيا وشهواتها من أموال وأولاد وجاه ومنصب و... إلى آخره ، إنهم لا يزالون يرعون كالبهائم حتى تأخذهم سكين الأجل ، وماتوا وهو فى شراك الدنيا بعكس الطيور الذكية التى ابتعدت عن هذه الشباك ، والعاقبة أن الطيور البلهاء أصبحت لحومها طعاماً للنار ، أما الطيور الذكية فهى فى غناء وتغريد، وصاحب الشباك هو الله الواحد القهار ، وهو بشباكه التى يضعها فى الدنيا يستطيع أن يميز بين طيوره الذكية وطيوره الغبية .

(١٤٢٣ - ١٤٢٩) : هنا مستوى ثان من مستويات هذه الحكاية ويتناول أولئك الذين يقتربون من الطريق فيعتبرون أن المشيخة هى مجرد المظهر ولبس الصوف ، وهناك أيضاً من لم يحترف فى طريق الرجال إلا فترة قصيرة ، لكنه لم يتعلم من ملوك الطريق إلا قشور الكلام دون لباب المعنى ، تراك تظن أن كل عصا هى عصا موسى عليه السلام وأن كل نفخة هى نفخة عيسى عليه السلام إياك أن تظن هذا أو تدعيه وإلا تعرضت لامتحانات عسيرة يضعها الحى الباقى كل يوم أمام المدعين "انظر عن المدعين وامتحانات المدعين الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها" ، ولا بد أنك سوف تسألنى وما الدليل الذى أستطيع به أن أميز بين شيخ مزيف وشيخ حقيقى ، فلتسأل الأستاذ الباقى "الله سبحانه وتعالى" فلا أحد يستطيع أن يدلك على الطريق سواه فان كل حريص أعمى وأخرس ، ولقد تركت هذا الأستاذ الباقى وأسرعت فى أثر هذا وذاك ، وطلبت كل سبل الطريقة دون أستاذ، فتخلفت عنها جميعاً ولم تظفر منها بشئ ، وبدلاً من أن تتبع شيخاً أو أستاذاً صادتك الذئاب والبشرية التى تقتات على لحمك وعلى دمك ، تراك تستطيع أن تكون ترجماناً وأنت لم تتقن بعد لغة المشايخ والكاملين ؟ ما أشبهك ببغاء تردد الألفاظ دون أن تدرى لها معنى .

(١٤٣٠) : يفسر مولانا في هذا المثال أنه كما يتعلم الببغاء النطق عن طريق مرآة يرى فيها صورته هو ويحدثه إنسان دون أن يظهر فى المرآة فإن البشر أيضاً يتعلمون وحى الحق عن طريق الأنبياء والأولياء والكاملين من المشايخ الذين تكون عندهم طاقة تلقى عطايا الحق وتستطيع أرواحهم أن تتحمل هذه العطايا مباشرة ، ومن هنا فإن المريد الممتلئ جهلاً لا يرى من مرآة الولى (جسد الولى) إلا نفس هذا الحديث (دون أن يدرك لبابه) فضلاً عن عدم إدراكه أنه ليس حديثه فى الأصل لكنه حديث الحق على لسانه ، وفيض العقل الكلى يتجلى فى بيانه ، والآية القرآنية المذكورة ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾ (القيامة ١٦-١٩) فإذا كان الله سبحانه وتعالى

طلب من الرسول ﷺ نمطاً معيناً فى تلـقى الوحى ، وقال لنبيه وحبيبه وصفيه ﴿لا تحـرك بـه لسانك) وقال فى موضع آخر (وما ينطـق عن الهوى ، إن هـو إلا وحـى يوحـى،علمـه شديد الـقوى ﴾ (النجم ٣-٥) فما بالك تعجل وتسرع وترتدى لباس المشيخة وأنت لم تشب على الطوق ؟ وفى النهاية فإن "المؤمن مرآة المؤمن" الجامع الصغير ١٨٤/٢" والمقصود فى آخر العنوان بأنه مثال لا مثل أن المثال هنا لا ينطبق تماماً على ما ضرب له بل التشابه من جمعه ما (انظر الكتاب الرابع البيت ٤٦٢) .

(١٤٣٣) : الذنب الـقـديم هنا هو ذلك الأستاذ المدرب الخبير الذى يأخذ على عاتقه عملية تعليم الببغاء أو المرشد الذى يأخذ المريد الفج وهو أشبه بالطائر ويجعل منه شيخاً كبيراً وليس الأمر كما قال استعلامى أن التعبير لو قصد بـه الله سبحانه وتعالى فليس تركاً لـلأدب (استعلامى ٢٨٥/٥) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(١٤٣٨ - ١٤٤٢) : فرق كبير بين ذلك المريد الذى يرى من الشيخ مجرد كلامه وبين ذلك النديم (الصاحب والصديق والمتفهم) فهو كمن يتعلم الحروف وشتان بين هذه الحروف وبين السر الأزلى (سـر العشق وسر الخلة وسر تلـقى الفيض مباشرة) إنه مجرد ببغاء يردد الحروف ، وهناك من يقول أنه يعلم صغير الطير ، إنه يستطيع أن يقلد هذا الطير لكى يسقطه فى شباكه ، لكن فرداً واحداً هو الذى تعلم لغة الطير وهو سليمان عليه السلام ، فليس كل من قلد صغير الطير استطاع أن يفهم لغة هذا الطير ورجل الحق أيضاً مثله (لتشبيه رجل الحق بسليمان عليه السلام انظر الكتاب الرابع البيت ١٤٣٩ وشروحه) .

(١٤٤٣ - ١٤٤٤) : إن الناس يرددون ألفاظ الدراويش ، ولا يفـتأون يقولون : قال بعض العارفين أو بعض المشايخ ، وهم يزينون محـافلهم ومجالسـهم بهـذه الأقـوال ويرددونـها كالببغاوات ، لكن هذا فى حد ذاته لا بأس به فإما أن هذا هو رزقهم وهذه عطاياهم ، وإما أنـه من الممكن فيها أن يبدى لهم الله سبحانه وتعالى الطريق إلى الحقيقة ، فمن العطاء الـقليل يكون العطاء الكثير، ومن المجاز هناك سبيل إلى الحقيقة .

(١٤٤٥) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت لم ترد فى مصدر قبل جلال الدين الرومى ، وأحد أصحاب القلوب أى أحد العارفين (انظر البيت ١٦١٣ من الكتاب الأول والبيت ٢٢٤٣ من الكتاب الثالث) أما ما يعلم تأويله فإشارة إلى الآية الكريمة ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (آل عمران ٧) . والأربعينية المذكورة فى البيت يعنى الخلوة الأربعينية (ذات الأربعين يوما) وقد يطويها (أى يصومها صوماً متتابعاً) بعض المريدين (انظر الكتاب الثانى البيت ٢٥ وانظر تقاليدها عند المولوية كتاب عبد الباقى جلبنارلى (Mevlanadan Sonra Mevlevlik ss. 391-398 والترجمة الفارسية لتوفيق سبحانى مولويه بعد از مولانا ٤٦٨ – ٤٧٣) والراسخون في العلم أولئك الذين لا تزلزل عقائدهم أمام بعض الصعوبات التى يجدونها في المتشابه مثلما لا تزلزل قلوبهم أمام مصائب الحياة ، أولئك الذين يقولون مثلما قال على ﷺ " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، و " إنى على بينة من ربى " و " ما شككت في حق مذ رأيته " ، (جعفرى ٤٨١/١١-٤٨٢) .

(١٤٤٩) : الواقعة في مصطلح الصوفية حالة مفاجئة من اليقظة وكشف الأسرار (انظر الكتاب الثالث البيت ٣٦٥٨ وشرحه) وهو يسمى الحلم هنا بالواقعة لأن في أحلام العارفين قد تتكشف الأسرار أيضاً (استعلامى ٢٨٩/٥) .

(١٤٥٢) : روضة الذكر وحديقة التفاح كناية عن جمع الخاطر وفراغ البال الذي يمكن الدرويش من الذكر .

(١٤٥٣ – ١٤٦٠) : الجهال أي أولئك الذين لا يعرفون أسرار الغيب ومع ذلك يظنون أنهم يعرفونها ، أما الحجب والأستار فهى علائق الدنيا ومشاغلها التى تمنع عن إدراك الحقائق

وإغماض العيون كناية عن عدم إبصار الحقائق (انظر البيت ٢١٩٨ من الكتاب الأول و ٥٧٢ من الكتاب الثانى وعن إغماض العيون انظر الكتاب الثالث ، البيت ١١٠٩ وشروحه) ، وعن الضعف في البصر أو العلل في البصر ، انظر (٦٧٣ و ١٤٤٤ من الكتاب الرابع) ، وهؤلاء جميعا يريدون بنفاجهم وإدعاءاتهم المريدين والاتباع والمشجعين، إنهم يبيعون بضاعة فاسدة فلا يشتريها إلا من فسدت أذواقهم ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ إنهم يفتون بلا رؤية ، يصفون دون بصر ونظرو يتحدثون عما لا يعرفون " يملأون " الأنظار فحسب ، لكنهم لا يملأون القلوب ، وما مشتريهم إلا جاهل غمر أو ريفى غفل (لمعانى الريفى عند مولانا جلال الدين ، انظر : الكتاب الثالث ، الأبيات ٦٤٢ - ٦٤٦ وشروحها) ، وما القمر في هذه الأبيات إلا مثال لسطوع الحقيقة وعالم الغيب ، فإذا كان هذا ديدنهم في الحقائق الساطعة فما بالك بهم في خفيات الأمور .

(١٤٦١ - ١٤٦٥): المشترى هنا هو الله سبحانه وتعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة /١١١) ، (أنظر الكتاب الأول ، ٢٧٢١) . قال نجم الدين : أي يبذلون النفس لأجل الجهاد الأصغر فيقتلون أي يطلبون الجنة بصرف المال في مصالح الجهاد وبذل النفس فإما أن يقتلوا الأعداء فهم الغزاة فلهم الجنة وإما أن تقتلهم الأعداء فهم الشهداء فلهم الجنة ، والجهاد الأكبر مع النفس المتمردة يجاهدون في سبيل الله أي في طلب الله، وهو لأهل الجهاد الأكبر فيقتلون ويقتلون أي يقتلون النفس الأمارة بالسوء بسيف الصدق ومخالفة هواها وتبديل أخلاقها وبذل المال في مصالح قتلها ، والجهاد معها فعند فنائها يصل العبد إلى ربه ويقتلون يعنى تقتل النفس بجذبات الألوهية وتجلى صفات الربوبية (مولوى ٥/٢١٩-٢٢٠) . هذا هو المشترى الذي إذا تقربت منه شبرا تقرب منك ذراعا وإذا سعيت إليه مشيا سعى إليك هرولة ، وهو فوق كل شئ عالم بمبدئك ومنتهاك ، وضميرك ونجواك ، إنه " يشتريك " ، برغم ما يعلم عنك ويجذبك برسن لطفه ، ويدعوك ويناجيك

ويضع عفى فمك الدعاء ويهبك الاستجابة ، وإياك أن تجمع بينه وبين معشوق آخر ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وهو الواحد الأحد يغفر كل شئ إلا أن يشرك به .

(١٤٦٦ - ١٤٧٢) : أي مشتر تعدله بالله سبحانه وتعالى ؟! وأية فائدة تتأتى منه ، أله قيمة عقلك وحجاك حتى تسلمه هذا العقل والحجى؟! فلتسلم العقل والحجى لمن منه العقل والحجى ، وليس أولئك الذين تعرض عليهم الغالى وهم لا يملكون ثمن الرخيص ، وما هذا إلا من حرصك " والحريص محروم " ، (انظر البيت ١٤٠٤ من هذا الكتاب) والشيطان يدفعك إلى الحرص ويخوفك من الفقر ويأمرك بالفحشاء والمنكر ليجعلك ملعونا مثله ، فهكذا وعد ﴿لأحتنكن ذريته أجمعين ﴾ و ﴿ لا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ، هذا هو مشتريك في أية صورة كان وما أكثر الصور التى يتجسد فيها الشيطان في زماننا ، هذا هو مشتريك إن لم يشترك الله سبحانه وتعالى ، والشيطان ديدنه الإغواء والإهلاك فاعتبر بقوم لوط أو بأصحاب الفيل " أو بأصحاب الكرملين " ، وتدبر أمرك ، وأطلب المشترى بصبر ﴿واصطبر على عبادته﴾ ، وإلا كنت في التعساء الأشقياء الفانين " لأنهم لم يبقوا ببقاء الحق " ، (انظرمقدمة الترجمة العربية من الكتاب الثالث) وإن كنت تريد مثالا على أن الحريص محروم فإليك المثال مما ورد عن أهل ضروان .

(١٤٧٣) : الحكاية الواردة ابتداء من هذا البيت تكملة لما بدأه مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث بداية من البيت ٤٧٤ ، وتركها بعد بضعة أبيات دون أن يستمر فيها وهى بجملتها معتمدة - بخلاف بعض الجزئيات - على ما ورد في سورة القلم ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذا أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون ، قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ، قالوا

سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ (آيات ١٧ – ٣٢) وموضوع أنه كان يخرج زكاة المحصول كلما تغيرت قيمة المحصول " المادية والاستهلاكية " ، تثير مسألة فقهية مهمة جدا وهي هل تجب الزكاة على المحصول مرة واحدة أم تجب عليه كلما تغيرت قيمته ، أو تحول من مادة خام إلى سلعة صناعية وربما تعرض لها الشارع في باب زكاة الثمار وفيها أقوال كثيرة يضيق المجال عن ذكرها (انظر محمد جواد مغنية ، الفقه على المذاهب الخمسة ، ص ١٧٤ ، بيروت دار الجواد ١٩٨٤) . وبالنسبة للعين المقدرة اللعواقب الواردة في ١٤٧٣ ، انظر الفرق بينها وبين العين الناظرة إلىالمزود البيت ٢٥٩٥ – من الكتاب الأول ، و ١٥٧٢ من الكتاب الثانى وأيضاً في الكتاب الثالث ، الأبيات رقم ٢٧٦ – ٢٧٨ وشروحها . وضروان حديقة كانت بالقرب من صنعاء .

(١٤٨٨ – ١٤٩٩) : المقصود من محل الكسب أو موضع الدخل كما سيتضح هو الحضرة الإلهية ، وما الزرع بالنسبة للزارع وما الجلد بالنسبة للإسكافى إلا أسباب أو كما يحلو لمولانا جلال الدين تسميتها " دريئات " ، أي مظاهر تخفى الحقيقة وتنوب عنها ، وإلا فمن الممكن أن يصنع الخفاف أخفاف ولا يشتريها أحد ، ومن الممكن للزارع أن يزرع ، فإن تأخر الزرع في النمو ، لم يجد أمامه إلا الحضرة الإلهية فهى أصل الرزق ، وكلها طرق " أسباب " ، ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ (فاطر /٣) ، وإذا كان الأمر كذلك فأعلم أن رزقك فيه لا من هذا وذاك ، ونشوتك وسكرك بالفيوضات لا من أي مخدر أو خمر تتعاطاه ، وكن آملا في عطائه لا في عطاء يؤول لك من علم أو يؤول لك من مال ، واطلب النصر منه لا من قومك وعصبتك فهو الحى الباقى ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾، وذات يوم سوف تصير أمامه فردا ، فكن باقيا ببقائه حتى لا تفنى (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (الأنبياء / ١٠٥) .

(١٥٠٠- ١٥١٣) : ﴿يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (عبس / ٣٤-٣٧) . ألم تكن هذه هى الصور التى افتتنت بها وانصرفت عمن صورها ؟! سوف تكتشف في هذا اليوم أن كل هؤلاء كانوا أعداءً لك ، كانوا يصرفونك عن وجه الله ، كنت تأتنس بهم ناسيا الأنس بالله، كان رأيهم فيك يهمك ، ولا تقيس ما تفعل بما يرضى الله وبما يغضبه ، فهيا إن حدث لك اليوم إن انصرفوا عنك ، فلا تحزن ، لأن هذا ليس سببا للحزن بل هو مدعاة للسعادة ، فإن ذلك اليوم الذي يكون فيه ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ (الزخرف /٦٧) قد عجل لك صارت القيامة واقعا بالنسبة لك ، إنك جدير بالتهنئة لأنك أدركت عيب البضاعة المعيوبة مبكرا ، وانصرف عنك غرم السلعة الفاسدة وانكشف لك زيف ذلك المعدن الخسيس الذي كنت تظنه ذهبا ومن ثم فعليك أن تبتعد عنه بأسرع ما يمكنك .

(١٥١٤ - ١٥٢٥) : مالك تبكي وتنوح إن أبدى لك من تظنه صديقا العداوة ، وطفح عليه جرب حقده وحسده ، وظهرت على وجهه سخائم قلبه، أولى بك أن تفرح وتوزع الصدقات أن تلك العلاقة التى كنت تظنها صداقة لم تدم طويلا. (انظر الكتاب الرابع ، الترجمة العربية ، الأبيات ٩٤-٩٩ وشروحها) . وأن يكون هذا مدعاة للبحث عن الصديق السرمدى الدائم ، الذي يخلص لك الود ولا ينقلب عليك ، تظهر مودته أكثر توثقا بعد موتك ، إنه عملك ، أو شيخك أو ذلك الذي يكون سلطانا على القلوب وملكا على المعانى ، ويثيب ودك ودا ، وإخلاصك إخلاصا ، أو يكون قد تخلق بأخلاق هذا السلطان وصار ربانيا تقبل شفاعته ، إن هذا هو الجدير حقا بالصداقة وليس ذلك المزور المحتال الذي نجوت منه ، إن النجاة منه وذلك الجفاء الذي يبديه لك الخلق هو من كنوز الدنيا والآخرة، فالإنسان لابد أن ينتمى ولابد أن يختار، إما أن يكون من هذه الناحية(الدنيا)أو من تلك الناحية (الآخرة)، وألم تبصر عشرات المرات أن الدنيا عندما تدبر عن إنسان ويفتح عينيه فجأة فيجد من كان يظنهم أصدقاءه مجرد منتفعين وأقاربه

مجرد " ورثة " ، أليس من الطبيعي أن يلجأ إلى الناحية الأخرى ، لا تقل أن هذه نظرة تشاؤم وسوء ظن بالناس ، فحتى إن لم يكن قد حدث لك ذلك حتى الآن ، فسوف يحدث عندما تغادر هذه الدنيا وينقطع نفع المنتفع منك ، تكون وحدك في القبر تدعو دعاء زكريا عليه السلام ﴿ رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ﴾ (الأنبياء ٨٩) سوف تجأر بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى حين تدرك أن جفاءه سبحانه وتعالى خير من عهود الأوفياء ، فإنه سبحانه وتعالى قد يغفر بعد التوبة وقد يبدل السيئات حسنات ، إن هذا الجفاء أحلى من عهود الأوفياء ، بل إن شهد الأوفياء من عطائك أيضاً .

(١٥٢٦ – ١٥٢٩) : وأنت يا صاحب الأهراء الذي لا تزال تخزن القمح وتظن أن في ذلك نفعا ، أبذر قمحك في أرض الله ، أنفقه في سبيل الله ، فإن هذه هي التجارة التي لن تبور ، اجعل كل عملك وقدرتك في سبيل الله (انظر الكتاب الرابع ، بيت ١٠٨٩) . إن هذا هو المال الذي لا يسرقه لص ، وهذا هو القمح الذي لا يصاب بآفة ، فلا أرضة العقل والتدبير تصيبه ولا شيطان الهوى ، ودعك من الشيطان الذي يخوفك من الفقر ، ويأمرك بالفحشاء ويمنعك من الإنفاق ، فإن كنت صقرا جارحا في الطريق ، فلا تجعل هذه " القطا " تصيدك . فمن العار لبازي السلطان (انظر البيت رقم ١١٣٥ من الكتاب الثاني) ، الذي أعزه السلطان وكرمه ورزقه في البر والبحر وقربه منه ، أن يصيده طائر ضعيف مثل القطاة .

(١٥٣٠ – ١٥٣٦) : عودة إلى الأب الذي يوصي أبناءه ، لكن نصيحة لم تجد نفعا ، كما لا تنفع البذور في الأرض البور ، لم تكن مداركهم تقوى على هذه الحقائق وهم أهل ظاهر وحساب مكسب وخسارة و " دخل عام " ، و " دخل خاص " ، فالأب إنما يتكلم بلغة ، أما الأبناء فيتعاملون بلغة أخرى ، ولغته ونصيحته إنما ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ (الحاقة /١٢) ، وإن الذكرى تكون لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، قال نجم الدين كبرى : " هو القلب السليم من تعلقات الكونين فالقلوب أربعة ، قلب القاسي وهو قلب الكافر وقلب مقفول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سليم وهو قلب المحبين والمحبوبين الذين هم مرآة صفات جلال الله وجماله أو ألقى السمع وهو شهيد أي من لم يكن له قلب على هذه الصفة لا يكون له سمع يسمع بالله وهو حاضر مع الله فيعتبر بما يشير إليه الله في إظهار اللطف أو القهر (مولوى ٥/٢٢٨-٢٢٩) . وعندما لا يكون ثم مستمع ، أو يكون هناك مستمع لكنه لا يهتم ، فإن القائل نفسه يصاب بالإحباط

(لشروح أوسع لـهذه الفكرة ، انظر الكتاب الثالث من المثنوى المعنوى ، الأبـيات ٣٦٠٤-٣٦١٩ وشروحها) والدليل الأنبياء ، لـقـد أثـرت أنـفــاس بعضهم فـي الحجـر (كـان الحجر يؤوب مع داود) وتحدث الحجر إلى داود وقال خذنى معك لقتال جالوت (انظر الكتـاب الثـالث البـيت ٢٤٩٧) ، لكن قلوب الكفرة وغير المنتصحين أشد قسوة ﴿ ثم قست قلوبكم مـن بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منـه الأنهـار ﴾ (البقرة /٧٤) . لكن قيد الكفر أشد إحكاما وأشد قسوة ، وقيد الأنية وعبادة الذات أشد إحكاما وقسوة ، ومـن ضرب عليه بميسم الشقاء لا يدرك شيئاً ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، ومنهم شقى وسعـيد (بالنسبة لـلشقى ، انظر البيت ٢١٣٤ من الكتاب الثالث) .

(١٥٣٧ - ١٥٤٦): يناقش مولانا في هذه الأبـيات قضية غالبا ما تـثار على مستويات عديدة: هل العطايا على مستوى الـقابليات بالفعل ، وهل يعطى الـلـه الإنسان بقــدر تقبلــه ؟! هل يعطى الـلـه الإنسان لأنه جدير بالعطيـة ؟! أم أن عطـاءه سبحانه وتعـالى ليـس مستندا علـى سبب من الأسباب ، أو على الأقل تلك الأسباب التـى تعـيها مداركنا ؟! لمـاذا تـرك سـبحانه وتعالى هذه الـقلوب الـقاسية التى لا حيلة لـها إلا عطاء مبدل ، وهل يكـون العطـاء المبدل لـلـقلوب الـقاسية ، يجيب الصوفية : " فـإن قلت أن الـلـه تعـالى يتجلـى علـى العبد بحسـب قابليته واستعداده فكيـف تكون لغير الـقابل، فـتجاب أن الـلــه تعـالى لــه فيضـان : فيض أقـدس وفيض مقـدس ، فـالفيض الأقـدس الفيض الآتى فى الذات الإلهية إلى الأعـيان الثابتة فـانه عار من شوائب الكثرة مثالــه كالنور الآتى من قرص الشمس إلى الزجاجات المتنوعـة، والفيض المقدس الفيض الآتى على الأرواح من أعـيان ثابتة كل أحد مناسب لاستعداده الأزلى مثالـه كالألوان المختلفة والأنوار المتكونة مـن الزجاجـات المتنوعـة داخـل البـيت، فـالفيض الأقدس ليس موقوفـا على القابلية والفيض المقدس يكون على حسب اسـتعداد أزلـى كـل أحد، فـالقابلية شرط فيه وهذا هـو معنـى قولــهم : إن الـلــه يتجلـى علـى العبد بحسـب استعداده وقابليته (مولوى ٥/٢٣٠) (انقروى ٥/٤٦٦) ويفسر جعفرى القابليـة بأنهـا "مراعـاة الطبـيعة" فنطفة الرجل لا تتحول إلى بشـر إن وضعـت فـى تـراب وشـجرة الــلوز لاتنمو علـى المـاء، فالسببية قائمة لكن هذه الأمور لا تجرى على الـلــه سبحانه وتعالى، وقوانيـن العلـة والمعلـول لا تقيده جل وعلا من أن يفعل من يشاء فهو الفعال لما يريد (جعفرى ١١٠/٤٩٦) فعطاؤه بلا علة وبلا سبب فهى أمور أزلية وقديمة ولا تجرى عليهـا مـا تجـرى علـى الحـادث مـن أمـور

وأسباب (أنظر لـلحدوث والقدم: الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ١٣١٣-١٣١٥)، فهذا العطـاء "لم يقل الفيض ولم يقل النور" عطاء أعلى ومن ثم يضرب به المثل "كالعصـا فى يد موسى واليد البـيضاء وبقية معجزات الأنبـياء فكلـها خرقٌ لـلطبـيعة وعوامـل السببـية" ولـو كـان الأمر بالسببـية لما خلق وجود من عدم فأية علـة أو سببـية أو صلـة بـين الوجـود والعدم ، تريد معجزة ؟ وجودك فى حد ذاته معجزة ، وإن كل ما تسميه معجزة هو خرق العادة ، لكـن لماذا جعل الـلـه الأسباب ؟ يقول السبزوارى (ص ٣٦٦) إن كلام مولانا فى هذا المجال من قبـيل التوحيد المحض حيث ينتفى الإسم والرسم والقابل والمقبول وحقيقة الوجود مقدمـة علـى كل التعـينات بل إن هناك وجودات خاصة لـها تقدم بالأحقيـة علـى المهيآت الإمكانيـة فهى مجرد قابليات ذهنية فـالعطيات بقدر القابليات هى فى مقام الواحدية واعتبار مفـاهيم الأسماء والصفـات الاعتبارية لـلأعـيان الثابتة ومن هنا يقول العارفون الشامخون أن كل عـين ثابتـة فى العلـم الأزلـى يستدعى وجوداً لاتقابها ، ومـا عـامل معهم إلا بمـا علـم منهم فـى الأزل، ومفـاهيم الأسماء والصفـات لـوازم غير متـأخرة فـى الوجـود بالنسـبة لـلذات الأقـدس. والمقصود بالعز فى البـيت ١٥٤٦ أى العز الدنيوى الذى لا بد لـه من أسـباب وطـرق ، وإن كان من الممكن أن يحدث أيضاً بلا سبب .

(١٥٤٧ - ١٥٥٥) : أسير السبب ، هو الـذى يضـع كل الأمـور فـى إطارهـا العقلانـى الذى يعتمـد علـى روابـط السببـية والعلية ، إيـاك أن تظـن أننـا ننفـى السببـية ، إن هـذا الأمـر لا يستطيعه أى إنسان ، فـابق على ديدنك من التفكير ، لكـن لا تشـك فـى قـدرة الحـق علـى أن يجرى الأمور دون أسباب، لكنه يضع الأسباب حتى لا يقعد الطالب عن مطلوبـه ، ولا يقعده عن سعـيه اعتماداً على أن الـلـه سبحانه وتعالى قد يجرى الأمـور دون أسبابها ، وقليلٌ مـا هم أولئك الذين يعتمدون على وعـيهم الباطنى من أجل النظر إلى الأمور مباشرة وإدراكها فى غير إطار السببـية ، فهذه السببـية حجب على صنعه تحجب رؤية الأمور مباشـرة ، ورؤيـة الأشياء كما هى ، والنظر إلى المسبب دون الأسباب ، حينذاك تبصر عالماً خارجاً عـن حـدود المكان والزمان، وحينئذ تحتقر كل هذه المشاغل الدنيوية التى وضعها الـلـه سبحانه وتعـالى من أجل أن يعمر هذا السوق القـائم علـى الغفلـة "لتفصيلات عن فكرة أن الدنيـا قائمـة علـى الغفلة، انظر الكتاب الرابع الأبـيات ٢٣٨-٢٤١ والأبـيات ١٣٢٧-١٣٣٠ وشـروحها" ، إذن لابد لنظام الدنيا من وجود الأسباب وإلا لمـا استطـاع أحد أن يقوم بضبطهـا ، ولتحولـت إلـى غابة ينال القوى فيها كل شئ ولا يترك شيئاً لـلضعـيف .

(١٥٥٦) : الرواية التى تبدأ بهذا البيت ، أقدم مصدر لها حديثٌ منسوبٌ إلى الرسول ﷺ روى أبو موسى "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود والأصفر، ومن ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب" ومفهوم هذا الخبر المروى ما روى أيضاً عن وهب بن منبه "لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرضِ أى أفهمها إنى جاعلٌ منك خليقة، فمنهم من يطيعنى فأدخله الجنة، ومنهم من يعصينى فأدخله النار، فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة ، وبعث الله جبرائيل ليأتيه بقبضة منها من جوانبها الأربعة من أسودها وأبيضها وأحمرها وأطيبها وأخبثها، قالت الأرض : بالله الذى أرسلك لا تأخذ منى شيئاً فان منافع القرب إلى السلطان كثيرة لكنه فيه خطراً عظيما، فرجع جبريل عليه السلام فلم يأخذ منها شيئاً فقال يارب حلفتنى الأرض باسمك العظيم فكرهت أن آخذ منها شيئاً ، فأرسل الله تعالى ميكائيل فلما انتهى إليها قالت الأرض له كما قالت لجبريل، فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل، فأرسل الله إسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيئاً وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل، فأرسل الله ملك الموت عليه السلام فلما انتهى قالت الأرض : أعوذ بعزة الله الذى أرسلك ألا تقبض من اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيبٌ غدا فقال ملك الموت : وأنا أعوذ بعزته أن لا أعصى له أمراً، فقبض قبضة من وجه الأرض مقدار أربعين ذراعاً من زواياها الأربعة فصار كل ذرة منها أصل بدن الإنسان فإذا مات يدفن فى الموضع الذى أخذت منه ، فأمر عزرائيل فوضع ما أخذ من الأرض فى وادى نعمان بين مكة والطائف" (المولوى ٥/٢٣٢-٢٣٣-الانقروى ٥/٣٧١ مآخذ ١٧٠-١٧١) والرواية تروى فى معرض بيان الأصل فى خلقة الإنسان و، أن الأرض نفسها لم تكن تريد أن يخلق منها الإنسان من أجل ألا يعصى ، فيؤخذ بمعصيته ويمضى إلى النار ، فضلاً عن تعرضه لبلايا العيش فى الدنيا .

(١٥٦٣ - ١٥٦٤) : اللوح الكلى هو اللوح المحفوظ فى رأى، وهو أيضاً اللوح الذى وضع الله عليه علمه ، وأوضحه لجبريل ليبلغه إلى الملائكة .

(١٥٦٥ - ١٥٧٥) : جبريل هو الروح الأمين ، وهو حياة الروح ، ومن ثم صار سفيراً إلى الأنبياء بالكتب التى هى حياة للروح ،ورزق القلب هو العلم والحكمة وفيض الشيخ ،

(انظر الكتاب الأول البيت ٧٣٠) ويوازن بين عطاء جبريل وعطاء ميكائيل عطاء الروح وعطاء البدن ، وكيل لا يحده حد ، وكيل محدود ، وهو يطلب الرحمة لأن الرحمة سبقت الغضب ، إشارة إلى الحديث القدسي "سبقت رحمتي غضبي" وقد تكرر في أكثر من موضع في أجزاء المثنوي الستة ، أما ذكر مولانا جلال الدين في خطاب الأرض لجبريل أنه مع الملائكة الثلاثة الآخرين حملة العرش ، ثم ذكره في البيت التالي إن حملة العرش ثمانية فيفسره المولوي على أن حملة العرش في الحياة الدنيا أربعة وفي الآخرة يمدهم بأربعة آخرين فيصبحون ثمانية إشارة إلى ما ورد في سورة الحاقة ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (آية ١٧) (مولوي ٥/٢٣٤) .

(١٥٨٠) : بالنسبة لقوة جبرائيل أنظر المثنوي الكتاب الثالث الأبيات ١-٥ والكتاب الرابع الأبيات ٣٧٦٧-٣٧٧٠ وشروحها) .

(١٥٨١) : من أجل فكرة أن الملائكة أيضاً تلاميذ لآدم عليه السلام انظر "الكتاب الأول من المثنوي - الأبيات ١٢٥٦-١٢٥٨وشروحها) .

(١٥٨٦) : يذهب استعلامي (٥/٢٩٢) أن مولانا هنا يخطئ عندما يربط بين ظاهر اسم ميكائيل وبين ما يراه وظيفة له وهي كيل الأرزاق على أساس أن الاسم في أصله لا يعطي هذا المعنى ، والواقع أن مولانا جلال الدين الرومي ليس أول من ربط بين إسم ميكائيل والكيل فهو ربط مأثور وتقليدي في التراث الإسلامي .

(١٥٩٦) : ربما كان مولانا في هذا المعنى ناظرا إلى الحديث النبوي الشريف {ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله}(استعلامي ٥/٢٩٢ والكتاب الثالث البيت ١٨١٨ والكتاب الثاني الأبيات ٤٤٦-٤٤٧والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ١٣٣ - ١٤٤ وشروحها) .

(١٥٩٩ - ١٦٠٥) : الكلام على لسان ميكائيل في الظاهر ، لكنها إفاضات مولانا جلال الدين : إن المراد بالصلاة هي أن يتضرع العبد إلى الحضرة الإلهية خمس مرات في اليوم، فان الله يحب أن يسمع ضراعة عبده وإنما يبتليه ليسمع ضراعة ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٩٧-٢٠٧ وشرحها) التضرع إلى الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان دائماً يحس بالضآلة ويسعى إلى التكامل ويحيا على أمل في أن تسد فرجه، وتجبر كسائره ، ولولا الدعاء والتضرع إلى الحضرة الإلهية لقتل الغم أناساً، ولقتل الطغيان وإحساس القوة أناساً

آخرين (لفلسفة جديدة عن الدعاء أنظر على شريعتى رسالة الذكر والذاكرين ضمن المجموعة الجديدة تحت عنوان عن التشيع والثورة – دار الأمين – القاهرة ١٩٩٦) وفى الأبيات ١٦٠٤و١٦٠٥ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ (الأنعام ٤٣)، وهكذا تقضى قسوة القلب والرين الذى يجعل القلوب لا تفقه إلى أن العاصى والكافر كليهما ينظران إلى أعمالها وكأنها عين الصواب وغاية المرتجى ، لأن الله سبحانه وتعالى سد أمامها طريق الدعوة وطريق التوبة .

(١٦٠٨) : يفرق مولانا جلال الدين في العنوان بين رأين فى الدعاء الرأى الأول هو رأى عموم المسلمين وهو أن الدعاء إلى العتبة الإلهية قد يرد البلاء لأن الله سبحانه وتعالى فاعل" ومختار ويمحو ما يشاء ويثبت وهو القائل ﴿ ادعونى استجب لكم ﴾ وبين رأى أولئك الفلاسفة (والفيلسوف فى مصطلح جلال الدين مرادف للمنكر) الذين يقولون أن الله فاعل بالطبيعة ، ومن ثم فإن الدعاء لا يغير من الأمر شيئاً (وهناك من الصوفية من ينكر الدعاء على أساس أنه تدخل في مشيئة الله وعدم صبر على البلاء(أنظر الكتاب الثالث قصة الدقوقي) والمثل المضروب عن قوم يونس عليه السلام يعتمد على الآية الكريمة ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ (يونس ٩٨) قال قتادة فى تفسير هذه الآية :لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب إلا قوم يونس ، لما فقدوا بينهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله فى قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجلوا إلى الله أربعين ليلة ، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف عنهم العذاب (مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد على الصابونى المجلد الثانى ص ٢٠٨ ، ط٣ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٣٩٩ هـ) .

(١٦١٩) : إشارة إلى حديث نبوى شريف : قال ﷺ {ليس شئ أحب إلى الله من قطرتين ، قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم يراق فى سبيل الله} (جعفرى ٥١٣/١١٧) وللحديث صورة أخرى أكثر وثوقاً {عينان لا يعذبهما الله يوم القيامة ، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله}(الجامع الصغير) .

(١٦٢٠) : عودة إلى قصة أخذ حفنة من التراب من الأرض ،ويرسل الله تعالى الملاك الثالث إسرافيل صاحب نفخ الصور . وفى رواية عن الأنقروى بعد أن روى الرواية الواردة

فى شرح البيت ٣٧٥٥ من الكتاب الرابع عن تجلى جبريل بصورته الجسدية لسيدنا رسول الله ﷺ "فلما أفاق قال يا جبريل ما ظننت أن أحداً من خلق الله هكذا فقال جبريل : يا رسول الله : كيف لو رأيت إسرافيل إن العرش على رأسه وأن رجليه قد مرقتا فى تخوم الأرض، وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالعصفور. وفى المصابيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ {إن الله خلق إسرافيل عليه السلام يوم خلقه ضاما قدميه لا يرفع بصره، بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها من نور يدنو منه إلا احترق (انقروى ٥/٣٨١) .

(١٦٢٤ - ١٦٢٥) : تصور الدنيا هنا بكربلاء حيث مصرع الحسين رضي الله عنه وآل بيت الرسول ﷺ على أساس أنها دار الكرب والبلاء﴿ فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ ﴿قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ .

(١٦٢٨ - ١٦٣٨) : يخرج مولانا جلال الدين عن محاولة اسرافيل اخذ حفنة تراب من الأرض ويتحدث عن أنهار الرحمة الجارية تحت العرش والواردة فى سورة محمد ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ (آية ١٥) وقد ربط مولانا بين هذه الأنهار وبين أعمال المتقين (أنظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٦٢-٣٤٦٧ وشروحها) وعن الجرعة التى انصبت من هذه الأنهار انظر فكرة تعد مثيلتها عن جرعة الحسن التى ألقيت على الأرض فى شرح الأبيات ٣٧٢ - ٣٧٩ من الكتاب الذى بين أيدينا ، وعن تأثير هذه الفكرة فى النزعة الإنسانية عند مولانا أنظر مقدمة الكتاب الرابع من المثنوى ص ١٤ حيث يدق على الفكرة القائلة أن الخليقة هنا جزء من كل جزء ملوث من كل طاهر وأن هذا الجزء نزاع إلى الكل مشتاق إليه ، وعن رحلة الماء من طهر إلى كدر ثم طهر مرة ثانية انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٠٠-٢١٠ وشروحها).

(١٦٤٩ - ١٦٥٩) : روى فى حق عزرائيل عن كعب الأحبار قال : قال ﷺ خلق الله عزرائيل عليه السلام بحيث كان رجلاه فى تخوم الأرضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه يقابل اللوح المحفوظ وله أعوان بعدد من يموت، والخلق كلهم بين عينيه، لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يتوفى رزقه وينقضى أجله (أنقروى ٥/٣٨٥) والتراب صاحب الخيال والأوهام أى الذى يظن أنه بتضرعه هذا يستطيع أن يحول قدره وأن يرد قضاء الله

عليه ، والإنسان لا يزال يلجأ إلى خياله وأوهامه ويحولها إلى آداب وفنون رغبةٍ في الخلود ، والخلود لله سبحانه وتعالى وحده ، ويصور الأرض أيضاً بأنها عجوز ضعيفة لكنها ظالمة ، منها سوف يخلق الإنسان الضعيف الظلوم الجهول ، وعزرائيل عليه السلام يوصف بأنه مطاع ثم أمين على أساس أنه لا يستطيع أن يحيد عن رسالة حملها له الله سبحانه وتعالى وهو القابض للأرواح الحازم، وعندما تقول الأرض : إن الله تعالى أمر أيضاً بالحلم ، فلماذا لا ينفذِ الأمر بالحلم؟ يرد عزرائيل بأن هذا الأمر تأويل وقياس ، والتأويل تفسير الآيات والأحكام بوفق إدراك المرء وفى سبيل منفعته (انظر الكتاب الأول الأبيات ١٠٨٥-١٠٨٨و ٣٧٥٦ وشروحها) والقياس هو الاستدلال فى حكم كلى وتعميمه على حكم جزئى ، وهذا كله في رأى لمولانا جلال الدين من قبيل الالتباس ، فأول نفسك ولا تؤول حكم الله أى كن مستعداً لقبول أحكام الله اياً كانت ، وأول فكرك أنت وإياك وتأويل غير المشتبه من الآيات ، وأنا مكلف بأداء أمانة ، والله أمر برد الأمانات إلى أهلها .

(١٦٦٠ - ١٦٦٤) : هل يكون الموت ضرراً فى كل الحالات؟ بل هل يكون الموت ضرراً فى أية حالة فى حالاته ؟ حتى ذلك الذى يعانى الألم ألا يكون الموت راحة له فى النهاية ، وأليس اليتيم الذى يصفعه الموت قد يفيق ويواجه الحياة خالية من تدليل الأب أو الأم فيكون أكثر فلاحا ونجاحا مما لو كان أبوه حيا يبسط ظل حنانه عليه ؟ ألا تكون صفعة الموت في النهاية أكثر حناناً من حلوى يقدمها مفسد أو مستغل؟ ، يقول سنائى أن الموت ليس شراً فى كل أحواله ، فمنه يكون لك المال والميراث أليس موت الشيخ قبل ولده الشاب المريض رحمة به ؟

(١٦٦٥ - ١٦٦٩) : لا يزال الكلام على لسان عزرائيل لكن هذا الجزء يبدو من إفاضات مولانا جلال الدين الذى لا يزال يدق على أن هناك لطفا مخفياً فى القهر كما يختفى العقيق فى الحدث ، فإن هذا اللطف وإن اختفى فى القهر فإنه لا يخلو من الحكمة الإلهية، إذ لا يصدر عن الكريم إلا الكرم ولا يخلق ربنا شيئاً عبثاً ، ووسعت رحمته كل شئ ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم (عن تفصيلات لفكرة اللطف المخفى فى القهر والقهر المخفى فى اللطف انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٢٦٦ وشروحها والكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٤٢١-٤٥٥ وشروحها) أليس تسليم الروح يبدو لك قهراً؟ إنه ليس قهراً فى الحقيقة ، إنه انتقال إلى مرحلة أعظم وأجمل من العمر ، إن البقاء الحقيقى

فى الفناء (انظر مقدمة الكتاب الثالث– وعن الموت كبوابة لحياة أفضل انظر الأبيات ٣٥٣٧ – ٣٥٥٥ وشروحهامن الكتاب الثالث) وإياك أيتها الأرض أن تعتبرى استدعاءه لك قهراً ، أنه عين اللطف :

مثل تلك اللطافة والحسن والجمال الذى يهب الروح

ويصير عنه إنسان ، فما أعجبه من شقاء وما أعجبه من ضلال

إننى بازى على ساعد السلطان ، وها أنا أعود إلى ساعد السلطان

عندما أسمع صوت "ارجعى" من الطبول والمقارع

فكيف لا تطير الروح عندما يأتيها من جناب ذى الجلال

خطاب اللطف منادياً أياها أن تعالى (كليات ديوان شمس تبريزى غزل سنة ١٣٥٣ ، ص ٥٢٥)

(١٦٧٦ – ١٦٨٢) : الأمر الذى أثار الغبار من قلب البحر إشارة إلى انشقاق البحر لبنى إسرائيل ، والأبيات الواردة على لسان عزرائيل فى التوحيد والتمجيد والتسليم المطلق للخالق المتعال الذى هو أعز من الروح (انظر البيت ٣٦٩٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، وهو الذى لا يأخذ بل يعطى أنه لا يأخذ الروح بل يهب فى مقابلها آلاف الأرواح (الكتاب الأول البيت ٢٤٦ ، فهو يأخذ نصف حياة ويعطى بدلاً منه مائة حياة ، بل هو يعطى ما ليس يخطر لك ببال وانظر الأبيات ٢٢١-٢٤٦ من نفس الكتاب الأول) ، وإحراق الكليم من أجل برغوث مثل فارسي يضرب لمن يضحى بالغال فى سبيل الرخيص ، وورد أيضاً عند سنائى (البيت ٧٠١٧ من حديقة الحقيقة) وماذا يكون عزرائيل بكل ما يوحيه اسمه من خوف ورعب ؟ مجرد سنان فى كف الخالق ، انظر كيف حول مولانا جلال الدين الأرض إلى كائن حى يبكى ويتضرع ثم ساق كل معانيه لتشمل الخليقة كلها والأحياء كلهم ؟

(١٦٨٣ – ١٦٩٣) : وردت الترجمة العربية لقول أبى اليزيد البسطامى عند إسماعيل الأنقروى "إنى أكلم الله منذ ثلاثين سنة وأسمع منه والناس يظنون أنى أكلمهم وأسمع منهم" (٣٩١/٥) فى حين قال استعلامى (٢٩٧/٥) أن هذا القول لم ينسب إليه فى مصدر من مصادر التصوف ، أما المثل فلم أعثر له على أصل ، والمراد بالأبيات أن القدرة الإلهية تجعل كل مخلوق ميسراً لما خلق له قائماً به ، سواء كان كأساً يهب الانتشاء أو خنجراً يفضى إلى الهلاك أو عيناً تفيض بالماء ، أو ناراً تهب الدفئ وتنشر اللهب ، أو مطراً

يؤدى إلى الخير ، أو رمحاً ينفذ فى الأجساد ، وليس الأمر هنا بجبر أو أن فـاعل الشر مجـبر عليه (انظر العدل قسام وجدير بالقسمة الكتاب الرابع الأبيـات ١٦٤٣ - ١٦٤٤ وشـروحها) . وما هذا كلـه إلا لأن قلب المؤمن وهو أصل الفكر وأصل العمل وأصل الاتجاه بـين إصبعيـن من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، (حديث نبوى) ، لقد حمل التراب فى النهاية كما تحمل الطفل الـهارب إلى المكتب ، بالطبع لكى يتعلم ولكى يدرك حكمة الخالق ، الذى لا يفعل شـيئاً عبثاً تعالى عن ذلك علواً كبـيراً .

(١٦٩٤ - ١٧٠٩) : يقول اللـه تعالى لعزرائيل بعد أن نجح فى مهمته : لقد قررت وهـذا موجود فى سابق علمى ، أو يقول بحق علمى المطلق لأجعلنك أنت قابضـاً لأرواح الخلق وجلاداً لـهم وأنه سبحانه وتعالى سوف يحميه من عداوتهم المفترضـة بـأن يجعل لـلموت أسباباً من أمراض وعداوات وإحن (انظر الكتاب الرابع الأبـيات ٣١٠٢-٣١٠٧ وشـرحها) لكن هؤلاء أمرهم سهل ، أولئك الذين يأخذون الأمور علـى ظواهرها، لكن هنـاك أيضـاً من عبادك يا اللـه من ينفذون من حجب الأسباب (لمناقشـة الأسباب والمسبب والاختـلاف فـى النظرة بـينهما انظر الكتاب الذى بـين أيدينا١٥٤٣-١٥٥٥ وشروحها) ويحتج عزرائيل بـأنهم لن ينظروا إلى هذه الأمراض : فـلا موت هنـاك بـالمرض بل الموّت بـالأجل، وأن اللـه سبحانه وتعالى لم يخلق داءً إلا وخلق لـه دواء ، ولكل داء دواء يستطب به (إلا الحماقة) لكن القضاء والأجل عندما يحم ، فلا من بر ولا بحر يقى ، ولا دواء ينفع ولا عـلاج ، ينفذ البرد إلى الجسد من خلال مائة فراء ، ويصاب الجسد برعشة وإذا جاء القضا وإذا حـم القضـا فـلا طبـيب ، وإن اللـه إذا أراد إنفاذ أمر سلب كل ذى لب لبه "حديث نبوى"(استعلامى ٥/٢٩٨ الكتـاب الأول١٢٣٤-١٢٤١) هـذا هـو الأصـل ، الأجـل والقضـاء ، والأمـراض والعلـل وعداوات الخصوم وما إلى ذلك كلـها فروع ، ومن ينظـر إلـى الأصول هم الكـاملون وهم قليل ، وهم الذين اكتحلوا بكحل التوحيد فصاروا ينظرون إلى الأمور كما هى .

(١٧١٠ - ١٧٢٧) : وهذا هو ما أقصده تماماً ، أولئك العلمـاء بـالأصول والذيـن لا ينظـرون إلى الأسباب لن يفكروا فيك ولن ينظروا إليك على أساس أنك القائم بالأمر ، إنك حجاب سواء عند العوام وعند الخواص ، أنت مخفى عن العوام ، وأنـت عند الخـواص مجرد دريئـة وحجاب ، أنت مخفى عن العوام ظاهر فى الموت ، وأنت عند الخـواص مجـرد حجـاب علـى فعلى ، إذ أنى أنا الفعال وأنت الأداة ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، وهؤلاء أصـلاً

لا يهتمون بما تقوم به أنت من عمل ، ولا يعتبرونه أمراً مكروهاً ، إذ يعلمون أنهم لا يموتون بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء ومن دار الفساد إلى دار الكون ، ومن اللذات الدنيوية الفانية إلى معدن اللذة ومنجم الجمال ومن النعيم الفانى إلى النعيم الباقى ، إنه ليس موتاً بالنسبة لهم بل هو عرس ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٥٢٩-٣٥٣٦ وشروحها) إنه ليس سجناً فى القبر بل هو إفراج من سجن الدنيا ، وأحرى بمن هم فى سجن الدنيا أن يترقبوا الخلاص لا أن يضيقوا به، تراك يا عزرائيل سوف تكون مكروهاً عند من يعلمون حقائق الأمور وأنت تنقب عليهم أبراج سجن الجسد لكى تنطلق أرواحهم تلك الطيور القدسية إلى سدرة المنتهى فتتخذ فيها أعشاشها؟ إن السجين الذى يضيق بالحرية ويحب السجن هو الذى يكون خارجاً من السجن إلى المشنقة(الجحيم) لكن الكمل يعلمون أنهم يخرجون من السجن إلى الرياض والبساتين والقصور ، ألم تكن تحلم طوال وجودك في هذا السجن بالرياض والبساتين ؟! كان الليل يحررك أيها الفيل الحالم بالهند ، (انظر الدنيا ممثلة بالنوم أو بحلم النائم في الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٥٠ - ٣٦٦٤ وشروحها ومن حلم الفيل بالهند أي حلم الإنسان بالجنة والنوم أخ للموت ، انظر من نفس الكتاب الأبيات ٣٠٦٠ - ٣٠٧١ وشروحها) . إنه ليس موتا إنه عرس ، ألست وأنت تحلم بالرياض والبساتين طيلة نومك في السجن تتمنى على الله ألا يوقظك من النوم ، وأليس من رحمة الله تعالى أن يقبضك في نومك إن كنت من أهل الصلاح فتنتقل إلى هذا النعيم الأزلى دون أن تذوق طعم شربة الموت ، وكيف يمكن أن يسمى هذا موتا ، إنه عرس ، ولا يمكن أن يكون سوى عرس ، وفي ديوان شمس (موتنا هو عرس الأبد) ، (غزلية ٨٣٣ ، ص ٣٣٨) .

(١٧٢٨ - ١٧٤٢): هذا هو الطريق الأسمى ، فكن دائما من أجله في قيام ، قم قيام الشمع أمام المحراب في هذا الليل المظلم ليل الدنيا وليل الفتنة ، وليكن دليلك في هذا هو الطلب فمن قرع بابا ولج ولج (انظر من أجل تفصيلات عن الطلب الكتاب الثالث ، الأبيات ١٤٤٠ - ١٤٥٠ ، وعن الدمع وقيمة الدمع ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٥٩٩ - ١٦٠٥) ، فليكن نظرك إلى السماء ، أليس أصل العطايا يأتى من السماء إلى الأرض؟ فبما بالك تحزن إن حملت من الأرض إلى السماء ، وإياك أن تستكثرهذا على نفسك ، ألم تقم بالطلب في نهاية الأمر ؟! أليس كل طالب مجد يصل في النهاية إلى مطلوبه ، دوام على الطلب ، حتى يخرج قلبك ذلك السجين من جب الجسد ، ودعك من هؤلاء الذين سوف يبكون

ويتحسرون على موتك ، إذا كان جسدك قد طوى في التراب فـان الجنـان الثمانيـة قد فتحت من أجلك (المعنى من حديقة سـنائى ، انظر الأبـيات : ٢٦٥-٢٨٠ وشروحها مـن الترجمـة العربـية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور) لقد استراحت الروح من اوضار الجسد ولم يعد يهمها إن كان ثاويا في روضـة أو فـي مستودع قمامـة ، مـادامت الـروح موجـودة فـي العـالم السماوى تصيح : ﴿ يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى ، وجعلنى من المكرميـن ﴾ (يس /٢٦-٢٧) (انظـر أيضـاً الكتـاب الثـالث البـيت ٢٠١٨) إن السـماء والعـالم العلـوى والأفـلاك كلـها مهيأة من أجل حياة الروح الخالدة، وماذا تعنى إذن ﴿وفي السماء رزقكم وما توعـدون﴾ (الذاريات / ٢٢) ، هذا هو الرزق المعنوى ، راحة الروح وسرور العقل ، والحكمـة التـى لا تكسد والبصيرة التى لا تكل .

(١٧٤٣ - ١٧٤٨) : العبارة المنقولـة فـي العنـوان : " الجـوع طعـام الـلـه يحيـى بـه أبـدان الصديقين " ، اعتبرهـا فروزانفر حديثا نبويا ، ونقـلا عن شرح التعرف علـى مذهـب أهـل التصوف لإبراهيم بن المستملى البخارى " أحاديث مثنوى ، ص ١٤٨ " ، وهناك حديث آخـر " صوموا يوما وأفطروا يوما فـإني لست كـأحدكم إنـي أبـيت عنـد ربـي يطعمنـي ويسـقيني " (أحـاديث مثنـوى / ٣٦) ، (انظـر الكتـاب الأول البـيت٣٧٥٤) (وعـن الجـوع انظـر البـيت ٣٠٣٦ من الكتاب الثالث) و " يرزقون فرحين " ، جزء من الآية الكريمة ﴿ ولا تحسبن الذيـن قتلوا في سبـيل الـلـه أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الـله من فضلـه ﴾ (آل عمران / ١٦٩-١٧٠) ، والدسم والقوت الشريف هو الغذاء الروحانى عند رجال الحـق ، إنه لا يصيب بالامتلاء أو القولنج أو آلام الجسد ، بل تزيد بـه صحـة ، وتمضـى كلمـا ازددت " أكلا " ، منه خفيفـا حاذا (انظر ١٦٩٧ من هذا الكتاب) وضـرب المثـل بجـوع طـائر الـزاغ لأنه يطلب العمر الطويل ويحرص على الدنيا (انظر البيت ٤٥ من هذا الكتـاب) ، أمـا غـذاء الحكمة فيجعلك كالسفينة طافيا على هذا البحر الطامى العباب (الدنيا) .

(١٧٤٩ - ١٧٥٩) : مـا هـو السبـيل لـلحصول علـى هـذا القـوت المعنـوى ، إنـه الصـوم والانتظـار ، اصبر واصمت وتحير وداوم علـى الطلـب بقلبـك لا بلسـانك تـنزل عليك مـائدة الرحمة الإلـهية، إن شبع العـين هو شبع القلب غير متعجل لـلعطاء غير ملول في انتظـاره ، ترفع عقيرتك في طلب القوت كل لحظة ، فـالشبع لا يتعجل الطعام، صورة معاشة ، والشبع هو شبع النفس وليس شبع البطن فـإنه لا يشبعها إلا التراب ، كـن رجـلا صـاحب همـة ، ولا

تكن شحاذا ملحاحاً سمجاً ، فإن هذه الدولة التى يبلغ عطاؤها سبعين ضعف عطاء هذه الدولة " الموجودة على الأرض " ، والتى ينتظر الشحاذون عطاءها ، أما الأغنياء (بالله) فهم الذين ينتظرون العطاء من الله لا من سواه وينتظرون المائدة العلوية ، فانتظار المائدة العلوية نوع من العبادة وليس محنة كانتظار العطاء من طواغيت الأرض (عن هذا الانتظار ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٢٢٢ - ١٢٢٥) وفي النهاية فإن كل من ينتظر نوالا من أرباب الدنيا قد يناله وقد لا يناله ، لكن منتظر عطاء الحق لابد وأن يناله ، المهم أن يكون صاحب همة ، وأن يكون العطاء الذي يطلبه بقدر قيمة المعطى ، فالضيف الذي ينصرف إلى شرب الحساء على المائدة يدل على ضعف همته ، فينصرف المضيف عنه لكنه إذا قلل من شرب الحساء فان المضيف سوف يأتي بالطعام الدسم ، لا تقل إنك جربت هذا ولم يحدث، فمن قال لك أننا نتحدث عن هؤلاء الأخساء البخلاء ، إننا نتحدث عن الرزاق الكريم الذي لو أعطى كل امرىء ما يطلبه ما أنقص هذا من خزانته مثال ذرة ، فاطلب بشموخ وكبرياء فإنما تطلب من العزيز العلى ، وحتى تسطع عليك شمس كرمة كما تسطع على قمم الجبال عن طلوعها .

(١٧٦٠ - ١٧٧١) : ما ورد هنا يشبه ما ورد في الكتاب الثالث (الأبيات ٣٩٦٢ - ٣٩٨٥) منسوباً إلى جالينوس وإن كان مولانا يستعبد أن يكون جالينوس متعلقاً بالدنيا كل هذا التعلق برغم حكمته ، ونظرة مولانا إلى الموت مثل نظرة كل الصوفية ،انه بوابة إلى حياة أعظم وعرس وبداية مرحلة من الكمال الإنسانى تتبع مراحل وتتلوها مراحل أخرى ، وهذه النظرة بالطبع تختلف عن نظرة الكثيرين من شعراء الفرس ومنهم الفردوسى الذي قال :

كانت الدنيا ستصبح جنة بأريجها وألوانها لو لم يكن فيها الموت والشيخوخة

(عن استعلامى ٥/٣٠١)

أو الخيام الذي أقام مناحة في رباعياته من جراء فناء ابن آدم بعد هذه الحياة الدنيا ، وقد يكون أحدهم المذكور في البيت ١٧٦ هو جالينوس ، أما الآخر المذكور في البيت ١٧٦١ الذي يرى قيمة الدنيا في أنها صائرة إلى الموت لأنه بلوغ الغاية ونيل الوصال فيشير السبزوارى (ص ٣٧١) أنه الإمام على ﷺ الذي قال

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه أبر بنا من والدينا وأرأفُ

ويكون الأمر كما لو أن الخليقة عبارة عن بيدر من القمح بسط في واد فلا هو ذرى ، ولا

استخرج القمح منه ، ولا صنع منه الخبز ، فـالموت هو الذي يصفى الحياة مرحلة بعد مرحلة ويجددها ، ولو لم يوجد لجأر الناس بالصراخ مطالبـين به (انظر لتفصيل هذه الفكرة ، الكتاب الرابع ، الأبـيات ٣٠٠١-٣٠٠٨ وشروحها)، وذلك الذي يكره الموت لم ير ميتا حتى يسألـه، وآنذاك سوق يكتشف أن الموتى لم يعانوا قط حسرة الموت بل كانت حسرتهم كلـها من أجل الفوت ، أي فوت فرصة العمل الصالح . كما قال الرسول ﷺ : { ليس لـلماضين هم الموت إنما لـهم حسرة الفوت } (انقروى ٤٠٥/٥) . يتمنون لو يعودوا ليعملوا صالحا ، كلا ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ، إن الذي يقف عند ظاهر الحياة الدنيا ، يلعب النرد لعبة مقلوبة ، ويفهم الأمور على عكسها ، ويلقى ببذوره في الأرض البـور ، ويترك أرض الـلـه الواسعة (عن أرض الـلـه الواسعة ، انظـر الكتـاب الرابـع ، الأبـيات ٢٣٨٠ - ٢٣٨٣ وشروحها) إنه عقلك الكاذب الذي يبعدك عن عقلك الإيماني ويبدى لك الأمور مقلوبة إلى هـذا الحد ، وإلا فأية نسبة بـين البئر (الدنيا) والخلاء (الآخرة) ذات المتعة والـلذة والسعة ، وأية نسبة بـين إيوان الباطل و ﴿ مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ أية نسبة بـين خمر الدنيا التى تخمر من المخيض ، وبـين خمر الخواص الـلذة لـلشاربـين ، وهكذا ، إن لم تكن قد عشـقت حياة تحسد عليها ، فمت موتا كموت الرجال تحسد عليه ، وانتهز ما يتبقى من العمر ، وهكـذا يكون موت الرجال بديلا مطروحا لحياة الذل والمسكنة .

(١٧٧٢ - ١٧٨٦) : العنوان : ﴿ وهو الذي ينزل الغيـث من بعد مـا قنطـوا وينشر رحمتـه وهو الولى الحميد ﴾ (الشورى/٢٨) . والعبارة " رب بعد يورث قربا ورب معصية ميمونـة ورب سعادة تأتى من حيث يرجى النقم " ، ليست حديثا كما ينص مولانا في البـيت الأول بل هى من أقوال الأولياء ، ويضرب إسماعيل الانقروى مثالا على المعصية الميمونـة بهم عمر بن الخطاب ﷺ قبل إسلامه بالاعتداء على الرسول ﷺ وكان في ذلك إسلامه ، والسعادة تـأتى من حيث يرجى النقم هى الـلطف في ثـوب القهر وقد مـر ، و الآيـة ﴿ فـأولئك يبدل الـلـه سيئاتهم حسنات ﴾ (الفرقان :٧٠) . ويرى استعلامى أن هناك رواية مشابهة في حلية الأوليـاء لأبى نعـيم الاصفـهانى (لم يحدد في أى جزء) (استعلامى ٣٠٢/٥) وكما أن " الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا " ، وكمـا أن " النـوم أخ المـوت ' . وأهـل الجنـة لا ينـامون ولا يموتـون (كنـوز الحقائق) ، والحديث النبوى : { إنكم لتموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون } " أحاديث مثنوى /١٦٤) . وكما أن النوم هو " الموت الأصغر " ، فـالصبح أيضاً هـو الحشـر الأصغر

والبـيت ١٧٣٨ ناظر إلى الحديث الشريف " يبعث كل عبد علـى ما مـات عليـه " ، والحديث النبوى " إنكم تموتون كما تعـيشون وتحشرون كما تموتون " (انقروى ٥/٤٠٩) .
(١٧٨٧ – ١٧٩٤) : هكذا فـان منامنا وصحونا شاهدان على موتنا وحشرنا، وإن كان الأمـر هنا لا يعدو مجرد مجاز و " خيال " ، فليـس النـوم هـو المـوت وليسـت اليقظـة هـى الحشـر ، وإنما هو مجرد تشبـيه والأمور لا تكون حقيقة أو عـيانا إلا " هنـاك "، حيث تتحـول الأمـور كلـها إلى عـيان شديد الوضوح ، لكن الأصل هنا ، أصل ما يبدو هناك موجـود هنـا ، تمامـا مثلما تكون صورة الدار موجـودة فـي خيـال المهندس وفـي " قلبـه " ، كمـا توجـد البـذرة فـي الأرض ، ثم ينفذ المهنـدس تلـك الصـورة الموجـودة فـي خيالـه ، كمـا تجعـل الأرض البـذرة تنمو ، وهكذا كل " خيال " ، يتوطن في القلب ، وكل " فكرة " ، تعن لـه سـوف تتصـور يـوم الحشر ، أو كما قال الرسول ﷺ : { يبعث الناس على نياتهم } (انقروى ٥/٤١١) .
(١٧٩٥ – ١٨٠١) : إن هدفى من هذا الحديث هـو أن أقدم درسـا يستفيد منـه المؤمنـون : فعندما تشرق شمس الحشر ، يهرع الموتى من أجداثهم مصداقا لـلآية الكريمـة ﴿ ونفـخ فـي الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ (يس /٥١) و ﴿ يوم يخرجون مـن الأجـداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ (المعارج /٤٣) ، إنهم يمضون إلى الحسـاب والمـيزان ، هذا هو ديوان القضـاء الأكبر ، يمضون كما يمضى الذهب النضار والذهب الزائـف ، كلاهمـا إلى بوتقة الصائغ وكير الحداد (عن المحك لـلتمييز بـين الصحيح والزائـف انظـر الكتـاب الرابع الأبـيات ١٦٧٦ – ١٧٨٩ وشروحها) . وها هى أنواع الامتحانات تتوالى عليك (انظر عن الامتحان الكتاب الثالث ، الأبـيات ٧٤٣ – ٧٤٦ وشروحها) . فتظهر أعمالك مثلما يظهر أفي القنديل ماءٌ أو زيت ، هل أنت من الذين (يسعى نورهم بـين أيديهم) (الحديـث /٦٢) ، أو من ذوى الوجوه التى ﴿ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾ (عبس /٤٠ ، ٤١) ، ومـا فـي داخلـك سوف يظهر كالنبات الذي تدفن بذرته في الشتاء ، فيأتى الربـيع ويجعل منه نباتا سامقاً .
(١٨٠٢ – ١٨٠٥) : وانظر إلى الناس ، وانظر الفرق بـين الشقى والسعـيد فأولئك الذين هـم من المتقين يكونون ﴿فى مقام أمين في جنات وعـيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ﴾ واما الفجار الفـاسقون المجرمون فيكونون مصداقا لـلآية الكريمة : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ﴾ (السـجدة/١٢) . و ﴿ زاغت الأبصـار ﴾ (الأحـزاب / ١٠) ، و ﴿مهطعـين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هـواء ﴾ (إبراهيم /٤٣) إن الكتب

سوف تأتي ، سوف تسقط عليك في يمينك أو في يسارك دون أن تدرى ، ولن يستطيع أحد أن يغير ، فلا حول ولا طول ، والخشية كل الخشية أن يأتى الكتاب في اليسار ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ﴾ (الانشقاق / ٧-١٢) .

(١٨٠٦ - ١٨٢٠) : ويفاجأ الكافر الزنديق في يده بكتاب أسود يجمع كل جرائمه وفسقه ، فلا حسنة واحدة ، ولا عمل صالح واحد ، ليس فيه إلا ما يؤذى قلب كل مؤمن ، كله سخرية من أهل الطريق وتطاول عليهم، كله كبرياء وفرعونية وأنية مفرطة ونرجسية فجة ، كله سرقة واحتيال ومكر ، وظلم للخلق ، يكون في طريقه إلى المشقة وإلى الجحيم ، ظاهر الجرم ضائع الحجة مختوم على فمه ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ (يس /٦٥) ، وماذا يستطيع أن يقول ، لقد ذهبت تلك السطوة التى كان يتوقح بها في الدنيا ويعتمد عليها ، ربما سطوة لصوص أكبر منه يحمونه ، ها هو يمضى وملائكة العذاب من حوله كالعسس يضربون رأسه ودبره ، ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (الدخان /٤٩) ، إنه يتلفت ، يستغيث ، ثمة أمل عنده في العفو لكنه أمل محال ، أمل واه ، فهو أدرى بنفسه ، تلك النفس الفرعونية التى ووجه بها لأول مرة عارية لا يسترها حتى ثوب الرياء .

(١٨٢١ - ١٨٣٤) : ويأتيه الخطاب الإلهى ﴿ كلا لا وزر ﴾ (القيامة /١١) ، هذا يوم العدل الإلهى ، ماذا تنتظر ، ولماذا تتلكأ ، وأى أمل لك وأنت أدرى الناس بعملك ، إنك لم تنو نية خير واحدة ، إنك لم تر سوى فعلك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (فصلت /٤٦) ، و " إنى حرمت الظلم على نفسى " ، فلا أنت نويت خيرا ولا فعلت خيرا ، ولا اتعظت، وعملك هو نفسك وهى معوجة فلابد أن يكون ظلها معوجا ، والجزاء من جنس العمل ، فكيف تتوقع أن يكون الكتاب في يمينك وسعيك كله في فعل أهل الشمال ؟! ولقد فعلت كل هذا وكان باب التوبة مفتوحا أمامك ، لكنك لم تتب (عن باب التوبة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٥٠٣ - ٢٥٠٨ وشروحها) .

(١٨٣٥ - ١٨٤٤) : فيجأر العبد بالضراعة إلى الله سبحانه وتعالى " نعم عندى أمل يا الله ، فأنا أعلم أننى فعلت كل ما نسب إلى وهناك الكثير أيضاً مما ستره حلمك على ، لكنى أيها الإله ، هناك شئ ما خارج عن جهادى وخارج عن فعلى ، عن جرائمى وفضائحى ، عن ضراعتى ، وعن عجزى وقلة حيلتى ، عن ضراعة مائة من أمثالى ، هو رجائى في

محض عفوك ومحض لطفك ، وكلاهما لا علاقة لـه بعتوى وظلمى، إنه هو العطاء المحـض ، هذا كان أملى ، كان التفـاتى كلـه إليه ، كان رجائى كلـه فيه ، هذا العطـاء المحض الـذي منحنى الوجود منذ الأزل (انظر لحفظ الـلـه لـلنطف في الأصلاب ، ولطفه العميم ، الكتـاب الثالث ، الأبـيات ٣٣١ – ٣٣٧ وشروحها) ، لقـد أعطيتنـى خلعـة الوجـود وخلقتنـى وهديتنـى السبل ، كان ديدنك معى – يا الـلـه – هو العطاء ، لم تمنع عنى عطـاءك ، وأنـا غـارق فـي الذنب ، فكنت يا الـلـه دائم الأمل في هذا العطاء .

(١٨٤٥ – ١٨٥١) : هذه الضراعـة ، والاستغاثة ، والدموع هى التـى تجعل بحـر الرحمـة يجيش ، (انظر شروح البـيت ١٥٦٩ من الكتـاب الـذي بـين أيدينـا) ، فيأمر الـلـه سبحانه وتعالى الملائكة قائلا : ردوه إلى ، لقد كان آملا فينا ، طامعا فـي وجهنـا ، كـان الرجـاء فينـا راسخاً في سويداء قلبه ، إن هذا الرجاء جدير بالعفو ، فلا نفع لنا من صلاحه ولا ضرر علينا من سوئه ، ولنضرم النار في كتاب أعمالـه فـلا زلـة ولا خطـأ ولا سوء ، ويعلـق الأنقروى راويا حديث عن الرسول ﷺ : { من أذنب ذنبا فعلم أن لـه ربا إن شاء أن يغفر لـه غفر لـه وإن شاء أن يعذبه عذبه ، كان حقـا علـى الـلـه أن يغفرلـه } (جامع ٢/١٦٢ – ٥/٤١٨) . وترتفع البشرى الإلـهية ، لقد آن لنا أن نبدل سيئاته حسنات ، هذه هى كيميـاء التبديـل (انظـر لكيمياء الفضــل الكتاب الرابع البـيت ٥٩٢ – ٥٩٤ ، و ١٦٨٤ وكيمياء التبديل الكتاب الرابع ٣٥٠٨) ، وهى لا دخل لـها بجبر واختيار ، هى محض لطف ، (عن الجبر والاختيار ، انظر الكتاب الثالث ، الأبـيات ١٣٦٣- ١٣٧٦ وشروحها ، وانظر مقدمة الكتاب الذي بـين أيدينا) هذه الكيمياء مضمنة في الآية الكريمة ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الـلـه وقولـوا قـولا سـديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (الاحزاب /٧٠ – ٧١) . قال نجم الدين : يشير إلـى أن الإيمان لا يكمل إلا بالتقوى وهـو التوحيد عقدا وحفظ الحـدود جهدا ، ولا يحصـل سـداد أعمال التقوى إلا بالقول السديد وهى كلمة لا إلـه إلا الـلـه ، فبالمداومة على قول هذه الكلمـة بشرائطها يصلح لكم أعمالك أي أعمال التقوى ويظهـر سداد أقوالكم وسـداد أعمـالكم وبسـداد الأقوال والأعمال يصلح سداد الأحوال ويغفر لكم ذنوبكم " . (مولوى ٥/٢٧٠) .

(١٨٥٢ – ١٨٥٦) : إن هـذه الأنـوار الإلـهية الأزليـة الأبديـة لا تزيدهـا تقوى تقـى ، ولا تنقص منها معصية شقى ، وماذا يكون الإنسان حتى يعاملـه الـلـه سبحانه وتعالى بعملـه ؟! هو لسان والـلسان قطعة من الــلحم وعـين وهـى قطعـة مـن الشـحم وأذن وهـى قطعـة مـن

العظام ، وقلب وهو قطرتان من دم ، هذا هو الإنسان خلقه الـلـه ضعـيفـا ، وهـو يعلـم أولا ضعفه، يعلم أنه مجرد دودة ، بالنسبة لـلقدرة الإلـهية . في قول منسوب إلى الإمام علىﷺ : اعجبوا لـهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خـرم " (سرنى أول ٢٤٥ ، وأحاديث مثنوى ٦٣) وإلا فـانه بالنسبة لـلمخلوقات سيدها وخليفة الـلـه فيها (انظـر مقدمة الترجمة العربـية لـلكتاب الرابع)" ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة قذرة وآخـره جيفـة قذرة وهو فيما بـينهما يحمل العذرة " . ليته يتذكر أصلـه بـين الآن والآخر ، كما كان " إيـاز " ، يتذكر رداه الجلدى وحذاءه الريفـــي ، أى لباسه أيام كان راعيـــا فقيرا .

(١٨٥٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ، بطلبها إياز أويماق مملوك السلطان محمود الغزنـوى (٣٦٠-٤٢١ هـ ، ٩٧٠ - ١٠٣٠ م) وتعنى إياز بالتركية المضئ والمنير والمشرق واللامـع (جلبنارلى 5/317) ولب الحكاية يرجع إلى الروايات الشعبية السائدة في بلاد المشرق عمومـا عن ذلك الذي لا تسكره السلطة عندما يصل إليها وبخاصة إذا كان من أصل وضيع ، ويرجـع فروزانفر (مآخذ / ١٧٣ - ١٧٤) الحكاية إلى ما ورد في أسرارالتوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد عن نساج وصل إلى الوزارة فأقام نولا إلى جوار دست الحكم كان ينسج عليه بين الآن والآخر حتى لا ينسى أصله ، وإلى ما ورد عن أبى نعيـم الأصفهـانى فـي للحليـة عـن الخليفـة الأموى عمر بن عبـد العزيـز (٩٩-١٠١ م / ٧١٧ - ٧٢٠ م) ، حيث كـان يقيـم مبتعـدا فـي حجرة متواضعة وفي عنقه جنزير (كالعبد)من أول الليل حتى طلـوع النهـار ، وكـان أول من نظم الحكاية هو فريد الدين العطار في منظومة " مصيبيت نامه " ، وقد أشار مولانـا إلـى إيـاز عدة إشارات في الأجزاء السابقة من المثنـوى (منهـا علـى سـبيل المثـال البيـت ١٠٥٢الكتـاب الثـانى ، وأشـار إشـارة مجملـة إلـى علاقـة إيـاز بردائـه الجلدى الريفـي الكتـاب الرابـع ٨٨٧) ويروى المولوى(٥/٣٧١) ، و (انقروى ٥/٤٣٣)، كان قرويـا فقيرا فخـرج السلطـان محمـود يوما إلى الصيد فمرق صيده من أمامه فتبعه، وبعد عن عسـكره فـأتى خيمـة تركمـانى وطلـب منها ماء ولم يكن سوى إياز موجودا في الخيمة، وعلم بالفراسة أنه السلطان، فأعد لـه مجلسـا ونادمة فسر منه السلطان، وكان اياز قد قال لـه إن أبـاه ذهـب ليحضـر مـاء ، لكنـه بعد فـترة أخرج له ماء من الخيمة، وفسر ذلك بأنه لم يقدم للسـلطان المـاء وهـو عرقـان ومجهد فشـغله بالحديث حتى استراح، جسده فعجب السـلطان مـن ذكـاه إيـازرغم صغـر سـنه ، وضمـه إلـى مماليكه ، والحكاية رويت عن أكثر من سلطان وغلام أو جاريـة . المهم فـي هـذا المجـال أن

روايات كثيرة رويت عن إياز ومحموداً أشهرها تلك التى رواها نظامى العروض السمرقندى في كتاب المقالات الأربع عن مجلس للشراب كان إياز حاضرا فيه وأن الخمر لعبت برأس السلطان محمود فاشتهى " إياز " ، ثم طلب أن تقص طرة اياز التى ألقت به في هذه الشهوة ، وطلب من العنصرى شاعره أن يقول شعرا في ذلك ، وواضح أن الحكاية واضحة الافتعال . (جهار مقاله ، لنظامى عروضىالسمرقندى ، طبعة مصورة اوفست ، عن طبعة ليدن ، ص ٣٤ - ٣٦ ، وانظر الترجمة العربية ليحيى الخشاب ، وعبد الوهاب عزام) . لكن تلك العلاقة الحميمة بين اياز ومحمود أوحت فيما بعد إلى الصوفية بجعل اياز رمزا للمحب والعاشق للسلطان (الإنسان العاشق للحقيقة والمريد العاشق لشيخه أو كمثال لجلال الدين الرومى وشمس الدين التبريزى) ، وفي عصور الانحطاط نظمت منظومات كاملة حول هذا الموضوع مليئة بالإحالات ، ومن الواضح أن القصة هنا هى " قصة " هذا الكتاب من قصص " العشق " ، (فى مقابل قصة وكيل صدر بخارى في الكتاب الثالث والنديم الذي حكم عليه الملك بالإعدام ثم توسط شفيع له ، وغضب النديم على الشفيع في الكتاب الرابع) ، ومن الواضح أن كل أبطال هذه القصص من الرجال (العشاق والمعشوقين) ، وهو ما قد يثير بعض الشبهات عند أصحاب الثقافة الغربية الذين يعتبرون هذا الأمر نوعا من الشذوذ ، في حين أن التوحد الجنسى هنا يخرج أي دور للجسد في علاقة المحبة القائمة بين أبطالها .

(١٨٥٩) : إن من أخص الأمور التى تجعل الإنسان يحس بشيء من التوازن هو أن يذكر وهاد حياته عندما يرتفع فلا تبطره النعمة ، ولا يطغيه الاستغناء ، والإنسان وهو سيد الخليقة إذا ذكر في النهاية انه مجرد حمأ مسنون ، وأنه الضئيل الحقير بها نهاية في مقابل العظيم بلا نهاية ، فإن ذلك سوف يخفف من غلوائه (انظر الأبيات ٨٨١ - ٨٨٣ من الكتاب الرابع وشروحها) .

(١٨٦٦) : من إفاضات مولانا جلال الدين خارج إطار الحكاية وخارج تيارها : منتهى عطية السلطان (الله) للمرء (اياز) هو العشق وما فوقه مطمع ولا مطمح ، فأى اهتمام يبديه العبد هو دون هذا العشق وهو نقص للوفاء وكفران بالنعمة (لنقض الوفاء انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٨٦ - ٢٩٧ وشروحها) .

(١٨٧٣ - ١٨٧٧) : كيف يكون الملك ملكا ثم يصدق وشاية الأمراء ؟! لا لم يكن يصدقها كان يعلم أن الأمراء من المنافقين ، وكان يريد أن يفضح نفاقهم على أيديهم ﴿ إن المنافقين

يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ (النساء / ١٤٢) ، لكنه يخشى شيئاً واحد ، يخشى أن يتألم إيازمن هذا الظن السئ ، وماذا إن كان قد فعل ، أي ذهب وأية جواهر يضن بها المحبوب على محبه .. هو محبوبنا (وكل ما فعله المحبوب محبوب) ، (انقروى ٥/٤٢٤) . وكل ما فعله المحبوب فقد فعله المحب ، (فأنا يده التى يبطش بها وقدمه التى يسعى بها) ، فالحجاب بين العاشق والمعشوق صورى لا يمنع الاتحاد حقيقة ، كأنه يقول : ولو كنا في الصورة متغايرين ولكن باعتبار الحقيقة لا امتياز ولا مغايرة .

(١٨٧٩ – ١٨٨٧) : لكن كيف يخون ؟! إن هذا محال ، وها هو الوجد يأخذ بتلابيب مولانا ، فيزداد إيقاع الأبيات بيت بعد بيت ، ويأخذه بوح العشق ، إن الأمر هنا خرج عن إطار محمود وعن إطار اياز وعن كل إطار بشرى ، فأي إياز هذا الذي تكون البحار السبعة قطرة واحدة منه ، والذي يكون أصلا لكل أنواع الطهر ، أي إياز هذا الذي يكون الوجود كله رشحة من موجه ، نحن في هذه الحكاية من حكايات العشق أمام معشوق عاشق ، وعاشق معشوق وكلاهما المعشوق والعاشق يحمل تجاه الطرف الآخر الشعورين معاً (أليس الأمر فى الحقيقة هو هذا ؟) إن هذا الكامل المقرب إلينا ليحسده كل المقربين ، فهو منا بمنزلة العين والمصباح ، فإياز هنا هو الإنسان الكامل والمتصل الفانى فى ملك محمود ، أما المراد بالبحار السبعة فهى اللطائف الإنسانية السبعة والبطون السبعة للآيات ومدن العشق السبعة والكنوز السبعة والأعضاء السبعة فى بدن الإنسان والأنوار السبعة والمرايا السبعة والأيام السبعة (سبزوارى ٣٧٤) ، إن عظمة الإنسان عندما يكون مقرباً تبدو بلا حد ، ومن الذى يمكن أن يصف هذا الذى لا تحتويه الأفلاك، من الذى يستطيع أن يصف ذلك المخلوق من تراب الذى سما عن التراب وصار إليهما ويز الملائكة ، ولم يعد جسداً ، دعنى إذن أصرخ ما دمت لا أستطيع القول "آفة الحال إدراك المقال" ، (إننى حائر بين الحديث والبكاء ، أأبكى أو أتحدث رباه ماذا أفعل ؟ فإن تحدثت فاتتى البكاء ، وإن بكيت فكيف أفصح عن الشكر والثناء ، ٤٧١٢-٤٧١٣ من الكتاب الثالث) وليت الوجود كان ذا لسان ، حتى يرفع الحجب عن الموجودات ، وكل ما تقوله يانفس الوجود عن الوجود إعلم أنك قد وضعت عليه حجاباً آخر ، إن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال ، وغسل الدم بالدم محال محال (٤٧٢٨-٤٧٣٠ من الكتاب الثالث) ، لكن لابد من الإفصاح ، أصرخ ، أرقص ، فإن القلب لا يحتمل كل ما فيه وهو رقيق كالزجاجة ، مزق الثياب وجداً بدلاً من أن يتمزق القلب الرقيق الضعيف الذى فاض بما فيه من العشق .

(١٨٨٨ - ١٨٩٠) : اختلف المفسرون حول هذه الأبيات الثلاثة فقد فسر الأنقروى والمولوى (انقروى ٤٢٧/٥-مولوى ٢٧٥/٥) بأنه جنون روحانى وزيادة فى الوجد ، حالة كانت تنتاب مولانا بمجرد ظهور الهلال فكان يندفع فى الرقص ، وقد ورد المعنى أيضاً فى ديوان شمس تبريز : ثانية جاء أول الشهر ، وهذا هى نوبة الجنون (عن استعلامى ٣٠٧/٥) ويرى عبد الباقى (٣١٩/٥) أنه كان من المعتقدات الشعبية أن يجن الرجال فى أول كل شهر ثلاثة أيام (فى مقابل العادة الشهرية عن النساء) ويرى جعفرى (٥٦٧/١١-٥٦٩) أن ظهور الهلال كان يثير فى مولانا الوجد لأنه يذكره بسطوع الأنوار الإلهية ، (كان أو لى تمام البدر) ، ويؤيد ما ذهب إليه عبد الباقى لكنه لا يراه معتقداً شعبياً بل يراه نظرية قال بها علماء النفس الغربيون ، على كل حال يمكن أن يكون عبد الباقى أقرب إلى المعتقدات الشعبية التركية التى كانت سائدة فى بيئة الأناضول فى عصر مولانا، ويفسر ملا هادى السبزوارى الأمر تفسيراً فلسفياً ، فيرى أن الأيام الثلاثة مجاز يعنى فترة العمر لأن الزمان كله اعتباراً هو أيام ثلاثة : أمس واليوم وغداً وهو تجلى للماضى والحاضر والمستقبل ، ففى كل آن تجل جديد وطلوع نور على الإنسان الذى هو خليفة الله كما أن القمر خليفة الشمس (ص ٣٧٤ ، ٣٧٥) أما معنى هذا يوم السعادة لا يوم الفيروز ، فذلك الغارق فى السعادة الروحية والفضل الإلهى لا يعنيه أن ينظر إلى خاتمة الفيروزى عند رؤية الهلال حتى يكون الشهر كله رزقاً وبركة وسعادة (استعلامى ٣٠٧/٥) ، لكن أى أول شهر ، ترى هل يكون الوجد والعشق والفناء موقوتاً بوقت أن الشهر كله بالنسبة لى بمثابة أول الشهر ، فأنا دائم فى وجدة غارق فى عشقه مجنون به .

(١٨٩١ - ١٨٩٥) : من الأوفق أن يكون البيت ١٨٩١ بعد العنوان التالى ، إن أية حكاية من حكايات العشق تجرنى نحو ذلك الجنون ، نحو ذلك العشق الذى يكوينى بناره ولا أجد له دفعاً ، فاركض ، وأحن ، مثلما يحن الفيل إلى موطنه (انظر لتفصيلات هذه الفكرة الكتاب الرابع ٣٠٦٨-٣٠٧١ وشروحها) ، والشطرة الثانية فى البيت ١٨٩٢ تعنى أنه لجنونه هذا قد صار فاقدا لكل مسئوليته (انظر ٥١٧-٥٢٣ من الكتاب الثالث عن خراب القرية وتخريبها للعقول والقلوب) ، وعن البقاء في الفناء انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث ومن الملاحظ أن مولانا عندما يفيض به الوجد ينظم شعراً بالعربية (انظر الكتاب الثالث هيا تحدث بالفارسية وإن كانت العربية أحلى ، وللعشق فى حد ذاته مائة لغة أخرى البيت ٣٨٤٤) .

(١٨٩٦ - ١٩٠٦) : يستمر مولانا خارج إيقاع لحن "اياز" كما عبر ، والواقع أنه ما طرح هذا اللحن إلا لكى يغوص فى وجده ، فكل عشق بين رجال الحق "أو من يرمزون إلى رجال الحق بالطبع" إنما يحرك عنده عرق التجانس ومحبته لرجال الحق "شمس الدين أو حسام الدين" ، فهكذا ، إننى عاجز عن إكمال هذه الحكاية ، ألا فلتطلع على أحوالى وتتحدث عنها أنت ، كأنه يحدث حسن حسام الدين ، إجذبه - أى المثنوى - فينجذب إليك ، أقرأنى وردد ، فأنا جبل الطور ، وأنت موسى الوقت ، وهذا - أى المثنوى - هو الصدى (عن الجبال ونزوع رجال الحق إلى الخلوة فى الجبال انظر الكتاب الثالث ١٣٥٠-١٣٥٥ وشروحها) ، وهذا الجبل لا يعرف شيئاً إنه يردد كل ما يقوله موسى ، إنه جسد ، ومع ذلك فالجسد يستمد قليلاً من لطف الروح ، وهكذا صرف أسطورة ، لأننى ذبت فى رجال الله (انظر ١١٤٧ من الكتاب الثالث وانظر أيضاً الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) إن رجال الحق يفيضون على التراب وعلى الجماد من أنوارهم ، فما بالك بأولئك الذين يلازمونهم ويأخذون عنهم ، ولماذا لا تكون الروح فى حاجة إلى جسد، إن ذلك المنجم كليل البصر ، ولا يستطيع أن يكتشف الكواكب وأن ينظر إلى الشمس إلا بمعونة الاصطرلاب ، وهكذا روح السالك هى المنجم والجسد كالاصطرلب ، لكن إياك أن تعتمد على هذا الاصطرلاب، إن الرؤى التى يكشفها قاصرة جداً ، فكيف يحيط هذا الاصطرلاب المحدود بهذا الكون؟ كفاك ادعاء وفيهقة .
(١٩٠٧ - ١٩١٧) : هيا ابحث عن كحل العارفين "المعرفة ، الفيض وذلك الدواء الذى يجعلك تنظر إلى الأمور كما ينبغى وهذا يجعل عينك تصير فى سعة البحر ، بعد أن كانت مجرد جدول (وانظر أيضاً عن كحل العارفين الأبيات ٣٣٧٢ - ٣٣٧٥ من الكتاب الرابع وشروحها) ، ما هذا الذى أقوله إننى لا جدال قد فقدت الوعى ، ترى لماذا ينكر جلال الدين هنا ما يقوله؟ أتراه يستبعد أن تتحول العيون الكليلة إلى عيون حادة لمجرد أنها اقتربت من العارفين ، أو تراه يرى نفسه على وشك أن يخوض فى أمور ليس له أن يخوض فيها ، فينأى بنفسه من طرف السطح قبل أن يسقط فيه (عن طرف السطح انظر الكتاب الرابع ٢١٥٠-٢١٥٣ وشروحها) لكن ما ذنبى أنا ، أنه ذنب من سلبنى الحجى ، من سلبنى العقل ، من جعلنى أتخبط هكذا فى الكلام ، لأهرب ، لأتحدث بالعربية ، فكم هم الذين يفهمون العربية فى هذا المجلس ؟ ها أنا أخاطبك أى عقل أبحث عنه ؟ إن العقل عقال ، والعقول فى تلك الناحية لا تساوى الألف منها خردلة منذ أن همت فيك وجننت بك لم أشته أن يكون لى عقل ،

وجنونى إنما هو فى هواك ، لكن ما دخل اللغة هنا ؟ حتى إن تحدثت بالفارسية فمن الذى يستطيع أن يفهم هذا الكلام "لقد مت حسرة على الفهم الصحيح" وها هم شراح المثنوى يقولون أن المخاطب تارة هو شمس الدين وتارة هو حسام الدين ، أى شمس دين وحسام دين ، أيمكن أن يكون المخاطب هنا بشراً ثم ينجو مولانا من القيل والقال ، وهل يمكن أن يكون كل هذا الهيام فى بشر ، حتى ولو كان هذا البشر هو شمس الدين أو حتى حسام الدين ، إن العلاقة بين مولانا وبين شمس الدين وحسام الدين تظل قائمة على علاقة الإبداع ، إنهما هما اللذان يدفعانه إلى الإبداع ، وحسام الدين يجر الكلام منه جرا إلى حيث يريد الله له أن يكون" (انظر الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) لكن من المحال أن يكون هيام العشق موجهاً إلى حسام الدين أو شمس الدين ، وكأن مولانا كان يتوقع كل هذا التخريجات ، فيتساءل هل يتحمل كل وعى خمره (الإلهية) وهل يمكن لكل إنسان أن يكون عبداً له؟ ها أنا ذا دليل لك ، لا يزال الجنون ينتابنى بين الآن والآخر ، فهاتوا القيد ، هاتوا القيد ، امنعوا هذا المجنون من الحديث والقول ، لكن قيدى من جدائل حبيبى ، وما عداه من قيود لا يمكن أن يمنعنى من الحديث ، أية قيود صورية إنما القيود هنا داخل القلوب .

(١٩١٨ - ١٩٢٦) : عودة إلى قصة إياز ، لكنها عودة لمجرد التذكير بأنه يتحدث عن قصة إياز وحذائه وسترته ، ثم انطلاق نحو مستوى آخر من الحديث هو مزيج هذه المرة بين العرفان والأخلاق ، والآية فى العنوان ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ والجواب ﴿خلق من ماء دافق﴾ (٥ ، ٦ من سورة الطارق) قال نجم الدين حفظتك فى هذا القبيل يحفظونك من العاهات الجسمانية والآفات الروحانية وأنت غافل عن نفسك وعن حفظتك وتحسب أنك خلقت للأكل والشرب والجماع أما تعلم أن الله خلق لطيفتك الإرادية من ماء الرحمة المصبوب فى رحم قلبك مما كان مودعاً فى صلب روحك ومن ماء التربية المستودع فى ترائب قلبك وقت التخمير أن الله غالب على رجعه إلى أصله إن لم يعط حقه" (مولوى٥/٢٧٩) إن هذه القصة فى رأى مولانا كنز ملئ بالأسرار وهذا هو أحد أسرارها، إن أحد أسباب احتفاظ إياز بملابسة القديمة هو أن ينظر إليها قائلاً لنفسه : انتبه هكذا كنت ، إياك والكبرياء ، إنك مجرد راعى وقروى ولست نديم السلطان ، وينطلق مولانا نحو الدرس : إن وجود النعمة يحدث طغياناً يعبر عنه مولانا بكلمة "السكر" ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ (العلق ٦-٧) انه سكر الوجود يحس المرء أنه مالك لوجوده أو بالتعبير المعاصر مالك لمصيره مسيطر على

حياته "سيد نفسه" إلى غير ذلك من التعبيرات المضحكة، فيسقط سقوطاً ذريعاً في الكبرياء الذى هو ضريب الشرك ، القرون السابقة بادت لأنهم ظنوا أنهم "قادرون عليها" أى قادرون على الأرض مسيطرون يفعلون ما يشاءون ، وإليك المثال الأول عن الكبرياء :عزازيل" ابليس" عندما عصى عن أمر ربه كان يسمى عزازيل وكان من الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون لكنه لم يتحمل السجود لآدم ، كان مانعه الكبرياء ، ومن الكبرياء كان العصيان الأول (يضيق بنا هنا المقام إن ذكرنا المواضع التى ذكر فيها إبليس أو عزازيل فى المثنوى ، فلا يكاد يوجد كتاب من كتب المثنوى الستة لم يذكر فيها أكثر من مرة، إنه المعادل الموضوعى لآدم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أدى الحسد إلى العصيان والتكبر والضلال والإضلال ، وهكذا النفس إن أرخيت لها حبال العصيان خرجت من معصية إلى معصية، لقد ظن إبليس أن النار أسمى من التراب ، ﴿ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ (الأعراف ١٢) ، كانت نار غضبه تشتعل من داخله فتلقى بلهيبها وألسنتها خلطاً وكفراً وتجبراً وعصياناً ، ومن هنا قيل "الولد سر أبيه" إنه ابن هذه النار والمعبر عنها والمخبر عن صفاتها من إحراق وغيره (عن الحديث انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣١١٦-٣١١٩ وشروحها) .

(١٩٢٧ - ١٩٣٦) : الآية المذكورة فى العنوان الرحمن ١٥ والآية الثانية ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (الكهف ٥٠) ، ويذكر مولانا حديث "الولد سر أبيه" ثم يستدرك ويراجع نفسه ، إنه هنا يتوسل بالأسباب والعلل ويبحث عن علة يبرر بها عصيان إبليس ، ويقول أنها من أصله لا إن الأمر كله لا يعدو قهراً من الله تعالى عز وجل، فلا يرتبط عصيانه بكونه مخلوقاً من نار لأن من الجن من آمن والله تعالى مبرأ من العلل ﴿ إذا قضى أمراً فإنه يقول له كن فيكون ﴾ فى صنع متواصل مستمر طاهر مبرأ من العلة التى هى حادثة وعرضة للتغير والتبدل ، ولا يصح أن يذكر هنا الأب أو سواه لأن مرجعنا جميعاً إليه ، وخلقتنا جميعاً منه ، وما الآباء إلا مجرد صور جعلها الله سبباً للخليقة وإلا لو شاء لخلق من غير أب "عيسى عليه السلام عليه " بل من غير أب ومن غير أم "آدم عليه السلام" ، هذا هو اللباب وما سواه قشور ، لقد قبل من قبل دون علة ورد من رد دون علة ، والحقائق لا تتقلب فالعشق هو رفيقك أيها المرفه الذى فى هشاشة البندق ، إنك قدمت الجلد ، والقشر حتى تصبح مصداقاً للآية الكريمة ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم

بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ (النساء ٥٦) وأن اللباب منك ليسيطر على النار نفسها ، لكن النار فى حاجة دائماً إلى القشور ، فنور العبادة يطفئ النار "جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى" لكن غثاء المعصية يزيدها ضراماً ، وانظر لكى تعرف أنك إذا كنت تحتوى على ماء المعرفة فلن تستطيع النار أن تحرقك ، مثل القدر ، فهل رأيت قدراً مليئاً بالماء أحرقته النار؟ إن النار تبدأ فى إحراق القدر عندما يتبخر كل ما فيه من ماء ، وخازن النار نفسها المسيطر عليها المسمى بمالك هو مخلوق ، فانظر إلى حكمة الله تعالى يجعل مخلوقًا خازناً على معدن الغضب ، وأنت لم تسيطر على معدن الغضب داخلك ولا تفتأ تمده بالقشور ، إن مالك مسيطر على النيران لأنه حقق معنى الإنسانية ، فحقق أنت أيضاً معنى الإنسانية وكن جديراً بأحسن التقويم .

(١٩٣٧ – ١٩٤٩): هناك جانبان يوجدان في الإنسان بدن وروح أو كما يعبر مولانا فى هذا الموضع قشر ولب ، وها أنت تضع قشراً فوق قشر ، وكأنك تعد نفسك لكى تكون "حصب جهنم" وطعاماً للنيران ، والله تعالى سالخ لهذه الجلود والقشور ، من مال وجاه ومنصب ما لم تكن له سبحانه وتعالى ، وأنت إن لم تكن قد أعطيت لما تكبرت كل هذا الكبرياء ، فالمال والجاه هما هما رفيقا هذا الكبرياء الحميمان ، وسأضرب لك مثلاً ، أن هذا الكبرياء غفلة عن المعنى وغياب عن الحقائق لأنك لو علمت من كنت ومن تكون وإلى أين أنت صائر لما تكبرت ، فما أشبهك بثلج متجمد (تركت الحالة الإنسانية إلى الحالة الجمادية) لأنه فى غياب وفى غفلة عن الشمس ، انظر إلى نفس هذا الثلج عندما تسطع على الشمس يتحول إلى ماء يجرى وينطلق وتكون منه الحياة لكل المخلوقات فاطمع فى اللب والمعنى ، ولا تنظر إلى الحديث "ذل من طمع"، فالطمع هنا هو المذكور في أقوال الأئمة رضوان الله عليهم " عن على رضى الله عنه "ما هدم الدين مثل البدع ولا أفسد الرجل مثل الطمع" على بن الحسين رضى الله عنه "رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع في ما أيدى الناس" عن الصادق رضى الله عنه "خمس من لم تكن فيه لم يهنأ بالعيش الصحة والأمن والعتاد والقناعة والأنيس الموافق (جعفرى ٥٨٦/١١)" ولا تقنع بالقشور متعللاً بـ "عز من قنع" ، فليس الذل والعز المقصودان هنا باللذين تفهم ، فعز الدنيا ذل فى الآخرة ، وانظر إلى الحجر إنه يفنى فى حرارة الشمس فيتحول إلى جوهر ، إن ذله هذا رفعة وعظمة وترقى وعلو وسمو ، والعجيب أنك تبدى الكبرياء وأنت فى مرحلة الجمادية لا تزال ، فلا أنت نقيت نفسك ولا أنت واصلت

الطريق ولا أنت قمت بالتصفية وعرضت نفسك لشموس الطريق ، ولا أنت فنيت عن البشرية وتحققت بالألوهية، فهل من المعقول أن تقوم بكل هذا الادعاء وكل هذا الكبرياء والتنفج وأنت كل ما تقوم به أنك تعمل فى مستودع قمامة ، كلما زادت القمامة فيه تحقق له الكمال (انظر لتفصيلات عن هذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ٢٣٨ - ٢٥٦ والبيت ١٠٤٤ وشروحها) وهكذا يعتمد الكبرياء على المال والجاه ، فانهما يغذيان هذا الوليد الشيطانى بالشحم واللحم ظناً منهما أن هذا هو اللباب جاهلين بأن كل هذه قشور تذهب غثاء ، وكل لحم نبت من سحت وحرام فالنار أولى به .

(١٩٥٠ - ١٩٥٩) : وإبليس هو الذى سن هذه السنة ، كان أول من تكبر وعصى ولم يكن عصيانه إلا بسبب الجاه، كان يتعبد ويبالغ فى العبادة لا حباً فى الله ولكن رغبة فى أن يكون رئيساً للملائكة ، فلما كان التكريم والتبجيل لآدم طعن فى الصميم، ففقد كل شئ ، لقد كان الاختيار الإلهى بكائن من تراب طعنه نجلاء فى قلب إبليس والمال حية والجاه أضر منها" ولا شيئ ينجيك من هذا إلا أن تدخل تحت رعاية أحد الرجال ، يأخذ بيدك ، ويتبع فى داخلك هذا الشيطان الذى يجرى منك مجرى الدم ، إنه يكون بمثابة الزمرد الذى تقتلع عين تلك الحية ، (كان القدماء يعتقدون أن الزمرد يخلع عين الحية ويبطل خطرها وهذا الأمر من قبيل الأساطير التى انتقلت من حكماء اليونان عبد الحسين زرين كوب : سرنى ، نقد وشرح تحليلى وتطبيقى مثنوى جـ١ ، ص ٢١٧ ،.ط٣ ، تهران ، علمى ١٣٦٨ هـ.ش) لقد سن إبليس هذه السنة ، هو رئيس الشر ، هو الذى وضع هذه الشوكة فى الطريق ، وكل من أرداه كبرياؤه لعن إبليس {فكل من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة} ، كان هذا هو ديدن إبليس لعنة الله عليه ، لكن انظر إلى آدم ، كان يضع سترته وحذاءه دائما أمام عينيه ، كان يضع نصي عينه دائما إنه خلق من طين وأن الكرم الإلهى هو الذي نفخ منه من روحه ، كان يعلم أنه من العدم ، وأن العدم هذا هو أصل الوجود .

(١٩٦٠ - ١٩٧٣) : العدم في الحقيقة ليس عدما فإنه مصنع الوجود ، وإلا من أين يأتى الوجود إن لم يكن قد أتى من العدم (انظر الكتاب الثالث ٣٧٧٣ - ٣٧٧٤ وشروحها ، وانظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٠٢٠ - ١٠٢٥) . ويرى زرين كوب أن مفهوم مولانا جلال الدين عن العدم يشبه إلى حد ما مفهوم ابن عربى عنه ، وعند ابن عربى يرى عدم ظرفية الأعيان الثابتة في مرحلة ما قبل ظهورها ومن هنا فإنه يعبر عن هذه النسب الذاتية في

مرتبة فقدانها الصورة بأنها الأعيان الثابتة، ومن هنا يرى لها نوعا من الثبات والوجـود ، وإن اختلفت أوصاف العدم ومراتب الظهور بين ابن عربى وجلال الدين ذلك أنهـا نابعـة عنـد ابـن عربى من نظرتيه في وحدة الوجود ورأى الصوفية في هذا الموضوع تلفيق بين آراء المعتزلة والأشاعرة حوله ، وبالرغم من أن مولانا يرد قول المعتزلة في التعبير عن المعدوم بالشـئ ، فهو بقوله أن العدم هو مصنع الوجود يلتقى مع المتكلمين وبالرغم من أن كل ما هو مطـروح عند الصوفية عن العدم والوجود مأخوذ من مناقشـات الفلاسـفة الرواقيين ، تبـدو كـل أقوالهـم متـأثرة بمفهـوم ارسـطو عـن العـدم ومـن أهـم التفصيـلات فـي هـذا الصـدد مباحثـات الإمـام الشهرستانى في نهاية الإقدام . (عن سرنى : عبد الحسين زرين كـوب جلد ١ ، صـص ٢٠٩ - ٢١٠) . ولا معنى للخلق إن لم يكن إيجاد من العدم ، تماما مثلما لايكون معنى للكتابة علـى ورقة مكتوبة أو وضع البذور في أرض مبذورة بالفعل ، فكن أنت أيضاً عدما حتى تكون مهيأ لكى يتطلف بك الكرم ويجعلك مصداقا " لنون والقلم " ، فنـون كنايـة عـن العلـم الإلهـى والقلم كناية عن العقل الكلى ، فان أردت أن تشرف بالعلم الإلهى كن عدما وكفـاك تشـدقا بـالوجود ، اطلب لذائذ ذلك العالم وسرور العقـل وسـعادة الفهـم ولـذة الإدراك والوصـول (ذلـك الفـالوذج) ودعم من لذائذ الدنيا فإن دسمها سم ، خذ القوت الشريف ، قـوت العلـم والمعرفـة ودعـك مـن دسم الدنيا فإنه سبب المرض ، هو الذي ينسيك أصلك ، فلا تذكـره إلا فـي حشـرجة النـزع ، فالسكران بالخمر قد يفيق ولكن المثل بالدنيا لا يفيق إلا عند النزع ، تتجلى له في لحظة فيدرك اغترار به بها وتجرعه خداعها ، ويذكر انـه لـم يكـن يسـاوى شيئا دون رعايـة مـن اللـه وكـرم منه ، ولأنك لم تلحق بسـفينة الصـادقين وبقيـت غريقـا بيـن أمـواج قبحـك وكبريـائك وتسـلطك وإيذائك لخلق الله وجبروتك وطغيانك ، ولا تتذكر من أنت في الأصل ومن أي شـئ خلقـت ، وإن كل ما أنت فيه إنما هو من الله تعالى ومـن عطايـاه ومـن خزائنـه التـى لا تنفـد ، إنـك لا تعترف بكل هذا إلا حين يدركك الغرق ﴿ حتى إذا أدركـه الغـرق ، قـال آمنـت أنـه لا إلـه إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل ﴾ (يونس /٩٠) . وأخـذت وأنـت فـي النـزع تـردد ﴿ ربنـا ظلمنـا أنفسنا ﴾ ، لقد فات الوقت أيها الديك الذي تصيح في غير أوان (انظـر الكتـاب الثـالث الأبيـات ٣٣٣١ - ٣٣٣٩ وشروحها) ، إن هذه ليست صلاة ، إنها صورة صلاة ، لقد فات الوقت ، إذ تذكر الله عند البلاء ، ولقد كان إياز من ديكة السماء ، تلك الديكة التى لا تؤذن إلا في الوقـت المعلوم ، إذا انه يذكر الله ويذكر فضل الله وهـو فـي قمـة الرخـاء.و بالنسـبة لديـك السـماء :

يعتمد على رواية رويت عن الرسول ﷺ أنه رأى ليلة المعراج ديكا بعظمة كل الوجود يخفق بجناحيه ويسبح بحمد الله فتجاوبه ديكة الأرض ، ويقول الغزالى في إحياء علوم الدين أن هذا الديك يوقظ القائمين في الثلث الأول من الليل والمتهجدين في الثلث الثانى والغافلين عند الفجر ، (استعلامى ٥/٣١٢ - ٣١٣) .

(١٩٧٤ - ١٩٨٤) : في العنوان : اللهم أرنا الأشياء كما هى ، دعاء منسوب إلى الرسول ﷺ (أحاديث مثنوى /٤٥) ، ولمولانا جلال الدين : وإذا كانت الرؤية الصحيحة بالأمر الهين فمتى كان الرسول ﷺ يطلبها من الله ، أما العبارة الثانية : " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، فمنسوبة إلى الإمام على ﷺ والبيت المذكور في العنوان لمولانا جلال الدين " والدرجة العوجاء تلقى ظلا أعوج " من الأمثال الفارسية ، يقول مولانا : أيها العبيد تعلموا العبادة الصحيحة من اياز ، إن الدنيا لم تبصره ، فعبادته من أجل الحق لا من أجل المنفعة (مثلما كانت عبادة عزازيل) ، إنه ديك يعلم الفجر الصادق (الآخرة) ولا يخدعه الصبح الكاذب (الدنيا) ، ذلك الذي أهلك القوافل ، وإياك أن تقول عنه انه كاذب منافق مرائى فإنك بهذا تصف نفسك ، وتنظر في مرآتك ، وسوء الظن من سوء الفعل ، ولعل مولانا في هذا المعنى ناظر إلى البيت العربى :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يلقاه من توهم

والمثل الدارج الفارسى : " الكافر يظن أن الناس جميعا على دينه " . والأمر ليس ببعيد ، لقد سمى الكفار الأنبياء بالسحرة والكهنة ، واعتبر أولئك الضالون الأنبياء من الضالين ، ويعود مولانا إلى قصة اياز ، هكذا كان ديدن هؤلاء الأمراء مع اياز وهذا هو سر ظنهم باياز ، إنهم يظنونه مثلهم .

(١٩٨٩ - ١٩٩٨) : بالرغم من أن الحديث يدخل في إطار قصة إياز إلا أن الذي يجرى على لسان الملك أدخل في باب آداب الطريق (الصوفى) ذلك أن الملك هنا يحس بوحدة مع اياز (وحدة المشاعر والأحاسيس بين الشيخ والمريد أو بين الحقيقة العليا والدنيا) ، انه يتساءل : تراه سوف يضيق من هذا البلاء ، لا ، لن يضيق ... إنه وقور ثابت كالجبل ، وسوف يتلقى هذا البلاء كما ينبغى ، إنه بلاء من الحبيب فهو لطف وليس قهرا ، إنه سوف يفسر هذا الأمر بنفس السهولة التى فسر بها سيدنا يوسف عليه السلام رؤى صاحبى السجن (انظر يوسف /٤١) ، والكلام الذي يجرى على لسان الملك يشبه أن يكون كلام الخالق في الولى الصالح ، والبيت ١٩٩٦ لعل فيه إشارة إلى ما مر في الكتاب

الرابع عن ضرب المريدين لأبى يزيد البسطامى بالمدى (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٤ وشروحها) ، ويقرر بعدها أن اياز هو هو : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ، في الحب تسقط الاثنينية ، ويكون استخدام الضميرين أنا وأنت من قبيل الإشراك ، وهذا الاتحاد ليس مشاركة في الوجود لان كل ما هو في الوجود له تحققه العينى ، كما انه لا يعنى اشتراكا في الجنس واشتراكا في السمات أو في سائر الظواهر والخواص ، لأن البشر كلهم مشتركون فيها ، وهناك علاقات كثيرة تقوم فيما بينهم منها العشق كما أنه ليس مشاركة في الأفكار والمثل ، الذي يصل إلى أن يكون انمحاءً كاملا في شخصية المعشوق بحيث تعبر عنه تعبيرا حقيقيا الحكاية التالية (جعفرى ٥٩٧/١١ - ٥٩٩) .

(١٩٩٩ - ٢٠١٩) : يقدم مولانا عالم العشاق الحقيقيين ، عشاق الحق ، فعاشق الحق لا يعتبر لنفسه وجودا غير وجود الحق ، ولا يعتبر للكائنات كلها وجودا ، بل هو ذائب في العشق الإلهى ذوبانا تاما ، ويقول في العنوان : إن العاشق والمعشوق قد يكونان متناقضين تناقض الاحتياج والاستغناء ، أي قد يكون أحدهما مستغنيا والآخر محتاجاً لكن كلا منهما منجذب إلى الآخر ، هما في الحقيقة واحد كالمرآة والصورة المنعكسة فيها ، والعاقل تكفيه هذه الإشارات ، فما الحاجة إلى القول بأنى أرد بهذا الكلام على من يزعمون انه من المحال أن يكون هناك عشق إلهى ، لأنه كيف يعشق المحتاج إلى ما لانهاية المستغنى إلى ما لا نهاية ، ناهيك عن عشق المستغنى بلا نهاية إلى المحتاج إلى ما نهاية ،" يحبهم ويحبونه "، وهذا الخبر عن الجنون لم يهتم أحد بالبحث عن مصدر له ، وقد يكون من وضع مولانا جلال الدين ، لقد اشتكى المجنون مرضا هو من الهجر والفراق ، فوصف له الطبيب الفصد ، لكن المجنون أبدى خوفه من أن يفصد ، وسأله الطبيب : مم الخوف ، أليست الوحوش تحيط بك دون أن تؤذيك ، أن العشق الذي من وجودك يفيض حتى على الحيوانات من حولك " يشير مولانا جلال الدين إلى أنه من الممكن للحيوان والوحش أن ينسى طبيعته الحيوانية ، إذا أحس بالحب وهو أمر يعرفه مروض الوحوش المحدثون جيداً " (ويعود ويقدم تفسيرا آخر في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٢٧٢١ - ٢٧٢٧ فارجع إليها وإلى شروحها) . ولماذا نبتعد ، انظر إلى كلب أهل الكهف ، نعم ، الكلاب تعرف العشق والحيوانات تعرف العشق ، فمن تم ذلك الذي ينكر العشق ، يكون أقل من الكلب وأقل من الوحش ، ولا تقل أنه كلب واحد ذلك الذي تبع أهل الكهف ، ونام في كهفهم وبعث

معهم ، وذكر معهم في القرآن ، هناك كلاب كثيرة ، تعرف معنى هذا العشق لكنها ليست مشهورة ، ومثالها ما رواه عند الرحمن الجامى في نفحات الأنس : أن سعد الدين الحموى وكان مريدا لنجم الدين كبرى عبر بخاطره ذات يوم سؤال وهو : هل في هذه الأمة من تؤثر صحبته في الكلاب؟ وأدرك الشيخ فنهض ووقف على باب الخانقاه فمر كلب بالخانقاه ووقف وأخذ يهز ذيله، فنظر الشيخ إليه فوصلته العطية، وتحير وغاب عن الوعى ،وأدار وجهه إلى المدينة، وذهب إلى الجبانة ، رأوا أنه حيثما كان يسير كان تحيط به حلقة من الكلاب تبلغ خمسة وستين كلبا وتقف في احترام ، ثم مات فأمر الشيخ بان يدفن وأن يقيموا على قبره نصبا (انقروى ٥/٤٥٤) وبالطبع هذه الروايات رويت قبل أن يتم تدريب الكلاب على أعمال كثيرة قد لا يتقنها البشر ، وهذا التدريب يتم بوسائل عديدة من أهمها أيضاً الرعاية والحب ، وأنك إن أنكرت ذلك فلأنك منكر بطبعك ، فأنت لا تعلم شيئا عن قلوب من هم من جنسك فكيف تعلم شيئا عن قلوب الحيوانات ، إنك لا تأنس إلى البشر وتحاول فهمهم ، فكيف تأنس إلى الوحوش وتحاول فهمها (انظر من أجل العشق السارى في كل الكون إلى الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٣٩٥ - ٤٤٢٣ وشروحها) ، ويظل مولانا جلال الدين منطلقا في تداعياته حول موضوعه المحبب : العشق ، انظر إلى عماد هذه الحياة ، إنه كله قائم على العشق ، حتى تناولك للخبز يكون من ميلك إلى هذا الخبز ، الميل إذن هو الذي يحول هذا الخبر " الميت " إلى روح ، كما أنه أيضا يجعل الروح خالدة ، ويعود مولانا جلال الدين إلى هذا الخبر المروى عن المجنون ، إنه لا يخشى الفصد من أجل نفسه ، بل يخشى على ليلى لأنه يحس أنه ممتلئ بليلى امتلاءً تاما ومن ثم يخشى أن يخز المبضع ليلى ، وإلا فإنه - أي المجنون - عاشق نلجراح ، يسعى إليها ، ففى البلاء يكون النعم .

(٢٠٢٠ - ٢٠٣٠): البيت المذكور في العنوان ، قال عبد الباقى (5/333) ، واستعلامى (٣١٥/٥) ، أنه لسنائى ومن الحديقة وأضافا بأنهما لم يعثرا عليه في الحديقة ، كما لم أعثر عليه في الحديقة ، بل عثرت عليه في منظمة سير العباد إلى المعاد لسنائى (انظر سير العباد إلى المعاد ضمن مثنويات حكيم سنائى ، ص ٢٠٨ ، سطر ١٠ ، تحقيق محمد تقى مدرس رضوى ، انتشارات دانشكاه طهران ، تهران ١٣٤٨ هـ.ش) . ومرآة اليقين يعنى بها قلب العبد المؤمن الذي لا يشوب إيمانه بالله تعالى أدنى شك ولا يريد دليلا أو برهانا ،

والسطر الأخير : أخرج بصفاتي إلى خلقى من رآك رآني ومن قصدك قصدني ، وارد في معراج أبي يزيد البسطامي ، وفيه روايات مختلفة . (انظر انقروى ٤٥٧/٥) ، وانظر من أجل الاختبار الكتاب الثالث ، الأبيات ٧٤٣ - ٧٤٦ وشروحها ، والاختبار جائز عند الوصال وليس في أي وقت آخر (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات عن امتحان المرشد ٣٧٤ - ٣٨٩ وشروحها) ، وعن فناء قطرة الخل في العسل ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٧٠ - ٣٦٧٥ وشروحها) ، وامتلاء الحجر بالشمس وتحوله إلى ياقوت وخروجه عن صفات الحجرية من أفكار سنائي (انظر ديوان سنائي ، ص ٣٧٦) ، وزاد مولانا على الفكرة بأن الحجر الذي يتحول إلى ياقوت يكون كل ما فيه محبا للشمس ، وحتى حبه لذاته هو حب للشمس ، ولا فرق هناك بين حبه لنفسه وحبه للشمس ، فكله من الضياء من المشرق ، الضياء الإلهى .

(٢٠٣١ - ٢٠٤٢) : إنه أي الياقوت أو الحجر الذي تحول إلى الياقوت ، أو العاشق الذي أشرقت عليه شمس العشق فبدلته من حجر إلى ياقوت ، إن لم يتحول إلى ياقوت بالفعل ، فان ذلك الحجر يصبح عدوا لنفسه ، ذلك أنه أنية منفصلة عن الضوء نافرة منه ظلمانية ، ومن ثم فإنه إن أحب نفسه ، وهو لا يزال على حجريته هذا ، فإن هذا يكون من قبيل الكفر ، لا يليق به أن يعترف بأن لنفسه وجودا ، فأى وجود للحجر ، ما أشبهه إذن بفرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، فأذله الله سبحانه وتعالى ، بواسطة موسى عليه السلام ، وإن كنت تريد أن تعرف الفرق ، فانظر إلى الحلاج الذي قال " أنا لله " ومع ذلك فقد نجا بها وصار رأسا للأولياء ، لأنه كان فانيا في صفات الله (انظر لتفصيلات الكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٤ وشروحها) ، والفكرة فيما يرى استعلامي (٣١٦/٥) واردة في معارف برهان محقق ، وتكررت هذه المقارنة في المثنوى كثيرا (انظر الكتاب الثانى الأبيات : ٣٠٧ و٢٥٣١و٢٥٣٢ وشروحها) ، إذا أردت مثالا على الحجر فخذه من فرعون فلم يكن يحق له أن يقولها ، وإذا أردت مثالا عن الياقوت فخذه من المنصور وما كان له أن يقولها إلا بعد أن امتلأ وجوده بالنور ، لم يكن حلولا كما ظن بعضهم ، لكنه كان امتلاء بهذا النور الإلهى ، وأنا أقول لك أيها المريد ، جاهد ، فمن جهادك هذا يمكن للحجر الكامن فيك أن يتحول إلى ياقوت ، هذا هو البقاء في الفناء الذي تشاهده في كل لمحة ، حينذاك تمضى عنك العلائق الدنيوية ، أما السكر فالمقصود به الانسلاخ عن الذات والحيرة من العشق الإلهى والنشوة التى تصيب المرء من إدراك العوالم الإلهية .

(٢٠٤٣ - ٢٠٤٩): والطريق إلى هذا الأمر إنما يكون بان تـتحول بـأجمعك إلـى أذن سـامعة لرجل من رجال الحق يأخذ بـيدك ويدلـك علـى الطريـق ويعدك لنـور الـشمس الساطعة ، فتـتجلى بها وبمعارفها وكأنما ألبست أذنك قرطـا مـن الـياقوت، وداوم علـى إخراج تـراب العلائق الدنيوية والانغماس فـيها من بئر وجودك هذا إذا كنت ترى نفسك إنسانا جديرا بـأن تمحو عن النفخة الإلهية كـل ما يعلوها من تراب، وإن الله سبحانه وتعالى إن رآك جادا فـي الطلب منصرفا إلـيه بكـل روحك وكيانك، فإن جذبة واحـدة مـن جذباتـه وهـي تساوى عمـل الثقلـين (مولوى ٢٩٨/٥) سوف تجعل ماء المعرفة الزلال ينبثق مـن وجـودك (انظـر البـيت ٤٧٨٦ من الـكتاب الثالث) ، وذلـك أن من جد وجد وسعد وأتـاه الإقبـال مـن الإلـه الأوحـد ، ومن قبـيل الجد فـي العمل أن تداوم على الصلاة فإنها قرع على باب الوجود مصداقا لقولـه ﷺ : { أدم قـرع بـاب الملـكوت بـالركوع والسجود } (استعلامى ٣١٧/٥وانظـر الـكتاب الثالث ، البـيت ٤٧٨٥) ، والإقبال هو العناية الإلهية وبابها العمل .

(٢٠٥٠ - ٢٠٥٦) : لا يزال مولانا جلال الدين يركـز كثيرا فـي عنـاوين أشعاره علـى أن ايازا هنا مجرد رمز عن العبد الصالح المقرب إلى اللـه " السلطـان " ، وإلا فأيـة صلـة بـين اياز مملوك السلطـان محمود الغزنوى والأنبياء والأولياء حتى يقرن بهم ؟! وها هو يعود إلى القصة الـتى بدأها فـي البـيت ١٨٥٧ وعاد إلـيها عدة مـرات للإيهـام بأنـه يتحدث عن اياز ومحمود والواقع انه يتخذ منها تكئة نحو الانطلاق فـي إفاضاته عن العشق ، الموضوع الأول والخيط الجامع للمثنوى المعنوى بأجزائـه الستة ، وفـي البـيت ٢٠٥٣ أن إيازا كـان أضـن بسره هذا بحيث جعل الحجـرة فعـلا تبدو وكأنهـا تحتوى علـى كنز ثمين ، وهكذا ، قلـوب الرجال فهى قبور الأسرار ، وكان أيضاً يعلم أن " العـوام " ، يسيئون الظـن بـه ، فمنهـم مـن يعتبره محظيا للسلطـان ومنهم من يعتبره مشعوذا ومحتـالا ، وهكـذا يكـون صـاحب الهمـة - هكذا يعلق مولانا - إنه أضن بأسرار قلبه ، ولابد أن يحفظها عن العوام ، وهذه الأسرار عنـد ملوك الطريق تـقدم فداء للروح .

(٢٠٥٨ - ٢٠٦٥) : لا يتابع مولانا أحداث القصة إلا فـي بـيتين اثنين ويدخـل فـي حديث عن الحرص ، إن حرص هـؤلاء الذيـن هـاجموا حجـرة اياز كـان يسـرع بهم نحـو سـراب ، ومهما أخذ العقل يحذر ، فإن الحرص قد غلب ، فـلا نصـح نفـع ، ولا تحذيـر أجدى ، (عن الحـرص وآفاتـه ، انظـر الـكتاب الذي بـين أيدينـا ، الأبـيات ٥١٨ - ٥٢٢ وشـروحها) ،

والحريص يزداد حرصا كلما زيد تحذيرا لكنه عندما يسقط ويكتشف أن حرصه أرداه " وكل حريص محروم " ، تكون النتيجة المؤكدة أن النفس اللوامة " وهى الروح الإنسانية التى انتهت إلى خطاياها(مرصاد العباد لنجم الدين بن الداية ، ص ٣٥١) تسيطر عليه ولا تفتأ تلومه ، إنه – أي الحريص– لا يفيق إلا إذا اصطدم بجدار البلاء ، إنه مجرد طفل ، والأطفال يقبلون على حلوى اللوز المصنوعة من الجوز " وفي نسخة أخرى اللوز " ، ولا يستمعون النصح ، إلا عندما تظهر القروح (لم أعرف العلاقة بين أكل حلوى اللوز وبين ظهور القروح ، ولم يشر أحد من الشراح إلى هذا الأمر) ، ولعل الأمر يرمز إلى أن أطفال الدنيا ، وأولئك الذين لا يعتبرون من " رجال " الطريق ينهمكون في لذائذ الدنيا ، ولا ينتصحون إلا عندما تكون نتيجة هذا الإنهاك قروح وآلام تظهر على أجسادهم ، لكن المطابقة هنا لا تتم، فلابد أن تكون من نتيجة أكل الأطفال للحلوى بالجوز بعض المتاعب ولعلها كانت من أنواع الحلوى الشائعة في أسواق قونية والتحذير من أكل حلوى السوق عموما .

(٢٠٦٦ – ٢٠٧٩) : عودة إلى قصة إياز : لقد أعماهم الحرص فتهافتوا على الحجرة الخالية تهافت الهوام على المخيض ، أو تهافت الذباب على الشراب ، إنها تسقط فيه مندفعة ، فلا هى تستطيع أن تأكل ولا هى تستطيع أن تطير ، وهكذا أولئك الذين كانوا يفتشون غرفة اياز ، لا هم يجدون شيئا ، ولاهم يستطيعون الانصراف ، فالحجرة الخالية زادتهم شكا وريبة ، والحذاء والسترة ، وهما كل ما في الحجرة ، أصبحا سببا في زيادة الشك والريبة ، وهكذا الحريص مهما منى بالخيبة في طريق حرصه فإنه لا يعود بل يزداد حرصا وطمعا ، إنهم ينقبون الجدران ، ويحفرون الأرض ، ويدمرون، وكلما ازدادت خيبتهم ازدادوا تدميرا ، وسرعان ما اكتشفوا أي خطا وقعوا فيه، لكنهم مع ذلك لا يستطيعون تدارك هذا الخطا، فالجدران والحفر تشهد عليهم ، ولا حل إلا العودة إلى المليك والاعتذار له ، والاعتراف بالخطا ، وإبداء التوبة .

(٢٠٨٠ – ٢٠٨٥): لا يزال مولانا يركز في العناوين انه لا يتحدث عن اياز كشخص بل عن الأنبياء والأولياء عموما ، والآيات الموجودة في العنوان : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون﴾ (آل عمران /١٠٦ ، ١٠٧) ،

أما الآية الثانية فهي : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ (الزمر /٦٠) ، وفي البيت ٢٠٨٠ يسألهم السلطان قاصدا أو ساخرا : هه .. كيف الحال ... أين الذهب والأموال ، ثم ينتقل مولانا إلى فكرة دق عليها في أكثر من موضع في المثنوى : أن سيماء الوجه تفضح ما هو موجود في الباطن ، إذا حاول الإنسان كتمه أو حاول أن يظهر غيره مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ (الفتح /٢٩) ، وبالطبع السيماء هنا من أثر الخيبة والاحباط ، وفكرة الجذر الموجود في القلب الذي يثمر بما تمليه طبيعته على الوجه وردت في الكتاب الثالث (انظر الأبيات ٣٦٠ - ٣٦٥ وشروحها) ، أما فكرة الذي يتظاهر بما ليس في باطنه فقد مرت في الكتاب الرابع (انظر الأبيات ١٧٤٠ - ١٧٥٥ وشروحها) .
وفي البيت ٢٠٨٥ إشارة إلى الآية الكريمة ٦٥ من سورة يس : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ .
(٢٠٨٧ - ٢٠٩٥) : حمل السيف والكفن من العادات القديمة عند الإقرار بالذنب أو بالدم ، أي إن شئت فاقتص وإن شئت فاعف ، وفي البيت ٢٠٩١ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ (الإسراء /٨٤) ، وفي البيت ٢٠١٥ إشارة إلى الحديث الذي تكرر في أكثر من موضع من المثنوى : " المؤمنون كنفس واحدة " (اكثر التفسيرات تفصيلا لهذا الحديث موجودة في الكتاب الثالث ، الأبيات ٨٤-٩١ والكتاب الرابع ، الأبيات ١٦٥١ - ١٦٥٣) .
(٢٠٩٦ - ٢١٠٨) : إن العبد الذي تتجه إليه الاتهامات عليه أن يسعد بها وبخاصة وأنه يعلم أن ساحته بريئة أمام الخالق ، وما دام بريئا فأي ضرر يصاب به من جراء هذه التهم الباطلة ، إنها فرصة له لكي يستخدم " حلمه " ، ويضاعف أجره من جراء هذا الحلم والبيت ٢٠٩٧ تكرار لمضمون البيت ١١٨٤ من الكتاب الرابع : إن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، ولو كانت كذلك لما سقى منها الكافر شربة ماء ، فليس إقبال الدنيا دليلا على رضا الله ، ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ (إبراهيم / ٤٢ - ٤٣) . وأن هذا الحلم هو الشفيع لكل البشر فإنه يعلم بعلمه ويستر بحلمه سبحانه وتعالى ، والذي يستر بحلمه في الدنيا ، قادر بنفس هذا الحلم أن يغفر ، حلمه هذا هو "

العاقلة " الـتى تـتحمل الدية (العاقلة عند الإمام الـشافعى هم قبـيلة القـاتل خطــا وعشيرته ، وهم عموما أقرباء أب القاتل وإن كان من أهل الديـوان فعاقلـته عند الحنفـية أهل الديـوان) ، وهل تجرؤ النفس على ارتكاب الخطـا إلا إذا كانت معتمدة علـى هذا الحلم ، هذا هو الحلم الإلهى ، والحلم الإنسانى من نوع آخر ، فكما أن الحلم صفة مستحبة عند الخالق ، فهو صفة مستحبة أيضاً عن المخلوق ، وإن كـان الانغمـاس فـيه يجعل الـشيطـان يجد فرجـة إلينـا ، فالاعتماد على حلم الخالق يجعل النفس تستـنيم إلى فعل المعصية ، فـيجد الـشيطـان السبـيل إلـيها ، ويخدعها ويضلها، وآدم نفسه رغم انه كرم بالعلم وأنه مسجود الملائكة ، لـكنه عندما استـنام فـي الجنة إلى الحلم ، استطـاع الـشيطـان أن يجد الطريق إلـيه ، فـلا تعتمـدن على حلم اللـه ، انـه ستار لـكنه أيضاً يعـاقب (انظـر الـكتاب الرابـع الأبـيات ١٦٤ – ١٧١ وشروحها) .

(٢١٠٩– ٢١١٢) : يدافع مولانا عن حد القصـاص فـي القتـل ، وكأنـه كـان يتوقـع أن يـأتى زمان ينادى فـيه بأن المجرم مريض وينبغى أن يعالج وأن الحياة منحـة مـن اللـه لا ينبغـى أن يستردها سواه سبحانه وتعالى ، وتلغى أحكام الإعدام ، وتـقام السجون " الفخمة " ، لـيـوضع فـيها القتلة والسفاحون ، ناسين أن فـي قتل القـاتل حفظـا لحياة الآلاف ، ومـن ثم جـاء فـي الآيـة الـكريمة ﴿ ولــكم فــي القصـاص حيـاة يـا أولـى الألبـاب لعلــكم تـتــقون ﴾ (البـقرة /١٧٩) وهناك تلـك القاعدة الحدية الـتى تـقول أكثروا القتل فـإن القتـل يقتـل القتـل ، وأيضاً القتل أتقى للقتل ، (انقروى ٥/٤١٧) ، هيا يا اياز أنت صاحب الحق فـاحكم بـاحتراز ، وحذار ولا تجعل غضبك لذاتك ولـشخصك ولمـا لحق بك يجعلـك تميل إلـى الهـوى ، هذا بالرغم أننى خبرتك فـي العمل مرات عديدة ، وكم امتحنتك وخرجت من كـل امتحـان موفقـا طـاهرا نقيا ، وبرغم أن الخطـاب من الملـك إلى اياز فــي صيغـة المخـاطب إلا أن البـيت ٢١١٢ فـي صيغة الغائب لأنه مدح مباشر فـي اياز ولا يصح أن يخاطب به فـي وجهه ، إن هذا البحر – اي اياز – لـيس مجرد علم ، وهذا الجبل لـيس مجرد حلم أي هناك أشياء كثيرة يحتاجها البحر سوى العلم وهناك أشياء عديدة يحتاجها الجبل سوى الحلم .

(٢١١٣ – ٢١٢٠) : هنا نتيجة من نتـائج هـذه الحكايـة ، وهـا هـو جـواب ايـاز : إننـى أيهـا الملـك لست شيئا ولا أساوى شيئا دون عطـائك فأنا لست شيئا سوى هذا الحذاء وهذه السـترة (فى رواية العطــار :

فــي الـيــوم الأول عندما فتح هذا الباب أمامى　　　　كانت هذه الستـرة فوق كتفى

مصيبت نامه ، ص ١٣٩ ، بتحقيق د. نورانى وصال ، تهران ، ١٣٣٨)

ثم يلـتـقط مولانا جلال الدين طرف الحديث ويبدأ فــي افاضاتـه : أتدرى مـا هـو المقصـود بالحذاء ، إنه النطفة ، أما الدم فهو سترة الراعى ، أنت نطفة ودم ، أصلـك نطفـة ودم ، ومـا عدا ذلـك فعطــاؤه (ما هذا؟ النطفة والدم عطــاؤه أيضاً) ، ومن هنا فــإن الرسـول ﷺ قـال : { من عرف نفسه فقد عرف ربه } ، (منسوبة أيضاً إلى الإمام على ﷺ وإلـى سـقراط ، مـن عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبـية ومـن عـرف نفسه بـالعجز عـرف ربـه بـالقدرة ، ومن قدرته انه جعل هذه النطفة وهذا الدم مدركة لعوالم الغيب عالمة متسلطة مسيطرة علـى الطبـيعة ، خلـيفة لله فـي الأرض ، سيده على الخلــيقة وأنـت ومـا تسـتحق ، بــقدر جهدك وعملـك وكفاحك وجهادك يجعل منك ، لقد أعطــاك هـذه العطيـة " النطفـة والـدم " ، كمجـرد نموذج على ما فـي ملـكه تماما كما يعرض البستانى بضع ثمار البستان ولا يعـرض البسـتان كـله ، وكما يبـين الأستاذ جانبا من علمه وكما يعرض الزارع كفـا مـن القمـح لـيدلـك علـى البـيدر ، فإياك أن تظن أن هذا هو عطاؤه فحسب ، فكأنك أخذت تستقل خزائن ربك الــتى لا تـنفد ﴿ هذا عطــاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ (ص /٣٩) ، وإن قلـت أن هـذا هـو مـا عند الله فحسب صرت من المبعدين .

(٢١٢١ – ٢١٢٧): يتعجل الملـك " اياز " ، فـي الحكم على من دسوا عنده، هيا فاحكم بهذا العدل الإلهى الذي يختلف عن العدل الدنيــوى الوهـى ، لــكنه لا يلبث أن يقـول : إن الذيـن أجرموا فـي حقك يستحقون القتل ، مع أنه لا قتل إلا فـي قتل ، إذن فربما فسر الأمر على أن " الفتـنة أكبر من القتل " ، لـكنهم مع ذلــك يرجـون عفوك ، وكــلا الأمرين وارد ، النـاس حينا يرون أن القصاص واجب وحينـا آخـر يـرون أن العفو واجـب ، واللـه سبحانه وتعـالى سبـقت رحمته غضبه (الـترغيب هنا فـي الرحمة والعفو) . وبهذيـن الحبلــين يجـذب الحلق منذ الـيــوم العهد والميثاق، منذ أن أخرج ربك مـن بنـى آدم مـن ظهورهـم ذريتهـم وأشـهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، فهناك موضـع يصلـح فـيه الــكوثر (العفـو) وموضـع آخر يصلح فــيه اللهب (الانتــقام) حتـى لفظ " ألست " ، هـو أيضـاً يحمـل الضديـن : النفـى والإثبات ، هو استفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " لـيس " ، موجودا فـيه ، أي نفى وأى إثبـات

تخوض فيه ، أترك هذا كله فلا يجوز أن تناقش هذه الموضوعات أمام العوام ، إنها من موضوعات الخواص .

(٢١٢٨ - ٢١٣٣): يعود مولانا إلى الفكرة التى يدق عليها كثيرا وهى أن الأمور نسبية ، وطبقا للجذب ، فالحق يجذب الحق والباطل يجذب الباطل كما يجذب المغناطيس الحديد ، وكما يجذب الكهرمان القش ، وكما تجذب المعدة الجديرة بالحلو الحلو إليها ، وكما تجذب المعدة المريضة إليها الخل ، كما يقضى الفراش البارد على الحرارة والفراش الحار على البرودة ، وكما تفيض رحمة ومودة وبشرا عندما ترى الصديق وبغضا وسطوة عندما ترى العدو ، أنت وطبيعتك وعملك وفعلك ، ثم يعود إلى خطاب الملك إلى اياز : هيا وافصل في الأمر فإن الانتظار في حد ذاته نوع من الانتقام ، العدالة ينبغى أن تكون سريعة .

(٢١٣٤ - ٢١٤٠) : في العنوان : " الانتظار هو الموت الأحمر " ... والموت الأحمر في معجم الصوفية له عدة معان منها تحمل اذى الخلق ، الموت في الجهاد ، وتحدث المولوى عن أربعة من أنواع الموت : موت أحمر وهو تحمل الجفاء وكف الأذى وموت أصفر وهو الجوع والاصطبار على الإعسار وموت أبيض وهو العزلة وموت أسود وهو مخالفة النفس والهوى (مولوى : ٤١١/٥) . وروى صاحب تذكرة الأولياء عن حاتم الأصم أنه قال : على من يدخل هذا الطريق أن يذوق ثلاث ميتات : موتا أبيض وهو الجوع وموتا أسود وهو الاحتمال وموتا أحمر وهو لبس المرقع (تذكرة الأولياء / ٢٠١) ، والذي يناسب السياق هنا هو تفسير الموت الأحمر بمعناه اللفظى أي القتل. يجيب اياز بأن الأمر كله متروك للملك ، والبيت ٢١٣٥ يكاد أن يكون ترجمة لبيت النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويرى اياز أنه هو الذي أثار شكهم وريبتهم ، فلو انه كان قد نسى ماضيه وأصله ، ذلك أن { كل ذى نعمة محسود} ، وما دام المرء مقيما على غير ما درج عليه الناس فهو عرضة لاتهامهم { والمخلصون على خطر عظيم } ، إننى أنا بكتمى هذا السر ، ووضعى الأقفال على الحجرة المسئول عن كل هذا الموقف لقد أدى إلى الشك في أنا الذي اعتبر معدنا للوفاء ومثالا له ، وما كان بحثهم عن الغدر منى إلا كباحث عن مدرة جافة في قاع جدول ، أو عن سمكة خارج الماء ، أي كان بحثهم عن غدرى وخيانتى من قبيل البحث عن المحال .

(٢١٤١ – ٢١٤٩) : من هنا يترك مولانا القصة ويدخل في حكايات وموضوعات غيرها حتى البيت رقم ٣٢٥٠ عندما يعود إليها ... يقول : إن حديثى عن الوفاء أمام من جبلوا على الغدر والخيانة هو إلقاء بالمشقة عليهم ، كيف يمكن أن يتحدث أحد عن اللباب أمام من وقفوا عند القشور ، وذلك أن للقشور صوتا يعجب الآذان ، إذن فاعلم أن للباب أيضاً له صوت ، وصوت حسن ، أفضل كثيرا من خشخشة القشور التى تعجب بها ، لأنها تدلك على أن هناك لبا ، فتذهب وتسطو عليه ، لكن صوت اللب ليس مبذولا لكل أذن ، فالقشر هو ظاهر الإنسان واللب هو باطنه الذي ينبغى أن يستمع إليه بأذن الروح ، والطريق إلى فتح أذن الروح وتمكينها من العمل يكمن في أن تسد أذن الجسد وشفة الجسد، وتصمت ، وتصبر ، وتطلب أن تنزل عليك عطايا الله ، ويطلب مولانا من نفسه أن يقوم بهذه التجربة ، لقد جربت كثيرا من النظم والنثر ، فجرب لمدة يوم واحد أن تكون صامتا ، تراه لم يصمت حتى ليوم واحد ؟! أغلب الظن انه فعل ، لكنه يخاطب نفسه أحيانا بما كان ينبغى أن يخاطب به المريدين .

(٢١٥٠ – ٢١٦٢) : المن نوع من الحلوى المشهورة في إيران وهو حلو ، لكن مولانا افترض أن هناك منا مراً ، وحريفا ورمز للكلام والحديث بالمن المر والحريف وللصمت بالمن الحلو ، وفكرة كتاب اليمين وكتاب الشمال مرت في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٨٠٦ – ١٨٢٦ ، وفكرة النظر في الكتاب مرت في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٦٤٠ – ١٦٧٧ وفكرة التبديل تبديل السيئات إلى حسنات مرت أيضاً في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٨٤٧ – ١٨٥٨ .

(٢١٦٣) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ، تجاهل كل المفسرين القدامى والمحدثين تأصيلها ، وهى تبدو من الحكايات الشعبية أيضا ، وفيها غير قليل من الهزل آثرت ترجمته لكى يكتمل النص وكما فعلت في الحكايات المشابهة ، كما ناقشت عند تعليقى على قصة السيدة والحمار موضوع الجنس في التراث الإسلامى عموماً (انظر تعليقى على البيت ١٣٣٣ من هذا الكتاب) ، والآية المذكورة في العنوان : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (لقمان /٢٥) . والحكاية قائمة على من يكذب حاله مقاله وهو من الموضوعات المحببة عند مولانا جلال الدين (مثالها الواضح قصة ذلك الشاعر الذي لم يأخذ صلة من الممدوح ، الواردة في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٧٣٩ – ١٧٦٥) ،

وفي الحكاية أيضاً قاعدة فقهية لم ينتبه إليها المفسرون وفحواها أن جماع ملك اليمين لا يتم إلا بإذن من الزوجة وليس أمرا مباحا على الإطلاق ، واستخدام الزاهد هنا سخرية من الزهاد المرائين ، وهم كالصوفية المتظاهرين ، كانوا موضعا لسخرية مولانا جلال الدين وهجومه .

(٢١٦٦ - ٢١٦٧) : لفكرة أنه إذا جاء القضا ضاق الفضا ، وإذا حل القدر عمى البصر وإذا حلت التقادير بطلت التدابير ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٨٠ - ٣٨٩ وشروحها) .

(٢١٧٥) : الاتصال الجنسى عندما يتم برغبة وشوق من الطرفين يكون اتصالا للروح بالروح ، وليس مجرد امتزاج جسدين بشكل حيوانى ناهيك عمن يعتبره حتى وإن تم في إطار شرعى أمرا مكروها .

(٢١٧٩ - ٢١٩٠) : هناك فرق كبير بين عبادة الخوف وعبادة العشق ، فالعارف العاشق يمكن له في لحظة واحدة أن يقطع من الطريق أضعاف أضعاف ما يقطعه العابد بتأثير الخوف ، أو كما يقول يحيى بن معاذ الرازى : الزاهد سيار والعارف طيار (عن استعلامى ٥/٣٢٣) ، فالعارف يستطيع في اطراقة واحدة أن يصل إلى اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وإياك أن تحاول أن تزن أمور العارف بالعقل ، فهى خارج العقل وخارج الوهم ، فخوف الزاهد لا يساوى شيئا إلى جوار عشق العارف ، وأين تلك الصفة التى يوصف بها الله سبحانه وتعالى أي صفة العشق ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ، إلى جوار تلك الصفة التى لا يوصف بها إلا الإنسان وهى صفة الخوف ، ولا يمكن أن يوصف الإله العظيم بها ، إننى مهما تحدثت عن العشق يظل الأمر ناقصا ، فنحن الناقصون المتحدثون بالأحاديث الناقصة، وقبل ذلك قلت لى عندما كنت أتحدث عن العشق : إننى لو شرحت هذه الأمور لصار المثنوى ثمانين مجلدا (البيت ٤٤٤٥ من الكتاب الثالث) وقلت أيضاً : أن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال (البيت ٤٣٧٠ من الكتاب الثالث) وأضيف هنا أننى حتى ولو تحدثت عن العشق دائما لقامت مائة قيامة (لمرت أعمار على أساس انه إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته) ويؤكد هذا قوله في البيت التالى أن القيامة محدودة بزمان ، لكن خالق القيامة ، وهو الموضوع الأول للعشق ليس محدودا بزمان ومن ثم لا يحد عشقه بزمان .

(٢١٩١ – ٢١٩٦) : يـواصل مولانا إفاضاته عن العشق : إن العارف لا يقطع هذه المسافات والأزمنة بحوله وطوله ،بل بواسطة تلـك الأجنحة الـتى يملـكها العشق والـتى تمتد من أعلى العرش إلى الثرى ، ومن هنا فالزاهد بمثابـة مـن يمـشي علـى قدميه ، إنـه مهتـم بالدنيـا ، إن زهده فـيها موقف منها ، وهو دائما فـي قيد ما يجوز ولا يجوز ، لـكن العاشق لا يهتم بالدنيا أو بالآخرة إنه يريد وجـه اللـه ، فهو فـان فـيه ، ومـن ثم أصبح سريانه فـي الموجـودات كسريان الحقيقة ، وأسرع من الهواء ومن البرق ، ومن هنا فمشاغل الزهاد كثيرة ، والخـائف غالبا ما هو مشغول بما هو خائف منه ، أما العشاق فقد جعلوا همهم واحدا ، ومن ثم أصبحت السماء دانية لهم وكأنها الأرض ، والعناية الإلهيـة فحسب هي التي تستطيع أن تجعل الزاهـد والخائف عاشقا ، وتقول لـه : انطلق ... دعك مـن ذلـك السير الأرضـى ودعك مـن كـل أوهامك ، وكـل رؤاك ، وكـل قيلـك وقالك ، فهذا القيل والقال بمثابـة مناقشة أهـل المدرسة للجبر والاختيار ، أي جبر وأى اختيار ، يكفى العاشق فخرا أنه فان فـي الله منطلق كـالصقر الملـكى " الروح " .

(٢٢٠٥ – ٢٢١٠) : عـودة إلـى مناقشـة كتـاب الأعمـال الـتى تمت مناقشته فـي الأبـيات ٢١٥١ – ٢١٥٦ ، وفـي هذه الأبـيات مضمون الآية ٢٥ من سورة لقمان ، وقد مر الحديـث عنها فـي شرح الحديث ٢١٦٣ .

(٢٢١١ – ٢٢٢٠) : الأبـيات هنا ناظرة إلى قوله تعالى ﴿ ويـوم يحشر أعداء الله إلى النـار فهم يـوزعون ، حتـى إذا مـا جاءوهـا شـهد علـيهم سمعهم وأبصـارهم وجلودهـم بمـا كـانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علـينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطـق كـل شئ وهـو خلقكم أول مرة وإلـيه ترجعون ﴾ (فصلـت / ١٩–٢١) ، (انظر أيضـاً الـكتاب الثـالث ، الأبـيات ٢٤٥٧ – ٢٤٦٧ وشروحها) . إذن فلـيست أقوالـك هى الـتى تشهد لـك ، أفعالـك هى الـتى تشهد لـك ، والإيمان ما وقر فـي القلب وصدقه العمل ، وهذه الأعضـاء تشـهد علـيك لأنهـا بمثابة العبد منك أيها السيد هى تابعة لـك وغير مسئولة عما ارتكبت .

(٢٢٢٠ – ٢٢٢٧) : على كـل حال فإن الفرصة لم تفلـت منك بعد ، فباب الـتوبة مفتوح مـا لم تغرغر وتبلغ روحك الحلقوم (عن باب الـتوبة ، انظر الـكتاب الرابع ، الأبـيات ٢٥٠٣ – ٢٥٠٨ وشروحها) ، روّ جذور العمر بماء الـتوبة وهو بمثابـة مـاء الحياة الـذي يجعل هذه الـشجرة التى جففتها الذنوب خضراء مورقة ﴿ أصلها ثابت وفرعها فـي السماء تؤتى أكـلها

كـل حين بإذن ربها ﴾ فأى ماء هذا الذي يجعل حتى تلـك السيئات الـتى قمت بها تتبـدل إلـى حسنات ، إنه أشبه بكيمياء الـتبديل مصداقا لقولـه تعـالى ﴿ إلا مـن تـاب وآمـن وعمـل عمـلا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكـان اللـه غفـورا رحيمـا ﴾ (الفرقـان / ٧٠)(وعـن الـتبديل انظر أيضاً ، الأبـيات ١٨٣٥ - ١٨٥٤ من الـكتاب الذي بـين أيدينا) فهيا تب هـذه الـتوبة النصوح ، وأنا أعلم انك قد ملـت إلى الـتوبة فجدد ميلـك إلـيها .

(٢٢٢٨) : تعبـير طريف ذلـك الـتعبـير الذي يقدمه مولانا عن الـتوبة : كـاللبن يخـرج مـن الثدى ولا يعود إلـيه ثانية ، والـتوبة ألا تذكر الذنب ، وفـي رواية أخرى ألا تفتأ تذكر ذنبك ، لـكن مولانا حدد : الذكر بميل ، ولا شـك أن الذكـر بكراهـة يقـوى الـتوبة ، فكـلما ازداد كراهية لذنبه كان ذلـك دلـيلا على أنه وجد لـذة القبـول ، وأن لـذة القبـول هـى الـتى حلـت محل لذة الذنب القديم إذ لا يقضى على عشق إلا عشق آخـر (انظـر ٨٨٠ - ٨٨٣ وشـروحها من الـكتاب الرابع) ، والبـيت المذكور (لـيس لمولانا كما اعتبره الـشارحون وإلا لمـا قـال : كما قالوا ، وقد يكون لأبى سعيد) ، أما الآيات الـكريمات ﴿ فأما من أعطى واتـقى ، وصدق بالحسـنى ، فسنيسـره للـيسرى ، وأمـا مـن بخـل واستغـنى ، وكـذب بالحسـنى ، فسنيسـره للعسرى ﴾ (اللـيل / ٥-١٠) ، ونصوح هذا اسم شخص ولـيس صفـة كمـا وردة فـي الآية الـكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا الله توبة نصوحا ﴾ (الـتحريم /٨) ، ويرى عبد البـاقى أن الخيال الـشعبى هو الـذي حـول نصـوح مـن صفـة إلـى شـخص (5/370) فـي حيـن أن الرواية وردت قبل مولانا فـي إحياء علـوم الدين للغزالـى ، وفـي مقـالات شمس ، وأغلـب الظن أن مولانا أخذها عن مقـالات شمس ، لأن مضمونهـا أقرب إلـى روايتـه ، كمـا ذكرهـا مولانا أيضاً فـي المجالس السبعة (مآخذ ١٧٥ - ١٧٦) .

(٢٢٣٥ - ٢٢٤١) : إن الإنسان لـيتوب ، لـكن النفس الـكافرة الأمـارة بالسوء مـا تـنفك توسوس له حتى يعود ، وقد تتحقق الـتوبة عن طريق أحد رجال اللـه ودعائـه " همـم الرجـال تزيح الجبال " ، لقد عرف الولى ما يجول فـي خاطره وقرأ سر ضميره لـكنه ستر علـيه ، فهو متخلق بأخلاق الله ، ومن أخلاق الله سبحانه وتعالى الحلم على خلقه والستر علـيهم فهـو الحلـيم الستار ، وما أكثر ما يعرفه هؤلاء الأولـياء لـكن الـشفاه صامتـة لـيس ضنـا بـالعلم ولـكن سترا على الخلق ، والبـيت ٢٢٣٨ قريب من قول حافظ الـشيرازى :

لا أدرى من يـوجد داخلى أنا المعذب القلب فأنا صامت وهو ملئ بالضجة والصخب

(ديـوان حافظ / ٨٣)

فلـيس كـل البشر مهيئين لفهم كـل الأسرار ، وقد روى عن النبى ﷺ قوله : { إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهلـه إلا أهـل الاغـترار باللـه عز وجل ولم يتحمله إلا أهل الاعتراف بالله عزوجل، فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فإن اللـه لم يحقره إذ آتاه إياه } وفـي خطبة لأمير المؤمنين على ﷺ : اندمجت علـى مكنـون علـم لـو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية " الحبال " ، فـي الطـوى " الآبـار " ، البعيـدة ، وقـال أيضاً : إن هاهنا لعلما جما لو أصبت له حمله ، وفـي أبـيات لعلى زين العابدين السجاد ﷺ :

إنـــى لأكتـــم مـــن علمـــى جواهـــره ∴ كيلا يـرى الحق ذو جهـل فـيفتتـــنا

وقـــد تـــقدم فـــي هـــذا أبـــو حســـن ∴ إلـى الحسـين ووصـى قبلـه الحسـنا

يـــا رب جوهـــر علـــم لـــو أبـــوح بـــه ∴ لقيـل لـى أنـت ممـن يعبـد الوثنـا

ولاســـتحل رجـــال مســـلمون دمـــى ∴ يـرون أقبـح مـا يأتونـه حسـنا

قام فـي بنـىالتكلية : إن عيسى بن مريم ﷺ وعن الصـادق رضـى اللـه عنـه قـال : قـال إسرائيل فقال : يا بنيى إسرائيل لاتحدثوا بالحكمة الجهال فتظلموهـا ولا تمنعوهـا أهلهـا فتظلموهم " ، ومن ثم يـوصى المريدون بعدم إفشاء الأسرار (جعفرى : تفسير ونقد وتحلـيل مثنوى جلال الدين محمد ، جـ ١٢، ط ١٠ ، تهـران ، اسلامى ١٣٦٣ ، صـص ٩٦ - ١٠٢ ، بعد ذلـك جعفرى /١٢) . وطـالما يحدث مولانا جلال الدين نفسه فـي المثنوى ، أصمت كفاك حديثا ، إن تحدثت سوف تأخذ الغيرة بأذنيك وهلم جرا .

(٢٢٤٢) : العارف الواصل " الحق " مستجاب الدعاء ، وهذه الفكرة أن فعـل الولـى من فعل الله تكررت فـي المثنـوى (انظـر الـكتاب الثـالث ، البـيت ٢٢٢٢) والحديث المذكور فـي العنوان :{ من عادى لى ولـيا فقد آذنتـه بـالحرب ومـا تـقرب إلـى عبدى بشئ أحب ممـا افترضت علـيه وما يزال عبدى يتـقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنـت سـمعه الـذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الـتى يبطش بها ورجله الـتى يمشى بها} . قال الـشيخ الأكبر : ولابد من إثبات عين العبد فـي الفناء فـي الله وحينئذ يصـح أن يكـون الحـق سـمعه

وبصره ولسانه ويده فعم قواه وجوارحه بهويته على المعنى الذي يلـيق به ، وهذه نتيجة قرب النوافل وأما قرب الفرائض أن يسمع الحق بك كأنـه قـال : إذا أحببت عبدى فغلبت محبتـى علـيه وسلبته الاهتمام بغيرى فـيتصف ظاهرا وباطنا بصفاتى فـيسمع ما أسـمعه ويبصـر مـا أبصره ويمسك بـقدرى ويمشى بإرادتى فتكون جوارحه وأعضاؤه لى آلة . وهذا أيضاً مفهوم ﴿ وما رميت إذا رميت ﴾ (مولوى ٥/٣٣٦) .

(٢٢٤٥) : ومع ذلـك فالأمور كـلها من عنـد اللـه تعـالى ﴿ يهدى مـن يـشاء ﴾ ومـا الولـى والعارف الذي يدعو إلا من قبـيل السبب الذي يهيئه سبحانه وتعالى ، فالدعاء والاستجابة منـه أيضا ، وهو الـذي يلهم الأفـواه الدعـاء ، إذا أراد الاسـتجابة (انظـر الأبــيات ١٩٠ - ٢٠٧ وشروحها ، من الـكتاب الثالث) .

(٢٢٧٣) : عن رسول الله ﷺ أنـه قـال : { اشتدى أزمـة تـنفرجى } (النهايـة فــي غريب الحديث والأثـر ، لابـن الأثـير ، ٤٩٦/١) . وقـد نظـم أبـو الفــضل يـوسف المعـروف بـابن النجوى قصيدة فـي هذا المعنى مشهورة باسم القصيدة المنفرجة أولها : اشتدى أزمة تـنفرجى . ثم يستمر : قد آذن صبحك بالبلج ، وظلام اللـيل لها سرج حتى يغشـاه أبـو السـرج . وقـال ابن الفارض :

أصبحت فـيك كما أمسيت مكتئبا   ولم أقل جزعا يا أزمة انفرجى

(انقروى : ٤٩٧/٥)

(٢٢٧٥ - ٢٢٨٦) : من خلال موقف مـن مواقف القصـة يتحدث مولانـا عـن " ديناميكيـة " اتصال المضطر وسره وضميره بالملأ الأعلى والسر مرتبة من مراتب الروح السبعة (انظـر البـيت ٣١٣١ من الـكتاب الثالث) لقد فنى المضطر عن وجوده، فاتصل سره بالملأ الأعلى ، فاستدعى روحه كما يستدعى السلطــان البـازى لأن يعود بصيده ، إن الانكسـار أيضـاً بـراق عظيم فـي تلـك اللحظة ، فقد خرق الخــضر السفـينة لـتـنجو ، ومثلهـا سفــينة المــضطر ﴿ أمـن يجيب المضطـر إذا دعـاه ويكشـف السـوء ﴾ لقد أنقذ اللـه سبحانه وتعـالى سفـــينته المحطمـة علـى شـاطئ الرحمـة ، وهكذا عندمـا تجردت الـروح مــن الجسـد ومــن عــاره ، استطــاعت أن تحلق عالـية نحو أصلها ، ويـواصل مولانا الصورة الــتى يغرم بهـا صـورة الروح كبازى (قوية ملـكة الطيور قادرة على الـتحلـيق) والـتى تـقف على ساعد السلطــان، ثم تـنطلق إلى الدنيا فــي إثر "الطين"حتى إذا دق لها طبول ﴿ارجعى إلى ربك راضيـة مرضيـة﴾

انطلقت إلى أصلها مما عبر عنه في غزلية من غزليات ديوان شمس " انظر شروح الآيات ١٦٦٠ - ١٦٦٤ من هذا الكتاب "، وعبر حافظ الشيرازى عن نفس الفكرة بقوله :

طائر قلبى طائر قدسي عشه العرش .·. مل قفص الجسد وشبع من الدنيا

ومن باب هذه المتربة عندما يطير الطائر .·. يتخذ موقعا ثانية على هذا العش

وعندما يطير من هذه الدنيا تكون السدرة .·. فاعلم أن متكأ طائرنا شرفة العرش

(ديوان حافظ : جامع نسخ ص٣٦٤)

وهكذا عندما يتخلص بازى الروح مما يغل قدمه ينطلق نحو السلطان ، ولا يستبعد شئ عن رحمة الله ، فإن رحمة الله وسعت كل شئ ، وعندما يجيش بحر الرحمة يكون للحجر نصيبه من ماء الحيوان فيحيا وينطق (ويقول لداود خذني لقتال جالوت ويبلى بلاء حسنا في القتال) ، ومن الرحمة تصير الذرة والهباء في عظمة الشمس ، ويصبح هذا الأديم الترابى مناجم ذهب ، وتطوله يد رحمة الربيع فيصبح وشيا منمنا ، ويصبح كل مستحيل ممكنا ، فيعود عزير من قبره ويحيا (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٢٧١ - ٣٢٧٩ وشروحها) ويعم السلام ، فيجالس الذئب الشاه (تشبيه قاله أحد شعرّاء السلطان محمود لعله العنصرى مدحا له وظل تعبيرا نمطيا في الأدب الفارسى) ، وبرحمة الله تعالى لا تجد قانطا ، بل يصبح القانطون كلهم متهللين فرحين .

(٢٣٠٠ - ٢٣١٦) : إن هذه الرحمة قد فاض بها فضل الإله ، ورحمته وعطاياه لاتنتظر مستحقا ، إنها كالغيث يهمى على المزارع والصحارى ، لقد كن يعتذرن لنصوح على سوء ظنهن فيه (فيها) ، وهن اللائى يستحققن الاعتذار منه، فأى جريمة هذه سرقة الجوهرة إلى جوار الجريمة الكبرى ، جريمة أنه رجل وهن ينكشفن عليه على أساس أنه سيدة ، وهو ما لا يفكر إبليس نفسه في القيام به ، كل هذا كان الله سبحانه وتعالى يعرفه - بالتأكيد كان يقول هذا لنفسه أو كان يجول في خاطره - إن الرحمة هى التى جبرت انكسارى ورتقت ما تمزق من ردائى ، جعلتنى سوسنا حرا ، ومحا ربى ذنوبى إذ أن : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وتحولت آهتى إلى نجاة ، نجوت بها من بئر نفسى ، والبيت ٢٣١٥ مأخوذ من حديقة سنائى ، (البيتان ٦٨٥ و ٦٨٦ من متن الحديقة) ، والمقصود بالروضة

والعيـون رياض الرحمة وعيـونها ، ويا لـيـت قومي يعلمون ، سورة يس ، ﴿ قيل ادخل الجنـة قـال يا ليت قومي يعلمـون بما غفـر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ (يس / ٢٦-٢٧) .

(٢٣٢٦) : القصة الـتى تبدأ بهذا البـيت من قصص كـلـيلة ودمنة أعـاد مولانـا جـلال الدين صياغتها ، وتصرف فـيها لـتخدم أهدافه من القصة وافاضاته الـتى تختلف عن أصـل القصـة اختلاف ما بـين السماء والأرض ، وهناك إشارة فـي الحديقة عن صيد الأسـد وكيف يكـون لـكـل الوحوش (البـيت ٨١٠) . كما ورد فـي نفس الـكتاب الذى بين أيدينا تشبـيه الـشيخ بالأسد (البـيت ٣٢١٦) .

(٢٣٣٩ - ٢٣٥٠) : يترك مولانا قصة الأسد والحمار ويتحدث عن القطب ومن الواضح انـه لا يتحدث عن القطب كدرجة فـي سلسلة الولايـة ، لـكنه يتحدث عن الولـى عمومـا " انظـر لـتأييد هذه النظرة ، الـكتاب الثانى٨١٨-٨٢٥ " فمولانا جلال الدين يعطى كـل هذه الصفات عندما يتحدث عن الدرويـش " الحقيقى " و " الولى " ، و " الـشيخ " و " المرشد " ، وهو هنـا يـشبهه " بالأسد " ، بالطبع أسد الطريقـة الـذي " تصيـد " المغفرة والرحمـة ، وتـنزل علـيه الافاضات الإلـهية ، ثم يهبها لمن حوله كـل بحسب درجة " استعداده " فلـيس من عادة الـشيخ أن " يأكـل " أو " يـشرب " وحـده (انظـر الـكتاب الرابـع ، الأبـيات ١٨١٦ - ١٨١٩ وشروحها) ، ولـيس بدعا أن يكون الرزق بالقطب وقديما قال الـشاعر العربـى " خلـيفة الله يستسقى به المطر " ، وإلى مثل هذا أشار ابن الفارض بـقوله :

ومن فـضل ما أشربت شرب معاصرى   ومن كان قبلى فالفـضائل فـضلـتى

(انقروى ٥/٥٠٦)

فاعتبر القطب عقلا يناط به تدبـير أمور الجسد ، وإن تساءلـت وكيف إذن يكون هـذا القطـب ضعيفا؟! فإن الرد: إن الضعف فـي الجسد لا يعنى ضعف الروح، وهل يعمل القطب بجسده ، إن عمله بالروح بها يتلقى الفـيض وعن طريقها يفـيض به بدوره على المريديـن ، وهـو مـن عظمته جدير بدوران الأفلاك حوله - العالم كـله متعلق به ولـيس هو متعلقا بالعـالم - وهـذا المعنى متأثر بابن الفارض فـي قوله :

فبى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها   المحيط بها والقطب مركز النقطة

(انقروى ٥/٥٠٧)

ويضيف الانقروى : والقطب ازلا وأبدا من أول الوجوه إلى آخرها هو الحقيقة المحمدية ، وهو الواحد الذي موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام ، والفكرة أقرب إلى قول ابن الفارض :

ولا فلك إلا ومن نور باطني   به ملك يهدى الهدى بمشيئتي

فان كنت مؤمنا بهذا القطب ساعده في مرمة سفينة " جسده " ، ففي عونك له عون لك ، ذلك أن الله تعالى جعل المنتصر من عبده من ينصره هو ، فإن نصرت الله نصرك ﴿ إن تنصروا لله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد /٧) . قال نجم الدين : " يشير إلى أنكم إن وجدتم في أنفسكم شيئا يحرضكم على نصرة الله فذاك من أثر نصرة الله إياكم فإنه قد نصركم بالتوفيق لنصرة الحق فأما نصره من العبد فعلى وجهين صورة ومعنى ، أما النصرة في الصورة نصرة دينه بإيضاح الدليل وتبيينه وشرح فرائضه وسننه وإظهار معانيه وأسراره وحقائقه ثم بالجهاد والنفر لإعلاء كلمته وقمع أعداء الدين ، وأما نصرته في المعنى فبإخفاء الناسوتية في لاهوتيته ليبقى هو بعد فناء خلقه، وأما نصرة الله للعبد فهي أيضاً على وجهين : صورة ومعنى أما نصرته للعبد في الصورة فبإرسال الرسل وإنزال الكتب وإظهار الإعجاز والآيات وقد بين السبل إلى النعيم والجحيم ، وحضرة الكريم ثم بالأوامر في الجهاد الأصغر والأكبر وتوفيق السعي فيهما طلبا لرضاه ولابتغاء هواه وبإظهاره على أعداء الدين وقهرهم في إعلاء كلمة الله العليا وما نصرته للعبد في المعنى فبإيتاء رشده في إفناء وجوده الفاني في وجوده الباقي بتجلي صفات جماله وجلاله " (مولوى ٣٣٨/٥) . فإنك أن قمت بالصيد كالثعلب فإنما تصيد بهمته هو لا بهمتك أنت ، فمما علمك إياه تستفيد فما أنت إلا تلميذ له و " ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم " (انقروى ٥٠٩/٥) . والقطب إنما يطلب من المريد أن يصيد له صيدا حيا لا صيدا ميتا كصيد الضباع ، لكنك على كل حال أن حملت إليه صديا ميتا سوف يحيا بأنفاسه ، إن من يصيد بنفسه ودون إرشاد من المرشد لا يصيد إلا الأوهام والخيالات ولا يصل إلى عالم الغيب ، وإن كنت لا تصدق أن الميت ينقلب إلى حى ، فانظر إلى القمامة توضع في البستان فتصبح سمادا ينبت به سبحانه وتعالى الزهور والنباتات .

(٢٣٥٨ - ٢٣٦٠) : من الواضح بالطبع أن مولانا قد ترك تيار القصة وساق " نفسا " عن الرضا على لسان الحمار ، إذ ينبغي الصبر على ما أعطى الله ، والرضا والقناعة به مصداقا

لقوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بـينهم معيـشتهم فـي الحياة الدنيـا ﴾ (الزخـرف /٣٢) ، فـالصبر على كـل حال هو مفتاح الرج ، وكـل نعمة فـي هذه الدنيا على كـل حال مقرونة بغـم (ورد فـي الحديقة ما يقرب من هذا المعنى فـي حكاية ذلـك الذي قال لبهلول : أريد أن أهبك بـردة فقال على أن تزيدنى علـيها مائتى عصا ، ذلـك لأن راحة الدنيا مقرونة بشقائها (انظر حديقـة الحقيقة لسنائى ، ، الأبـيات ٥٣٣٩ - ٥٣٤٢) وإلى مثل هذا المعنى ذهب الـشاعر الفارسى :

لا كنز بلا حية ولا ورد بلا أشواك   ولا سرور بلا حزن فـي هذا السوق

(عن جعفرى ١٢/١٢٣)

(٢٣٦١) : يرى استعلامى أن هنا نوعا من السهو إذا انتـقل مولانـا من حمـار القصـار إلـى حمار الحطـاب ثم قال فـي المتـن انه حمار السقاء (٣٢٩/٥) ، والواقع أن السهو هنا بـين " حمار الحطـاب " ، فـي العنـوان و " حمـار السقاء " ، فـي البـيت الأول ، فالحكايـة هنـا لا دخل لها بحمار القصار ، وحمار القصاء هو الذي يرويها لـيضرب مثلا علـى أن كـل نعمـة مقرونة بغم ، ومن ثم أولى بالإنسان أن يطلب من اللـه المغفرة لـه لذة الدنيـا والآخـرة ، لأن الاستغفار مقرون بالرزق ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إلـيه يمتعكم متاعـا حسنـا إلـى أجـل مسمى ويؤتى كـل ذى فـضل فـضله ﴾ (هود / ٣) ، ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفـارا يرسل السماء علـيكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لـكم جنات ويجعل لـكم أنهـارا ﴾ (نوح /١٠-١٢) . وقد قيل " العناية تهدم الجناية وتورث الهداية وتصل الولايـة ، (انقروى ٥١١/٥) ، فالنعمة فخ حبة ظاهر وشبكته خفـية . والحكاية المذكورة هنا لم يهتم أحد بـالبحث عن أصل لها وفـي الحكاية روح حكايات كـلـيلة ودمنة " وتشبه حكاية فأر المنزل الذي دعـا فأر الحقول إلى المنزل للـتـناول من خيراته ورؤية فأر الحقول للمصيدة وتفـضيله الفقر مـع العافـية عن الغـنى مع الخطر " .

(٢٣٨٢ - ٢٣٨٧) : عودة إلى مناقشة الثعلب مع حمار القصار وتدور المناقشـة حـول فكـرة الـتوكـل والـكسب وهى من الأفكار الـتى ناقشها مولانا فـي الـكتاب الأول فـي قصة الأسـد والوحوش (من البـيت ٩٠٣ إلى البـيت ١٣٩٨ من الـكتاب الأول) ، وكـل فريـق يجد مـن الـكتاب والسنة ما يدعم رأيـه بل وحـاولوا الـتلفـيق بـين الـتوكـل والـكسب ، وقـالوا أن الـتوكـل لا يعنى القعود عن الـكسب ، بـل ينبغى أن يكون ثم كسب مقرون بالـتوكـل : " الـتوكـل حال النبى والسعى سنته فمن ابتغى حاله لايتركن سنته " ، كما ورد فـي الرسـالة

القشيرية . ومما يتفق ومعنى الحديث " اعقلها وتوكل " ، ما روى من قول عمر ﷺ للرسول ﷺ : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أعلى أمر قد فرغ منه أو على أمر مبتدا ؟! فقال : على أمر قد فرغ منه ، فقال عمر : أفلا نتكل وندع العمل ؟! فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، كما ورد في التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذى ، فالتوكل محله القلب والحركة بالظاهر ولا يتناقضان (عن تعليقات كفافى على القصة المذكورة في الكتاب الأول ، ص ٤٨٧) والحمار هنا هو الذي يدافع عن التوكل ، بينما يدافع الثعلب عن الكسب حتى يجر الحمار من موطنه إلى حيث يوجد الأسد ، يقول الثعلب : إن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بطلب الرزق من مظانه ، والرزق مرهون بهذا الطلب ، وقد قال تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (الجمعة /١٠) ، وقال ﷺ : طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ، وقال أيضاً : طلب الحلال واجب على كل مسلم ، (انقروى ٥/٥١٤) . ومن أقواله أيضاً ﷺ : أبواب الأرزاق مقفولة والحركة مفتاحها . (أحاديث مثنوى ، ص ١٦٨) .

(٢٣٨٨ – ٢٣٩٢) : يجيب الحمار مدافعا عن التوكل بمضمون ناظر إلى الآية الكريمة ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾ (العنكبوت /٦٠). والحديث الشريف : {لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خماصا وتروح بطانا} . وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ (الطلاق /٢-٣) . والأبيات كلها تكرار لأفكار بل وتعبيرات وردت في حديقة الحقيقة (انظر الأبيات ٧٩٦-٨٢٢ ، صص ١٠٥-١٠٧ من المتن الفارسى) .

(٢٣٩٣ – ٢٣٩٧) : يرد الثعلب : إن هذا التوكل الذي تتحدث عنه أمر نادر الحدوث ، إنه ديدن الكمل من الرجال من أوليائه وأحبائه ، الذين رضى عنهم وأرضاهم ، فإذا كان الرسول ﷺ قد شبه القناعة بأنها الكنز ، فمن تراه وصل إلى هذا الكنز ، أتراك – وأنت حمار – تطمع في هذا الكنز وتريده لنفسك ، اعلم قدرك واحفظ أدبك ، وإلا سقطت في الفتنة وفي الشر ، إذا وضعت هذه النفس في غير موضعها .

(٢٣٩٧ – ٢٤٠٠) : يرد الحمار : إن هذا قلب للأمور منك أيها الثعلب فمن أين تأتى الفتنة ومن أين يأتى الشر إذا اعتصم الإنسان بالقناعة ، إن الفتنة والشر إنما يتأتيان من الطمع

وقد قال ﷺ { إياكم والطمع فإنه هو الفقر الحاضر وإياكم وما يعتذر منه } (انقروى ٥١٧/٥) . وكما يكون المرء عاشقا للرزق فإن الرزق أيضاً عاشق له كما قال ﷺ : { إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه } ، وفي رواية أخرى وكما يطلبه أجله (استعلامى ٣٣١/٥) .
(٢٤٠١ – ٢٤٠٣) : يسوق مولانا هنا حكاية لها أمثال عديدة في كتب الصوفية (مآخذ ١٧٨ و ١٧٩) ، لكن المهم انه يذكر بطلها " كزاهد " ، وليس كصوفي ومن سوق مولانا جلال الدين لهذه الحكايات وطريقة تعبيره عنها يتضح موقفه من هذا النوع من الزهاد أو الصوفية المتنطعين الحرفيين والزاهد هنا متنطع وحرفي يذكر بذلك الزاهد الآخر الوارد في الكتاب الثالث من المثنوى والذي شق على نفسه فنذر ألا يقطع ثمرة من شجرة جبلية ولا يهزها ولا يطلب من أحد تصريحا وكناية أن يهزها ، وأنه لن يأكل إلا مما تسقطه الريح من الشجرة، وكيف أخذته الغيرة الإلهية فأخذ مع لصوص وقطعت يده. (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٦٣٦ – ١٦٣٩ و ١٦٧٤ – ١٦٨٤ وشروحها) إن هذا يكون أشبه بامتحان الله ، ومن امتحن الله تعرض لامتحانات القضاء (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٦٠ – ٣٨٦ وشروحها) والحديث المذكور في البيتين هو حديث : { إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه } .
(٢٤١٦ – ٢٤١٨) : يخاطب الدرويش قلبه : ها أنت أيها القلب تعرف السر وتعرف أن الله هو الرزاق ساق إليك الرزق وأنت شبه جثة ، فكفاك تدللا (حتى التدلل هنا مكروه ، وانظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣٢٠ – ١٣٢٥ و شروحها) ، ويجيب القلب : أجل أعلم ، لكننى متعمدٌ فيما أفعل كى أؤمن تماما أن الله هو الرزاق!!
(٢٤١٩ – ٢٤٢٤) : يجيب الثعلب : إن كل هذه حكايات ، ولو كان الله تعالى يريد منك أن تقعد بلا كسب لما خلق لك يدا ، ولا قدما ، ثم إن هذا العالم قائم على الكسب ، أتراك بكسبك وبعملك تنفع نفسك فحسب ؟! لا... إنك جزء من مجتمع ولكل واحد حرفته التى يتكسب منها ويفيد الآخرين ويستفيد هو أيضاً من أعمال الآخرين وحرفهم ، والدنيا قائمة على هذه المشاركة ، كل إنسان يعمل : " ومن أخذ من الناس المنافع ولم يعطهم نفعا لم يدخل تحت قوله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ ، ولهذا ذم من يدعى التصوف فيتعطل ولا يكون له علم يؤخذ منه ولا عملٌ صالح في الدين يقتدى به بل يجعل همته عادية بطنه لأنه انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى "

(انقروى ٥/٢٥١) . وترجمت " طبل خوارى " في البيت ٢٤٢٤ بالخيال الساذج بينما ترجمها المترجمون والمفسرون بـ " الأكل بالمجان " ، لأن فيها إشارة إلى الثعلب الذى ظن من صوت الطبل أن فيها شحما فمزقها من خياله الساذج ولم يجد عندها شيئاً .

(٢٤٢٥ - ٢٤٣٠) : قال الحمار : إننى أعرف مهنة ولا كسب افضل من التوكل لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (ولا نظير لمهنة الشكر لأنه سبحانه وتعالى القائل : ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ﴾ (إبراهيم / ٧) ، وهكذا طال الجدل بينهما وطال الخطاب ، وعلم الثعلب أن هذه المناقشة لن تفضى إلى نتيجة ، فأراد أن يدخل إلى الحمار من باب آخر : باب التحذير والتخويف من التهلكة ، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بهذا في قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة / ١٩٥) ، هيا ... انتقل من هذه التهلكة فأرض الله واسعة ، هيا معى المروج .

(٢٤٣٤ - ٢٤٣٩) : تذكر هذه الأبيات بما ورد في حكاية الشاعر الذي عاد من العراق فقيرا مهلهل الثياب لا تبدو على هيئته آثار النعمة ولا على وجهه نضرة النعيم لا في باطنه سيماء المؤثرين ، ومع ذلك فهو يتفنج ويدعى (انظر الكتاب الرابع ـ الأبيات ١٧٣٩ - ١٧٥٤ وشروحها) ، وهذا هو أيضاً الثعلب ، إن الحمار (لأنه حمار) ، لم يقل له : وأين آثار هذه الجنة التى تعيش فيها عليك أنت ، إن المنطق لا بد من اجل أن يكون مؤثرا وقابلا للصدق أن يكون هناك شئ من العمل والواقع إلى جواره وإلا لكذب المظهر القول مثل كثير ممن سخر منهم مولانا .

(٢٤٤٠ - ٢٤٤٥) : وهذا أشبه بذلك الجمل الذي سأله أحدهم :" من أين أتيت ؟! قال من حمام حيك الساخن ، فقال إن هذا يبدو على ركبتيك ، أي أنك إذا كنت في الحمام لظهر ذلك على هيئتك وعلى قدمك . وذكر فروزانفر ونيكلسون أنهما لم يجدا مصدرا لهذا المثال قبل مولانا (استعلامى ٥/٣٣٢) ، ويواصل مولانا : إن الادعاء يبعد الرحمة ومن ثم تحدث الفضيحة ، وفي سلسلة المدعين قدم لنا مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث ، الريفى الذي خدع الحضرى وابن آوى الذي سقط في دن الصباغ ، والنفاج الذي كان يدهن شاربه بشحمة وسرقتها القطة ، ثم كبير المدعين في تاريخ البشرية : فرعون الذي ادعى الألوهية (انظر الكتاب الثالث ، الترجمة العربية ، صص ٧٩ - ١٠٧) وها هو هنا يعود إلى فرعون : إذ لو كان فرعون هذا مؤمنا حقا بأنه " الرب الأعلى " ، لما خاف كل هذا الخوف

من حية موسى ، ومن ثم طلب المهلة ، ومن هنا فقد فضح نفسه ، وكشفها أمام الأذكياء العارفين الذين قالوا : تراه حقا لو كان رب الدين لهلع كل هذا الهلع من دودة ؟!(٢٤٤٦ – ٢٤٥٤) : يظل مولانا جلال الدين مستمرا في إفاضاته ، فيخاطب النفس الفرعونية : إن هذا السكر الذي تحس به من شريك النبيذ ، فلا نصيب لك من عناقيد الغيب أي المعارف الإلهية وشراب الحكمة ، وهناك إمارات لا تبدو ولن تبدو عليك من أجل هذا أهمها التجافى عن دار الغرور (انظر ٣٠٨٠ – ٣٠٨٤ من الكتاب الرابع وشروحها) ، لأن النبى ﷺ لما قرأ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ قال إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح فقال الصحابة : وما علامة ذلك يا رسول الله ، قال : التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور والتأهب للموت قبل نزوله (مولوى ٥/٣٥٢) . والماء الأجاج هو نعمة الدنيا وكلام المزورين من الشيوخ والماء العذب هو ماء المعرفة وكلام الكمل من الشيوخ والمرشدين ، والإيمان الحقيقى يختلف عن التقليد والادعاء (عن المقلد والمحقق وهو عكس المقلد ، انظر الكتاب الثانى-٤٩٤-٥٠٥) .وهذا المقلد غالبا ما يكون عرضة للشيطان يقف له في الطريق ، إنه واهى الإيمان ، وضعيف الإيمان عادة ما يكون ألعوبة في يد الشيطان ، غير ثابت ، حاله كريشة في فلاة ، تحيط به الشكوك والريب ، ولا علاج له إلا بالإيمان فهو كزبد البحر ، لا يهدأ و لا يسكن إلا إذا وصل إلى الشاطئ ، لأن الشاطئ هو أصله الترابى الذي يحن إليه .

(٢٤٥٥ – ٢٤٦٩) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار لكنه لا يلبث أن يتركها ، لقد كان منطق الثعلب منطقا جميلا ، لكنه فاه به كالمقلد ، فاه به من أجل أن يوقع الحمار لا أكثر ولم يفه به إيماناً ، إن هذا الثعلب شأنه شأن المقلد وشأن المنافق تحدث عن المعرفة ومدحها ، لكنه لم يكن تواقا إليها ، إنه أشبه بالنائحة الأجيرة ، خمش وجهه ومزق ثوبه ، لكنه لم يكن عاشقا (العاشق هو القمة التى يصل إليها المرء بعد أن يكون عالما) (انظر البيت ٤٩١ من الكتاب الثانى) ، إنه كعذر المنافق موجود علي شفته لا في قلبه ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ قيلت عندما اعتذر المنافقون إلى الرسول عن القتال ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ﴾ (الفتح /١١) ، و ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ . إن فيه رائحة من فاكهة سرور المعرفة ، لكنه ليس هذه الفاكهة، إنه يستخدم هذه الرائحة ، أي منطقه وحديثه من أجل أذى الناس ، إن علمه كمصباح في يد لص وذلاقة لسانه من أجل

الخداع ، وما أشبهه بامرأة ، (ليست المرأة هنا للجنس ولكن لم لا قدرة له على الطريق ، ورب امرأة في الطريق تكون خيرا من عشرات الرجال) ، تتشدق بالشجاعة وشق الصوف ، لكنها إن أمسكت بالسيف ، أي إن خرجت من مرحلة القول إلى مرحلة الفعل ، ارتعدت وظهرت على حقيقتها ، هكذا أيضاً عقلك إن كان في الأنثى غير قادر على إدراك عوالم الغيب ومعرفة الحق ، وكان خاضعا للنفس الأمارة بالسوء - خضوع الأنثى للذكر - إن الأنثى تستطيع أيضاً أن تهاجم لكن بشكل ظاهرى فقط ، لكن آفة هذا الهجوم ، وآفة هذه السطوة هى الاهتمام بالأشكال والألوان والروائح وظواهر الأمور ، إن صاحب العقل الأنثوى يشبه تماما هذا الحمار ، لقد قاوم وقاوم ، لكنه بمجرد أن سمع حديثا عن الألوان والأشكال الموجودة في المروج ، نسى كل ما قدمه من حجج ، وأصبح مثل الظمآن الذي يطلب المطر ولا سحاب هناك ، أي ذلك الذي يطلب الأمور في غيبة أسبابها ، فكأنه يطلب المحال ومثال أيضاً ذلك الجائع الذي لم يلجأ إلى درع الصبر (انظر لتفسير مفصل عن درع الصبر ، الكتاب الثالث ، الأبيات ١٨٤٨ - ١٨٥٤ وشروحها) ، ومكتوب على درع الصبر جاء الظفر إشارة إلى القول المأثور " من صبر ظفر " (مولوى ٥/٣٥٥) .

(٢٤٧٠ - ٢٤٨٣) : القياس في مصطلح مولانا يذكر في مقابل العيان والمشاهدة والإدراك الباطنى للحقائق أو في مواجهة النص (ولا قياس مع نص) . (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٥٨٥ - ٣٥٨٩ وشروحها)، والقياس مجرد رائحة من الإدراك وليس إدراكا ، فإذا أردت أن تتحول شذرات نقلك التى قمشتها من هنا وهناك إلى إدراك وفيض فداوم على مجالس المرشدين ، وفيها تخرج معدتك من مرحلة الحمارية " يخرج عقلك من مرحلة التقليد " ، إلى مرحلة الغزلانية " مرحلة التحقيق " ، وتفيض منك الحكمة كما يفيض المسك من نافجة الغزال ، وهكذا فاعلم أن الحكمة هى غذاء الأرواح ، وانظر : ألا ترى أن الحيوان هو الذي يداوم على أكل العلف ومن ثم يصير أضحية للذبح ، أما الإنسان فينبغى أن يكون قوته من نور الله ، بحيث يصبح جديرا بحمل القرآن وبيان معانيه وحكمه للناس ، وهكذا فاعلم أن نصفك من الطين وهو جسدك ونصفك من النفحة الإلهية وهو روحك ، فداوم على تقليل جانب الطين وزيادة جانب الروح من نفسك ، حتى تشرف بالتحقيق ويكون لأقوالك نتيجة وتأثير " ورقا وثمرا " ، لا مثل ذلك المقلد ، الذي يعرف هو نفسه أن أقواله هذه لا بهاء فيها ولا نور ، إنه مهما يتشدق بها ، يكون مرتعدا في داخله مرتعشا خائفا ،

فانظر إلى من يتـوقح على الناس ويخيفهم وهو فـي الواقع أشد خوفا منهم ؟! إن فـاقد الـشئ لا يعيطيه مهما تشدق به ومهما تحدث عنه ومهما تظاهر به ، إن الوعى بالذات مفتاح لـكـل تطور فـي الـشخصية وتسام بها .

(٢٤٨٤ - ٢٤٩٦) : الـشيخ الـكامل الواصل أو الـشيخ النورانى هو القطب الذي تحدثنا عنه آنفا ، وهو كامل المعرفة بالعلم اللدنى أو الغيبى لا من العلم المبنـى علـى الـدرس والمدرسـة (انظر للـكامل والواصل ، البـيت ٢٣٣٩ من الـكتاب الذي بـين أيدينا وعن العلم الـتحصيلى والمدرسة ، انظر الأبـيات ٣٨٤٨ - ٣٨٥٤ مـن الـكتاب الثالث وشـروحها) هـذا الـشيخ النورانى لا يفـيض بعلمه إلا على من هو نورانى مثله ، فهناك كـوة مفتوحـة مـن القلـب إلـى القلب ، وكيف يفـيض بنوره على من هو غير مستعد ، وهكذا فكما أن كـل شئ ينقـع فـي الدبس " عصير العنب المخمر " ، يتخذ طعم الدبس ، فإن كـل ما يقوله الـشيخ الـكامل يكـون معجونـا بـالنور ، وإذا اقتبست مـن هـذا العلـم استطـاع حتـى القـوم اللـد المغرمـون بـالجدل والمقيمون على الباطل أن يستفـيدوا منك ويهتدوا بنورك ، إن هذا العلـم يكـون كمـاء المطـر ظاهر" تماما لأن السماء لا تمطر إلا طـاهرا (انظر لطهارة الماء الـكتاب الذي بـين أيدينـا ، الأبـيات ٢٠٠ - ٢٢٠ وشروحها ، حيث يفسر مولانا الماء بأنـه أرواح الأوليـاء) وبالاتصـال بأرواح الأولـياء ينبع الماء من داخلـك ، يهبط إلـيك من منبعه الأصلى . (انظـر للمـاء الـذي ينبع فـي الداخل ، انظر الـكتاب الرابع ، البـيتان ١٠٩٢ - ١٠٩٣ وشـروحها) . فـلا تـأخذه من قناة (مصدر أو كتب) ، ولا يكون عندك مجرد فكرة أو ظن ، وكأنه القناة يتشاحن علـيها المزارعون ، و علوم الـكتب مصدر مشاحنة وجدل وقيل وقال ، أمـا علـوم الأولـياء القائمـة على وحى القلب وعلى الـكشف فلم يحدث بشأنها جدل أو اختـلاف . فالأولـياء كنفس واحـدة وعلومهم تختلف عن علوم الآخرين (انظر ١١٤٠ - ١١٤٥ من الـكتاب الرابع) وهكذا انظـر إلى جدل الحمار " المقلد " ، مع الثعلب برغم الأدلة الـتى ساقها الحمار وصموده أمام الثعلـب مرة أو مرتين أو ثلاث مرات ، فقد سلم ، كانت حججه واهية لأنه هو نفسـه لـم يكـن مقتـنعا بها ، ومن هنا فقد سقط ، لأنه كان مفتـقدا إلى الإدراك الداخلـى ، إلـى القناعـة الداخلـية بمـا يؤمن به ، كان الأمر مجرد فـيهقة وقعقعة ألفاظ وتفاصح، ولأن الثعلب أكثر فصاحة منه فقد هزمه وأفحمه ، كان " الحمار " جائعا ، وكان جوعه وحرصه أشد من قناعته .

(٢٤٩٧ - ٢٥٠٠) : حكاية أخرى من حكايات مولانا جلال الدين ذات التعبيرات " الخارجة " بمفهوم عصرنا ، وهو نفسه يحس بهذا فيحتج ثانية ببيت لسنائى الغزنوى (حديقة الحقيقة ، البيت ١١٢٨٠ وانظر لمناقشة هذا الموضوع شروح البيت ١٣٣٣ من هذا الكتاب) ، وواضح أن الحكاية هنا - شأنها شأن معظم الحكايات ذات التعبيرات والمضامين الخارجة مأخوذة من التراث الشعبى ، ويستشهد مولانا بالآية الكريمة ﴿ إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ، وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ (البقرة /٢٦) . ويفسر مولانا بأن ما فوقها تعنى ما فوقها من مسببات الإنكار ويروى الانقروى ٥٣٧/٥ حديثا نبويا شريفا : { إن الله حيى كريم ، لا يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت } . والفتن من أنواع الامتحانات ، وهى أشبه بميزان الحشر يبدى عيانا فعل المرء ، والحكاية تقدم أحد المدعين في سلسلة المدعين الذين يقدمهم مولانا ، فهذا المأبون فاقد الرجولة يحمل معه خنجرا من أجل الذين يفكرون - مجرد تفكير - في نيله بسوء .

(٢٥٠١ - ٢٥٠٥) : إن لم يكن ثم رجولة نابعة من الداخل فما فائدة الأسلحة والمغافر والخوذ ، وهب أنك امتلكت سيف على ﷺ المسمى ذو الفقار فأين روح على ، وإذا كان المسيح عليه السلام قد علمك دعاء إحياء الموتى فهل لديك نفس المسيح الموهوب من الله تعالى ، وإن كان لديك ثم سفينة فهل أنت مثل نوح ، وإذا كنت ادعيت مثلما أدعى آخرون في هذا العصر أنهم محطمو الأصنام ، فهل حطمت صنم نفسك ، لقد حطمت أصناماً ثم وضعت نفسك صنما أكبر " كأن مولانا تنبأ بزعامات العصر الحديث " ، هب أنك تملك الآلة ، فأين الروح التى تستخدم هذه الآلة ؟! أين عزمك ومضاؤك ؟! ألا فلتخجل من نفسك ، إذا كان لديك كل ما يجعل منك " رجلا " ، لكنك لا تفتأ تتحدث فحسب .

(٢٥٠٦ - ٢٥٠٩) : والرجولة ليست بالكلام ، إنها فعل ، فإن كل لديك الدليل على ما تقول من فعلك فايت به ، وإلا فإن عدم العمل مع امتلاكك لآلة العلم وظروفه وإمكاناته دليل على قهر الله عزوجل وغضبه عليك ، فما جدوى أن تقوم بهداية الناس وأنت نفسك غير مهتد ، وبكلامك هذا مجرد كلام ، جعلت الخائفين والمرتعدين شجعانا ذوى جد في الطريق ، أليس من المثير للسخرية أن تنفع الجميع بما لديك دون أن تنفع نفسك ؟! أليس

من المضحك أن تتحدث عن التوكل ، وأنت من حرصك وطمعك وراء المتاع الهزيل تقصد البعوضة في الهواء ؟!

(٢٥١٠ – ٢٥١٥) : إن هذا الذي يكمل أمارات الرجولة وعلاماتها " اللحية والشارب " ، دون أن يكون رجلا في الحقيقة والباطن إنما يثير السخرية في الواقع ، والرجولة الحقيقية تكون في العمل " العمل هنا بمعناه العام وهو أيضاً الرياضة والسلوك والتحمل ، تحمل المشاق في طريق الرجال الحقيقيين وفي الحرب الضارية ، حرب الجهاد مع النفس ، وهو الجهاد الأكبر ، والعمل هو الدواء للرجولة الظاهرية التى تخفى وراء نفسا " مخنثة " ، فتب عن هذه الرجولة التى تثير السخرية ، وتب عن الادعاء ، وتب عن اعتبار الكلام مجرد الكلام هو عناية المراد ، ودعك من جذبة الجسد ، واهتم بجذبة القلب ، فهى التى تجلب جذبة الحق " التى تساوى عمل الثقلين " ، وإن لم تكن تستطيع فتكلف هذا ، فحتى أن تكلفت سوف تجد من يجذبك من أذنيك يجرك بالرغم منك إلى ما فيه نجاتك .

(٢٥١٦ – ٢٥١٨) : عودة إلى قصة الحمار والثعلب ، لقد نجح الثعلب لماذا ؟! لأنه كان " ثابتا " ، حتى الاحتيال يحتاج إلى الثبات وإلى المواصلة والصبر ، فما بالك بالصفات الحسنة والأهداف النبيلة ، ويذكر مولانا في البيت ٢٥١٧ بحكاية وردت في الكتاب الثانى حكاية أولئك الصوفية المعدمين الجوعى الذين نزل بساحتهم وزاويتهم صوفى سياح فباعوا حماره واشتروا به عشاء ثم أخذوا يغنون ويرددون ضاع الحمار ، ضاع الحمار ، وصاحب الحمار المسروق يردد ذلك معهم (انظر الكتاب الثانى الأبيات ٥١٧ وما بعده وشروحها) ، والصوفى صاحب الحمار هنا مثال على المقلد وفي البيت التالى ٢٥١٨ يشير إلى حكاية الأسد والوحوش التى يخدع الأرنب في نهياتها الأسد ويلقى به في البئر.

(٢٥١٩ – ٢٥٣٢) : يترك مولانا قصة حمار القصار فلا يعود إليها إلا في البيت ٢٥٦٤، فهيا إياك ووساوس الشيطان، سد أذنيك عنها ، وأفتح أذنيك فحسب إلى ما يحدثك به الولى مما أفاء الله عليه به من وحى القلب ، إن حديثه بمثابة الخمر الصافية التى تصب من الدنان الخسروية ، والمعارف الإلهية التى تفيض من لدن الحكيم الخبير مرت بهذه الشفة المباركة فازداد تأثيرها ، وما تميل هذه النفوس إلى خمر الدنيا هذه إلا لأنها حرمت من تلك الخمر الصافية ، خمر الولى ، تماما كالطائر الأعمى الذي يحرم من الماء العذب

فـيطوف حول الماء المالح ، ويتلهف علـيه ، وهكـذا النفس إن حرمتها المعـاني والافاضـات طـافت حول وساوس الـشيطـان .

(٢٥٢٤ - ٢٥٣٧) : كما تـنتاب مولانا جلال الدين أحوالٌ من القبض هناك أيضاً أحوال مـن البسط ، فالعالم كـله يصل إلى مطلوبه ببركة الولي وبركة افاضاته ، فهو موسى يتجلـى فـي الصدور كما مـلأ موسـى عليه السلام سيناء بنـور الـتجلى ، ويمنـح أولئك المقلديـن العميـان الذيـن يقومون بتـقلـيد الأولـياء دون فهم قوة الإدراك والبصـيرة والرؤيـة ، إنها نوبـة خسـرو حلـو الروح (حلو بالفارسية "شيرين " وهنا تلاعب بـقصة خسرو وشيرين) ، هـذا هـو دور الولـى ودور المرشد الـكامل الحقيقى، فـلاي شك أن الأسرار الروحانية قد ملأ ت بواطننا ، وهـؤلاء الحسان فـي جمـال يـوسف الصديـق يسوقون عسكرهم مـن الغيـب حاملــين أحقـاق السكر "بشارات الوصال" من مصر واسمعوا صلـيل الأجراس ، إنها هذه المرة لـيست متوجهة إلى كنعان بـقميص يـوسف عليه السلام يلقـى علـى وجـه يعقـوب فــيرتد بصـيرا ، إنهـا نصيبنـا الآن ، فتـناوبوها أيها المريدون برغم الحاسدين والحاقدين ، وخذوا نصيبكم منها ، وهيا أيها الباحثين عن حلاوة المعرفة ، أدركوا أسرار الغيب ، لقد جاء بها الحبـيب الحقيقى ، الحبـيب الوحيد ، وهذا هو السرور الحقيقى ، سرور الروح وسرور المعرفة ، إن العـالم كـله ملئ بالسـعادة ، والسعادة تملأ مدينتـنا " بواطننا " ، من أقصاها إلى أدناها ، فقد قبـل " قبلـة الـروح " الأرواح الواصلة إلـيه ، وإذا كنت تريد أن تعرف تأثير هذه المعرفة على كـل المرارات الــتى كـانت موجودة فـي المدينة ، فتخيل أنواع الفتوح ، والإفاضـات قد ملأت هذه المدينة بحيث أن اشد الأشياء مرارة قد انقلبت حلوة ، فهيا اصعد وناد الفقراء والمعوزين إلـى مـائدة الـروح ، فهذه فرصة الحجر الصلد ، من غلبت علـيه الصفات البشرية ، والقلب القاسى ، لـكى يتحـول إلى ياقوت مطعم بالذهب ، إلى روح ذات نصيب من افاضات الولى ، هذا هو أوان رقـص ذرات الهباء (البشر) ، فـي ضوء (الـشمس) ، وفـي ديـوان شمس :

ولماذا لا يسرع كـل صوفى فـي الرقص كالذرة فـي شمس البـقاء حتى تخلصه من الزوال؟؟

لقد سكر العشاق من هذه الرياض والبساتين الـتى تفتحت فـي بواطنهـم ، ويد العنايـة الإلهيـة تـقوم بفعلها فتجعل الروح تـتصل بالحق بحيث تفنى وتنوب ولا نحس بوجودها وتصيح كما صاح الحسين بن منصور الحلاج " أنـا الحـق " ، فـإذا كـان الـشيطــان قد نجح فــي إغـواء

أحدهم ، وأبعده عن طريق الحق ، إذا كان الثعلب قد خدع الحمار فما بالـك أنت ، لماذا تغتم أنت إنك لست حمارا فـي نهاية الأمر ، أنت إنسان فتصرف كإنسان .

(٢٥٣٨ - ٢٥٤٥) : وردت الحكاية الـتى تبدأ بهذا البـيت فـي ذيل زهر الآداب لأبى اسحق الحصرى القيروانى وفـي كـلستان سعدى (انظر مآخذ ١٧٩/١٨٠) وربما كانت من الفكاهات السائدة فـي عصر مولانا ، وهى تـتردد أيضاً فـي كـل عصـور الطغيان السياسـى وانعدام الـتمييز والقبض على الناس واعتـقالهم بالباطل فـيأخذون صـاحب الحمار للسخرة بدلا من الحمار ، والتورية في رواية ذيل زهر الآداب واضحة تماما " وهذا كما حكي عن الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل ، أنـه مر ببعض إخوانـه بعقبة النجارين وهـو يعدو بأكثر مما يقدر عليه ، فقال : قف على ، مخافة أن تكون قد نزلت به نازلة ، فأتاه إلـى الدار فخرج مستخفيـا ، فقال : مالك يا أبا عبد اللـه ؟ ، فقـال : أمـا علمت أن السخرة وقعت فـي الجمال ؟ فما يؤمنني أن يقال هذا جمل فلا أتخلص إلا بالشفاعة " (ذيل زهر الآداب ، ص ٦٣ ويـوجد مثيلـتها فـي كـلستان ، طبعة فروغى ، ص ٣١) .

(٢٥٤٦ - ٢٥٥٠) : لا تخش أنت شيئا فملـيك مدينتـنا هـو الخالق سبحانه وتعـالى عـادلٌ وصاحب تمييز . وإنك إن كنت إنسانا وحققت نسبتك إلـيه سبحانه وتعالى فـي النفخة الإلهيـة ، لا يمكن أن يأخذك كما يـأخذ الحمـار ، أنـت إنسان مكـرم سيد المخلوقـات ، بك يستـنير الفلـك الرابع كما استـنار بعيسى عليه السلام من قبلـك ، فأنت عيسى عصـرك وأوانـك ، وحاشـاك أن يكون اصطبل " الدنيا " مقرا لـك ، بل أنت أعلى من كـل الأفلاك ، ولابن الفارض :

ولا فلـك إلا ومن نور باطنى   به ملـك يهدى الهدى بمشيئتى

إنك فـي مقعد الصدق عند ملـيك مقتدر ، إنك أمير علـى الاصطبل " الدنيـا " ، وهنـاك بلا جدال فرق كبـير بـين أمير الاصطبل وبـين الحمار ، وإن كان كـلاهما مقيما فـي اصطبل الدنيا .

(٢٥٥١ - ٢٥٥٥) : ما عكوفنا هذا على الحمار وعلى قصة الحمار وكيف تأنس نفوسنا كـل هذا الائتـناس إلى قصة الحمار ووصف الحمار ، لماذا نتدنى ولا نرتفع ؟! دعنـا مـن حمـار النفس ، ومن " دنيا " هذا الحمار وتحدث عن عوالـم أهل الحـق ، عن حقـائق الغيـب وعـالم الفكر ، عن عوالم المعانى الـتى تشبه بحارا ملـيئة الجوهر وما هذا الجوهـر إلا رجـال الحـق من أصحاب البصائر والأحاديث الـتى تحيى الروح ، وهـم ملـوك الطيـور الـتى تـتغذى

بالورود (انظر تلك الغزلان التى ترعى السوسن في ختن ، البيت ٢٤٧٤ من الكتاب الذي بين أدينا) ، ولأنها تتغذى بهذا الغذاء الطيب الطاهر ، فإنها تعطينا أحاديث في قيمة الذهب والفضة ، وهم أيضا تلك البزاة التى تربى القطا " المريدين " ، وتطير في سيرها إلى الله سبحانه وتعالى بأى شكل تريد ، سواء بالعبادة الظاهرية أو بعبادة الباطن .

(٢٥٦٦- ٢٥٦٩) : فكرة السلالم الخفية فى الدنيا كناية عن الطريق الصوفى من أفكار سنائى الغزنوى (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٢١٨-٢٢٥) فالسلم الخفى هو السير الباطنى عند السالك الذى يقطعه درجة درجة حتى أعلى درجات السمو الروحانى وهى مختلفة بين جماعة وأخرى لأن "الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس بنى آدم" ، وكل جماعة لا تعلم شيئاً عن حال الجماعة الأخرى : بل هى مندهشة تماماً من أحوالها ، وذلك لأن "أرض الله واسعة" (انظر البيت ١٠٨٨ من الكتاب الرابع وشروحه) وليست أرض الله إلا هذا القلب ، ومنه تطل أشجار الفكر (انظر لهذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات ٣٦٠-٣٦٣ وشروحها) ولأن أرض الله واسعة فقد تعددت فيها الأفكار والآراء تعدد النباتات وتنوعها باختلاف تربتها واختلاف الماء الذى تشربه (انظر لهذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ١٠٨٣-١٠٨٩ وشروحها) هذه الأرض حتى الأشجار فيها تسبح بحمد الله ، وبلابلها متحدثة مع أزهارها، كل شيء فيها متوافق متناغم ، ومهما وصفت هذا العالم فلن أوفيه حقه من الوصف ، ولكن لنعد - وكلنا أسف - إلى قصة الثعلب والأسد والمرض والجوع ، لننزل إلى أرض الواقع المر .

(٢٥٧٠) : {العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن} و {من لا صبر له لا إيمان له} (مولوى : ٣٧٤/٥) وانظر أيضاً الكتاب الثالث البيت ٣٤٩٩ . ٢٥٨٥ - ٢٥٩٠) : يترك مولانا سياق القصة فلا يعود إليها إلا من البيت ٢٦٠٠ . أنه يتحدث هنا عن الفرق بين عقلين : عقل يستمد مؤونته من دوران الأفلاك وهو العقل الجزئى ، ثم العقل الكلى الذى هو التجلى الأول للخلق الإلهى ، بين عقل يدرك أمور الدنيا المادية فحسب وعقل يشرف على كل الوجود ، لأن الله سبحانه وتعالى ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق ٥) إن الانحناءة الموجودة فى ذلك التوقيع الذى نختمه على منشوراتنا (بصفتنا كبشر ملوك الكون) مأخوذ من هذه الآيـــة والعلم من الله هو مقصدنا لأنه سبحانه وتعالى قال "قل إنما العلم عند الله"

((الملك ٢٦) ، ونحن أصحاب العقل الكلى نحن أولئك الذين ربتهم شمس الحقيقة ، وليس الأفلاك التى دونها ، ومن ثم فإن وجهتنا هى الله سبحانه وتعالى ، وإن نفثات الشيطان ووساوسه تجعل حتى ذلك الذى جرب ينسى تجربته ويقع من ثانية فى الإثم ، ومن العسير بالطبع أن نعتبر هذا الكلام على لسان الثعلب كما قال قدامى المفسرين .

(٢٥٩١-٢٥٩٩) : يشير مولانا فى معرض نقض العهد والنكوص عن التوبة إلى قصة أصحاب السبت الواردة فى قوله تعالى ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ (البقرة ٦٥و٦٦) أما أصحاب المائدة فهم الذين وردوا فى الآية الكريمة ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾ (المائدة ٦٠) لكن ما بال أولئك الذين ينقضون عهودهم وأيمانهم من أمة محمد ﷺ لايمسخون؟ يجيب مولانا : فى أمتنا لا يكون مسخ بدن ، بل مسخ قلب ، تجد الحاكم فى صورة حاكم لكن قلبه قلب ذئب متعطش للدماء، تجد الأستاذ فى صورة أستاذ لكن قلبه طاووس معجب بنفسه مغتر متكبر يريد أن يظهر كل لحظة فى وسائل الإعلام ، ترى القائد العسكرى أسداً فى هيئته لكن قلبه قلب نعامة هلوع ، ترى التاجر فى صورة تاجر لكن قلبه قلب خفاش يمتص الدماء ، وهلم جرا ، ويوم القيامة يبعث كل واحد من هؤلاء الذين رجعوا عن عهد الله ، وألقوا بأحكامه وراء ظهورهم ، ونسوا ما عاهدوا الله عليه ، وعملوا للأجنبى الكافر ولمصلحة الأجنبى الكافر ، يبعث كل واحد من هؤلاء على الصورة التى مسخ عليها قلبه ، وهكذا فماذا يتوقع من إنسان قلبه قلب قرد ، إلا أن يكون ذليلاً إمعة حتى ولو كان حاكماً فى الظاهر ، إن الحمار لا يحس بالذل من هيئته لأنه لم يكن صاحب اختيار فى هذه الهيئة ، فقد خلق هكذا حماراً ، والكلب لا يعتريه أى نقص من منظره ومن شكله ، بل إن كلب أهل الكهف لم ينقص من كونه كلباً عن أولئك النفر من الأولياء وذكر معهم فى القرآن الكريم (المثل تكرر كثيراً عند مولانا فى أكثر من موضع من المثنوى وورد عن سنائى فى الحديقة أيضاً) ، لقد مسخ الله سبحانه وتعالى أصحاب السبت عياناً لكى يكونوا عبرة للناس ، لكن ما أكثر الممسوخين فى الباطن وإن أعجبتك هيئتهم ومناظرهم ومناصبهم وجاههم وأموالهم .

(٢٦٠٣) : إشارة إلى المثل المعروف "لدغ العقرب من جبلتها" .

(٢٦٠٥) : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ (يوسف ٥)

(٢٦٠٦) : ﴿ قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾ (الإسراء ٦٢)

(٢٦٢٦) : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا ﴾ (المزمل ١٧)

(٢٦٣٥) : ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ (الفرقان ٢٧-٢٩) نزلت فى حق عقبة بن أبى معيط كان قد نطق بالشهادتين ثم ارتد إرضاءً لأبى بن خلف (مولوى ٣٨٣/٥) .

(٢٦٣٦ - ٢٦٣٧) : ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ (فصلت ٢٥) .

(٢٦٤٣) : إخوان الصفاء هنا هم الإخوان المخلصون وليس المقصود الجماعة المعروفة .

(٢٦٥٠ - ٢٦٦٠) : يضرب الثعلب الأمثال عما يفعله الوهم حتى بالصم الراسيات وبعظماء الأنبياء وأولى العزم من أمثال إبراهيم عليه السلام ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ (الأنعام ٧٦) وهكذا فإن أهل التفاسير يفسرون هذا الأمر بتفسيرات عديدة ، لكن الأمر ليس فى حاجة إلى تفسير ، فهذا الوهم والخيال هو الذى جعل من فى عظمة إبراهيم عليه السلام ينظر إلى الكوكب وإلى القمر وإلى الشمس ويقول : هذا ربى ، فإذا كان الوهم والخيال قد أسقط أمثال إبراهيم عليه السلام فى هذا الخطأ فما بالك بأحوال حمر السيرة وأشباههم من فاقدى العقول والمجدفين ممن يدعون العلم والفضل ، إن العقول التى هى فى عظمة الجبال تغرق فى بحار الوهم ، عقول العظماء ، أولئك الذين يظنون أنفسهم أثبت فى إيمانهم من الجبال ، وما الجبال؟ ألم تفتضح هذه الجبال فى طوفان نوح ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ (انظر ٣٣٥ و ١٣١٥ من الكتاب الثالث) وسفينة نوح هنا هى الالتحاق بمعية رجال الله وإلى حمى أمنهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٣٥٧-٣٣٦١ وشروحها) ، ولولا هذا الخيال لما انقسم أهل القبلة الواحدة إلى اثنين وسبعين فرقة ، ولولا الخيال لما ظن ذلك الرجل الشيخ (المفسرون القدامى لم يذكروا اسمه وقال استعلامى أنه أنس بن مالك ٣٤٢/٥ ولم يذكر مصدره) لولا الخيال لماذا ظن ذلك الشيخ أن شعرة من حاجبه هى الهلال (انظر لتفصيلات الحكاية الكتاب الثانى البيت ١١٣ وما بعده) انظر : إن هذا الشيخ لم يستضئ بنور الرجال العظماء فوقفت شعرة بينه وبين الحقيقة ، وما أكثر الرجال

العظماء بمقاييس الدنيا والسفن الموجودة فى هذا المحيط التى تكسرت وتحطمت وابتعدت عن الحقيقة من تأثير الوهم ، وأقل هؤلاء العظماء فرعون الذى ادعى الألوهية وتوهمها لنفسه ، فكان فى خسوف وفى مسخ ومقت .

(٢٦٦٢-٢٦٦٧) : إن هذا الوهم الذى أنت فيه هو من قبيل الأنية التى تدير الرأس ، فكفاك ما أنت فيه من وهم حتى تتبنى أوهام الآخرين وتدافع عنها ، وأنا مثقل بهذه "الأنا" التى تخصنى ، فلماذا تأتى أنت وتضيف إليها أنيتك أنت أيضاً ، تكفينى أنية واحدة ، ونحن إذا تخلصنا من عبادة الذات ، نستطيع آنذاك أن نصل إلى مرتبة العشق ، وأن نصير كالكرة فى صولجان العشق ، إن من يتخلى عن "أنيته" و "أنانيته" ، فقد صارت له "أنيات" الجميع ، يصير محبوباً من الجميع ، يصبح مرآة صافية تنعكس فيها صور الآخرين ورغائبهم ، أى وجوداً خالياً من صفات هذا العالم ، بحيث تكون صلتها مباشرة بالعالم الآخرْ يصبح مثل ذلك الولى الذى سوف أقص حكايته فيما يلى.

(٢٦٦٧ - ٢٦٧٧) : يقدم مولانا فى كل كتاب من كتب المثنوى سيرة عن شيخ من المشايخ كنموذج للولاية الكاملة (قدم الدقوقى فى الكتاب الثالث وعبد الله المغربي فى الكتاب الرابع وها هو يقدم محمد سرزى الغزنوى فى الكتاب الخامس وسوف يقدم أبا الحسن الخرقانى فى الكتاب السادس) والملاحظ أنه يقدم أولياء من غير المشاهير ، فقد كانت الولاية "المكتومة" تجذب أنظار مولانا عن الولاية الظاهرة . وكان محمد سررزى فيما يبدو من معاصرى بهاء ولد والد مولانا جلال الدين إذ ذكره فى المعارف (٧٥/٢) لقد أمضى سبع سنون فى جوع مستمر ، إفطاره طرف غصن من كرم "سر رز" ويرى رزين كوب "سرنى ٣١٤/١" أن الأحوال المذكورة هنا تذكر بأحوال أبى عثمان المغربى المذكورة فى كشف المحجوب للهجورى ص ٢٣٢ ومن هنا اكتسب كنيته ، وكان الشيخ مثل الدقوقى (انظر الكتاب الثالث البيت ١٩٢٦ وما بعده) عاشقاً جوالاً ، أبدى له الله كثيراً من العجائب ، لكنه كان عاشقاً لاجتلاء جمال الحبيب ، وكان يطلب هذا ، ويلح فيه ، لدرجة أنه صعد إلى جبل وقال : إما أن تتجلى لى وإما أن أقتل نفسى "نوع من البسط الشديد" ، لكنه سمع النداء بأن هذه المكرمة لم يأن أوانها بعد ، وحتى إن أسقط نفسه من فوق الجبل فلن يموت ، ولأن جمال الله لا يجتلى إلا بعد الموت مصداقاً للحديث النبوى {إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"}(انقروى ٥٨١/٥) ألقى الشيخ بنفسه من فوق الجبل لكنه سقط فى ماء عميق ، لقد ناح لأنه لم يمت ، فالحياة

الدنيا كانت تبدو له كما يبدو الموت بالنسبة لنا ، ولأنه يعلم أن في الموت لقاء الحبيب كان يستجدى هذا الموت ، كان يتغنى بما تغنى به الحلاج : اقتلونى اقتلونى يا ثقات إن فى قبلى حياةً فى حياة ، كان كعلى رضى الله عنه يتغنى :

السيف والخنجر ريحاننا * أفٍ على النرجس والآس .

ومن أقوال الإمام على رضى الله عنه أيضاً "والله ما فاجأنى من الموت وارد كرهته ولا طامع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للأبرار" وله أيضاً "والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه" (عن جعفرى ٢٠٨/١٢) .

(٢٦٧٨ - ٢٦٨٥) : وهذا البسط ، وهذه الجرأة لم تمر بلا عقاب، تظن نفسك ولياً وتريد المشاهدة أجراً ؟! إنك مجرد شحاذ متسول والحكم عليك بأن تذل هذه النفس الطموح بأن تتحول إلى شحاذ ملحاح ثقيل وسمج مثل "عباس الدبس" الذى يضرب به المثل فى الفارسية للشحاذين الملحاحين السمجين ، ولكن إياك أن تستولى على ما يجود به الناس عليك ، بل ستوصله للفقراء ، هيا ، هذه هى عبادتك التى سوف تقوم بها فترة من الزمن ، لقد كان الحوار طويلاً ، هذا الحوار الذى ملأ السماء نوراً ، وهذا كله مسطور فى الكتب ، فلأختصره هنا حتى لا أضع الأسرار العليا أمام من لا يستحقونها .

(٢٦٨٦ - ٢٦٩٤) : البيت المذكور فى العنوان ذكر استعلامى أنه لسنائى لكنه لم يذكر مصدراً (استعلامى ٣٤٤/٥) ولبيك إشارة إلى أن الدعاء مقرون بالإجابة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٩٠-١٩٩ وشروحها) ذلك أن كوة الدار مفتوحة أى أن القلب مستعد لتلقى الإفاضات ، وها هو الشيخ يدخل المدينة لممارسة التسول امتثالاً للأمر : ليكن شحاذا طامعاً لتصير نفسه ذليلة "لأنه عز من قنع وذل من طمع" وما دام الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الطمع سبباً للذل فليمتثل .

(٢٦٩٩ - ٢٧٠٨) : انظر إلى ذلك الرجل الذى اطلع على أسرار الكون ، وأشرف قلبه على العرش والكرسى ، انظر إلى الغيرة الإلهية جعلت منه شحاذاً ذليلاً ليعرف القيمة الحقيقية لنفسه ، ولا يكلف فوق ما تستدعى البشرية ، لكنه فى تسوله أيضاً ولى يقوم بما كان الأنبياء يقومون به إنهم يقولون للبشر المفلسين : أقرضوا الله" والله هو الذى يرزق ، و "انصروا الله" والله هو الذى ينصر ، فالأمور معكوسة مثلما هى معكوسة مع هذا الشيخ ، الذى يقف على أبواب البشر وكل أبواب السماء مفتوحة أمامه ، إنه يتكدى ، لكن بأمر الله، إنه يمتثل

للأمر ، وحتى عندما كان يتكدى من أجل حلقه فإن هذا الحلق مملوء بنور الله ، وهكذا الأولياء حتى ولو طعموا من نعمة الدنيا فإن هذه النعمة تتحول عندهم إلى نور وتزيد فى قوتهم المعنوية ، إن طعامه أفضل من صوم الآخرين ، إن طعامه الحقيقى هو نور الله ، ومن طعامه ومن أكله تنمو أزهار المعرفة ، فهو كنور الشمع لا يزداد من أكله للشمع ، لكنه يضئ للجميع ، وهذا النور يباح الإسراف فى تناوله فالله تعالى لم يقل فى شأنه : اكتفوا .

(٢٧٠٩ - ٢٧١٦) : لقد وضع الله لنا شهوة الطعام من أجل أن يبتلينا (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٩٥ - ١٧٠٠ وشروحها) لكن ذلك الحلقوم الذى للأولياء لا تنطبق عليه هذه القاعدة ، وإذا كان الشيخ يتكدى فإنه يتكدى امتثالاً للأمر لا حرصاً ولا طمعاً ، إن الشيخ من القائمين بكيمياء التبديل إنه يأخذ من أناس كالنحاس ليحولهم إلى ذهب ، أى تكدٍ وهو من عرضت عليه كنوز الدنيا ففضل عليها المشاهدة ، وهذا هو ديدن العاشق إن فضل أى شئ على المعشوق يكون فاسقاً وليس بعاشق "والله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك" ، (الامام على رضى الله عنه ، ثم رابعة العدوية) (استعلامى ٣٤٥/٥) ويضيف مولانا إن الجنة والنار هما من حظ البدن ، والعاشق لا يأبه بالبدن ، بل لو كان له مائة بدن لأذابها فى عشق الحبيب .

(٢٧١٧ - ٢٧٢٤) : وهكذا فإن شيخنا لم يكن جسداً ، لقد تحول "جسده" إلى شئ آخر ، وانظر إلى المجنون الذى أنست إليه الوحوش عندما تساوى أمامه التراب والذهب أمام عشق ليلى ، لقد هجر البشرية ، بحيث لم يعد جسده "لحماً" يغرى الوحوش ، إن أجساد الأولياء معجونة بالنور (انظر الكتاب الثالث ٧-١٠) وهى أيضاً مسمومة مصداقا للقول القائل (لحوم العلماء مسمومة من أكل منها هلك) والأكل هنا أى الذم والغيبة (انقروى ٥٨٩/٥) والعشق معروف ، أى لا يخفى على أحد (عدم إخفاء العشق انظر الكتاب الثالث ٤٧٣٥-٤٧٤٠ وشروحها) .

(٢٧٢٦ - ٢٧٣٣) : إن العشق عندما يحل فإنه يمحو كل شئ فالعشق مثل طائر يحمل فى منقاره العالمين كأنهما حبة واحدة ، فهل رأيت حبة ابتلعت طائراً ، أو هل رأيت مزود أكل جواداً ، والعشق وسيلة العبودية ، فكن عبداً لعلك تصبح عاشقاً وترزق العشق، والعبودية كسب وعمل ، عبد الدنيا هو الذى يريد الحرية لكن العاشق يرى كل ما سوى معشوقه قيداً وسجناً ، عبد الدنيا أجير ، إنه يريد أجراً على كل ما يقوم به من عمل ، لكن العاشق هديته

رؤية الحبيب ، تراني قادر حقاً على وصف العشق مما أطلت في الحديث ، مطلقاً فكيف يمكن أن يوصف بحر بلا قرار ، فهل تستطيع أن تعد قطرات هذه البحر والبحار السبعة ضئيلة إلى جواره .

(٢٧٣٤ - ٢٧٤٨) : تفسير الحديث : خلقت الأفلاك من أجل الرسول ﷺ أى من أجل عشق الرسول ، ولقد كانت عند الرسول ﷺ طاقة تحمل هذه العشق ، فالعشق قوة جبارة وهو لا يبالى ماذا يفعل بالمعشوق ، فإن كنت تتحمله فاعشق ، وإن لم تكن فحذار منه ، إنك لا تدرى ماذا يفعل العشق إنه يجعل البحر يغلى والجبل ينـدك (انظر الكتاب الأول ٢٦ : أيها العاشق ذاق الطور عشقاً رقص الجبل وموسى خر صعقا) ، إن الأفلاك لتنشق (شق القمر للرسولﷺ) والأرض تتزلزل ، ولأن العشق كان قريناً لمحمد ﷺ اقترن به عشق الحق ، ولذلك فضل على كل الأنبياء وما رفعت هذا الفلك السنى إلا لكى تفهم علو العشق وسموه وما ذلك التراب إلا لتعلم ذلة العاشق ، لكن الذلة لا تستمر فكما منح التراب خاصية الإنماء والإحياء ، يبدل الفقير الدرويش بالعشق فتصبح أنفاسه مانحة للحياة ، والجبال الراسيات أيضاً هى من أجل أن تفهم كيف يكون العاشق ثابتاً على محبوبه (تزول الجبال ولا يزول) ، كل هذه صور يا بنى فلا تقف عند الصورة وافهم المعنى ، فهل الأحزان كالأشواك ، وهل القلب القاسى كالحجر ، كلها صور ، وها أنا وأنا أصف العشق أقدم لك مجرد صور وإن لم تفهم المراد من الصور وإن لم تدرك هذه المعانى فلا تنكرها ، لأن العيب قد يكون فى أسلوب تعبيرى عن هذه الصور .

(٢٧٥٠ - ٢٧٥١) : المقصود بالشطرة الثانية : أى أننى أتسول لقمة من الخبز بأمر من خالق الروح ، ولأن الأمور تجرى على عكس المنطق عند أهل الحق ، ويكون هدفها غامضاً على أولئك العاديين من الناس ، بل إن العقل الكلى نفسه يحار فى أمرها .

(٢٧٦١ - ٢٧٦٦) : حجاب أبى البشر هو الجسد ، والمتحدث هنا قد يكون الشيخ وقد يكون مولانا نفسه على عادته فى التدخل بإفاضاته دون تمهيد. أى ما دمت أيها الإنسان محجوباً ببشريتك فلا تنظر هوناً إلى العاشقين ، والعشق ليس أمراً بالذكاء أو المهارة أو حدة الذهن ، وليس بالدراسة والمطالعة ، وليس بالقيل والقال :

امح الدفاتر إذا كنت زميلاً لنا   فعلم العشق لا يوجد فى دفتر

هؤلاء الأذكياء العباقرة استطاعوا التوصل إلى أسرار العلوم الخفية "النيرنجات والسحر" والعلوم الظاهرة "الفلسفية" وعم الهيئة "الفلك والنجوم" أو هم فى الحقيقة ادعوا معرفتها لأنهم فى الحقيقة يعلمون منها قشوراً ، لقد جاهدوا واجتهدوا لكن العشق الإلهى أخفى وجهه عنهم واستتر ودق غيرة على المعشوق من أن يكون مجرد جزء من اهتمام أحد وليس هو الاهتمام الوحيد ، وهؤلاء المنجمون بمراصدهم أبصروا النجوم فى وضح النهار ورصدوها ، فكيف غابت شمس الحقيقة عن عيونهم .

(٢٧٦٧ - ٢٧٧١) : أيها الأمير تقبل منى نصيحة لوجه الله ، انظر إلينا بمعيار أهل المعنى ، أنظر إلى العاشقين بعين العشق ، فإن عين الدنيا وعين المتعة لا تجدى هنا ، ولا أطيل عليك فالوقت ضيق ، والروح "مترصدة" ناظرة إلى ربها تنتظر أوامره أو إنعاماته ، فكفاك تجبراً وإيذاءً للعاشقين ، ألست هكذا مسروراً من تمتعك بالدنيا فانطلقت هكذا فى شتمى وإيذائى ؟! إن ما أفعله لا يخرج عن أمور ثلاثة : إما أنه واجب أى أننى مأمور به من قبل الله تعالى ، وأما أنه جائز أى لا نستطيع عدم القيام به ولا ثواب عليه ولا عقاب ، وأما غير مقبول ، فإن لم تقم بما يكلفك به الشرع من إعطاء للسائل ، فلا تؤذه ، احزم أمرك واختر الوسط أيها الغريب والدخيل على عالم الأولياء وتمثل بقول ابن سينا : إن من عجزك أنك فى كل وقت تسمع ولا تستطيع أن تدرك تقول على الفور : هذا محال (عن جعفرى ٣٠٨/١٢) .

(٢٧٧٢ - ٢٧٧٦) : لقد قال الشيخ هذا القول وانفجر فى البكاء لقد عزت عليه نفسه ، أنه يريد القول لكنه لا يستطيع، فقد عقدت الغيرة الإلهية لسانه ، ولأن الصدق مؤثر أو على حد قول ذى النون "الصدق سيف الله فى أرضه ما وضع على شئ إلا قطع" ، (أنقروى٥/٥٩٩) فقد فعل هذا الصدق فعله فى الأمير فانطلق فى البكاء وهذا كله من تأثير العشق ويطبخ قدراً طريفة أى يتجلى ويظهر للعيان ويكون مشهوداً وألا يستطيع عشق الأولياء الصادقين أن يؤثر على الجماد ، فما بالك بالإنسان ، وما بالك إذا كان هذا الإنسان عالماً وانظر إلى الأمثلة ألم تتحول العصا إلى أفعى من فرط عشق موسى ، وألم يصبح الجبل دكاً من تجلى العشق ألم يؤثر عشق موسى على البحر فانفلق ألم ينشق القمر لأحمد ، ألم تتأخر الشمس فى المغيب بأمره حتى يلحق صلاة العصر مع رفاقه؟ (لتفسير هذا الخبر ومناقشته انظر حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور البيت ٣٣٤ وشروحه) .

(٢٧٨١ – ٢٧٨٥) : يعتذر الشيخ بأن لم يؤذن بعد فى أن يأخذ عطايا كبيرة من أحد ، أو أن يختار عطيته ، إن كل عمل يقوم به الشيخ دون اذن إنما يكون مـن قبيل الفضـول ، ويتساءل مولانا تراه أحس بعدم الصدق فى بذل الأمير ، لا ، كان الأمير صادقـاً فـى بذلـه ، لكن ليس الصدق الذى كان الشيخ ينتظره ، أو لم يكن فى درجة الصدق المقبـول لـدى الشيخ ، ذلك أن الأمر هو أن يمضى ويتسول الخبز كالشحاذين لا أن يأخذ من قرائن الأمراء والكبراء .

(٢٧٨٦ – ٢٧٩٨) : هميان أبى هريرة أو خرج لأبى هريرة رضى الله عنه يقال أنه كان يجد فيه كل ما يطلبه بأمر الله تعالى (مولوى ٤٠٤/٥٥) ويفسر الأنقروى ٦٠٢/٥ والمولوى ٤٠٤/٥ هذه العلاقة بعالم الغيب بأنها كالدهن فى السمسم وكالنار فـى الحديد وكرائحة الورد فى الورد ، وهو عالم التغيير والتبديل يصبح فيه النحس سعدا والسم ترياقاً والميت حياً ، وإياك أن تحاول معرفة كنه علاقة هذا العالم بعالم الغيب ، فلا تستوعبها جهات ، ولا تصلح اللغة للتعبير عنها ، وعالم الغيب هذا هو أصل الوجود ، آلاف الآثار تتأتى منه كل لحظة. لقد ظل هذا الشيخ لمدة عامين ممتثلاً للأمر ، ثم جاءه الأمر الآن ذهب أوان الأخذ وجاء أوان العطاء ، وهكذا تقوم كيمياء التبديل بعجائب كثيرة ، كان رأس المتسـولين فـأصبح رأس المحسنين من عطاء الله سبحانه وتعالى الذى لا منة فيه ولا انقطاع له ، كن صورة لـ ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح ١٠) كنت يدى التى تبذل بأمرى ومن عطائى وبالطريقة التى أريد .

(٢٧٩٩ – ٢٨١١) : "أخرج بصفاتى إلى خلقى" من معراج أبى اليزيد البسطامى (انظر تفسير البيت ٢٠١٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) والحديث هنا عن سر معرفة الشيخ لباطن المريد والذى يعبر عنه فى مصطلح الصوفية بالفراسة (انظر ٢٧٠٤ من الكتاب الثالث وانظر ١٨٥١–١٨٥٥ من هذا الكتاب وشروحها) فالرجل الكامل الواصل لا تخطر الدنيا بباله ، فمنزل قلبه خال من الكدية وليس فيه إلا عشق الأحد ، وما يكون فيه ويمت إلى الدنيا بصلة فإنه يكون انعكاساً لما فى ضمير السائل ، إنها رغبة الآخرين، ومن هنا يستطيع أن يدرك ما يريده السائل (انظر كمثال آخر لنفس هذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات ٣٢٥٢–٣٢٥٥ وشروحها) ، ويضرب مولانا مثلاً آخر : هب أنك ترى صورة فى الماء ، ألا تكون هذه الصورة انعكاساً لشئ موجود فى الخارج ومتى يحدث هذا ؟ الجواب : عندما يكون الماء صافياً قد "نقيت منه القذى" إذن فالتنقية شرط لهذا الأمر : وإن نقيت البدن من الصفات الذميمة ووساوس النفس الشيطانية ، استطاع القلب أن يكون "عاكساً" ، ومن ثم أيها المقل الذى لا

تظفر بانعكاس الصور وتبدو لك هذه الأمور من قبيل الخرافة ، إن ماءك مكدر بالطين طين الأكل والنوم والحرص والحسد وتسويلات النفس الشيطانية ، ومن هنا فإن ذلك البئر (القلب) يطمس دائماً بالتراب ، وتلك المرآة تكدر بصدأ الطمع .

(٢٨١٢ - ٢٨١٦) : لا يزال مولانا يفسر كيفية معرفة الشيخ لضمير سائله وها هو يخاطب المريدين إذا كان قلب هذا الماء خالياً من الكدر فإن الوجوه تنعكس عليه ، لكن ما لك وهذا ، إنك لم تقم بتصفية الباطن بعد ، ومنزلك أى قلبك ملئ بالوحوش والشياطين والقردة أى بالشهوات والوساوس والنزوات والأحقاد ، وكيف تفهم الأرواح الواصلة ، من أمثال روح المسيح التى كانت تحيى الموتى وأنت كمثل الحمار ، وتعلم أنك حمار ، ولا تحاول - عناداً - أن تخرج عن حماريتك ، وتتابع الأخطار التى تترصدك ، وتعرف مكانها ومن أى الأماكن تترصدك وتقطع عليك طريقك وتخوفك من الطريق ، وما ذلك إلا لأنك تنمى هذا الجسد وتسمنه وتجعل له الغلبة على القلب ، فى حين أن الباطن لا يكنس من كل ما يكدره إلا إذا صار الجسد "خيالا" من زهده فى دسم الدنيا وقوتها .

(٢٨١٧ - ٢٨٢٢) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار التى تركها فى البيت ٢٦٦٧ :إن الحمار قد قاوم كثيراً ودفع حجج الثعلب ودحضها ، لكن الجوع كان غالباً عليه ، كان ضعيف الاحتمال ، والرسولﷺ نفسه قال : كاد الفقر أن يكون كفراً ، ونسب القول أيضاً إلى الإمام الصادق رضى الله عنه "كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر" (جعفرى : ٣١٩/١٢) وهو مروى عن الرسولﷺ فى كتب الحديث (جامع ٧٤/٢) ، وهكذا فقد فضل الحمار الذهاب مع الثعلب ، على أسوأ الفروض سوف يموت ميتة واحدة بدلاً من موته جوعاً كل يوم ، هذا مع توبته ومع قسمه ، ومع رؤيته للخطر ماثلاً أمام عينه .

(٢٨٢٣ - ٢٨٢٦) : وهذه هى نتائج الحرص ، فالحرص يعمى ويصم ويجعل المرء جاهلاً ، ومن جرأته يكون موت الحمقى سهلاً عليهم ، وللحمر يكون الموت صعباً فلا حياة تملك غير هذه الحياة الدنيا ، وأرواحهم ليست مرتبطة بالخالق ، ولا تترقى بعد الموت ، ومن هنا فالأحمق لا يلقى بنفسه فى التهلكة إلا من جراء حمقه وليس أملاً فى حياة خالدة ورقى وسمو لأنه لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور ، فجاهد فى طريق الله حتى تترقى روحك بعد الموت ولا تصير كأرواح الحمير والدواب والوحوش

(٢٨٢٧ - ٢٨٣٣) : الحديث عن حمار القصار ، كان يعانى الجوع لكنه لم يحرم يوماً من الزاد ، ولم يمت جوعاً بالرغم من أن الجوع كان "يسلط" عليه بين الآن والآخر ، وهكذا فإذا كان فى الجوع ألم واحد ففى الامتلاء والتخمة مئات الآلام ، يعد ألم الجوع أفضل منها جميعاً "فالجوع طعام الصديقين" ، لقد سمى الله الجوع ابتلاء ، لكنه قال فى نفس الآية "وبشر الصابرين" وكان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا كل خمسة عشر يوماً فإذا دخل رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال وإنما يفطر كل ليلة على الماء وحده ،وكان يقول "جعل الله فى الشبع الجهل والمعصية وفى الجوع العلم والحكمة" (مولوى ٥/٤١٠) إنه لم يكن معتمداً على الرزاق ، رغم أنه تشدق بهذا كثيراً ، وليته كان قد تحمل الجوع فـ "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء" كما قال رسول الله ﷺ فالجوع يوصف كشفاء المرض ، وكيف تستطيع أن تحس بلذة المتع إن لم تجرب الجوع؟ (انظر الجوع رزق أرواح خاصة الله فى البيت ٢٨٤٦ من هذا الكتاب) .

(٢٨٣٧ - ٢٨٤٠) : طائر الخبز كناية عن المرتبط بالمنافع الدنيوية وطائر الماء هو الذى يستطيع أن يغوص فى بحار المعرفة ، وأنت تستحقه أى أنك لست صالحاً لعوالم الغيب فأنا أعطيك ما تستحقه ، فالجوع عطية الله لمن يصطفيهم ، لأنهم من الجوع يتغلبون على كل عقبات الطريق ويصبحون أسداً قوية ، ومن ثم لا يعطى الجوع لمدعى التصوف من الدراويش الكذابين "كلوا أكل البهائم وارقصوا لى" ، ومتى كان الطعام قليلاً فى الدنيا؟ إن مائدة إنعام الله مبسوطة أمام الجميع .

(٢٨٤١ - ٢٨٥٤) : الحكاية المروية هنا تشبه ما حدث للجنيد البغدادى عندما شكى أحدهم أمامه الجوع والعرى فقال له اذهب واطمئن فإنه لا يهب أحدهم الجوع والعرى حتى يشنع عليه ويملأ الدنيا بالشكوى" (تذكرة الأولياء ٤٣١) ومن أقوال الفضيل بن عياض ما معناه : يا نفس مم تخافين من الجوع لا تخاف لست عزيزة عند الله إلى هذا الحد الذى يرزقك فيه رزق محمدﷺ وصحبه (عبد الباقى 449) فأى جوع يخشاه ذلك الدرويش المتسول ، إنه طعام الصديقين ورزق خاصة الله ، لكن العوام دائماً ما هم يرزقون الطعام {والرزق أشد طلباً للعبد من أجله} كما يقول الرسول ﷺ وكون الرزق عاشقاً للمرء كما يعشق المرء فكرة مأخوذة عن سنائى بل أن معظم الصور التى يعبر بها عن هذه الفكرة مأخوذة عن حديقة

سنائى (انظر حديقة الحقيقة لسنائى الغزنوى الأبيات ٧٩٦-٨٢٢ وشروحها) المتوكلون على الله حقيقة لا يحسون بالجوع "انظر عن التوكل الأبيات ٩١٢-٩٥٥ من الكتاب الأول" .

(٢٨٥٥ - ٢٨٦٩) : الحكاية الواردة فى هذه الأبيات وردت قبل مولانا جلال الدين فى (الهى نامه) لفريد الدين العطار عن حيوان كان يعيش فيما وراء جبل قاف وأنه كان يرعى فى اليوم عشب سبعة أودية ويشرب ماء سبعة بحار ، وفى الليل يحمل هم الغد" (الهى نامه للعطار ص ٢٣٧ بتحقيق فؤاد روحانى ، تهران ، زوار ، ١٣٥١ هـ.شـ)

(٢٨٦٧-٢٨٦٩): المستفاد من الحكاية: البقرة هى النفس التى لاتشبع من الدنيا وبرغم أنها لم تحرم من الخبز فى يوم من الأيام إلا أنها تعيش فى هم مقيم من أجله لكنها تنسى ذلك ، ولا تتعظ بماضيها الذى لم تحرم فيه يوماً من الخبز .

(٢٨٧٠ - ٢٨٧٧) : عودة إلى قصة حمار القصار التى تركها مولانا فى البيت٢٨٢٢ ، والآية المذكورة فى العنوان من سورة الملك ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور ، تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ (آيات ٦-١٠)

(٢٨٧٠ - ٢٨٨٦) : يترك مولانا القصة التى انتهت بالطبع عند هذا الحد لينطلق فى تعاليمه وإفاضاته. إن القلب هو ذلك الذى يوجد فيه نور الله ، وليس هذا الشكل الصنوبرى ، فهو قطعة من اللحم ألقها للكلاب بتعبير الحكيم سنائى والمقصود به بالطبع الباطن المدرك لعالم الغيب ، إن هذا القلب المفتقر إلى النور مثل زجاجة ليس فيها نور الروح ، إنها أشبه بقارورة بول ، وهكذا فإن افتقر الجسد إلى مثل هذا القلب فهو ليس سوى جوال من طين ، وإياك أن تظن أن نور هذا المصباح من فعل الخلق ، إنه من فعل الله ، أى أن نور معرفة الغيب من الله وليست من علوم الخلق (وعن وحدة النور رغم تعدد المصابيح انظر الكتاب الأول الأبيات ٦٨١-٦٨٥ والكتاب الثالث الأبيات ١٢٥٥-١٢٥٩) ومن هنا فقد أشرك اليهود ولم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ لأنهم نظروا إلى الأنية ولم ينظروا إلى النور ، أى نظروا إلى الأنبياء وفرقوا بينهم ولم ينظروا إلى أن الرسالة واحدة صدرت عن مصدر واحد ، ولا فرق هناك بين شعيب ونوح ﴿ لا نفرق بين أحد منهم﴾ إن الإنسان هو الذى يتكامل بالروح وبالمعنى لا

بالصورة وبالجسد ، لكن أولئك الذين يقفون على الصور ليسوا برجال، إنهم موتى فى سبيل الخبز وقتلى فى سبيل الشهوة فلا روح ولا قلب ولا بحث عن المعنى ، ولا طموح إلى العالم الأعلى .

(٢٨٨٧ - ٢٨٩٦) : " الحكاية التى تبدأ بهذا البيت موجودة فى التراث البوذى القديم وفى التراث اليونانى القديم منسوبة إلى ديوجين الكلبى " يحكى أنه خرج ونادى بأعلى صوته فى الحارات يا رجال وصار يكررها حتى انقضت إليه جملة من العالم فطردهم بعصاه وقال لهم أنا أطلب الرجال وما لكم" (مآخذ ١٨٢) وقد عبر مولانا عن نفس هذا المعنى فى غزلية فى ديوان شمس الدين التبريزى :

بالأمس كان الشيخ يطوف المدينة بمصباحة صائحاً مللت الوحوش والشياطين

ضاق صدرى بأولئك الرفاق الذين بهم خور أريد أسد الله ورستم بن دستان

قلت : أيها الشيخ انك تبحث عما لا يوجد قال : إن هذا الذى لا يوجد هو طلبى

(كليات ديوان شمس غزل ٤٤١ ص ٢٠٣)

ولقد عبر حافظ الشيرازى عن هذا المعنى تعبيراً رائعاً بقوله :

إن المرء لا يحصل على إنسان (حقيقى) فى عالم التراب * ينبغى خلق عالم آخر وخلق إنسان من جديد

(ديوان حافظ ، ص ٢٤٧)

والتعبير بأن الرجل الحقيقى هو الذى يملك نفسه عند الشهوة والغضب تعبير متكرر فى المثنوى وورد بالطبع عند سنائى (على سبيل المثال لا الحصر البيت ٦٠٧١من الحديقة) كما ورد عند العطار ونظامى (انظر أيضاً الكتاب الثانى ١٤٦٧-١٤٦٨) وعن العيش بالنفخة الإلهية انظر الكتاب الرابع الأبيات ٤١١-٤١٥ وشروحها) وفى البيت ٢٨٩٦ يرد عليه الرجل: إن الحرص والشهوة هما ظاهر القضية وينبغى أن تنظر إلى أصلها وهو : على أى شكل يريدنا الخالق وكيف يخلقنا ، إن الأمر كله قضاء وقدر (عن هذا الموضوع انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٨٠-٣٩٠ وشروحها وعن الشهوة انظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات ٨١٨-٨٢٠ وشروحها) .

(٢٨٩٧ - ٢٩٠٠) : من هذا البيت يبدأ المبحث الكلامى الأكبر فى هذا الكتاب وهو مبحث الجبر والاختيار والذى جعلت منه موضوعاً للمقدمة، ويبدأ مولانا بفكرة دق عليها كثيراً وهى

أن قضاء الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يغير العوامل الموجودة فى الطبيعة ويقلب تأثيرها ، بل يجعل عطارد هو فى اعتقاد القدماء الكوكب الخاص بالذكاء والحكمة لا يعي شيئـــا (انظر عندما يعمم القضاء تنام المعرفة ١٢٤١ من الكتاب الأول) والبيت التالى ناظر إلى المثل المعروف : إذا جاء القضا ضاق القضا (انظر البيت ٩٩ من الكتاب الأول والبيت ٣٨١ من الكتاب الثالث) فتعال يا من رسمت حياتك خطوة بخطوة بحيث تفضى كل خطوة إلى ما بعدها، إنك أبله شديد البلاهة وساذج ، ذلك أنك تقوم برسم حياتك وكأنه ليس فيها سواك ، كأنها خالية من الغيب والقدرة ، صحيح أنك تستطيع أن (تخطط) لحياتك ، لكن كم من البشر (خططوا) لحياتهم ثم سارت خطوات حياتهم كما خططوا لها ، لم تصادف فى الطريق مانعاً أو حادثة لم تخطر له ببال عند التخطيط .

(٢٩٠١ –٢٩٠٥) : إنك ترى ظواهر الأمور ولكنك لا ترى القدرة الخفية التى تسيرها، رأيت دوران حجر الطاحون لكنك لم تر ماء الجدول، ورأيت التراب يثار فى الهواء لكنك لم تنظر إلى الهواء الذى يرفع التراب ورأيت الفكر يغلى ، لكنك لم تر من الذى يشعل تحته ناراً ليغلى قدر فكرك (قلبك) كل هذا الغليان ، وإن النسبة بين هذه الأمور غير المرئية إلى ما تراه من نتائجها كنسبة العطاء الذى أعطى لأيوب عليه السلام بالنسبة لصبره (أنظر الكتاب الأول٢١٠٨–٣١٠٩ والكتاب الذى بين أيدينا ٣٦٨٩–٣٦٩١ والكتاب السادس ٨٧٦ ، ٤٨٣٩ ، ٤٨٣٦ وانظر أيضاً لعطاء أيوب حديقة الحقيقة لسنائى الترجمة العربية البيت ٧٠٧ وشروحه) وفى البيت التالى وضع الساقية بدلاً من الطاحون ، لأن الماء من نتائج الساقية وليس سبباً لها وربما كانت ضرورة القافية .

(٢٩٠٦ – ٢٩١١) : إنك تدعى الرؤية أى رؤية ما وراء الظواهر ، لكن كل ما رأيته من البحر هو الزبد (المظاهر بالنسبة للحقائق كالزبد بالنسبة للبحر) ولو كنت رأيت البحر لكان نصيبك الحيرة (الحيرة عند الصوفية مرادفة للمعرفة انظر لتفسير هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث البيت ١١١٦ وشروحه) إن النتيجة الحتمية لهذه المعرفة ولهذه الحيرة هى الصمت المطبق لأن من عرف الله كل لسانه (استعلامى ٣٥) وذلك الذى يتحدث بالأسرار لا يكون قد رأى سوى ظواهر الأمور ، وهذه الرؤية تؤدى إلى نتائج مختلفة ، فالناظر إلى المظاهر يخطط وينوى النوايا ، والذى يرى الحقائق يخاطر ويتهور ويقدم ولا يرى نفسه نية ولا خطة والناظر إلى المظاهر يرى الكثرة والقلة والأعداد و" يحسب لها" أما الناظر إلى الحقائق فهو

الذى يضع نفسه بين يدى المشيئة الإلهية كالميت بين يدى الغسال وينفى اختياره تماماً ، والناظر إلى الظواهر يطوف بها ويبحث فيها دون أن يصل إلى حقيقة، أما الناظر إلى الحقائق فهو غير ملوث بهذه الظواهر غير مهتم بها .

(٢٩١٢ – ٢٩١٩) : ذكر فروزانفر أن الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت فى عيون الأخبار للدينورى وفى أخبار الطرفاء والمتماجنين لابن الجوزى وبالطبع دون المناقشات الطويلة الواردة بها بل فى مجرد سطرين أو ثلاثة أسطر (مآخذ ١٨٢) ويذكر زركوب (سرنى ٤٤٧/١) أن الحوار بين المسلم والمجوسى هو فى الواقع حوار بين عمرو بن عبيد أحد أئمة المعتزلة ومجوسى ركب معه فى سفينة وهى واردة فى العقائد النسفية وفى شرح التعرف على مذهب أهل التصوف ، والرواية الواردة فى عيون الأخبار وأخبار الظراف والمتماجين : حدثنى رجل من أصحابنا قال صاحب رجل من القدرية مجوسياً فى سفر فقال له القدرى يا مجوسى مالك لا تسلم قال : حتى يشاء الله قال : قد شاء الله ذلك ولكن الشيطان لا يدعك قال المجوسى : أنا مع أقواهما . ويجعل مولانا من هذه الحكاية منطلقاً نحو تفصيل معتقدات الجبريين وآرائهم الذين كانوا يرون أن الأعمال خيرها وشرها من قبل الله تعالى ولا يروون أنفسهم مستحقين للعقاب ، وكان مولانا يرى أن العبد مختار ومسئول بدليل الأمر والنهى والتكليف والعقل . ويقول المجوسى "المجوس قدرية هذه الأمة" أى من القائلين بالقدر ، أنه وإن كان كافراً فإنه لا يجيز على الله تعالى أن يريد شيئاً لإنسان ثم تتدخل قوة ما أياً كانت هذه القوة وأياً كان اسمها الشيطان أو النفس أو الأهواء أو الشهوات أو ما إلى ذلك ، فتغير مشيئة الله ، فإذا كانت هذه القوى منتصرة وغالبة إلى هذا الحد بحيث تتغلب على المشيئة الإلهية فما ذنب العبد إن تبعها .

(٢٩٢٠ – ٢٩٣٦) : ويضرب المجوسى الأمثال : هب أنك بنيت بناءً عظيماً أردت أن يكون مسجداً فجاء أحدهم وجعل منه برغم أنفك ديراً، أو أنك نسجت كرباساً أردت أن تجعل منه قباء فجاء أحدهم وجعل منه سروالاً : أى إن الله تعالى خلق هذا الإنسان (القصر والمسجد والقباء) ليكون موضعاً للمعرفة فجاء الشيطان وجعل منه ألعوبة فى يده وموضعاً للشهوات ومحلاً للوساوس وآلة للحرب والفساد وسفك الدماء ، فما ذنب هذا الإنسان يا حبيبى ؟ ما ذنب هذا الإنسان وهو ضعيف أمام الشيطان ، وفى نفس الوقت فإن الذى أراد أن يجعل منه معبداً ساكت ومستسلم وصامت ولا يتدخل ليدافع عن صنعه ؟ أأكون أنا مهاناً ومضطراً ومهزوماً

إذا تبعته أيضاً وألا أخشى فى ذلك الوقت انتقام الشيطان (القوى ، المنتصر ، الغالب) متى ؟ عجيب ، ما معنى قولك إذن : ما شاء الله كان ، فمتى كان إذن هذا الذى يشاءه ، أتقوم النفس بالاستيلاء على صنعه ولا يتحرك صانع النفس ؟ أيستولى الشيطان على الإنسان ويسكت خالق الإنسان والشيطان معاً ، وإذا كان الشيطان ينتصر ويتحقق له ما يريد ، والخالق يسكت على هذا الأمر ، فكيف ينصلح حالى إذن ؟ ومن يساعدنى فى هذا القتال الذى حكم على فيه بالهزيمة ؟!

(٢٩٣٦ - ٢٩٤٤) : يتدخل مولانا فى النقاش فقد كان يرى أن الإنسان هو مجال للامتحان الإلهى (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها) وفى معركة الروح والنفس يعتبر جواذب الحياة المادية وسيلة امتحان الحق وعلى هذا الأساس يعتبر عصيان الشيطان أحد ألاعيب القضاء الإلهى (انظر الكتاب الثانى ٢٦٥٥-٢٦٥٦) ومع هذا فالمسئولية لا تسقط عن أى مذنب ، ثم يرد على ذلك المجوسى الذى يرى الشيطان غالباً بهذا المثل ، إن هذا الشيطان هو أقل الكلاب على باب الله ، أنه مثل كلب التركمانى ، ينبح الغريب ، فالشيطان متسلط على الغرباء عن باب الحق ، لكن أنظر إلى كلب التركمانى مع القرباء !! (أنظر إلى الشيطان مع الأولياء) إن الأطفال يشدونه من ذيله (الأولياء أطفال الحق) (انظر البيتين ٨٠ و ٨١ من الكتاب الثالث) ويكون ذليلاً فى أيديهم لكنه يكون أسداً هصوراً على الغرباء ، إنه "الكلب والشيطان" مصداق الآية الكريمة ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (الفتح ٢٩)

(٢٩٤٥ - ٢٩٥٠) : وهكذا فالشيطان هو كلب الحق ، وقد خلقه هكذا فى جبلته الوسوسة ، وإلا فكيف يميز الله الخبيث من الطيب والصالح من الطالح ، وكيف يتغذى الشيطان إن لم يكن موسوساً للخلق "كمال كل مخلوق فى قيامه بصنعه وكمال الشيطان فى قيامه بما كلفه الله به" ليس الشيطان نداً لله وجل وعلا ومقابلاً له بل عبد من عباده ينفذ ما أمره الله به ، وكيف لا ينفذ ما أمره به وروحه مقيمة على باب الإله تنتظر أوامره ، وكل من فى الخلق من ملوك ورعايا كلاب باسطو أذرعهم بالوصيد؟ لا ، ليس الشيطان نداً لله أو مقابلاً له أو طرفا في معركة معه مواضعها نفوس العباد، إنه تماماً كالكلب على باب التركمانى مستعد نافر العرق يتسلط على من يسلطه عليه سيده .

(٢٩٥١ - ٢٩٦٢) : يخاطب مولانا جلال الدين بصفته رجلاً من رجال الله ، الشيطان ، أو الكلب الشيطان بأنه لا يستطيع أن يمتحين المخلصين من عباد الله، ويسأله أن يداوم امتحاناته

من أجل أن يتميز ذوو الصلابة في الطريق من أرباب الوهن ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل للشيطان سلطة علينا فلماذا علمنا قتاله لماذا أعطانا السلاح الذى نقاتله به لماذا أعطانا المعوذة" نلجأ إليها عندما يشتد طرق الشيطان على بابنا ، ويهم ذلك الكلب بعقر أقدامنا ، فنطلب من الله تعالى أن يستدعي كلبه ، حتى نجد الطريق مفتوحاً إلى بابه ، نسأله حاجاتنا ، فهل يعقل أن يكون التركي الخطائى (من قبائل الخطا وهى من أشد قبائل الترك بأساً) عاجزاً عن استدعاء كلبه وعن كبح جماحه ، إذن فما فائدة المعوذة وما فائدة الصياح ، معقول أن يقول لك التركى لا ، لا أستطيع أن أعقل هذا الكلب ، أنا أيضاً أستعيذ منه ، إنه يمنعنى من الخروج كما يمنعك من الدخول ، هل هذا معقول ، حاشا لله ، إن التركى ليصيح صيحة ، تفقد بها أسد الوغى قلوبها لا الكلاب فحسب ، وأنت يا من تدعى أنك أسد في هذا الطريق ، كيف تغلب عليك كلب النفس وهو مخلوق لخدمتك ، هو يصيد من أجلك هو أى القوى النفسية حافظة بدنك، فكيف صرت أنت صيداً لها .

(٢٩٦٣ – ٢٩٧٤) : يرد السني – ودائماً يقرن مولانا جلال الدين عقائده بأنها مجموع عقائد أهل السنة ولذلك يجعل السنى هنا مرادفاً للقائل باختيار للعبد- ويقدم مولانا فى هذه الأبيات دلائل أن للعبد اختياراً وأول هذه الدلائل الحواس التى وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان يسعى بها ويستخدمها ويستطيع أن يستخدمها في الخير ويستطيع أيضاً أن يستخدمها فى الشر ، وقد يكون المقصود بالحس الوجداني الضمير الذى عبر عنه مولانا بالإدراك الوجدانى وقال أنه محل الحس (جعفرى ٣٦٢/١٢) والدليل الثانى هو الأمر والنهى والتكليف بوجه عام والثواب والعقاب كلها لا تكون إلا للمختار والمسئول ، وشرط التكليف القدرة، والقدرة هى التى تدل على الاختيار فلا يقول أحد لإنسان طر، أو يقول لأعمى أنظر إلى ثم إن الملام والعتاب والمدح دليل على القدرة أيضاً والاختيار وإلا فهل يقول أحد لحجر لماذا تأخرت ، أو يلوم عصا على أنها ضربته؟ نعم إن الرغبة فى الظلم كامنة فيك ومن ثم انجذبت للشيطان وللنفس الأمارة ، وليس العكس كما تدعى أنك "مجبور" عليها من الشيطان والنفس الأمارة .

(٢٩٧٥ – ٢٩٨١) : تريد أن تعلم كيف يكون الاختيار كامناً فيك إذن فاعلم أنك الشيطان والملاك معاً ، وداعى الخير وداعى الشر موجودان فى داخلك لكنها فى حاجة إلى ما يحركها ، ورؤية يوسف محرك وجرح اليد وتقطيعها نتيجة للمحرك، كانت موجودة فى نفوس النسوة فى المدينة ، كن مستعدات للغواية ، فما إن رأين يوسف حتى قطعن أيديهن ، يظل

كلب النفس قائماً فى داخلك حتى تحركه شهوة من الشهوات فيستيقظ ويبصبص بذيله ، وهكذا حتى فى الحيوان ، وفى السلوك الحيوانى ، تتحرك الشهوة عندما يوجد محرك لها ، إنها كالنفخ فى الشرر ، (انظر الكتاب الثالث موسى وفرعون فى وجودك ، البيت ١٢٥٤) وهكذا يتمطى الاختيار النائم فيك والكامن فى وجودك عندما يعرض الشيء المشتهى .

(٢٩٨٢ - ٢٩٨٨) : {إن للشيطان لمة يا بن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر وتكذيب بالخير وأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان} (جامع ١/٩٥) . ليس الأمر خاصاً بدواعى الشر فحسب ، بل تتدخل فيه أيضاً دواعى الخير ، تعرض عليك الملائكة ملائكة الخير ما لديها برغم أنف الشيطان ، إلهام بالخير فى مقابل وسوسة الشيطان بالشر ، وأنت وما تختار ، لديك الميزان فى داخلك ، وما يستوجب العقاب ومن ثم فأنت المسئول ، وأنت الذى تنطلق بكل قواك ملبياً داعى الخير وداعى الشر ثم ما معنى التسليم فى الصلاة؟ إنك تسلم على الملائكة أنك صرت مختاراً لهذه الصلاة من إلهامها الطيب تماماً مثلما تقوم بلعن إبليس بعد كل ذنب لأنه قضى عليك وقصم ظهرك من وسوسته ، نعم فهذان الضدان يقوما بعرض ما لديهما عليك وداعى الخير وداعى الشر مصطلحان موجودان فى هذا الحديث النبوى .

(٢٩٨٩ -٣٠٠٥) : وكلاهما داعى الخير وداعى الشر ، الملاك الملهم والشيطان الموسوس جاءا إليك من وراء حجب الغيب، وعندما ترتفع هذه الحجب يوم القيامة ، ترى عياناً من كان يقودك وتعلم من حديثهم أنهم هم الذين كانوا يحدثونك فى الدنيا يلهمونك أو يوسوسون لك. يقول الشيطان : لقد كنت أعرض عليك فحسب ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (إبراهيم ٢٢) ويقول الملاك : ألم أقل لك كفاك سروراً بمعصيتك وتدبر قول الرسول ﷺ {من عصى الله وهو يضحك يدخل النار وهو يبكى} (مولوى ٥/٤٣٢) لقد تركتنى أنا الراجى خيرك المشفق عليك من نار الجحيم الراغب فى قيادتك إلى الجنة ونحن الملائكة من سجدنا لآدم واعترفنا بخلافته، ولا زلنا نخدمك ونقودك إلى موطنك فى الجنة، ونردك من غربتك وفقرك إلى رئاستك وإمارتك ، لكنك تركتنا وأطعت

تلك الجماعة التى رفضت السجود لأبيك ، ووسوست له ، وسببت طرده من الجنة إلى جحيم الشقاء ، وتوعدت أولاده قائلاً ﴿ لأحتنكن ذريته إلا قليلاً ﴾ (الإسراء ٦٢) ، هيا انظر إلينا عياناً بياناً بعد إن كنت تسمع أصواتنا فى ليل الدنيا وظلمة الحس ، فها هو قد أسفر الصبح ، صبح القيامة ، وقام الناس من النوم ، فاعرفنا بأصواتنا ، وأعلم أننا كلا منا الملاك والشيطان كنا عارضين لك ، لم نجبرك على فعل لم تكن أنت تريده ، ولم نوجهك إلى فعل لم تكن أنت تقصده .

(٣٠٠٦ - ٣٠٢١) : يعود مرة ثانية إلى بيان أن الإنسان مخير وليس مسيرا ، ومن هنا يؤدب الطفل فهل رأيت حجرا يعاقب ؟! وهل سألت حجرا أن يأتيك في الغد ، وهل يضرب عاقل المدر (فى الكتاب الثالث ، أمثلة عديدة على هذه الفكرة ، انظر الأبيات ٢٩١١ - ٢٩١٩) ، وعن هشام بن سالم عن على ﷺ : إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد " (جعفرى ٣٨٣/١٢) ، الجبرى والقدرى كلاهما مرفوض ، لكن الجبرى أكثر افتضاحا أنه يرى ويحس أنه لا مدلول دون دليل ، لكنه ينكر والقدرى يقبل الدليل والمدلول لكن في حدود الأمور المادية والدنيوية ، وأمور الله جل وعلا التى لا تقاس بالمعايير والعلاقات الدنيوية ولا تدرك ، والنتجية أن القدرى والجبرى كليهما ينكران تلك الحقيقة غير المادية وغير الحسية (استعلامى ٣٨٥/٥) ، ومن هنا فسفسطة الجبرى أسوأ من الحاد القدرى " والقدرية مجوس هذه الأمة " ، ويجعل مولانا القدرى واحدا مع المادى والدهرى ، انه يقبل الدنيا فحسب ويقر بها وإن قال يا رب فنظره إلى القدرة المادية الطبيعية ، وقوله يا رب لا يقصد بها الحظيرة الإلهية ، والجبرى ينفى المسئولية والاختيار عن نفسه ، ينكر العلاقات الموجودة في الدنيا ، ولا يصل بسفسطته وأدلته الواهية إلى غاية بل يدخل في تلافيف الشك والريب والكفر ، والحيوان يدرك الأمر المحسوس ، أيكون الحيوان أفضل من الجبرى ، إن وجود الاختيار لا يحتاج إلى دليل لأن كل إنسان يستطيع أن يحس به ، وإن أحس به فإن تكليفه بالأمر يجمل به ولا يستوحش منه أو يراه صعبا ، وإذا كان القدرى مرفوضا والجبرى مرفوضا فالحل هو ما أجمعت عليه الأمة من المنزلة بين المنزلتين ، أو الأمر بين الأمرين وعن على بن موسى الرضا ﷺ ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أعطيكم في هذا أصلالا تختلفون فيه ، ولا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه؟ ، قلت إن رأيت ذلك ، قال : إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم

يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه فإن أئتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه (جعفرى ٣٨٤/١٢) والأمر عند مولانا بين الوضوح في قوله بالاختيار وهو في هذا تابع لسنائى الغزنوى الذي قال بأن الجبر لحركة العالم وأن الاختيار للإنسان ، وأن هذا هو المقصود بتكريم الإنسان ، فكيف يكون مجبرا ثم يكون مكرما ؟! (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٥٤٥٩ - ٥٤٦١ وشروحها) ، وإلى مثل هذا ذهب الحكيم السبزوارى فقال : إن من أفضل ما قاله المعلم الثانى ، لابد أن يكون في الإرادة إرادة بالذات ، وفي القدرة قدرة بالذات وفي الاختيار اختيار بالذات " ، ويضيف والعالم كله ظله ، وهو مختار وظل المختار مختار (شرح السبزوارى ، ص ٣٩٤) .

(٣٠٢٢ - ٣٠٣٣) : يواصل مولانا جلال الدين دلائله على الاختيار واثبات المسئولية على الإنسان ، وهنا يتجاوز مولانا الدلائل الظاهرة والحواس الظاهرة ويتحدث عن الإدراك الباطنى ويسميه بالإدراك الوجدانى وفي العنوان يوضح مولانا أن الإدراك الباطنى هو أيضاً من قبيل الحس، فمنه ندرك الألوان والأحجام وأنواع الجمال والقبح بالحواس الظاهرة ،لكننا ندرك الاختيار والاضطرار والغضب والصبر بالحواس الباطنة أو الإدراك الباطنى أو كما يسميه مولانا الإدراك الوجدانى ، ويفسر محمد تقى جعفرى الإدراك الوجدانى تفسيرا لغويا على أساس أن " وجدان " بالفارسية تعنى الضمير ويرى أن مولانا كان يقصد هذا المعنى بالفعل بدليل ذكره للندم بعد أن يقوم المرء بفعل السوء فإن هذا الندم مصدره الضمير (جعفرى ٣٩٤/١٢-٣٩٥) . ويقدم مولانا دليلا آخر : القرآن الكريم ، أليس كله أمر ونهى ووعد ووعيد فلابد أن يكون هذا الأمر والنهي والوعد والوعيد موجها إلى " مسئول " و " حر " وإلا فهو ليس موجها إلى حجارة وحديد أو خشب، فالعقل نفسه لا يتعامل إلا مع من له عقل . وإلا فهل عادى عاقل صورة ؟! أو هل أنشب مخالبه في صورة مخلب ، ثم كيف يوجه أمر إلى عاجز ؟! إنك إن أمرت عاجز بأمر يعجز عن فعله كنت جاهلا ، وإن فعلها إنسان لقلت عنه أنه جاهل، فهل تنفى عن إنسان صفة الجهل وتجيزها على الله جلا وعلا عن ذلك علوا كبيرا ؟! وكيف تنفى عنه صفة العجز لتوقعه بعدها في صفة الجهل " والكلام موجه إلى المجوسى القدرى " ؟!

(٣٠٣٤ - ٣٠٣٩) : يعود إلى مثال التركى وكلبه " الله والشيطان " ، وليس عيبا أن يرمز له بكبير الترك :

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

والضيف هو العبد المتجه إلى الله تعالى ، والخرقة رمز للتظاهر ، والمقصود بالكلب هنا هو النفس الكلبية الأمارة بالسوء ، فإذا توجهنا إلى العتبة الإلهية ومعنا كبرنا وغرورنا ونفسنا الأمارة بالسوء فإن الكلب " الشيطان " ، يقف في طريقنا والكلب في البيت ٣٠٧٧ هو إبليس (انظر ٢٩٣٩ - ٢٩٤٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وعضة الكلب تلبيس إبليس ومكره ، والغلمان هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، والكلب في البيت التالى هو النفس والثعلب هو الرياء والتظاهر ، والكلب في الشطرة الثانية من نفس البيت هو إبليس : نفسك التى بين جنبيك هى التى تثير إبليس وهى التى تدعوه إليك .
(٣٠٣٩ - ٣٠٥٧) : يواصل مولانا أدلته على أن الإنسان مختارا ، فإذا لم يكن الإنسان مختاراً وكان الاختيار للحق دون سواه ، فكيف تغضب على من يسئ إليك ، إنك تغضب على من يسئ إليك إن كان عاقلا ، لكنك لا تغضب إن كان غير عاقل ، ومن ثم فالاختيار مقارن للعقل ، وحتى الحيوانات تفعل هذا ، فهل رأيت حيوانا هاجم عصا ضربته دون أن يهاجم الضارب ؟! هل رأيت كلبا تقذفه بحجر فيصب غضبه على الحجر " إنه يفعل ذلك فحسب عندما لا يطولك وللوهلة الأولى ثم سرعان ما يدرك انك الضارب لا الحجر " .
(٣٠٨٥ - ٣٠٧٦) : يواصل مولانا تقديم أدلته على الاختيار ، والحكاية الواردة في البيتين الأولبين وردت في ربيع البرار للزمخشرى والمستطرف للأبشيهى منسوبة إلى الاسكندر (مآخذ /١٨٢) . أمر الاسكندر بصلب سارق : فقال : أيها الملك فعلت ما فعلت وأنا كاره ، فقال وتصلب ايضا وأنت كاره . إن الجبر يقلب العالم إلى فوضى ، فالسارق والمعتدى والقاتل كلهم يقومون بما يقومون به اعتمادا على هذا المبدأ ، عجيب ومع ذلك فأنت تتلاعب بالجبر والاختيار ، تختار الحرفة ، وخلف نفسك العاصية تكون مختار تماما ، لكنك عند شكر النعمة صامت أو قائل بأن الله لم يهبك شكر هذه النعمة ، تراك تقبل أن يقول لك الجحيم : اعذرنى علي حرقى إياك ؟! أنه لولا الاختيار لما انتظمت الدنيا .

(٣٠٧٧) : يواصل مولانا ويقدم قصة أخرى ساخرة وهى كما هو واضح على نسق القصة السابقة وتجرى في سياقها وهى فيما يبدو من تأليف مولانا ووردت في كتابه " فيه ما فيه " ، قبل أن ترد في المثنوى .

(٣٠٨٧ – ٣٠٩٧) : من هذا البيت يبدأ مولانا في مبحث آخر دفعه إليه خشيته من أن يفهم القارئ أن الاختيار للعبد مطلق وأنه من الممكن أن يختار على اختيار الله سبحانه وتعالى، أو يفهم آخر أن مولانا ينفى الاختيار عن الله سبحانه وتعالى كلية ، فاختيار العبد كالغبار ، واختيار الرب فوقه كالفارس الذي يثير هذا الغبار دون أن يكون ظاهرا (هذا المثال موجود في الكتاب الثالث ، البيتين ٣٨٣ – ٣٨٤) ، إننا نختار ما اختاره الله لنا ، فاختيار الله هو الاختيار الكلى واختيارنا هو الاختيار الجزئى، ولو لم يكن لنا اختيار لما خيرنا الله بين أمرين، وتسلط الله سبحانه وتعالى على صورة بلا اختيار أمر لا عظمة فيه ، فلا عظمة في أن تحكم من لا يتأتى منه فعل ، سواء كان هذا الفعل خيرا أو شرا ، لا عظمة في أن تسيطر على عبد بل العظمة الحقيقية في أن يكون حكمك على حر ، إن السيطرة على من لا اختيار له تتأتى من كل إنسان ، لكن أية عظمة في أن تجر صيدا من أذنه أو تجر إنسان من أذنه أيضاً ، فالله حينئذ بدون آية آلة يقيد باختياره ذلك الإنسان المجبر ويجره إلى حيث يشاء ، هذا الأمر يكون كسيطرة النجار على الخشب والمصور على الصورة والحداد على الحديد والبناء على الآلات التى يستخدمها ، فهل قدرتك على هذه الجمادات ، نفت عنها صفة الجمادية ، كيف تجيز إذن أن يكون اختياره جل وعلا نافيا لاختيارك أنت .!

(٣٠٨٩ – ٣١٠٤) : مشيئة الله سارية في الكون بشكل كلى وبلا زمان أو مكان ، وليس في الأمر جبر أو ضلال ، إنك " أيها المجوسى " تقول أن كفرى هو مشيئته ، لكنها مشيئتك أنت أيضاً ، فكيف ثم كفر دون مشيئة من الكافر ؟! وكيف يغضب علينا سبحانه وتعالى إن كفرنا دون أن يكون لنا دخلٌ في هذا الكفر ، أيغضب علينا لعجزنا ، إن هذا السلوك لا يليق حتى مع ثور ، فالثور أن لم يقبل السير ضرب ، لكنه لا يضرب أن قلت له طر ولم يطر ، ومن ثم فإن لم تكن مريضا لا تربط رأسك (مثل فارسى) ، ولا تسخر من نفسك كل هذه السخرية فتكون أقل من ثور .

(٣١٠٥ – ٣١١٠) : والحل لكل هذا النقاش أن تكون عاشقا فينوب اختيارك في اختياره ولا ترى لنفسك اختيار دون اختياره ، فيكون كل ما تفعله هو فعل الحق ، يكون العشق هو

اختيارك ، والسكران بهذه الخمر معذور ، وهو حتى لا يكون في حاجة إلى أن يعذره أحد ، فهو لا يفعل في سكره إلا الحق وإلا الصواب ، والمثل التالى عن سحرة فرعون وارد بتفصيلات أكثر في الكتاب الثالث (انظر الأبيات ١٧٢٣ - ١٧٣٠ وشروحها) .

(٣١١١ - ٣١٣٠) : { ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن } ، حديث نبوى يكرره مولانا كثيرا في المثنوى (انظر على سبيل المثال ، الكتاب الأول : ١٨٨٨-١٨٩٨ والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٢٩٢٩ - ٢٩٣٧) . عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علمه دعاءً وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم{ قال : قل كل يوم حين تصبح اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وبك وإليك ، اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن } (مسند أحمد ١٩١/٥، أحاديث مثنوى ١٧٤) . وليس عند الله صباح ولا مساء : أي ليس في عالم اللاهوت زمان ، لأن الزمان مرتبط بالأفلاك وهو فوق الأفلاك ، فليس حديث " ما شاء الله كان " دعوة إلى الكسل وإلى الاستسلام لما تأتى به المقادير ، بالعكس انه دعوة للعمل والجد والاستعداد في كل لحظة. يقول يوسف بن أحمد : وهذا الحديث معناه قريب لقوله تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ ، قال في الجلابيين معناه أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماته واعزاز واذلال وغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ، (مولوى ٤٥٣/٥) ، فإذا كان الأمر أمرك أنت جاز لك أن تتكاسل ، فإذا قيل لك أن الأمر أمر الله ، معناه أن تسعى في رضا الله دون رضا سواه ، إذا قيل لك أن الأمر في يد الوزير فلان ، يكون رد فعلك أن تبتعد عنه أو يكون رد فعلك أن تقترب منه ؟! أترى الآن أنك قلبت تفسير : ما شاء الله كان وجعلته على هواك لأن هواك في الكسل ، وتكفى نتيجة تفسيرك هذه لكى تثبت لك أن تفسيرك هذا سئ ،.فهناك علامة للتفسير الصحيح هو أن يدفعك إلى العمل وبذل الجهد ، والجهاد في رضا لله ويملأك حماسا وحركة وأملا ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد من عبده الكسل والتواكل، والرسول ﷺ لا يقول ما يؤدى إلى القنوط واليأس ، والقعود عن العمل والعبادة ، ولماذا تسرع في التفسير حسب هواك ، ما أحراك أن تفسر القرآن بالقرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فإن لم تكن قادرا على هذا ، فابحث عن الولى الكامل غير المغرض الذي أضرم نار العشق في هواه وهوسه ، وصار كله لله وللقرآن حتى ذاب في القرآن وصار قرآنا ، كما يذوب الزيت في الورود (عند تقطير العطور) ، فسواء إن شممت ذلك الزيت الذي ذاب في الورود أو شممت الورود نفسها،

سواء سألت القرآن عن معنى القرآن ، أو سألت الولى الذي ذاب في القرآن وفنى في الله فناء تاما ، هذا هو الراسخ في العلم الذي نص سبحانه وتعالى على أنه هو الذي يستطيع أن يعلم تأويله .

(٣١٣١ - ٣١٣٤) : يتعرض مولانا جلال الدين لحديث آخر يحتج به الجبريون لأنهم يفهمونه على غير معناه والحديث هو " جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة " ، ويحتج الجبريون بهذا الحديث بأن كل ما يجرى على البشر قدر منذ الأزل وبالتالى فلا فائدة من العبادة أو الدعاء لأن الله سبحانه وتعالى لن يغير شيئا ما دامت الأقلام قد جفت والصحف قد طويت . هل يعقل أن يقول لعبده : يا عبدى لا تدعنى لقد جف القلم ولن يجديك هذا الدعاء نفعاً ؟!! . وهناك حديث آخر في هذا المعنى " فرغ ربكم من أمر العباد فريق في الجنة وفريق في السعير " (انقروى ٥/٦٧٧) . قال أحد الصحابة : أولا نعمل يا رسول الله : قال ﷺ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ويقدم مولانا تفسيرا آخر لحديث " جف القلم " ، فجف القلم تحريض على العمل لا على الكسل ، وعلى " الشغل الأهم " ، أي على العبادة لأن القلم جف وفرغ من أمر جعل الجزاء من جنس الفعل ، ولا تبديل لسنة الله ولا تغير لها ، إنك مرتبط بأفعالك ، ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ إذا ظلمت فأنت مدبر ، وإن رحمت تُرحم، وإن سرقت تقطع، وإن سكرت تثمل ، بهذا جف القلم ، جف القلم وكتب أن الله سبحانه وتعالى عدل وحق يجزى بالحسن حسنا وبالسوء سوءً ، وليس بفعلك لأن الله سبحانه وتعالى يمحو ما يشاء ويثبت ويغير ويبدل " والدعاء يمنع القضاء " ، وإلا فهل من المعقول أن يقدر الله أفعال عباده ثم ينعزل عنها انعزالا كليا ، ويتركهم هملا ضياعا، جاهدوا أو لم يجاهدوا أطاعوا أو لم يطيعوا ، أخلصوا له أو لم يخلصوا له وخانوه ، وهل يعقل هذا حتى على ملك من ملوك الأرض ، هل هناك ملك من ملوك الأرض لا يفرق أمام عرشه بين الوفى والخائن وبين من يخافه ومن يسخر منه ؟! اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، إن ميزان الله سبحانه وتعالى لا يضيع شيئا مهما كان ضئيلا ، فلو زدت مثقال ذرة في عبادتك ظهرت في هذا الميزان ، إنه هو السميع البصير ، لايسمع لواش أو نمام ، بل إن الوشاة والنمامين (الشياطين) عندما ييأسون ويحبطون أمام بلاطه يعودون إلينا ويوسوسون لنا قائلين : ما جدوى العمل ؟! لقد جف القلم وكتب من كتب سعيدا وكتب من كتب شقيا والسعيد

سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه ، إن هذا دس للمليك وحديث بالسوء عنه ، لا بل الوفاء جزاء على الوفاء ، والجفاء جزاء على الجفاء بهذا جف القلم .

(٣١٣٥ - ٣١٥٩) : وهناك أيضاً العفو الإلهي ، وهناك الرجاء في هذا العفو وعدم القنوط منه فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وأجمل من هذا الرجاء رجاء المتقي الذي ابيض وجهه من التقوى ، ذلك أن وجه العاصي المعفو عنه لا تصل بحال من الأحوال إلى درجة المتقي أصلا ، تماما كما يعفو الملك عن اللص لكنه لا يصير وزيرا أو خازنا ، وأنت أيها الإنسان المؤمن أمين في الأرض على هذا الدين فكن أمينا على أسرار الحق فإنك أصبحت صاحب تاج ولواء (ابن الخليفة) من قبولك لهذه الأمانة ، ولا تغتر بهذا ، فإنك إن خنت هذه الأمانة سوف تكون جديرا بقطع رأسك ، في حين انه قد يهب " غلاما هنديا " ، عناية الربانية وينيله المعرفة " الدولة السرمدية " (انظر حديقة سنائى ، البيت ٧١٨ : لتركى جلف حدث رقيق قلب مئات الآلاف من الأعلام) ، ليس هذا فحسب ، بل القلب نفسه ببركة إخلاصه يصاحب الرجال ، فانظر أي إنعام نزل على الكلب ، فما بالك إذا كان هذا الكلب أسدا " رجلا من رجال الله "؟!

(٣١٦٠ - ٣١٦٤) : إن إنعامه لا نهاية له ، بشرط أن تتوب وتعود ، فان الانغماس في الذنب يغلق باب الرحمة ، حتى هذا اللص قاطع الطريق ينبغي عليه ألا يقنط من رحمة الله ، وانظر إلى قصة الفضيل بن عياض (١٠٥ - ١٨٧ هـ) كان قبل توبته قاطع طريق ، وذات يوم كان مع عصبته يقطع الطريق على قافلة فسمع قارئا للقرآن يقرأ ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ فتاب وصار فقيها محدثا ثم عارفا من كبار العارفين ،وقامر بطهر : أي ضحى بنفسه في سبيل الله ، وتضحيته بنفسه إسراعة إلى التوبة بقوة عشرة رجال ، ثم هل يمكن أن يكون هناك عاص أكثر عصيانا من سحرة فرعون ، أولئك الذين قالوا " بعزة فرعون " ، وقعدوا في طريق التوبة ، ثم عندما تاب الله عليهم ، اعترفوا بنبوة موسى عليه السلام وبألوهية رب العالمين ، وضحوا في سبيل هذا بأيديهم وأقدامهم (انظر البيت ٣١٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحه) ، فكانت جذبة تساوى عمل الثقلين ، فهل رأيت طاعة خمسين عاما نالت مثل هذا الصدق ؟!

(٣١٦٥) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى في منطق الطير للعطار حيث جرى الحديث عن مجنون أو واحد من عقلاء المجانين رأى غلمان أمير المدينة في زينتهم

فرفع رأسه إلى السماء داعياً : " تعلم إكرام العبيد من العميد " ، وفي الحكاية التى بين أيدينا المقصود بعميد خراسان فيما يبدو هو محمد بن منصور النسوى حاكم هرات ومن رجال العصر السلجوقي في القرن السادس ، وتوفى سنة ٥٩٤ هـ ، (عن مآخذ ، ص ١٨٣) .
(٣١٦٩ - ٣١٧٣) : كان الرجل معوزا عاريا جائعا فأبدى بعض الجرأة على الله تعالى ، والانبساط في مصطلح الصوفية الحديث دون رعاية للآداب ، ويجد له مولانا العذر ليس في جوعه أو عوزه أو عريه ، بل لأنه كان غائبا عن نفسه فلم تسيطر عليها ، كما أنه أيضاً كان نديما لله سبحانه وتعالى فتجرأ عليه كما يتجرأ النديم على الملك ، فإن جاز له هذا فلا يجوز لك ، إن النديم يتوقح على الملك لأنه " يعرفه " ، أما أنت وأنت لم تعرفه بعد فلا يجوز لك هذا ، وإن كنت لا تعرف فلك أن تعرف أن عطايا الله سبحانه وتعالى تفوق كل العطايا حتى لو وهبك أحدهم تاجا ، أكان هذا التاج يكون ذا نفع دون أن تكون هناك الرأس وهى هبة من الله تعالى .
(٣١٧٤ - ٣١٧٩) : هذا الجزء من الحكاية إضافة عليها لم ترد في الحكاية الأصلية ، كان مولانا يريد أن يرد على الدرويش فآثر أن يرد عليه في صورة الحكاية أيضاً : لقد تعرض الغلمان للتعذيب ولم يفش أحدهم سر العميد بعد أن مزق أربا ، ويرى استعلامى (٣٦٥/٥) ، في تفسير البيت ٣١٧٩ أن الهاتف كان للعميد الذي يعذب غلمانه وأن البيت يقصد : أن عبيدك هكذا عبيد طيبون لأنك كنت سيدا طيبا ، ولا أدرى من أين جاء بهذا التفسير لأن السياق يحتم أن يكون الهاتف للدرويش ، تعال وتعلم العبودية ، لقد كان العميد يغدق على الغلمان لأنه كان يعلم أنهم أوفياء حفظة لأسراره .
(٣١٨٠ - ٣١٨٦) : يترك مولانا قصة عميد خراسان ويقوم بإرشاد المريدين : ومزقت جلود أمثال يوسف أي تصرفت بجفاء مع الطيبين وأسأت إلى المحسنين (مر نفس التعبير في الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٦٢) وفكرة أن الأحزان تحيق بالإنسان من فعله ، مرت في الكتاب الثالث ، ببيان أكثر روعة (انظر الأبيات ٣٤٨ - ٣٥٩ وشروحها) ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ (الشورى /٤٠) . إن رجال الحق موجودون في كل عصر ، وإن سليمان هذا لماثل أمام الجميع ، (الكتاب الثانى ٣٧٨٢) ، فدعك من الأفعال الشيطانية وإلا قطعتك سيوفهم ، وكل من ترك صفاته الشيطانية لا خوف عنده من رجال الحق، ذلك أن الشياطين فحسب هم الذين

يخشونهم ، وحين يصل المرء إلى مرتبة الملائكة يكون عيشه فوق الأفلاك ، يكون آمنا من الكدح على الأرض ، لقد جاوز مرحلة الكدح ووصل إلى مرتبة الملائكة .
(٣١٨٧ - ٣١٩٤) : يعود مولانا هنا إلى مناقشة المجوسي الجبرى الذي بدأت القضية به ويخاطبه قائلا : دعك من هذا الجبر فهو جبر العوام ينفي عنهم مسئوليته كل خير وكل شر ، وأدخل في جبر الخواص الذي فنى وجودهم الفردى في الحق فصار فعلهم هو فعل الحق، ودعك من جبر الكسالى ، حتى يأتيك ذلك الجبر الذي يهبك روحا جديدة ، جبر الخواص والفانين في الله ، ودعك من عشقك لنفسك وكن عاشقا للحقيقة واقلع عن تخيل أنك طيب وخير وفائق على الآخرين ، انصرف قليلا عن أنيتك ، ولا يكن طوافك كله حول نفسك ، دعك من عبادة ذاتك ، فإن أولئك الذين يطوفون دائما حول ذواتهم لا شئ عندهم يقولونه ، فأى عالم هذا الذي يتحدثون عنه ، إنسان محدود بنفسه ، ماذا لديه لكي يقال ، إنه صامت كالليل حتى وإن تكلم ، إن عمرك كله قد ضاع هدرا ، والناس تحرك رؤوسها إعجابا ، وإن قال لك أحدهم أقلع عن هذا ، إن هؤلاء الذين يتجمعون حولك يظنونك ماء عذبا لأنهم لم يذوقوا الماء العذب ، تقول له : كفاك حسدا ، أي حسد ؟! هل يحسد الإنسان الغثاء والهباء والغثاثة والتفاهة ؟! إن تعليم هؤلاء مثل الرسم على المدر " الطوب " ، أما النقش على الحجر ، والذى يظل دائما فهو " العشق " و " النظر "، لكي تصير أستاذا وشيخا وتجد لك مريدين علم نفسك العشق وعلم نفسك النظر أي الإدراك الباطنى للشيوخ الكاملين .
(٣١٩٥ - ٣١٩٩) : ونفسك تلميذ وفي ، كما تعلمها تتعلم ، وكما تدربها تكون وما سواها من التلاميذ غير موجود ما دامت هى لم تتعلم ، وهؤلاء الأدنياء الأخساء لا يتعلمون منك شيئا ، وطالما تدعوهم فاضلين وعلماء ، فإنك تدل على أنك خلاء وخواء ، أنت فارغ وهم فارغون فمن أين يأتيك العشق ومن أين يأتيك النظر ، لكن إذا كان قلبك متصلا ببحر العلم اللدنى والعلم المطلق الإلهى ، فمن حقك آنذاك أن تتحدث لأنك " تغرف من البحر الذي لاينتهى " ، والذي يأتى إلى قلبك منه المدد باستمرار ، إنما يخشى من يأخذ من الجداول جفاف هذه الجداول ، وأمر " قل " ، إشارة إلى المواضع الموجودة في القرآن التى أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالقول ، والآيات التى تبدأ بـ " قل " ، أما الأمر بـ " أنصتوا " ، فهو لأولئك الذين لم يبلغوا درجة من العلم ومع ذلك يتحدثون ويفيضون فسرعان ما تجف بساتينهم بعد إنفاق ما بها من ماء ، لكن المتصل بالبحر لا يجف علمه ولا ينفد .

(٣٢٠٠ – ٣٢٠٩) : ويا أيها المتحدث وأنت معتمد على هذا العلم الدنيوى ، دعك من هذا الكلام فلا طائل من ورائه ولا نتيجة منه ، وانظر إلى عاقبتك هنا ، وغيرتى لا تسمح لى بأن أرى الأخساء الذين جمعتهم حولك يستمعون إليك وهم يسخرون منك ، إنهم ليسوا بعشاق ، الذين جمعهم هذا الخطيب الدنيوى يستمعون إليه ، إنهم سخرية حقيقية من العشاق ، العشاق الحقيقيون مختفون " خلف حجاب الكرم " لا يتشدقون ولا يتظاهرون ، لكن وجدهم وصياح وجدهم تصل إليك أنت، والعشق الحقيقى يكون لعشاق الغيب هؤلاء ، أما عشاق الدنيا فإن عشقهم يدوم عدة أيام لا أكثر ، إنهم يستغلونك أيها الشيخ و " يأكلون " منك ، دون أن تنال منهم مثقال ذرة من فائدة ، وما قيامك بهذا المحفل في الطريق العام من أجل هؤلاء العوام ، كيف تبسط لهم بساط الإرشاد في الطريق العام ، لقد أهلكت نفسك دون أن تصل إلى هدفك من إرشادهم ، وعندما تسقط مريضا فلن يقف أحدهم إلى جوارك، ففى الحزن والألم لا مواسى إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي يكشف السوء ، ويأخذ باليد ، ويغيث المستغيث ، فتذكر أيام مرضك عندما ينفض هؤلاء المريدون العوام من حولك ، كن مثل إياز اعتبر أن أيام المرض هى السترة الجلدية ، وتذكرها مثلما كان إياز يقبض على سترته الجلدية بكلتا يديه.

(٣٢١٠ – ٣٢١٨) : عودة إلى مناقشة المجوسى الجبرى ، لقد رد المجوسى الجبرى ، بأجوبة لم يوردها مولانا واكتفى بقوله أنه حيرت "الرجل المنطيق" أى المشتغل بالمنطق ولعله يقصد أبا عمرو بن العلاء (انظر شرح ٢٩١٢) ثم يعود مولانا فيقول أن هدفه كله ليس القضية فى حد ذاتها ومن ثم فهو لا يطيل فيها ، وهناك أقوال عنده أهم من هذا المقال ومن قبل فى الكتاب الثالث (الأبيات ١٣٦١–١٣٧٥) عند التوفيق بين حديثى الرضا بالكفر كفر ومن لم يرض بقضائى فليطلب ربا سواى، ذكر مولانا صراحة أنه لو واصل المناقشة جدلاً ، فإن نقاط العشق سوف تمضى لذتها عنده ، وسوف ينقلب "دوره" إلى دور آخر أى سينقلب من مرشد صوفى عاشق إلى متكلم يجادل ، ثم إن مولانا يبين سعة أفق ، وموضوعية أنه إن

ذكر أدلة كلها فعليه أن يذكر أدلـة الآخر كلها ، ومن ثم فمن الأفضل أن يترك الموضوع برمته ، لأن الخلاف – في هذه القضية وفي غيرها – قائم إلى يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى يمد كل فريق بأدلته ، وذلك حتى لا ينتصر أحد ، والنقاش في حد ذاته لن يؤدى إلى نتيجة ما دام الحل كما رأى مولانا كامناً في العشق ، والعشق ليس بالنقاش وليس بالجدل بل هو ذوق وموهبة وعطية .

(٣٢١٩ – ٣٢٢١) : إن وجود الاثنين وسبعين فرقة أمر ضرورى "إشارة بالطبع إلى الحديث الشهير : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة" لكن الإمام الغزالى في فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة نقل الحديث بصورة توحى بأن الفرق كلها ناجية إلا واحدة هى فرقة الزنادقة ويتفق هذا التفسير مع منطق مولانا فتبعه (سرنى ، جلد١ ، ص ٤١٤) فلا يمكن أن يكون وجود الفرق الهالكة ضرورة من الضرورات ، إن هذه المذاهب والفرق هى ظلال النور ، لأن هذه الأرض هى أرض الظلال ، وأرض المذهب الواحد واللون الواحد أرض أخرى ، الاختلاف إذن هو طبيعة هذه الأرض ، وينبغى أن تكون قابلاً له ، الله نفسه يقبله ، أليس هو الذى يهب – حتى المبتدع – هذه القدرة على النقاش؟ إذن فكيف يميز المؤمن ، إن لم يكن ثم مبتدع (ديدن مولانا جلال الدين إن المتضادات لازمة ، انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٥٧٥-٥٨١ وشروحها) .

(٣٢٢٢ – ٣٢٢٩) : وحتى إن كان للمحقق التعب والمشقة من كل هذه الفرق التى عليه أن يتغلب عليها حتى يحصل على الحقيقة فما الضرر فى هذا؟ إن عزة أى طريق فى وجود المشقة والتعب منه، حينذاك يكون اجتيازه نجاحاً حقيقياً ، ما قيمة أن تفتح مخزناً واهى الأبواب؟ وما قيمة هدف يكون طريقه سهلاً ميسراً لا عقبات فيه ولا وعورة ولا قطاع الطريق؟ وهل تكون زيارة الكعبة عزيزة إلا بقطع البوادى والتعرض لهجمات الأعراب؟

وبقدر ما تعانى من ألم الغربة تكون العودة إلى الموطن عذبة لذيذة ، أنظر إلى هذه الفرق والمذاهب من هذا المنطلق ، كل سلوك فى طريق محمود يستلزم العقبات ، والمقلد هو الذى يحار بين الطرق ، عندما يرى أن ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (المؤمنون ٥٣) ولأن الجواب الذى يقطع الجدل غير موجود ، فهو مستمر إلى يوم القيامة ويتدارك مولانا : لا إن عظماءنا يعلمون هذا الجواب المفحم ، وإن كان هذا الجواب المفحم مخفياً عنا فهو ليس مخفياً عنهم والواجب علينا إتباعهم وأخذ هذا الجواب عنهم .

(٣٢٣٠ - ٣٢٣٩) : إن العشق هو الذى ينهى هذه الوسوسة وهذا الجدال والعناد ، ولا يستطيع شخص ما مهما أوتى من عقل أن ينتصر على هذا الوسواس الخناس ، فصر عاشقاً ، وابحث عن الحقيقة ، فلا جمال هناك سوى جمال الحقيقة ، وابحث عن طيور الماء "الأرواح التى تستطيع السباحة فى بحار الغيب وتدرك هذه الأسرار" (وعن طيور الماء وطيور المنزل انظر الكتاب الثانى ٣٧٨١-٣٧٩١) ، ابحث عن الرجال الذين وجدوا حتى تجد ، إن هذه الوسوسات تريق ماء وجهك ، وتسلب فهمك ، وهناك فرق بين معقولات أهل الدرس والكتاب والمدرسة ومعقولات أخرى يهبها لك العشق ، وهناك غير عقلك هذا الذى يدبر أمور معاشك عقول أخرى عند أهل الحق تدبر لك معادك وتدبر أمور السموات ، وماذا إن وجدت أن عقلك الجزئى هذا لم يسع عشق الرحمن ولم يتحمله فانفرط بدداً ، إن عقل العشق وعقل الإيمان الذى يهبه الحق لك هو أضعاف أضعاف هذا العقل الذى خسرته ، وقارن ولا تكن أقل من نسوة مصر اللائى قامرن بعقولهن عندما رأين جمال يوسف ، وسلب العشق عقولهم لحظة واحدة فمللن هذه العقول إلى الأبد ، وإذا كان جمال ذى الجلال أصل لمائة جمال من أمثال يوسف "كل الجمال الموجود فى الأرض جزء من عشرة أجزاء من الجمال والتسعة الباقية لله سبحانه وتعالى" ، فهل تكون أنت يا رجل الطريق أقل من امرأة ، ولا تقامر بعقلك فى سبيل هذا الجمال ؟

(٣٢٤٠ - ٣٢٥٠) : فالعشق إذن هو الذى يقضى على هذا الجدال بين الجبر والاختيار ، وهو الذى يغيثنا من القيل والقال ، وما يدركه العاشق لا يمكن التعبير عنه ولا يستوعبه المقال ، قلتها كثيراً ولن أمل من تكرارها ، إن العشق يفقد المرء النطق ، يصيبه بالحيرة (انظر الكتاب الثالث ١١١٥-١١١٦ وشروحها) إنه يخشى أن يفتح فاه مثلاً تسقط جوهرة الإدراك من يواطنهم ويستشهد مولانا بما رواه أسامة بن شريك عن أن صحابة رسول الله

ﷺ كانوا يجلسون فى مجلسه "وكأن على رؤوسهم الطير" عن أسامة بن شريك قال : أتيت النبى ﷺ وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير . مسند أحمد ج٤ ، ص ٢٧٨ عن أحاديث مثنوى (أنظر أحاديث مثنوى ص ١٧٨) وما هذا كله إلا خوفاً من فوات العطاء ، وأنت أيضاً إذا جلست فى محضر الرجال العظماء فاجلس بحضور ووقار ولتكن كل سمعا وإصغاء وانتباهاً ، فالطائر المذكور فى الرواية هو طائر المجد الميمون ، إذا وقع ظله على شحاذ قلبه ملكاً ، وهل تفعل الإفاضات الإلهية من أفواه الكاملين غير هذا الفعل؟ إن هذا الطائر الذى يسلبك أنت هو "الحيرة" من هذا الذى يكشف لك ولم تكن تظن أنك جدير به ، تكون صامتاً لكنه يغليك (كحبة الحمص فى الكتاب الثالث انظر الأبيات ٤١٦٢-٤١٦٩) ليحولك من حالة الإنسانية إلى حالة الملائكية، ومن جسد إلى روح، مثلما تنضج حبة الحمص لتتحول من حالة النباتية إلى دم وفكر وروح فى بدن الإنسان .

(٣٢٥١ - ٣٢٦٣) : عودة إلى قصة اياز التى بدأها مولانا فى البيت ١٨٥٧ وأشار إليها فى البيت ٣٢٠٨ وفى العنوان تعنى كلمة عامدا أن السلطان كان يعلم الجواب لكنه كان يريد أن يسمعه من إياز ، وإياز هنا هو العبد الصالح الذى يدرك حقارته أمام الخالق . كيف تجعل يا إياز شيئا دنيويا هو فى الحقيقة مانع فى الطريق قبلة لك كما جعل المجنون من شئ دنيوى هو وجه ليلى ديناً له ومذهباً ، وكيف تتحدث بالجديد "الكلام" عن هيامك مع شيئين قديمين هما الحذاء والسترة ؟ وكيف يكون عشقك هكذا للجماد مثلما كان الشاعر العربى القديم يتحدث إلى الأطلال والربع والدمن بعشقه (قدم مولانا جواباً على هذا السؤال بالذات فى الكتاب الثالث الأبيات : ١٣٤٥-١٣٥٥ وشروحها) ولب القضية هنا أنه لا حديث بدون قديم بل ينبغى أن يقوم الحديث على القديم ، تراك يا إياز تعتبر حذاءك بديلاً عن ربع آصف "وزير سليمان الذى عنده علم من الكتاب" أو ترى سترتك الجلدية هى قميص يوسف الذى ألقى على وجه يعقوب فارتد بصيرا "والذى هو عند الصوفية رمز لبشارة الافاضات الإلهية"؟ أو تراك تقوم بالاعتراف الكنسي كما يقوم النصارى أمام القسيس بالاعتراف بذنوبهم ويؤمنون أشد الإيمان أن القسيس يغفر لهم هذه الذنوب وإن غفران القسيس من غفران الله ، فى حين أن القسيس غافل هو الآخر عن الظلم وعن العدل ، لكنه الاعتقاد قد ينصب على إنسان وقد ينصب على جماد ، وينسج الحب والوهم صوراً جميلة كجمال يوسف ، لأن سحر الحب وسحر الوهم أشد سحراً من سحر هاروت وماروت (انظر الكتاب الثالث ٨٠٠-٨٠٩ وشروحها) ، إن هذا

السحر يخلق صورة على ذكراه ، وهذا الانجذاب إلى الصورة يجعلك تظنها كائناً حياً فتعاملها كما لو كانت كائناً حياً بالفعل ، فى حين أنه لا صورة هناك ولا تمثال ومع ذلك فبينك وبينها مائة سؤال وجواب ، تخاطبها قائلاً : ألست محبوباً لك وتتخيل أنها تجيب عليك قائلة لك : بلى ، وكل هذا من الوهم ومن الخيال الذى صور لك وجوداً ليس موجوداً بالفعل .

(٣٢٦٤ - ٣٢٧٤) : إن أولئك الذين يبحثون عن الله سبحانه وتعالى فى آثار خلقه فى هذا العالم أشبه بتلك الأم الثكلى التى تبكى وليدها الذى مات ، وتجلس إلى قبره وتحدثه كأنه حى فى حين أنه مجرد تراب ، إن خياله أمامها جسد لها هذا الوهم ، إنها تعتبر القبر ذا عين وأذن ، لكن عشقها لهذا الوليد هو الذى صور لها هذا الوهم ، وقد تكون أكثر حباً لهذا القبر (الوهم) من حبها لوليدها عندما كان حياً (الحقيقة) لكن عشق الميت لا يستمر ، ومن ثم أوصى دائماً بأن تعشق الحى الذى لا يموت، ومن هنا فلا تمر بضعة أيام حتى يهدها البكاء أمام قبر ذلك الطفل المحبوب فتنام ، وهل ينام المحب فى حضرة محبوبه؟ لا ، العشق الذى كان موجوداً مضى إلى حال سبيله ، "أخذ تعويذته ومضى" ، وعندما تنطفئ النيران لا يبقى إلا التراب .

(٣٢٧٥ - ٣٢٨٥) : والشيخ هو الذى يدرك هذا للوهلة الأولى ، كأنه يراه فى المرآة ، حتى وإن كان ينظر فى قطعة من اللبن ، إنه يستطيع أن يفرق بين العشق وعاقبته وبين الوهم الذى يبدو عشقاً ، والمثال مأخوذ من سنائى (انظر تفسيرات أخرى على شرح الأبيات ٢١٩٣-٢٢٠٩ من الكتاب الثالث وشرح البيت ٣٣٧٤ من نفس الكتاب والبيت ١٦٨ من الكتاب الثانى) وعن نفس هذه الفكرة عبر القشيرى عن الصوفية "مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور، والذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود، فهم من أهل الوصال والناس من أهل الاستدلال (عن شروح كفافى الكتاب الثانى ص ٤٠٤) إننى أقصد بالشيخ الذى يأخذ بيدك هو عشقك أنت لا الشيخ صاحب اللحية البيضاء فجناح العشق يعبر بك الأفلاك مهما كنت قانطا ، إن الصور تتخلق وينشط الخيال ويسيطر الوهم عندما يكون فراق، لكن شتان ما بين ما تدركه عند اللقاء وبين هذا الوهم والخيال الذى كان مسيطراً عليك ، عامل نفسه آنذاك قائلاً لك : أنا الأصل فى الصحو السكر الذى ينعكس على تلك الصور (انظر الكتاب الثالث ٣٢٥٢) إن الذى انعكس على تلك الصور فجعلها تجلت لك بهذا الشكل هو حسننا ، وعند اللقاء رفعت الحجب ، وهذا هو الحسن بلا واسطة

(انظر الكتاب الذى بين أيدينا عن جرعة الحسن الصافية دون تراب الأبيات ٣٧٢-٣٧٩) وأنت من كثرة ما امتزجت بالصور (آثار وجود الحق) وفكرت فيها وتمعنت وتحيرت واندهشت وسبحت وكبرت وحمدت صرت جديراً بإدراك الذات مجردة من الصور ، فأجذبك برش لطفي وأنت لا ترى هذا الجذب لكنك لا تلبث أن تحس بآثاره ، فينبثق منك ماء المعرفة كما ينبثق النبع من الصخرة ويتوارى وجودك خلف هذا الماء كما يتوارى وجود الصخرة خلف الماء فلا تبقى صفاتها الصخرية ، واعلم أن الوجود الظاهرى للكائنات هى مجرد أوعية قيمتها بما فيها من معان ومدركات أودعها الحق إياها .

(٣٢٨٦ - ٣٣١١) : الحكاية الواردة هنا من الحكايات الشهيرة فى الأدب الفارسى قصها سعدى فى الكلستان وضمنها أبياتاً عربية من شعر المجنون (كلستان سعدى بتحقيق فروغي ص ١٦٩ ، تهران ب.د. وانظر إحدى ترجماته العربية "جبرائيل بن يوسف المخلع أو محمد موسى هنداوى أو الترجمة الأخيرة لأمين عبد المجيد بدوى) وأشار إليها مولانا فى بيتين من الكتاب الأول (٤٠٧-٤٠٨) وهى موجودة فى هوامش الديوان المنسوب لمجنون بنى عامر ، ويجيب المجنون هنا بما يؤيد الفكرة الموجودة فى البيت ٣٢٨٥ ، وهو أنه ليس المهم الوعاء (الصورة) لكن المهم هو ما يناله الإنسان من الوعاء (المعنى) وأن المعانى ليست متاحة لكل إنسان ، بل ينبغى أن يكون جديراً بها ، فالعشق أيضاً ليس جديراً بكل إنسان ويتراوح عطاء الأوعية بقدر تراوح واختلاف استحقاق الناس فيها فقد يكون "سما" (لذة دنيوية) لإنسان وعسلا "معرفة لعالم الغيب" لإنسان آخر والصورة مأخوذة من سنائى البيت ٤٦١ من الحديقة) وقاصرات الطرف أى حور الجنان موجودات فى الخيام "الأوعيةُ" ولا يكون تجليهم إلا لمن وعدهم الله سبحانه وتعالى ، وكل شيء فى هذه الحياة نسبى وقائم على النسبة وإليك هذه الأدلة ، يوسف عليه السلام بالنسبة لأبيه وبالنسبة لأخوته وبالنسبة لزليخا (امرأة العزيز) بل أن هناك فرقاً بين حب يعقوب وحب زليخا ، انظر إلى الوعاء واحد ، ونصيب كل إنسان فيه مختلف بحسب درجة واستحقاقه وطبيعته ، الإناء واحد والخمور مختلفة ،الإناء ظاهر، والخمور مستترة ، وفى الأبيات العربية معانى تكررت فى أبيات فارسية سابقة والمقصود بها أن وجودك أيها الإله موجود فى داخلنا وإن كان مستتراً ونحن دليل على هذا الوجود .

(٣٣١٢ - ٣٣٢٤) : لا يزال مولانا فى مناجاته : إن الله سبحانه وتعالى كالريح غير ظاهرة لكن آثاره ظاهرة فى البساتين، وكالروح غير ظاهرة فى الجسد لكنها هى التى تحرك قوى

الجسد كله وكالسرور، لا يبدو لكنه يظهر فى الضحك وتهلل الوجه ، وكالماء الذى يسير حجر الطاحون دون أن يكون ظاهراً ، ويتوقف مولانا طالما قال أن آفة الحال هو المقال ، فما هذا الذى يقوله ، وما هذه الأمثلة التى يقدمها ، كيف يصف ما هو خارج الأوهام بهذه الصفات ، وكيف يتحدث عنه بهذه السطحية؟ ما أشبهه بذلك الراعى الجاهل الذى كان يناجى ربه بقوله : إنى راعيك ومحبك فتعال أخلى قميصك من القمل واخصف نعلك وأرعى حمارك؟ (القصة برمتها واردة فى الكتاب الثانى ابتداء من البيت١٧٢٤) لكنه العشق أثر فى قلبه فانطلق وهو الراعى الجاهل الغبى بهذا الحديث ، كان محباً ولم يكن خطيباً مفوهاً ، وأنت لا يتجاوز منك كل هذا الحديث الأذن .

(٣٣٢٥) : حكاية أخرى من حكايات الهزل عن مولانا، ومن حوالى ٨٠٠ بيت سبقت ، والإفاضات العميقة تنساب من مولانا ولا بد أن تحضر لطيفة فيقولها دون أن تكون خارجة عن السياق ، للتخفيف عن سامعه ، ولجحا فى الأدب الفارسى شأن ورويت عنه حكايات عديدة فى الحديقة (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٥٧٠٨-٥٧١٤ وشروحها) كما روى عنه مولانا حكاية فى الكتاب الثانى (انظر ٣١٢٨ وشروحه) . والقصة هنا لم ترد فى مصدر قبل المثنوى ، وربما كانت من التراث الشعبى وسقطت إلى عبيد الزاكانى شاعر القرن الثامن فى لطائفه ربما نقلا عن مولانا .

(٣٣٣٧ - ٣٣٣٩) : ينتقل مولانا من الفكاهة التى ألقاها ليتحدث عن تأثير الدعوة الإلهية عندما تجد لها مكاناً فى سويداء القلب وتؤثر فيه ويتجاوز تأثيرها الأذن ، والدليل سحرة فرعون الذين أدركوا أن موسى عليه السلام على حق وكانوا يعلمون أنهم لن ينتصروا عليه . وفى البيت ٣٣٣٨ إشارة إلى تهديد فرعون بتقطيع أيدى السحرة وأرجلهم (انظر الأعراف الآيات ١٠٥-١٢٠ وانظر الكتاب الثالث من البيت ١٧٢٣ فما يليه) وفى البيت ٣٣٣٩ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ (الشعراء ٥٠) .

(٣٣٤١) : ذات الإنسان هنا هى الروح التى تربطه بعالم المعنى وهى فى اتصالها بالوجود المطلق تعيش فى قصر موجود فى الأمن السرمدى ذلك أن من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه كان فى حمى وأمن من هذه المعرفة ، والجسد هو بمثابة الشىء التافه الذى يرضى الأطفال ، لأن الطفل لا هم له فى المعرفة أما الرجال فهمهم القلب ، ذلك القلب الخالى من الشكوك والريب والمطمئن إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وأنا أقصد بالرجل ذلك الرجل

فى الطريق صاحب القلب الفريد والروح التى تكون في قوة الصقر ، ولست اقصد به صاحب اللحية ، وإلا فلا قيمة لهذه اللحية وهو مشترك فيها مع التيس، والتيس الذي يغتر بلحيته ومظهره يقود القطيع إلى القصاب "شيخ المظهر لا القلب يقود مريديه إلى الذبح " ، انه يمشط لحيته " التيس وشيخ المظهر " ، ويتقدم إلى المذبح ، فهيا دعك من اللحية والمظهر ، وانظر إلى " سلوك " من اخترته شيخا ودعك من أنيتك وذاتك ، وأسلم نفسك له ، يكون لك من عبيره ما يجعلك مرشدا للعاشقين إلى رياض جنان الأبد ، أتدرى ما هذا العبير؟ إنه العقل والنهى. إن هذا العقل والنهى هو المرشد الطيب الذي يقودك إلى الفناء عن هذا العالم والبقاء ببقاء الحق في ملك الأبد .

(٣٣٥١ – ٣٣٥٥) : عودة إلى قصة المملوك اياز التى بدأها مولانا في البيت ١٨٥٨ ويعود إليها بين الآن والآخر، وها هو السلطان يطلب مرة ثانية من اياز أن يبين سر الحذاء والسترة، كى يكون في ذلك موعظة للمماليك الآخرين الذين هم في حوزة محمود ، ذلك أن الدين النصحية (حديث نبوى) ، إننى أعلم أنك يا اياز بتحقيقك العبودية " الوفاء للسيد والاعتراف بأياديه " قد علمت ذاتك وهو ما يتحسر عليه الأحرار ، إن العبودية أمام السلطان " الأكبر " هى عين النور ، إن إيمانك بالسلطان لا يتزلزل ، وهذا حسرة للكافرين من المؤمنين أن المؤمن في وهاء الحياة وجبالها لا يتزلزل ولا يفقد عبوديته أمام الخالق الأكبر .

(٣٣٥٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (ص ١٧٦) : قيل لمجوسى " ادخل في الإسلام فقال : إذا كان الإسلام هو ذلك الذي عند ابن اليزيد فلا طاقة لى به ولا أستطيعه ، وإذا كان هو ما تمارسونه فلا حاجة بى إليه قط ،" وعندما يقول باحث معاصر : " عندنا أزمة مسلمين لا أزمة إسلام " ، يكون ناظرا إلى قول هذا المجوسى الذكي ، إن الإسلام بخير دائما ، موعود بالحفظ إلى يوم الدين ، لكن أولئك الذين يعتنقونه اسما لا فعلا ، وأولئك الذين يدعو أنهم يدافعون عنه ويريدون الموت من أجله يسيئون إليه من حيث لا يدرون ، ويشير مولانا من طرف خفى إلى قولة الإمام على الشهيرة : لا تبحث عن الحق بالرجال ولكن ابحث عن الحق تجد الرجال ، فإن قلت أن الإسلام هو ذلك الذي يتشدق به جميع المسلمين به ، فويلنا !! لقد صار اسما ولا معنى .

(٣٣٦٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا المعنى وردت قبل المثنوى في فرائد السلوك ووردت في ربيع الأبرار بشكل مختصر ، ويدور الحديث في فرائد السلوك عن مؤذنين في " تفليس " ،

(هى عاصمة جورجيا الآن) ، أحدهما كان أهل تفليس يسرون من أذانـه ومـن صوتـه والثـانى كان قبيح الصوت بحيث أهدوه الهدايا حتى يغادر تفليس ولا يـؤذى المسلمين بصوتـه (مـآخذ ١٨٥-١٨٦) أما رواية ربيع الأبرار فهي : مر سكران بمؤذن ردئ الحنجرة فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه واجتمع عليه الناس ، فقال : ما بى من رداءة صوتـه ولكـن شـماته اليهـود والنصـارى بالمسلمين . (مـآخذ /١٨٦) . ولسعدى فـي البـاب الرابـع مـن الكلستان حكايتـان قريبتان من هذه الحكايـة عن خطيـب كريـه الصـوت ومـؤذن سـنجار المتطـوع (ص ١٥٦ - ١٥٧ كليات) ، والحكاية في معظم نصوص المثنوى غامضة في البداية إذ كيف يؤذن المـؤذن فـي ديـار الكفـر ، وهـى تبدأ فـي نسـخة جعفـرى بـإحدى عشـر بيـت غير موجـدة فـي كـل النصوص، أن المؤذن كان قبيح الصوت بحيث كان يؤذى الناس بصوته ويفـزع الأطفـال مـن نومنهم فجمعوا له الأموال ودعوه إلى رحلة الحج مع قافلة مسافرة ليتخلصوا منـه ، ثـم تـدور الحكاية كما هى موجودة في بقية النصوص ، والمعنى هنا لا يخفى ، إن الإسلام طيـب فلابـد أن يكون كل ما فيه طيبا ، ولابد أن يعى الدعاة هـذا الـدرس وبخاصـة أولئك الدعـاة الذيـن لا يملكون قلبا يصلح للدعوة أو لسانا يصلح لها أو علما يصلح لها ، بحيث لا تجدى دعوتهم نفعا لأن الدعوة إلى الحق والدعوة إلى الخـير لابـد أن تكـون فـي إطـار جديـر بهـا ، ولأن الداعـى ينافس وسائل إعلام تقدم الزيف والفساد في إطار شـديد الجمـال ، لا فـي فظاظـة وسـوء خلـق وخلقة والعياذ بالله ، وبيـان نـاب لا يتـورع عـن الإتيـان بـاللفظ الخبيـث ويسـمون ذلـك ورعـا وخشية !!

(٣٣٩١ - ٣٣٩٢) : هذا المثال واردٌ في شعر أوحد الدين الأنورى بشكل مفصل وربما قرأه مولانا في ديوان أنورى (استعلامى ٣٧٤/٥) . وربمـا كـان أيضـاً مـن الحكايـات الرائجـة فـي أفواه العوام .

(٣٣٩٤ - ٣٣٩٥) : إن مؤمنا حقيقيا يستطيع بسلوكه وليس ببيانه أن يهدى أمة إلى الإيمـان، مثل الخيال (أو الهدف) الموجود في قلـب السلطان أو فـي قلـب عسكره يجعـل هـذا السـلطان ويجعل هؤلاء الجنود يجعلون خصومهم بددا في القتال ، إن القلب هو الأساس ، والهـدف هـو الأساس ، وكان مولانا قريب عهد بما صنعه المغول في الأمة .

(٣٣٩٧ - ٣٤٠١) : لقد كان محمد بن عبد الله ﷺ فردا واحدا ، لكنـه أفنـى اليهـود " وليتـه فعل " والمجوس ، ويعـود مولانـا وربمـا سـأله أحدهـم : لكـن اليهـود والمجـوس موجـودون ،

فيقول : لقد اهتز وجودهم ، فما قيمة البقاء على دين منسوخ ظهر فساده ، لقد آمن به من آمن، لكن الذين بقوا على كفرهم بقوا عليه مهتزين وليس لهم ثباتهم الأول ، وبقوا في خوف (كل ما تفعله إسرائيل مع العرب والمسلمين مصدره الخوف من أن تعود لهم قوتهم الأولى) ، ويعود مولانا قائلا : إنه ما أقوله على كل حال لا يستطيع أن يصور ما يدور في ذهني تصويرا كاملا ، إن ما أقوله ذرة من وجود، لكن ما الذرة ؟! أهي ذلك الهباء الذي يتجسد في ضوء الشمس ، لا ليس هي ما أقصد ، أو تكون الذرة هي ذلك الذي لا يتفتت ولا ينقسم ، ولا هذه ، (تراه كان يقصد الذرة التي تفتتت وصار العالم منها خرابا يبابا ، من يدرى ؟!) وما هو المراد الخفي الذي لديه من ذكره للذرة ، إنني أريدك أن تفهم مني ما أقول ، ولا محيص من أن أتحدث إليك بهذا الأسلوب لانك لم تدرك بحر الحقيقة بعد وأنت عليه مجرد زبد طاف ، وإن تركت هذا الوجود الذي يشبه الزبد ، فأنت البحر نفسه .

(٣٤٠٢ - ٣٤٠٨) : الكلام هنا للمجوسي الذي يتحدث بهذا الاعتقاد عن أبي اليزيد البسطامي، إن مشرق إيمانه ليملأن حتى حضيض الأرض بالكنوز ، ومن هذا النفس الرباني تخضر الوهاد ، عجيب هذا الشيخ ، وعجيبة روحه المنيرة في حين أن له مثلنا جسدا من تراب ووجودا ترابيا ، فمن يكون يا ترى منهما ، أهو هذه الروح ؟! إذن فما هذا الجسد ؟! أهو هذا الجسد ؟! إذن فما هي هذه الروح .

(٣٤٠٩) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت قال استعلامي انه لم يجد لها أصلا قبل مولانا (٣٧٤/٥) ، واذكر أنني قرأتها في عهد طفولتي في إحدى الطبعات الشعبية من " نوادر جحا " وأن الحكاية كانت بين جحا وزوجته ، وبالطبع لا يمكن تحديد مصادر هذه النوادر وهل هي موجودة قبل مولانا جلال الدين أو بعده. وبالطبع يرمز باللحم لروح ابي اليزيد والقط بجسده ، والإتيان بمثل هذه الحكاية اللطيفة داخل هذا البيان العميق المعقد يبين جانبا من جوانب روح مولانا جلال الدين وارشاده ومستويات المثنوى المتعددة التي تتعدد بتعدد مستويات مريديه .

(٣٤٢٠ - ٣٤٣٩) : الحديث للمجوسي : إنه كلما تأمل في شخصية ابي اليزيد يزداد حيرة ، هذه الحيرة التي لا تتأتى منه حلها ، ولا تتأتى أيضاً من مخاطبه ، والبيت التالي لمولانا : إنه كلاهما معا : أي روح وجسد ، مثلما يكون في الزرع الحب (الروح) والقش والتبن (الجسد) ولابد للحكمة الإلهية أن تجمع هذه الأضداد معا ، ووجود الجسد ضروري لأنه مركب الروح وكلاهما لازم للآخر ، وبكليهما معا تصح أسباب الدنيا ، وبعد إدراك الحقائق ، وبعد أن

تقضى هذه الحياة الدنيا يمضى كل عنصر إلى أصله (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث، الأبيات ٤٤٢٤ - ٤٤٤٤ وشروحها) وانتبه عبد الباقى (5/5240) إلى أن هذا المعنى مأخوذة من قطعة لسنائى موجودة ص ٧٧٤ في الديوان . إن الروح والجسد هما السبب في وجودنا الأساسى فيه ، هذه العلاقة بينهما ذات الارتباط باحتياجات وتناقضات موجودة في داخلنا لكن في الوجود علاقات من نوع آخر لا شهدتها عين ولا سمعتها أذن ، لأنها ليست من قبيل الحسيات ، وبعد إدراك حقائق الغيب لا حاجة لنا بحواس هذا العالم ، ولما بقيت الأذن أذنا ولا العين عينا ، تماما مثل الثلج والشمس ، أو المعرفة والوجود المادى ، فلو أطلت المعرفة على الوجود المادى لجعلته ماء (فيضا) ودواء لكل أشجار الحياة المتيبسة، أما ذلك الوجود المادى المتمثل في الثلج فلا سير روحى له ولا سير معنوى ولا فائدة منه لأحد ، ولا علاقة له بأحد ، ولامساس منه لأحد ، ولا يوجد منه إلا الشح فهو ليس مؤمنا (لان المؤمن يألف ويؤلف والمنافق لا يألف ويؤلف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) (أحاديث مثنوى ١٧٩) ، لكن خلقة الله لا تكون عبثا ، لقد يستفيق الكبد من هذا الثلج ، لكن لاإنماء منه ولا إنبات ولا خضرة ولا نضرة ولاحياة ، ويعود مولانا مرة ثانية إلى رابط هذا الكتاب من كتب المثنوى : اياز أو العبد المعترف بعبوديته الشاكر لأنعم ربه ، يا اياز تحدثت عن أبى اليزيد لكن نجمك أيضاً في صعود وعلو وسمو، لأن إيمانك ووفاءك لا يمكن قياسه بإيمان العوام ووفائهم إن كل وفاء ليس جديرا تهبك وكل صفاء غير لائق بصفاتك .

(٣٤٣٩) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قال فروزانفر : أنها تشبه حكاية واردة في إحياء علوم الدين للغزالى ، بطلها أبى الحسين النورى الذي حطم دنان خمر كانت تحمل للمعتضد العباسى ، (مآخذ /١٨٧) ، وبالطبع عدل مولانا في تفصيلاتها كعادته في كل القصص التى ينقلها عن المصادر لكى يعبر من خلالها عن معان خاصة به ، والعنوان به بعض التناقض ، فإذا كانت الخمر حلالا في ذلك العهد الذي يصفه بأنه عهد عيسى فما وقوف الزاهد في الشارع للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكسره لجرة الخمر التى يحملها الغلام من هذا المنطلق ؟! وهناك بالطبع من فقهاء الإسلام من قال بأن الخمر محرمة في الأديان الآخر على أساس أن تحريمها في الإسلام لأنها تذهب العقل وهذا شأنها في كل العصور (جعفرى : ٤٧٥/١٢-٤٧٦) ، ولابد أن مولانا جلال الدين كان يقصد خمرا أخرى لكى يصف الأمير معاقر الخمر بأنه " حلو الروح" ، وكهف المساكين و " المخمورين " ، ومشفق وسخى القلب

في حين أننا بتقدم الحكاية سوف ندرك من أخلاق هذا " الأمير " ، وتصرفاته ما يناقض كل هذه الصفات التى وصفه بها ، وسوف تقدم له النصائح بالبعد عن الخمر ، ويظل موقف مولانا جلال الدين ممن يجلسون على كرسى الإمارة " واضحا " كما عبر عنه في الكتاب الثالث (الأبيات التى تتحدث عن طغيان فرعون وعن باب الحطة الذي يذل الجبارين وفي الكتاب الرابع عن الوزير المقتر البخيل ، وحيثما عن له الحديث عن جبارى الأرض) ، والأمير الذي يقدمه هنا والجو العام للقصة يشير إلى بعض أمراء المسلمين الذين ضربوا بتعاليم الدين عرض الحائط وعله غلف الحكاية بعهد عيسى عليه السلام لكى يبعد الشبهة عن نفسه ، فأغلب الظن أنه كان يصف واحدا من أمراء السلاجقة العديدين الذين كانوا يحكمون إمارات الأناضول المختلفة في عهده وعندما وصفه بأنه " كهف المخمورين " ، كان يسخر منه .

(٣٤٤٦ - ٣٤٥٣) : أي خمر هذه يا ترى التى يجد منها العوام والخواص الخلاص !! غير تلك الخمر الإلهية التى تقوم جرعتها بفعل آلاف الدنان من الخمور الأخرى ، ففى هذه الخمر الإلهية مادة خفية ، تشبه تماما تلك القوة الروحية التى تجعل من رجال الله وهم متلفعون بعباءاتهم سلاطين على الدنيا وملوكا ، لا تنظر إذن إلى خرقهم الممزقة، إنها دريئة تخفيهم عن أعين العوام ، تحميهم من أذاهم ، كما يسود الذهب لكى يحمى من اللصوص ، انظر إلى الجواهر، يقوم الجواهرى بتسويدها حتى لا يتعرف اللص عليها (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢١٧١ - ٢١٧٣) ، ومن هذا القبيل دفنت الروح في الجسد كما تدفن الكنوز في الخرابات ، وذلك من أجل حجبها عن كل لعين لاحق له فيها ، ومن هنا كان جسد آدم سدا أمام نظر إبليس إليه ، فنظر إليه ولم يبصر روحه (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٣٠١ - ٢٣٠٢) .

(٣٤٥٥ - ٣٤٦٠) : ينطلق مولانا في وصف الخمر التى اشتراها الغلام بما يوحى بأنه لم يكن يقصد تلك الخمر الدنيوية " فأراد بالأمير الروح وبالغلام النفس ومن الجرتين العقل والقلب ومن الرهبان أرباب الرياضات والمجاهدات من أهل الإسلام ، ولو انبعث نور العشق الإلهى من قلب سلطان الإرشاد وأرشد المريد لوضع الله على رأس المريد تاج الكرامة وأعطاه الدرجات العاليات (مولوى ٥/٥٠١) ، ولأثار هذا الشراب فتن العشق وأشواقه ، ولعلم جميع الناس من سادة وعبيد أنهم دون هذا العشق سواسية ولامتزجوا معا بحثا عنه وطلبا له ، ولعلم الملوك أن عرشهم ما هو إلا لوح من خشب (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٩٠٨ - ٩٠٩ والبيت ٦٦١) ، ولتحولت العظام (وهى جماد الجسد) ، إلى أرواح ، وكل هذه

متضادات إن كان ثم صحو لكنها عند السكر ممتزجة امتزاج اللحم بالبر في ذلك الطعام المسمى بالهريسة ، فلا فرق إذا لا غرق أي لا سحو واستغراق في الفروق .
(٣٤٦٢ - ٣٤٧١) : يصور مولانا الزاهد بأنه ذلك المستغرق في الرياضات المتعصب ، الذي توجهت إليه الأحزان من كل صوب ، وأصابته الدنيا بجراحها ، فكأنه زاهدٌ ليس حبا في الزهد أو طلبا لطريق الله ولكن زهد في الدنيا كرد فعل لخداعها إياه ومكرها به ولكثرة ما أصابه من مصائب فيها ومن جراح من جرائها ، وهذا النوع من الزهاد يكون ضيق الصدر ، يتمنى لو استطاع أن يهدم هذا العالم ويبنيه من جديد فإن كان مضطرا إلى الإقامة وسط الناس، لقى الناس من عنته الكثير فينزل إلى الشوارع لأول بادرة من حزن أو انقباض ، ومن خلال حوار هذا الزاهد نعرف أن الأمير طالبٌ (للحق) مثله مثل أي إنسان سوى ، وندرك هنا أن الخمر هنا هى الخمر المادية العادية ، ويستبعد الزاهد من أمير طالب عقله مرتبط بعقول الآخرين ، وهناك عقول تعتمد عليه أن يفقد وعيه ، خاصة وأنه ليس مفيقا بلا خمر ، فماذا تكون النتيجة إذ شرب هذا الضعيف العقل الخمر ؟!
(٣٤٧٢) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت يذكر استعلامى أنه لم يعثر على أصل لها قبل مولانا ، ويذكر أن الألقاب التى ذكرها مولانا جلال الدين في العنوان من الألقاب الشائعة في أيام السلاجقة والخوارزمشاهيين (٣٧٧/٥) ، ويرى زرين كوب أن هذه الحكاية ذات أصول تاريخية عن بعض حكام بلخ (مسقط رأس مولانا جلال الدين) ، (سرنى را ، ص ٣١١)، وليس من المستبعد أن تكون الحكاية قد تمت في حضور بهاء ولد (والد جلال الدين) وأن يكون قد قصها عليه فيما بعد ، وبقيت في ذاكرته مثل كل شئ عن بلخ وبلاد ما وراء النهر التى عاش فيها طفولته المبكرة ، والحكاية ضربت هنا لبيان أن ضعيف العقل لا يزيده ضعفا بشرب الخمر ، كما أن مفرط القصر يبين قصره المفرط بالهم بالقيام كما يفعل طوال القامة .
(٣٤٨٠ - ٣٤٩٢) : المخاطب هنا هو الأمير : إنك لا تملك عقلا شديد اليقظة والذكاء بحيث " تريحه " ، قليلا بالخمر ، فما أشبهك بعبد حبشى يصبغ وجهه بالنيلة وهو أصلا لا يحتاج إليها ، وإن الإنسان ليبحث عن انعدام الوعى إذا كان عنده وعى أصلا ، ويقول الزاهد أن هذه " الخمر " ، إذا كان الله سبحانه وتعالى أحلها في زمن عيسى عليه السلام للعوام فلابد أنه حرمها على الخواص الذين يطلبون وجه الله ، وقصة تحريم الخمر في الإسلام شهيرة فليطلب من تفسير الجلالين على الآية الكريمة ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (المائدة /٩٠) ، والعشاق يسكرون من خمر المعرفة ومن ثم حرمت عليهم هذه الخمر ، إنهم ينظرون إلى طريق الحق وينتظرون منزل الوصول إليه فلابد أن يكونوا في غاية اليقظة والانتباه ، والعقل الذي تتمتع به أيها الأمير ، هو عقل يغيب عن الوعى دائما وشمسه في غياب وكسوف مستمرين رغم وعورة الطريق، وإنك لهذا تضلل المرشدين في هذا الطريق ، وتجعل رعاياك هالكين ضالين وما أحراك بأن تعود هذه النفس على الزهد ، فلا تجعلها تتمرد عليك بتعويدها على التنعم ، وافطمها عن لذائذ الدنيا ، وخذها بالاخشوشان ، إنها لص فاشنقها أو اقطع يدها ، أو قيد هذه اليد وإلا كسرت قدمك وأذلتك ، اسخر منها واجعلها تأكل التراب .

(٣٤٩٥ - ٣٥٠٦) : ها هو الأمير الذي كان مولانا يصفه بأنه أمير المؤمنين وكهف المستجيرين في صدر الحكاية يسفر عن وجهه الحقيقى ويستشيط غضبا وينهمر بالشتائم الخارجة على الزاهد ويذهب نفسه لتأديبه ويقف له وهو (الأمير) ، على قارعة الطريق يتهمه بهذه التهمة التى يتهم بها الطغاة الدعاة دائما بأنهم طلاب شهرة لا أكثر ولا أقل ، كل هذا والزاهد المسكين يختفى من غضبته هذه تحت الأغطية ، يهمس لنفسه قائلا : المرآة فقط هى التى تستطيع أن تواجه هذه الأمير بقبح وجهه ودمامة منظره ، وجهها الصلب الذي لا يخشى الكسر (كانت المرايا من الحديد المصقول) هو الذي يستطيع أن يواجه الأمير بقبحه وجبروته وجرأته على الحق .

(٣٥٠٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ، قال استعلامى (٣٧٨/٥) انه لم يجد لها أصلا ولا يعرف أي حاكم لمدينة ترمذ كان سيد شاه ترمذ هذا ، بينما ذكر زرين كوب (سرنى ٣١١/١)، أنها ربما كانت من بقايا بعض الحكايات الشعبية عن بعض الحكام المحليين في ترمذ من الأسرة الحاكمة التى كانت معروفة باسم أسرة " السيد الأجل " ، على كل حال أيا كانت أصول الحكاية ، فإنها تؤكد ما ورد من أنه لا يمكن نقد الطاغية في وجهه ولا يمكن أن تقال الحقيقة في شأنه إلا " تحت اللحاف " .

(٣٥١٦ - ٣٥٣٤) : لا يزال الأمير في عنفوان غضبه وصياحه ورفسه للأبواب (فى منتصف الليالى !!) بحيث نهض الناس من نومهم - وهم جماعة - يلتمسون من " الفرد " الغاضب العذر للزاهد المسكين الذي نصحه نصيحة في محلها ، لقد كان أقاويل الناس كلها تحط من قدر الزاهد من أجل أن تنقذه من غضبة الأمير : فهو ضعيف العقل ، وهو زاهد

وشيخ ، وهو في حالة قبض دائما ، وهو أيضاً لم ير جـزاء لزهده هذا ، وصـار سـعيه تبابـا كأنه سعى اليهود لا إخلاص فيه ، وهو بلا أصـل ، وحيد ، مسكين ، قـابع فـي داره عبـوس قمطرير ، ثم إن عينه تؤلمـه ، وهـو مجتهد دون يقين ودون حـزم ، علـى الاحتمـال والوهـم والظن ، ثم إنه لا يبحث عن " الرئاسة " ، أي لن ينافسك أيها الأمير الأجل ، حتى في عبادتـه ليس ثابتا على حال ، إنه يشكو إلى الله دائما أنه غير مفلح في دنيـا وغير مفلـح فـي عبـادة ، وأحيانا ينعى حظه مـن الدنيـا ، أن الآخرين يطـيرون بأجنحـة المعرفـة وهـو مجـرد (زاهـد) مقطوع الجناح ، إنه أيها الأمير ذو لون واحد ، سجين لطريقة واحدة من طـرق المعرفـة هـى الزهد ، وكل سجين للون واحد يكون في ضيـق واكتئـاب ، إننـا حتـى نخشـى عليـه مـن كـثرة اكتئابه ، أن ينتحر وينهى حياته ، حزنا على ما أصيب به من خيبة وما حاق به من أحزان .

(٣٥٣٥) : يبدو أن مولانا انهمك في قصة هذا الزاهد وحالته وانقباضه ويأسه وقنوطـه " مـن الهجـر " وأراد أن يثبـت أن الهجـر قد يـؤدى بالعـارف إلـى " الانتحـار " ، فسـاق قصــة عـن الرسول ﷺ أغلب الظن أنها من القصص المنتحلة أو الموضوعة ، وإن كان فروزانفر قد ذكر أن هناك بعض الأخبار فى سيرة ابن هشام ورواية عن ابن عباس في دلائـل النبـوة تصلـح أن تكون أساسا لهذه القصة (مآخذ /١٨٨) . عن ابـن عبـاس إن رسـول اللـه ﷺ لمـا نـزل عليـه الوحى بحراء مكث أياما لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كاد يعدو إلى بثير مـرة وإلـى حراء مرة ، يريد أن يلقى نفسه منه، فبينا رسول الله كذلك عامدا لبعض تلك الجبال ،اذا سـمع صوتا من السماء فوقف رسول الله ﷺ صعقا للصوت !! (جعفـرى ١٢/٤٩٤) . كمـا مـر بنـا ذكر مولانا لمحاولة الشيخ محمد سروزى الغزنوى إلقاء نفسه من فوق الجبل لأنه لم يوفق في الوصول إلى الجمال الإلهى (انظر ٢٦٧٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) وفي البيت رقـم ٣٥٤٠ كشف الحجاب : أي أدرك نور النبوة من داخله .

(٣٥٤١ – ٣٥٤٨) : يعلـق مولانـا : كيف أن النـاس يفكـرون فـي الانتحـار عند كـل محنـة يواجهونها وهم يتحملون أصل المحن داخل أنفسهم ، أي تلك " النفس " ، التى تعتبر أصل كـل المحن ، وهنـاك مـن يضحـون بأنفسـهم ، وأنـا فـي حيرة مـن أولئـك الذيـن يضحـون بحيـاتهم وأرواحهم ، لكن ألا يضحى كل منا بحياته ويهب كل عمره لشئ مـا ، فمـا أسـعده ذلـك الـذي يضحى بجسده من أجل روحه ، وإذا كان كل إنسان مستعدا للقتل فـي سـبيل شـئ قـد لا يبقـى بعده ، ويضيع المشتاق والمشتاق إليه ، فلماذا لا تكون التضحية بالروح في سبيل هذا العشـق،

كما كان ذلك المقبل العظيم محمد بن عبد اللـه ﷺ ، يريـد أن يفعل ، إنـه العاشـق والمعشـوق والعشق فكلها واحد (تذكرة الأوليـاء ، ١٨٩ فـي قـول لأبـى اليزيد البسطامى عن استعلامى ٣٨٠/٥) ، إن مائة حياة كانت في هذا القتـل (عن البقـاء بعد الفنـاء ، انظـر مقدمـة الترجمـة العربية على الكتـاب الثـالث) ، فـإذا كـان أهل الهوى فـي نـوى بعد نـوى وهجر بعد هجـر فارحموهم أيها الكرام فلستم تعرفون ما بهم من عذاب .

(٣٥٥٢) : " إنما يرحم الله من عباده الرحمـاء " (أحـاديث مثنـوى ، ص ٧) ، و " الراحمـون يرحمهم الرحمن " (انقروى ٧٥٠/٥) .

(٣٥٦٢ - ٣٥٧٠) : لم يعد هناك من بد من التقرب إلى الأمير و التشفع للزاهد عن طريـق النفاق ، لقد بلغ غضبه قمته " والطاغية أصل الغضب " ، ولم يعد هنـاك إلا التقـرب إليـه عـن طريق مدحه بما هو ليس فيه ويرى استعلامى أن الأبيـات هنـا فـي مـدح " الإنسـان " لكـن إذا جاز هذا من البيت ٣٥٧١ فلا ينطبق على الأبيات التى قبلها التى يوصف فيها الأمير بالجمـال واللطف والخد المورد إلى آخره ، والكريم ابن الكريم ابن الكريم في حديث نبوى هـو يوسـف عليه السلام (مولـوى ٥١٥/٥) ولعـل استعلامى انطلـق مـن يوسـف بـن أحمـد المولـوى الـذي فسـر الأبيات هذا التفسير الذي فحواه : أي جمال يطلبه الإنسان من الخمر وهو من جمله الله تعـالى بنفخته وجعل وجهه كشمس الضحى ، وجعله منورا لكوكب الزهرة (مولوى ٥١٥/٥) ، وإلـى مثل هذا التفسير ذهب إسماعيل الانقروى (٧٥٣/٥ - ٧٥٥) .

(٣٥٧١ - ٣٥٨٢) : من هنا يترك مولانا قصة الأمير والزاهد " دون أن يتمها فلا نعـرف إن كان قد عفا عنه أو انتقم منه " ويتحدث عن الإنسان الكـامل ذى الأبعـاد التـى تخـرج عن هـذا العالم واحتياجات هذا العالم ، إن الوجود كله فـي شـوق إليـه ، ذلك الإنسـان المتصـل بـالبحر الكلى ، فكيف يتوق إلى قطرة من خمر هذه الدنيا ، الإنسان الذي قال الله فيـه ﴿ ولقـد كرمنـا بنى آدم ﴾ ، وقال ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، إنه هو الجوهر الذي سخرت له كل الأعـراض وكل الخليقة " يا ابن آدم خلقتك لأجلـى وخلقـت كـل الأشـياء لأجلـك " (أحـاديث مثنـوى ، ص ١٨١) ، لقد سخر له العقل والتدابير واللب ، ومع ذلك فقد باع نفسـه رخيصـا ، " كـان أطلـس فخاط نفسه على خرقة " ، إنك أصل كل علم ومع ذلك تبحث عن العلم فـي الكتـب ، لـك قلـب يسع الخالق الذي لا يسعه الأرض والسماء ، وهكذا ففى وجود فـي حجـم قطـرة الظـل اختفـى بحر ، وفي جسد حدة ثلاثة أذرع ، هناك عالم أكبر قد انطوى :

أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

أتراك تبحث عن السرور خارج نفسك وأنت معدن السور ، كيف تكون شمسا وتطلب السرور من ذرة ، وكيف تكون معدن السرور " كوكب الزهرة " ، وتطلب السرور من جرة ، والروح التى لا توصف ذلك العالم العجيب تجعل لها كيفية للسرور ، والشمس ، الشمس العظيمة تحبس في عقدة الرأس أو عقدة الذنب " أدنى هبوط الكواكب وفيه يقع الكسوف " (لأفكار مفصلة حول موضوع تكريم الإنسان عند فكر مولانا جلال الدين ، انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، من مثنوى جلال الدين ، تحت عنوان الإنسان ذلك العالم الكبير) .

(٣٥٨٣ – ٣٥٩٠) : يرد الأمير بأنه لا يقتنع بهذه السعادة التى يتحدثون عنها ، إنه " خدن " " لهذه " الخمر ،ويصف أحوال في السكر بها ، وأن من جرب لذة هذا السكر لا يمكن أن يقبل تلك اللذة التى يتحدثون عنها ، إنها لذة خاصة بالأنبياء ، لأن الأنبياء قانعون بلذة القرب من الحق ، وذلك لأنهم ذاقوها ، ومن ذاق عرف ، ومن هنا فهم عشاق للمحجوب الحى ، ومن عشق محبوبا حيا ، كيف يأنس بمحبوب ميت من أنس بالآخرة كيف يأنس بالدنيا ؟!

(٣٥٩١ – ٣٥٩٨) : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (العنكبوت /٦٤) ، ويكرر مولانا في المثنوى هذه الفكرة القائلة بأن كل شئ في الدنيا حتى الحجر شاهد بوجود الحق وعالم الغيب بشرط أن يفتح عين باطنه (انظر ١٠١٩ و ٣٩٠٣ من الكتاب الثالث) ، والعبارة المذكورة في العنوان ليست حديثا نبويا بل تنسب حينا إلى الإمام على ﷺ وحينا إلى الإمام على زين العابدين السجاد ﷺ (استعلامى ٣٨٢/٥) ، ويقابل مولانا جلال الدين بين عالمين : عالم من الأحياء وعالم من الموتى ، ومن ثم فإن من صار حيا بالنفس الإلهى لا يهنأ له عيش في دار الموتى فطعامها يليق بالأنعام ، ومن أنس برياض الجنة لا يقيم في هذه القمامة ، والروح لا تستريح إلا إذا عادت إلى موطنها في عليين أما من يقيم في هذا البعر فهو دودة ، والكأس الطهور ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ هو للثملين بالله ، وذلك الذي لم يأنس بعدل عمر رضى الله ، يقول عن الحجاج بن يوسف الثقفى سفاح بنى أمية ، أنه عادل ، والبيتان التاليان مأخوذان من حديقة سنائى (حديقة الحقيقة ، الأبيات ٦٩٦٢ – ٦٩٧٠) ويشيران إلى أن الدنيا مجاز للآخرة ، وصورة طفولية ، مجرد صورة لا نفع فيها ، والحقيقة الكبرى هناك في الآخرة ، في العالم الحى الباقى ، والفكرة عند سنائى أكثر تفصيلا .

(٣٥٩٩ – ٣٦١٥) : وهكذا لأن الكفار من عشاق الصورة فقد صوروا الأنبياء على جدران الأديرة والكنائس وقنعوا بهذه الصور ، ونحن لا تهمنا هذه الصور في شئ ، فنحن مازلنا في نوبة ضياء محمد بن عبد الله ﷺ ودينه حى في نفوسنا وقلوبنا فلا حاجة لنا بتصويره على الجدران ولا حاجة بنا إلى الظلال، فإن كانت صورة أحدهم قد بقيت في الدنيا ، فإن الآخر صورته في كبد السماء ، وهناك إنسان جلس يستعرض نفسه ويتحدث إلى الآخرين بالنقاط ، وهناك إنسان آخر يعيش مع الحق تعالى في آلفة ويتحدث إليه . إن أذن جسده تسجل الكلام الذي يسمعه هنا لكن أذن باطنه تجذب إليه أسرار عالم الوجود ، وعينه الظاهرة مركزة على البصر لكن عين السر حائرة في ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ (انظر عن الفرق بين العينين الكتاب الرابع الأبيات ٢٦٤١ – ٢٦٤٤ وشروحها) ، وبينما تكون قدمه (الظاهرة) في صف الصلاة ، تكون قدمه الباطنة طوافة حول الفلك وهكذا فعدد أعضاءهم ، هناك أعضاء ظاهرة هى التى تموت بموتهم وهذه لا يهمنا أن تصور على الجدران ، إنما يهمنا تلك الأعضاء التى هى خارج الزمان والتى لا تموت ، وفي نفس الوقت لا يمكن تصويرها لأنها معانى، إنها تتبع ولا تصور ، وما للأنبياء يكون للأولياء ، ومن ثم فإن ذلك الولى الذي هو ولى الدولتين (دولة الظاهر ودولة الباطن) ، وإمام القبلتين (قبلة الكعبة ووجه الله) ، إن مثل هذا الولى الذي اقتبس أسرار الأنبياء وتمثل بهم لا تلزمه خطوات الولاية التى تلزم الناس العاديين فلا خلوة ولا أربعينيه تلزمه (عن الخلوة والأربعينية انظر الكتاب الثالث ١٦١٦) بالنسبة لهؤلاء البشر الذين نجو من حلقات الضياء والظلام في الليل والنهار ووضعوا أقدامهم في نور الأبدية، لا حاجة هناك إلى خلوة ، إنه كامن في قرص الشمس (فى منبع النور ومصدره) .و ما أشبه هذا القول بقول سعدى :

إن الليل بالنسبة لأولياء الله   يتلألأ كأنه النهار المضى

وهذه العادة ليست بقوة الساعد   بل يهبها الله الوهاب

(انقروى ٥/٧١٣)

وقد مر في الكتاب الرابع قصة أبى عبد الله المغربى الذي لم ير ظلمة الليل طيلة ستين عاما (انظر الأبيات ٥٩٨ – ٦٠٦ من الكتاب الرابع) . لم تعد هناك خشية ولا مرض وبحرانه (الروحى) انتهى تماما . لم يعد بين الشك وبين اليقين، لقد تبدل كفرهم إلى إيمان كامل ، لا شئ لديهم إلا الألف المجردة (الاستقامة المجردة بلا إضافة نقطة أو غيرها وبلا انحناء) ،

خرج عن أوصافه ودخل في أوصاف الحق فذاب فيها ، صار عاريا من كسوة الطبع أي من أدران المادة وإضافات الجسد ، وأصبحت روحه عارية محتاجة إلى ذلك الحبيب الذي يطيل العمر ، فألبسه الله تعالى زداء القدس والملكوت من أوصافه جل شأنه ، فسما به من حضيض الوجود إلى قمته ، هذا هو الأمير الحقيقى ، وليس الأمير إياه المعربد من أجل الخمر والذي لن يعود إليه مولانا أبدا .

(٣٦١٦ - ٣٦٢٥) : وهكذا صفا هذا الولى وهذا الأمير الحقيقى على البشر من كدره ، وعندما يصفو الماء يسمو عن وعائه ويبقى الكدر في قاع الوعاء ، إن هذه التراب الثقيل يعطل الروح عن سيرها ، وهو رفيق سوء يقعد رفيقه عن السمو والعلو ، لكن تلك الروح كانت قوية وقاومت هذا الطين وسمت عليه وتخلصت منه ، لقد كانت قبلته عندما سمعت أمره تعالى ﴿ قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ ولم تكن هى وحدها التى تعانى هذا العقاب وهذا الهبوط وهذا الذل ، كان هاروت أيضاً كذلك بالرغم من أنه كان من ملائكة السماء ، كان يظن هو وماروت أنهما لن يذنبا وأنهما معصومان من الذنوب فلما هبطا إلى أرض الذنوب ، ارتكبا من الذنوب ما لا يرتكبه الإنسان العادى في عمر طويل ، لقد ابتعدا عن مصدر النور ، فتسرب منهما النور (انظر الكتاب الثالث ، ٧٩٦ وما بعده ، و ٢٦٧٤ من الكتاب الرابع و ٣٠٠٣ من الكتاب السادس ، والكتاب الأول ٣٣٣٤-٣٣٦٤ و٣٤٢٩-٣٤٣٠ والكتاب الثانى : ٢٤٧٥-٢٤٧٨) مثل تلك السلة التى رأت نفسها وهى مغموسة في ماء البحر مليئة بالماء ، فانفصلت عن البحر فأصبحت خالية تماما ، لم تكن تعرف أن الماء من البحر وليس منها ، ولما احترق كبدها من الفراق اشفق عليها بحر الرحمة واستدعاها إليه ، هذه الرحمة الجياشة من لدن الخالق الرحيم الرحمن لا علة لها ، وقد لا تسبقها طاعة ، إنه العطاء الإلهى الذي لا يريد سببا .

(٣٦٢٥ - ٣٦٣٤) : فاجعل الله هدفك وحوم حول بحر الرحمة وحول أولئك الذين يعيشون بالقرب منه من الأولياء وكمل الرجال ، مهما رأيتهم صفر الوجوه فديدن من ينتظر لقاء الله أن يكون أصفر الوجه وهذا اللون هو اللون الجدير بهم ، فإن حمرة الوجه دليل على أن صاحبه لا ينتظر شيئا ولا يشتاق إلى شئ ، إن الطمع في لقاء الله طموح لا حد له ، إنه يجعل الإنسان نحيلا أصفر الوجه ذليلا وإن كان صحيح الجسد فإن جالينوس نفسه يتحير من صفرة وجهه هذا لقد طمعت في أنواره ، والرسول ﷺ قال : {من طمع ذل نفسه}لكن العشق

يسمو بالإنسان ومن ثم ينبغى أن يكون الحديث النبوى {طوبى لمن ذلت نفسه} (انظر ٣٧٩٦ الكتاب الثالث) والنور بلا ظل هو النور الحقيقى فكن طالباً له ، ولا تطلب النور ذا الظل الذى يشبه النور الداخل من فتحات غربال والمعنى الموجود فى البيت ٣٧٣٣ ورد فى الكتاب الأول (البيت ١٣٦) والمقصود أن الحديث المباشر أفضل فى هذا المجال حتى يدرك كل إنسان أن المائدة الإلهية من المعارف والمعانى إنما تمد (للصائمين) عن موائد الدنيا المبتعدين عنها ، أما المدعون (الذباب) فسواء لديهم الألفاظ والمعانى التى تحتوى عليها هذه الألفاظ .

(٣٦٣٥ - ٣٦٤٦) : عودة إلى الخيط الجامع يبين أجزاء هذا الكتاب أى قصة إياز فلا يكاد السلطان يطلب من إياز أن يفسر له سر غرامه بالسترة الجلدية والحذاء الريفى حتى يترك مولانا القصة وينصرف إلى موضوع آخر وكأنه أحس أن القارئ (أو السامع) لم يعد جاهلاً بالسر، لكن السؤال هنا يحمل صيغة الجواب وكأن السلطان يقول : إننى أعرف سر تعلقك هذا ، لكنك لابد سوف تقدم لنا تفسيراً (جديداً) لهذا المجال القديم ، فالأحوال متشابهة ومتكررة ، لكن العارف يقدم لها تفسيراً جديداً ، ويحس من جرائها بشعور جديد ، لأنها لابد وأنها نابعة من منبع جديد هو عين أسرار عالم الغيب ، دعك من عالم الحواس الخمسة والجهات الستة ، وإن كنت أعلم أن هذه الأحوال الباطنة لا تتأتى فى بيانٍ ، بل لابد أن تبنىء بأمثلة من هذا العالم الظاهر، إن لطف الحبيب يجعل حتى تلك المرارة التى نحس بها من الفشل ألذ من السكر، ولو أن ذرة واحدة من هذا السكر الذى وهبه اللطف الإلهى تنزل فى هذه الدنيا لحولت كل مراراتها إلى شهد ، وتيار اللطف الإلهى سار فى الكون ، وليس مجرد حالة واحدة ، بل آلاف الأحوال ، تأتى من الغيب ثم تعود ، والماء الذى يجرى فى جدول ليس فيه سدود ليس ماءً واحداً فكل العالم فى لبس من خلق جديد ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ (ق ١٥) ، عالَم سرور العارف ليس ماءً راكداً بل ماء متجدد، كل يوم سرور جديد ، وكل يوم فكرة جديدة تحل بالقلب كالضيف ثم تمضى (الفكرة موجودة فى الكتاب الثالث بالنسبة لجذرى القبض والبسط فى القلب انظر الأبيات ٣٦٠-٣٦٣) وهكذا فإن قلبك هذا كأنه منزل إبراهيم عليه السلام (القلب أيضاً هو كعبة الجسد) ، تنزل عليه الضيوف فلا بد إذن أن تكون كابراهيم عليه السلام مكرماً للضيوف ماداً موائدتك لهم ، وإياك أن تضيق بفكرة نزلت على قلبك بل أكرمها لأنها لن تلبث أن تعود إلى العدم (أى عالم الغيب) فهذا العالم أى عالم العدم هو أصل الوجود .

(٣٦٤٧) : القصة التى تبدأ بهذا البيت لم يجد لها أى من مفسرى المثنوى مصدراً قبل مولانا جلال الدين ولعله ألبس أفكاره بعض الشخصيات فالمرأة هى النفس والرجل هو العقل الطالب للكمال أو القلب الباحث عن الله والضيف هو الواردات الغيبية التى ينبغى بفرح المضيف لها لا أن يبدى ضيقه .

(٣٦٦٦ - ٣٦٧٠) : إن الضيف أو الوارد الغيبى ، أو كما يتضح فيما بعد الرجل الذى كان ولياً من أولياء الخضر عليه السلام ، (الأولياء المسافرون الجوابون فى البلاد دوماً) يدعو على نفسه التى سمحت له بالاستراحة من السفر وأخرت العودة إلى أصله ومنبعه ، فهذه الاستراحة قاطعة للطريق ، لقد كان وجه الرجل كالشمعة نورانياً ، وكانت الصحراء تمتلئ من نوره (انظر حكاية أبى عبد الله المغربى فى الكتاب الرابع وشرح الأبيات ٣٥٩٩ - ٣٦١٥ من الكتاب الذى بين أيدينا وحكاية الدقوقى من الكتاب الثالث) ، لقد كانت الفكرة التى وقرت من قبل الرجل المضيف أن الضيف كان ولياً كبيراً وأنه كان سيمنحهما الحياة الخالدة (الفناء فى الله) .

(٣٦٧٦ - ٣٦٩٥) : يعود مولانا جلال الدين إلى الحديث عن ضيوف "الفكر" والمقصود الواردات القلبية والأحوال التى تترى على الإنسان والتشبيهات والتغيرات هنا تذكر بالأبيات ١٣١٤-١٣٢٥ ، وغالباً ينظر مولانا إلى الإنسان على أنه "مجرد فكر" وما بقى عظام وعروق :

يا أخـــى إنك لست ســـوى فكـــرك

وما بقى منك هو مجرد عظـــام وعــروق .

فإن كان فكـــرك ورداً فأنت بستـــان ورد

وإن كان فكرك شوكاً فأنت وقود لموقد الحى

(الكتاب الثانى البيتان ٢٧٨-٢٧٩)

وفى الأبيات التالية يتحدث مولانا عن القبض والبسط (الحزن والسرور) أو الأفكار التى تسبب الحزن والأفكار التى تسبب السرور وفى كتاب سابق شبهها مولانا بالكسب الذى يعقبه الإنفاق أو الدخل الذى يعقبه الإنفاق وسكر السرور الذى هو ثمرة بستان الحزن والبسط الذى هو سعة وإنفاق والقبض الذى منه يكون الدخل (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٧٣٣-٣٧٦٩ وشروحها) كما وردت فكرة عبوس السحاب والبرق وفضل ذلك على البستان فى الأبيات المذكورة من

الكتاب الثالث وانظر إلى مولانا يتبع تيار الأفكار عند المرء وكيف تتراوح هذه الأفكار بين الحزن والسرور لكن لله تعالى لطفاً مخفياً فى ثياب القهر وقهراً مخفياً فى ثياب اللطف ويتحد القهر واللطف فى التأثير (انظر الأبيات ٥٤٥-٥٤٨ من الكتاب الرابع والكتاب الخامس ١٥٠٧ و ١٥١٠) المهم أن تكون متيقناً من هذا صبوراً على البلاء متقبلاً لكل ما يأمر به الله تعالى ، فرحاً بقهره انتظاراً لما يعقبه من لطف ، إن هذا الفكر سوف يعود إلى الله تعالى فيخبره عن سلوكك معه ، عن أسلوب تعاملك مع هذا الضيف النازل بك ، وادع الله إن حل بك البلاء واعتبر بأيوب عليه السلام ، لقد حل به البلاء لسبع سنوات فلم يعبس فى وجه هذا البلاء ولذا قال الله تعالى عنه ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ (ص/ ٤٤) وكان جزاؤه المغتسل البارد والشراب وأهله ومثلهم معهم ، رب أعذنى من شرها وأنلنى من برها ، وإن حل بك اللطف فقل ﴿رب اوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ (النمل ١٩) .

(٣٦٩٦ - ٣٧٠٧) : هذه الفكرة العابسة الحزينة على مثال السحاب الممطر منه يكون للأرض البوار الحياة ، وكم خلق الحزن والحرمان من أعمال عظيمة فى حين يكون من الترفه والفرح المستمر موت القلب وموت الروح بل ترهل الجسد ، فلا تعبس فى وجه الفكرة العابسة ، ابتسم فى وجهها ، فلعل فيها جوهراً مهدى إليك وأنت لا تدرى ، حتىوإن لم تستفد ، فمتى كانت الفائدة هى الهدف ، إنك بهذا الرضا تزيد عاداتك الطيبة عادة جديدة ، قد تنفعك هذه العادة فيما بعد وقد تقضى بها حاجاتك ، وفكر إن الفكرة التى تمنعك من السرور هى بأمر الله تعالى وحكمته ، فانظر فيها إلى حكمة الله من جميع جوانبها ، ولا تنظر إليها هوناً إن كنت حقاً من رجال الطريق وفتى من فتيانه ، فلعل فيها حسن طالعك وإقبالك وعطاء الحق لك ، ربما كانت هى الأصل فى انطلاقك ووصولك إلى ما تطمح إليه، فى حين أنه من الممكن أن تعتبرها أنت فرعاً من الفروع ورد عليك وصار عقبة فى طريقك ، فإن اعتبرتها فرعاً ، ظللت فى انتظار أصلها ، والانتظار مر يا بنى ، ومن الانتظار يعانق الموت ليل نهار ، فعانق هذه الفكرة ، بدلاً من معاناة الانتظار فالانتظار أشد من الموت الأحمر (انظر ٢١٣٤ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٣٧٠٨ - ٣٧١٥) : عودة إلى قصة إياز وكان آخر ذكرها فى البيت ٣٦٣٧ . والحديث من السلطان عن رجولة إياز تلك الرجولة التى يثبتها عند موقفين عند الغضب وعند الشهوة (انظر

الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٨٩٢ وما بعده وشروحها) فهذه هى الرجولة الحقيقية ومتى كانت الرجولة بالذكر ، إذا كان الأمر هكذا ، فالحمار أكثر رجولة من الرجال ، وإذا كنت تريد وصف الرجال فارجع إلى القرآن الكريم وأقرأ فى سورة التوبة ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ (آية ١٠٨) واقرأ فى سورة النور ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (آية ٣٧) واقرأ فى سورة الأحزاب ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ (آية ٢٣) ، لكن الأجساد الضخمة موجودة فى سوق القصابين ومن جعل همه بطنه وما يملأ به هذا البطن فليس عقلاً ، بل هو أقل من الذيل وأقل من الإلية .

(٣٧١٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت لم يجد مفسروا المثنوى أثراً لها قبل مولانا ، ويبدو أنها من الفكاهات الشعبية التي تتناقلها الألسنة لكن الحكاية هنا تبدو فى غير موضعها، فأمر الرجل لابنته أن تسيطر على نفسها وهي في قمة شهوتها أمر مثير للسخرية ، لأن هذا الأمر لا يتأتى من الرجال المسلطين على شهوتهم فكيف يتأتى من امرأة؟ ولا يزال كثرة القصص ذات الإطار الجنسى (ولا أقول المدلول الجنسى فلم يقدم مولانا حكاية واحدة ذات مدلول جنسى) فى هذا الجزء يثير التساؤل ، هل كان مولانا قد ضاق من الأمثلة التراثية فى أن تفعل فعلها ، فنزل إلى مستوى أقل المريدين لكى يضمن لأفكاره أن تصل؟ الله أعلم .

(٣٧٣٧) : طبقاً لقاعدة التداعي يقدم مولانا مثالاً آخر لذلك الذى يبدو "رجلاً" بل و "صوفيا" لكن نفسه مسلطة عليه فهو يذهب إلى ميدان القتال ، لكنه ليس رجل قتال ، إنه "صوفى" من إياهم من أولئك الصوفية المدعين الذين يظنون التصوف اكلاً وصوفاً ولواطاً ، ويتحدث عن انخداع العوام بأمثال أولئك الصوفية المزيفين فيتوهم أنه شيخ وأنه مرشد وأنه قطب ، ويصدق هذا الوهم مثل المعلم إياه الذى أوقع صبيان المكتب فى روعه أنه مريض (انظر الحكاية بالتفصيل فى الكتاب الثالث ابتداءً من البيت ١٥٢٣) ، لقد ظن أنه من عظماء المجاهدين فى الجهاد الأكبر (جهاد النفس) فمن ثم ماذا يبدو الجهاد الأصغر (الغزو) إلى جواره جولات جهاده الصوفى؟ لقد عارك الصوفى فى غير معترك ، وهجم على صورة الأسد الذى توهمه (على طواحين الهواء) ، فقالت له التجربة ، تعال ، والامتحان والتجربة فى طريق كل مدع تنتظره لتفضح ادعاءه (انظر عن الامتحان ٧٤٠-٧٤٧ من الكتاب الثالث وشروحها) .

(٣٧٤٤) : الحكاية من هذا البيت غير مقنعة ، وفيها بعض "تساهلات" مولانا، وهى على كل

حال قليلة فى المثنوى. فمتى كان الأسرى يقتلون فى الإسلام؟ ومتى كان قتل الأسرى يعتبر غزواً؟ كان المقصود فضح الصوفى المدعى للشجاعة ، لكن ليس على حساب قيمَ الإسلام فى الجهاد .

(٣٧٥٦ – ٣٧٥٨) : ما أشبهك وأنت مستكين لهذه النفس الأسيرة بهذا الصوفى الذى لم يستطع أن يقتل أسيره بل وانتصر عليه واعتلاه ذلك الأسير المغلول ، وإذا كنت هكذا أمام امتحان النفس وهو امتحان يسير بالنسبة لما سوف تصادفه من امتحانات فى حياتك فماذا أنت صانع فيها؟ .

(٣٧٨٠) : يقول استعلامى (٣٨٩/٥) أن المقصود بالحكاية هنا هو العباضى لا العياضى ، وهو فى معظم نسخ المثنوى العياضى بالياء وقال ولى محمد أكبر آبادى فى شرحه أنه أبو بكر محمد بن أحمد العياضى من فقهاء سمرقند لكنه العياضى دون تشديد الياء ووزن الشعر يستدعى تشديدها (الشارح : ليست مشكلة فالشاعر الفارسى يتصرف فى التشديد عند الوزن) ، ويضيف استعلامى : إنه من الصعب تحديد من هو المقصود ، والعياضى الوحيد المذكور قبل مولانا موجود فى الباب الثانى من كتاب أسرار التوحيد باسم أبى الفتوح العياضى كشاهد لإحدى كرامات أبى سعيد دون أن يقول لنا من هو أبو الفتوح هذا ، ويواصل استعلامى إنه قرأ ما يشبه هذه الرواية فى تذكرة الأولياء عن الشيخ أحمد بن خضروية (البلخى) من أنه ظل فترة يضيق على "نفسه" التى بين جنبيه وذات يوم كان جماعة ذاهبين إلى الغزو ، وألحت على النفس أن اذهب معهم كنت أعلم أن النفس لا تهدى إلى طريق الحق وأن فى إلحاحها هذا مكراً ، فكبحت جماحها وضيقت عليها الخناق فاعترفت فى النهاية قائلة كنت أريد أن تقتل وتغتر بشهرة الشهاد وبأنك صرت محبوباً للخلق ، وأنجو أنا أيضاً من هذا التعب وهذه الرياضة "الصوفية" لكنه ما لم يذكره استعلامى ، وما لم يذكره فروزانفر وتجاهله تماماً أن الأبيات الأولى تذكر بقوله خالد بن الوليد رضى الله عنه الشهيرة "لقد شهدت ألف غزوة أو زهاءها فما بقى فى جسدى ضربة سيف أو طعنة رمح ، وهكذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء " ، هذا التجاهل شبيه بتجاهل الشراح الفرس لرواية عمر بن الخطاب وسارية رضى الله عنهما الواردة فى الكتاب الثالث (انظر مناقشات الرواية تعليقات الأبيات :٥٠٨-٥١٦ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ومن الممكن بل المرجح أن اسم العياضى من لدن مولانا أو اسم للصوفى لم يعرف بعد ، وأن مولانا وفق بين ما ورد عن

خالد رضى الله عنه حين موته وبين الرواية المروية عند أحمد بن خضروية فى تذكرة الأولياء ونسج منها حكاية .

(٣٧٩٧ -٣٧٩٨) : من هنا إضافة من مولانا والمضمون هنا قريب من الحديث النبوى {إنكم تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون} .

(٣٨٠٣) : إشارة إلى ما سوف يرد فى حكاية تالية من حكايات الكتاب الخامس (انظر البيت ٣٩٥٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٣٨٠٥ - ٣٨١٤) : يقارن مولانا بين اثنين من الصوفية : ذلك الصوفى المزيف الذى مر ذكره ، والذى استطاع الأسير المغلول أن ينتصر عليه لأنه كان قد خرج إلى الحرب رياءً وسمعة وليس عنده من فنون القتال النذر اليسير ، وهذا الصادق الذى خاض الحروب والمعارك لكنه لم يسمح "للنفس" أن تقوده مرة إلى الحرب رياءً وسمعة وفضل الجهاد الأكبر داخل الخلوة ، وكثير من هم الذين لا يخوضون جهاداً أصغر مدعين أنهم يخوضون الجهاد الأكبر متناسين أن بداية الجهاد الأكبر تستلزم عودة من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأصغر فى البداية ويدق مولانا على قيمة الصدق ، إن الله تعالى خلق هؤلاء الصوفية المزيفين لكى يكونوا دلالة على وجود الصوفية الصادقين ، إنهم أشبه بعصى السحرة لا تلبث عصا موسى أن تظهر فتلقفهم جميعاً ، أين هؤلاء الصوفية من هذا الصوفى يقول شارحو المثنوى أنه العياضى لكن مولانا يقول آخر ويذكر أنه جرح فى الحرب فربط جرحه وقاتل حتى استشهد ومن الواضح أنه ليس العياضى المذكور فى الحكاية .

(٣٨١٥) : إن الأمر يحتاج منك إلى استمرارية ، لا تغفل عن هذه النفس الأمارة لحظة واحدة بل داوم على إذلالها ومخالفتها ، وأشد ما تحرص عليه هذه النفس هو المال فقاوم رغبتها هذه بإنفاقه حتى ولو لم تجد وجها للإنفاق إلا أن تلقيه فى اليم"؟!!" والمصدر هنا ما ورد فى كشف المحجوب "الترجمة العربية ص ٢٧٢ لكاتب هذه السطوروآخرين" يروى أن الشبلى رمى أربعة آلاف دينار فى نهر دجلة، فلما سئل ماذا يصنع قال الحجارة أولى بالماء فسئل لماذا لا تعطيها الفقراء ؟ فقال : سبحان الله ماذا أقول إذا سألنى : لماذا رفعت الحجاب عن قلبى ووضعته فى قلوب إخوانى المسلمين كما ذكر ابن الجوزى فى تلبيس إبليس ص ٣٥٧ حمل أبو الحسن النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له وجلس على قنطرة وجعل يرى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول جنتى تريد أن تخدعنى منك بمثل هذا .

(٣٨٢١ – ٣٨٢٥) : عودة إلى حكاية الصوفى المقاتل الكرار غير الفرار: لقد انكسر رمحه عشرين مرة وجرح مرة ثانية ثم سقط ليكون مع المتقين فى مقعد الصدق ، ﴿ إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر ٥٤–٥٥) ، إنه لا صدق دون بذل للروح فاقرأ ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ (الأحزاب ٢٣) .

(٣٨٢٦ – ٣٨٣٥) : إياك أن تسمى هذا موتاً، إنه موت الصورة لكنه ليس موت الروح (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٥٣٧ – ٣٥٤٧ وشروحها) ويضيف مولانا إن الشهادة ليست بالجسد ، فالجسد مجرد مطية ، فانظر من يركبه ، لترى ماذا قدمت إلى الله سبحانه وتعالى هل قدمت له نفساً لم تجد مركبها فاتجهت إلى العالم الآخر ، إذن خسرت الدنيا والآخرة ، وما أشد سذاجتك ، فليس كل قتيل شهيداً ، فالكفار أيضاً يقتلون ، وإلا صار كل قتيل فى مقام أبى سعيد (فسره مولوى بأنه أبو السعادة) ٥/٥٥٢ وهكذا فسره الأنقروى ٥/٨٠٢) وقال استعلامى أن المقصود هو أبو سعيد بن أبى الخير الصوفى والشاعر الفارسى فى القرن الخامس وأبو سعيد بن أبى الخير لم يمت شهيداً. أليس من المحتمل ان يكون اسم الصوفى المذكور فى الحكاية السابقة هو أبا سعيد ؟ إن الشهيد الحقيقى هو من قتل هذه النفس ونجا منها قبل أن يقتل البدن ، يصبح جسده سيفاً فى يده وليس سيفاً مسلطاً عليه بشهواته، لقد تبدل الرجل لم يعد هو هو عندما كانت نفسه بين جنبيه مسلطة عليه لكن السيف بقى وبقى فى يد الحق ،ومثل هذا الرجل لا يهتم بالألم ولا يأبه به لا مثل أولئك الرجال "الجوف" الفارغين كأنهم الغبار .

(٣٨٣٦) : فى سياق الحديث عن رجال الحق يقدم مولانا هذه الحكاية التى وردت قبله فى أكثر من مصدر ورواية صاحبه المستطرف هى أقرب الروايات إلى جزئيات الحكاية عند مولانا جلال الدين (استعلامى ٥/٣٩١) وأبطال الحكاية سواء فى رواية المستطرف أو فى رواية نشوار المحاضرة لم يكونوا من الملوك فلا ذكر لملك الموصل أو خليفة مصر وربما حول مولانا الأبطال إلى ملوك لكى ينقد ملوك عصره وأمرائه .والحديث هنا عن الشهوة ونحن أمام رجلين كلاهما خضع لشهوته ، وإن كان أحدهما قد انصرف عنها فى نهاية الحكاية ، وفى الحكاية قدر لا بأس به من المواقف الجنسية وقد تناولنا دلالتها فيما سبق (انظر على سبيل المثال لا الحصر تعليقات البيت ١٣٣٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) لكن الجديد هنا أن مولانا يجعل الشهوة سبباً لاندلاع الحروب ،ولم لا وكثير من الحروب قديماً وحديثاً ربما

كان السبب فى إذكاء أوارها شهوة امرأة لرجل أو رجل لامرأة ، والعصور القديمة حافلة بما يضيق المجال عن حصره ، والذى يثير السخرية هنا أن القائد مسلم والبلد التى هاجمها مسلمة والخليفة الذى انفذه وطلب منه أن يستخدم كل قوته فى سبيل الظفر بالمحظية الجميلة مسلم والضحايا مسلمون وعلى كل حال لم يكن هذا من المستبعد فى عصر مولانا حيث كانت الدولة الإسلامية تعانى من التفكك، فمن شرقها احتل المغول جزءاً كبيراً منها، والأناضول نفسها قسمت إلى عدة إمارات كانت الحرب تدور بينها لأتفه الأسباب بالرغم من أن كل أمرائها ينتسبون إلى البيت السلجوقى .

(٣٨٥٨ - ٣٨٦٤) : يترك مولانا القصة ليتحدث عن العشق الذى هو سر الكون وسر الخليقة وهو كالبحر والأفلاك والسماوات من فوق مجرد زبد ، وما دوران الأفلاك وتجدد الكون إلا بالعشق ومن نزوع كل أجزائه بعضه إلى بعض،وبدون هذا يتجمد الكون كله (انظر ٤٤٠٥-٤٤٢٤ وشروحها) وما تحول الجماد إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان إلا بسر العشق (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٩٠٣-٣٩٠٩ والكتاب الرابع الأبيات ٣٦٣٧-٣٦٤٣ وشروحها) ومتى كانت الروح تمحى فداءً لعودتها إلى تلك النفخة الإلهية التى هى أساسها والتى هى تجذب أرواح الواصلين إلى الحق (انظر ٢٨٩٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) إن هذا العشق هو السبب فى التسامى والعلو ، فكل جزء نزاع إلى الكمال وإلى العلو، وبتسبيح الله سبحانه وتعالى يتطهر الجسد من علائق هذه الدنيا حتى تستطيع الروح أن تطير إلى الأعالى (انظر الأبيات ٤٣٩٥-٤٤٢٣ من الكتاب الثالث والأبيات ٢٠١١-٢٠١٤ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٣٨٦٥ - ٣٨٧٩) : الكلام عن الشهوة التى تخدع الإنسان حتى فى النوم "السراب"، والحديث قد يكون عن البطل الذى اصطحب الجارية أو عن أى إنسان يظن نفسه قوياً وهو يبدو مسلوب الحيلة مفتضحاً أمام الشهوة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٩٥-١٧٠٠ وشروحها) إنه بطل فى الحروب لكنه أمام شهوة جسده مكتوف اليدين لا يستطيع أن يتقدم خطوة إلى الأمام أو خطوة إلى الخلف، وكأنه ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (يس ٩) لقد استطاع ثعلب (فى الأصل أرنب) أن يلقى بأسد فى البئر (انظر الكتاب الأول من البيت ٩٠٤) فكيف لم يستطع مقاومة شهوته ولم يثنه الخوف من الخليفة عن فعلته؟ وكيف تأتمن رجلاً يخلو بامرأة اللهم إلا إذا كان

هذا الرجل معصوماً كيوسف عليه السلام محفوظاً برعاية الله معتصماً بمعرفته ، فاستطاع أن يقاوم هذه الشهوة وهو غلام يراهق البلوغ .

(٣٨٩٦ - ٣٩٠٦) : إن الاتصال ليس مجرد اتصال جسدين إن الأرواح أيضاً ذات نصيب منه، وهو ليس مجرد لقاء وقتي ينتهي بانتهائه، لكن انظر إلى نتائجه ومن لقاء الأرواح أيضاً تتولد روح ثالثه واتصال الأرواح تستطيع أن تنظر إليه بعين الباطن ، ثم إنه أى تلك التى تتولد عن اقتران الأرواح تظهر صورها فى الغيب ، ومن ثم فما لم تظهر لك تلك الصور عياناً لا تكن سعيداً هكذا من كل قرين، بل أجل سعادتك هذه إلى ذلك الموت الذى تنتظر فيه إلى هذه النتائج، وحتى تعلم أن إلحاق الذريات الوارد فى الآية الكريمة ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ (الطور ٢١) مبدأ صادق ، إن هذه الأعمال التى تقوم بها فى الدنيا ذات صور وآثار تنطق بقيمة هذه الأعمال (انظر لتفصيل هذه الفكرة الأبيات ٣٤٦٠-٣٤٨٥ من الكتاب الثالث وشروحها) هذه النتائج تنتظرك كأنها ربات الحجال والحور المقصورات فى الخيام تناديك يا غافلاً تعال، فمن سبقوك إلى عالم الغيب فى انتظارك، فما تلكؤك هنا؟ هيا أسرع وفى البيت ٣٩٠٦ عودة إلى ذلك البطل الذى خان الأمانة من جراء الشهوة .

(٣٩١٠ - ٣٩٢٤) : يترك مولانا سياق القصة ويتحدث عن الخبر وعن العيان ، ومتى كان الخبر كالعيان ؟ إن الوصف مجرد تصوير من أجل أن تتخيل عين الوعى الشىء الموصوف ، ومتى كان من وظائف الأذن أن تشاهد الصورة ، وفى البيتين التاليين ترجمة رواية حدثت بين الإمام على والإمام الحسن رضى الله عنهما (مآخذ ١٩٢-١٩٣) ، قال الأصمعى : سأل على بن أبى طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم كم بين الإيمان واليقين؟ قال أربعة أصابع. قال وكيف ذلك؟ قال الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك، واليقين ما رأته عيناك فأيقنه قلبك وليس بين العين والأذنين إلا أربعة أصابع (العقد الفريد ص ٢٧٦ ، ج٤) لكن الأذن تنفع فى بعض الأحيان ، وهى التى تثير الخيال وإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإن خيالاً من الشمس وتصورا لها هو الذى يخيفه منها ويسوقه نحو الظلام ، فى حين أن خيالاً أمام من يدرك قيمة هذا الخيال قد يدفعه وقد يسوقه إلى الحقيقة. وكيف تقلل من قيمة الخيال ، وكل تصرفاتك قائمة على هذا الخيال؟ وهناك فرق كبير بين الخيال والحقيقة ، ولا يستطيع أى إنسان مقيم على الخيال أن يدرك حقائق من هم أمثال موسى حتى

ولو استطاعوا أن يتخيلوه، فليس كل شيء يمكن أن يتخيل، هذا أمـر بـالذوق وبالتجربـة. فهل هناك شجاعة قبل ممارسة الحرب بالفعل ؟ (لا شجاعة يا فتى قبل الحروب انظـر ٤٠٠٧ مـن الكتاب الثالث) إن المخنث يقيم الحروب كلها فى خياله وهو من خياله هـذا يهجم علـى صـور البطل رستم المرسومة فى الحمام ، ويظن أن هذا قتال، ويتوهم أن هذا انتصار ، وهـذا الخيـال الحاصل عن السمع سرعان ما تفضحه الرؤية والواقـع ، ومـاذا يكـون المخنـث آنـذاك يصبـح كأنه المرأة العجوز فى عجزها ولا يستطيع أن يفعل شيئاً .

(٣٩٢٥ - ٣٩٣٤) : لقد تحدث مولانـا فـى الأبيات السابقة عـن الإدراك عـن طريـق السمـع والرؤية الباطنيـة أو بعبـارة أخـرى الإدراك النقلـى والإدراك العينـى والإدراك العقلـى، ويعبر مولانا عن النقل بالعلم التقليدى أو علم أهل الحس، والإدراك العقلى والباطنى أو العلم التحقيقى هو علم أهل القول (استعلامى ٥/٣٩٤-٣٩٥) وهـذا الادراك النقلـى والعينـى يمكـن أن يصـل إلى مرحلة الإدراك الباطنى بشرط عناية الحق سبحانه وتعـالى وإرشـاد الشـيخ وجهد السـالك ومن هنا يقول مولانا: اسع لكـى تصـل مـن مرحلـة البـاطل (العلـم النقلـى) إلـى مرحلـة الحـق وعندما تصل إلى مرحلـة الحق تستطيع حتـى الأذن إدراك هـذا الحـق فـلا تسمـع سـوى هـذا الحق ، وتصبح لهذه الأذن قيمة فما تسمعه يكون كأنه المشاهدة ليس هـذا فحسـب بـل يتحـول الجسد كله إلى عين تشاهد(تتحول كل شعرة فى أجساد العارفين إلى عيـن) ، إن هـذا الإدراك يحول الصدر كله إلى مرآة ينعكس فيها هذا الجمال الالهى، جاهد إذن ليكـون خيـال (الحقيقـة) زائداً فهو الدليل لهذا الباحث عن الحقيقة الى الحقيقـة والمجـاز هـو قنطـرة الحقيقـة، فيهـا أيهـا الملك يا ملك الدنيا تحامق مع هذه الجارية والمحظيـة والزوجـة لألـف زوج- بتعبير حـافظ - فترة من الوقت هذه هى ؟؟ وكل إنسان أخذها فترة من الوقت ، ويـا مـن أنـت فـى دنيـا كحلـم النائم ، اعتبرها حلماً ، وتعامل معها كحلم ، إن المأمن هنا فى البحث عن رضـا اللـه سـبحانه وتعالى ، فاتخذه مأمناً ، قبل أن يأخذ جلاد الموت بحلقك .

(٣٩٣٥ - ٣٩٤٦) : منكر البعث فى البيت ٣٩٣٥ هو نفس المنافق المذكور فى البيت السابق إنه لا يعرف سوى ما يراه بعينيه ولا يعترف إلا به، فقل له ما أشبهك بطفل يقـول أنـا لـم أر العقل فهل يعنى هذا أن يتخلى العـاقل عن عقلـه؟ وإذا جـاء أحد العقـلاء وأنكـر العشـق علـى أساس أنه لم ير هذا العشـق الـذى يتحدثـون عنـه هـل معنـى ذلـك أن يختفـى هـذا العشـق عـن الوجود لأن إنساناً لم يذقه لم يعترف به؟ أنظر إلى الفرق بين نظرة إخوة يوسـف إليـه ونظـرة

يعقوب (انظر الأبيات ٣٣٠١-٣٣٠٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) وموسى عليه السلام لم يكن يعرف أن عصاه (وهى فى يده) سوف تنقلب إلى حية ، وهناك فرق أيها السيد بين هذه العين التى تنظر بها وعين الغيب ، فعين الغيب هى التى رأت العصا حية ولم يرها صاحب العصا مع أنه نبى، كما أنه لم ير اليد البيضاء ، وهى يده وفى جيبه، كان الله تعالى فحسب هو الذى يعلم ، وأنت على كل حال مقيم على ما أنت عليه، لأنك محروم ترى كل ما أحدثك عنه خيالاً ووهماً وكل همك مصروف على شهوة البطن وشهوة الفرج ، ولا أملك إلا أن أقول لك ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ (الكافرون ٦) فلا فائدة من الحديث إليك ، ولا فائدة من عرض الإيمان على من شاخ على الكفر :

والشيـــخ لا يترك ما بــــــه حتـــى يـــوارى فى ثـــرى رمســـه

(٣٩٥٧ – ٣٩٥٨) : البيتان ناظران هنا إلى الآية الكريمة﴿"وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (الحجر ٢١).

(٣٩٦١ – ٣٩٦٩) : يتحدث الخليفة الى المحظية وكأنه سلطان من سلاطين الطريق ، ويتحدث عن النور الذى فى قلبه ويهديه إلىالحقيقة ، والقمر المخفى بالغمام ، والمصباح الذى يكون تحت الطست هو قلب العارف عندما تشغله أمور الدنيا ، وكأنّ السلطان هنا يدعى أنه من العارفين وعباد الله المؤمنين الذين وهبوا "الفراسة" وإجلاء القلوب ، وينظر بنور الله وإن كانت الدنيا تشغله بين الحين والآخر ، ووضع المصاحف على بعضها عادة إيرانية قديمة ، والمصاحف السبعة تعبر عن القراءات السبعة (مولوى ٥/٥٧٠) .

(٣٩٧٤ – ٣٩٨٤) : يترك مولانا سياق الحكاية وينصرف إلى بيان فكرة تحدث عنها قبل ذلك بالتفصيل فى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٤٥ – ٣٤٨٥ وشروحها) إن كل شيئ تظنه مخفياً سوف يظهر لك عياناً يوم الحشر ، إنك إن زرعت بذور السوء هنا فلا تظن أنك سوف تجنى خيراً فى الحشر، وما أشبه هذا الحشر بالربيع الذى يظهر ما دفن تحت الأرض فى فصل الشتاء، وتبدى لك الأرض أسرارها، وتأتيك بالأنباء عما تخفيه فى باطنها ، وما أشبهك بشارب للخمر فى ليل هذه الدنيا وظلمتها، فإن أسفرت القيامة عن صباحها أخبرك الخمار عن تلك الخمر التى شربتها، فالخمر هى البذرة المخفية، والخمار هو برعمها الذى ظهر على وجه الأرض ، وبالرغم من أن البرعمة لا تشبه البذرة فإنها نتيجتها، ومهما لم يتشابه الهيولى والأثر فهذا نتيجة ذاك وذاك هو السبب فى هذا .

(٣٩٨٥ - ٣٩٩٩) : وانظر إلى كل الأشياء فمتى شابهت أسبابها ، هل تشبه النطفة الطعام ، وهل يشبه الجنى النار ، وهل يشبه السحاب البخار؟ وهل يشبه عيسى جبريل ؟ وهل يشبه الإنسان التراب ؟ وهل يشبه اللص المشنقة؟ وهل تشبه الجنة الطاعة ؟، فاعلم أن أى ألم حاق بك أنه هو نتيجة زلة، حتى وإن لم يشبه هذه الزلة التى ارتكبها والشهوة التى قادتك إلى هذه الزلة (من الممكن أن يكون الحديث هنا من خليفة مصر إلى نفسه) وإن شعرت بالحزن فاستغفر ، فإن لكل حزن ذنباً ، حتى وإن لم تكن تعرف هذا الذنب أسجد لله الحكم العدلِ الذى لايصيب إنساناً بألم أو حزن أو غم دون ذنب جناه ، والله سبحانه وتعالى سوف يستر عليك ويغفر لك ، بدلاً من أن تتغلب غصة الأحزان وهى مختفية فى القلب إلى فضيحة "وينقلب قبض القلب إلى قبض العسس" (انظر لتفصيلات فى هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٨- ٣٦١ وشروحها) .

-فى العنوان السابق على البيت رقم٤٠٠٠ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ (الجاثية ١٥) و ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ (الفجر ١٤) .

(٤٠٠٣) : إن من يعتدى على الأعراض يدعو الناس للاعتداء على عرضه فكأنه قواد لأصله {من زنا زنى به ولو بحيطان داره} (جامع ٢/١٧١) .

(٤٠١٣) : ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾ (الاسراء ٨) .

(٤٠١٥) : ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾(الأعراف ٢٣) .

(٤٠٣٠) : فى العنوان السابق على البيت : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ (الزخرف ٣٢) والبيتان المذكوران فى العنوان : ذكر مولوى (٥/٥٧٧) وأنقروى (٥/٨٣٩) (واستعلامى ٥/٣٩٨) أنهما لنظامى ولم يحددوا فى أى منظوماته والأرجح أن البيت من مخزن الأسرار كما ذكر جعفرى (١٢/٥٨٤) أما البيت التالى فقد ذكر المولوى والانقروى أنه لسنائى الغزنوى من منظومته "اسرار نامه" وليس لسنائى الغزنوى منظومة بهذا الاسم وقال استعلامى أنه لم يستطع التوصل إلى قائله والبيت من حديقة الحقيقة وهو رقم ١٠٥١٨ (أنظر الترجمة العربية) .

(٤٠٣٥) : {حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات} حديث نبوى (انظر الابيات ٤٢٣-٤٤٥ من الكتاب الذى بين أيدينا وشروحها) .

(٤٠٣٦ - ٤٠٣٩) : يعود مولانا إلى إياز وحكايته : فالسلطان يخاطب إياز على أنه مثال من أمثلة الرجولة الحقة لأنه يتغلب على نفسه التى بين جنبيه، إنه ناجح موفق فى كل امتحان يمتحنه السلطان فيه ، ويمهد مولانا الحديث عن الحكاية التالية :

(٤٠٤٠) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى فى مصيبت نامه للعطار وفى مقالات شمس تبريز والاحتمال الأكبر أن يكون مولانا جلال الدين قد نقلها من مقالات شمس تبريز (استعلامى ٣٩٨/٥) ولب الحكاية أن أمر السلطان أثمن من الجوهرة مهما كانت قيمتها .

(٤٠٥٦) : حملهم من الطريق إلى البئر أى ضللهم ولم يخبرهم عن هدفه الحقيقى .

(٤٠٥٩) : العنوان السابق على البيت (عن التقليد والتحقيق انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٤٤٦-٢٤٥٤ وشروحها وعن الامتحان انظر الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها) .

(٤٠٦٣) : إشارة إلى ما ورد فى سورة يوسف ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابات الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ (آية ١٥) وانظر الكتاب الثالث ٢٣٤٠-٢٣٤٤ وشروحها) والفتح والظفر هنا كناية عن العناية الالهية .

(٤٠٧٠ - ٤٠٧٥) : الزاهد هو الذى يعبد خوفاً من النار أو طمعاً فى الجنة والعارف هو الفارغ من الخوف والرجاء والعابد عشقاً ، إنه يعلم من البداية أن روح الانسان فى الأزل كانت متصلة بالحق وأنها تعود فى النهاية إلى الحق ، إن الله سبحانه وتعالى قد خلصه من كل ادعاءاته، ومحا الخوف عنه فأصبح كله رجاء فى وصال الحق .

(٤٠٨٢ - ٤٠٨٧) : الجوهرة هنا هى مغريات الدنيا، وأمر الملك هو كناية عن العلاقة بين العبد وربه والحجر الملون كناية عن الوثن والصنم وكناية عن الجوهرة التى حطمها إياز ، وكناية أيضاً عن كل ما يقف بين العبد وربه ، وممماراة الملك التعلق بسواه من أجل خداع الالوان ، تلك الزخارف التى تصرف العبد عن التفكير فى خالقها ، وما هى إلا جرار تحتوى على قليل من ماء البحر أو ماء الجدول ، فكل جميل فى هذا العالم إنما يملك فتات الجمال والذى يشغله عن معدن الجمال وجوهره ، وقاطعو الطريق فى الدين كناية عن أولئك الذين

يقعدون للسالكين كل مرصد ويصرفونهم عن الطريق القويم من المشايخ المزيفين المزورين ، وهؤلاء ديدنهم الرسوم والألوان والروائح ، وهم كالنساء (الفكرة من سنائى انظر ص ٤٥١ من الديوان).

(٤٠٩٤ – ٤١٠٦) : قد يكون مولانا يصور مناجاة من العبد أمام الله فمن يكون السلطان محمود الغزنوى لكى يتوارى السخاء كله أمام سخائه وتصغر الأحلام أمام حلمه ؟ وتكون الطيور المباركة التى إن أظلت أحداً كما تقول الأساطير جعلته ملكاً تأخذ بركتها منه ، وأى غفران يكون للملك وأى عفو يكون له بحيث تتجرأ الثعالب على الأسود ، وعندما يتحدث مولانا عن الغفلة التى تنتج من الرعية من كثرة حلم الملك لا يمكن أن يكون المقصود هو الملك أو السلطان محمود ، بل لابد وأن يكون المقصود أنه لولا عفو الله لما تجرأ العبد على ارتكاب ذنب واحد وهذه الغفلة إنما تكون نتيجة عن الوقاحة ، فالعين الرمداء هى التى لا تشعر بالهيبة ومن ثم لا تقوم بالتعظيم ، فكيف يشعر صاحب العين الرمداء بالهيبة وهو لايبصر شيئاً ، ثم يأتى التعظيم فيحرق هذه الغفلة ويحرق هذه الوقاحة ، والخائف لا ينام ، فهل رأيت نائماً أثناء غارة أو أثناء معركة ، وهكذا ، فإن من يحس بتعظيم الله تعالى ، تنطلق الغفلة وتنطلق الوقاحة خارج قلبه فينطلق مخاطباً ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ (البقرة ٢٨٦) .

(٤١٠٧ – ٤١١١) : ومن هنا يحتسب النسيان كذنب على شكل ما ، فالنسيان لا بد وأن يكون لسبب من الأسباب ، وأهم سبب من هذه الأسباب هو التهاون فى تعظيم ذات الله ، وقد يقول قائل : إن النسيان أمر يطرأ على الإنسان دون رغبة منه ، لكن النسيان مع ذلك قد يكون اختيارياً ، فليس للسكير أن يحتج بالنسيان لأنه بسكره قد جلب هذا النسيان إلى نفسه .

(٤١١٣ – ٤١١٤) : وفرق بين سكر وسكر ، بين سكر بالخمر الأرضية تجلبه لنفسك ويكون وبالاً عليك ويحاسبك عليه ربك ، وبين سكر بالخمر الالهية وبجمال الاله يعذرك فيه الإله "ساقي الروح" ويحفظ عليك فيه عهدك ، بل إنه يعتذر عنك ، ويساعدك ، ويغفر لك زلة السكر فزلة العاشق الثمل بالخمر الالهية أفضل من طاعة غيره (انظر الكتاب الأول البيت ١٥٨٩ وانظر الكتاب الثالث عن سكر هاروت وماروت بخمر القرب الالهى) وكم من أمور تبدر من العارف الثمل بالخمر الإلهية ينكرها عليه أهل الظاهر ومن لم يتذوقوا قطرة واحدة من هذه الخمر .

(٤١١٥ - ٤١١٧٩ : لا يزال إياز "العبد السالك والولى الكامل" يخاطب السلطان "أو السلطان الأزلى الأبدى" فيحدثه عن عفوه الذى تعد أنواع العطف الموجودة فى كل العالم ذرة واحدة منه {أن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار} البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، وفى حديث آخر {إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السموات والأرض، فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض وأخر تسعاً وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة} أحمد فى مسنده (للحديثين الجامع الصغير ٧٠/١) فهل يمكن أن يقاس عفو الناس بعفوه أو رحمتهم برحمته ، اتقوا أيها الناس القيام بهذه المقارنة الظالمة .

(٤١١٨ - ٤١٢٤) : الحديث أيضاً موجه فى الظاهر إلى السلطان محمود لكن أى فراق عن أمثال السلطان محمود يسبب هذا الهلع وهذا الوجد عند مولانا؟ إن أمثال هذه التعبيرات عن الفراق لا توحى إلا بأن الفراق المقصود هنا هو الفراق عن نبع الحياة ومصدر العشق (انظر عن الفراق الكتاب الثالث الأبيات ٤٠٥-٤١١ وشروحها والأبيات ٣٦٩٠-٣٦٩٨ وشروحها) إنه وجهك الجميل يا الله ثواب أعمالنا فأى تحمل لفراقه ، إن نظرة منك حتى على الكافر تجعله يتحمل سقر وعذابها ، إن هذه النظرة هى الدية لأرواح كل من ضحوا بأرواحهم فى سبيل الله وفى دعاء لعلى ﷺ "فلئن صيرتنى فى العقوبات مع أعدائك وجمعت بينى وبين أهل بلائك ، وفرقت بينى وبين أحبائك وأوليائك ، فهبنى سيدى ومولاى صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك" (عن سبزوارى١ ٤٠١) .

(٤١٢٥ - ٤١٣٤) : الإشارة هنا إلى ما ورد فى الآية الكريمة ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكن أنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ، قالوا لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ (الشعراء ٤٩-٥٠) وانظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات ١٢٤٦-١٢٥١ حيث وقفت رواية مولانا عند هذا الجزء الذى يبدأ فى آخر الكتاب الذى بين أيدينا إن ما يعتبره فرعون قتلاً وموتاً يعتبره السحرة الذين آمنوا حياة أبدية خالدة ، ومن هنا قالوا لا ضير (انظر عن الموت كبداية لحياة أفضل الكتاب الثالث ٣٥٢٩-٣٥٣٦ وشروحها) ، فهيا اقترب يا فرعون حتى تسمع الألحان الألهية تقول ﴿يا ليت

قومي يعلمـون بمـا غفر لـي ربـي وجعلنـي مـن المكرميـن﴾ (يس ٢٦-٢٧) ، إن مـا يعتبره فرعون فناءً هو فى الحقيقة بقاء وما يعتبره حرماناً هو غنى فأى نيل وأى مصـر ، إن النيل إلى جوار بحر المعرفة الالهية مجرد جدول ، وهو إلى جوار عالم الروح الرحـب المتسـع لا يساوى شيئاً ، وأى فخر لفرعون بالنيل وبمصر ، وما النيل وما مصر ليقول ﴿أليس لـي ملـك مصر وهذه الأنهـار تجـرى مـن تحتـى﴾ (الزخـرف ٥١) وفـى عـالم الـروح آلاف الأمصـار والأقطار ؟! كيف تقول يا فرعـون "أنـا ربكـم الأعلـى" وتهلـع مـن عبد مـن عبيـدك كـل هـذا الهلع ؟ (انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٤٤٢-٢٤٤٥ وشروحها) .

(٤١٣٥ - ٤١٤٢) : عندما ادعى فرعون الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى أثبت أنـه لا يعـرف ربه ولا يعرف نفسه أيضاً ، وعندما اعتـبر أن قتـل السـحرة هـو إفنـاء لأنيـاتهم كـان واهمـاً ، فـإنهم أدرى بأنيـاتهم وهـم يدركـون الآن أن تلـك " الأنـا" التـى تخصهـم قـد نجـت مـن أنيتهـا وإحساسها بذاتها وشهواتها وهمومها ، إن ذات فرعـون كـانت شـؤماً عليـه هـو نفسـه ، لكنهـا كانت سعداً واقبالاً علـى هـؤلاء السـحرة الذيـن آمنـوا بـرب موسـى ، ومـا هـذه الجـذوع التـى يصلبهم عليها فرعون إلا المركب الذى به ينطلقون إلى مالا يستطيع وهم أى فرعون أن يصل إليه ، الى الملك الحقيقى ، وإلى دار الملك الحقيقى ، لا ملك الغفلة التـى يظنـه فرعـون اللعيـن ملكاً ، وما هو إلا دار الغرور (انظر الكتاب الرابع ٣٠٨٣) وهكـذا فـان فرعـون يظنـه عدمـاً وهو وجود وحياة ويظنه فناء وهـو بقـاء سـرمدى (انظـر عـن البقـاء والفنـاء مقدمـة الترجمـة العربية للكتاب الثالث) .

(٤١٤٣ - ٤١٤٨) : هناك نوعان مـن "الأنـا" أنـت حـائر بينهمـا هـذه الأنـا الموجـودة وجـوداً جسدياً ، ثم وجودك الأزلى الأبدى أو ما يعبر عن مولانـا بأنيـة الأزل التـى يحـار القلـب فـى عوالمها وفى قدراتها وفى عظمتها ، والتى تعد "انا" الجسد عاراً عليها ، والأنا التى بلا أنا هى تلك الذات التى تخلصت من أنيتها واتصلت بالبقاء السرمدى ، هـى تلـك الأنـا التـى بهـا تسـعد الروح ، إنها حين تخلصت من أنية الجسد صارت جديرة بأن تطلق على نفسها لفظ "أنـا" ولـن تستطيع أن تحس بهذه الأنا إلا إذا توصلت إلى فناء تلك الأنيـة الجسـدية ، حينئـذ تكـون حيـاة سرمدية ، تطلبك هذه الأنا ولا تطلبها أنت .

(٤١٤٩ - ٤١٥٢) : تـراك تظـن أن فهم هـذه الأمـور يتـأتى بـالعقل ، إذن لكـان فخـر الديـن الرازى عالماً (المفكر فى القـرن السـابع وخصـم بهـاء ولـد والـد جـلال الديـن والـذى يقـال إن

دسائسه لدى خوارزم شاه كانت السبب فـي غضـب خـوارزم شـاه عليـه ومـن ثـم هجرتـه مـع أسرته من موطنه وقد ناقش عبد الحسين زرين كوب هذه القضيـة وجزم بعدم صحتها - انظر سرنى ١/٧٤-٧٧) والعقل هنـا هـو عقل الفقه وعقل المدرسـة وعقـل الجمـع والعقـل الدنيوى ، والأمور كلها بالذوق "ومن ذاق عرف ومن حرم اختلف" ومـن ثـم فـإن هـذه الأنـا الجسدية لا تدرى من أمور الكشف شيئاً ، ولأن الأمور بـالذوق فـإن العقـول الجزئيـة تتشدق بالحلول (أى حلول الله جل شأنه فى جسد العين) وبالاتحـاد والأمـور كلهـا روحيـة ولا علاقـة لها بالأجساد ، ولا علاقة لها بهذه الأنا إنه اتحـاد النـور (انظـر ٢٠٣٨ مـن الكتـاب الـذى بيـن أيدينا) .

(٤١٣٥ - ٤١٥٧) : إن هذا العبد "إياز" الفانى فـي اللـه مـن قربـه منـه ، المسـتمد منـه النـور لفرط عشقه كالكواكب المقتربه من الشمس تستمد منها نورها ، وهكذا فناء العبد فى النور إنـه مثل تخلق النطفة وتحولها إلى جسد ، لقد صارت هذه النطفة جسداً كـامل الخلقـة فكيـف تنكر تحول الجسد إلى نور ، وأى سقوط لك إذن فى الاتحاد والحلول ، أى عفو يطلب من العبـد ، إنك أنت يا الله خزانة العفو ، والعفو موجود فى سابق لطفك ، والعفو للسـلاطين ، فـأى عفـو يرجى من العبيد وأية جرأة لهذه "الأنا" حتى تتشبث برداء "الأنا" المطلقة .

(٤١٥٨ - ٤١٦٩) : لا يزال مولانا يتابع قصة اياز ومحمود "العبد الصالح والإله الخـالق" وهـا هـو اياز يعتذر عن أنه تشفع من أجل العفو عن الأمراء المجرمين والحديث الوارد فى العنوان "أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله" لم أجد له أصلاً وأقرب ما توصلت إليه منه {إنى لا أرجو أن أكـون أخشـاكم للـه وأعلمكم بما يتقى} (شرح التعرف ٧٦/٢) . والآية الكريمة فاطر ٢٨. ويعتذر إياز هنا عن التشـفع بأنه أنا كان يفتح طريقاً من أجل معاينة حلم السلطان والرواية هنـا اعتـذار مـن الشـفيع وفـى الكتـاب الرابع غضب من المشفوع فى حقه (انظر الأبيات ٢٩٧٥-٢٩٨٤ وشروحها) ، ما هذا التبجح ، ومـا هذه الجرأة بحيث يقوم "عبد" بإخبار "السلطان" عن شروط الكـرم ، وكل ما أنا إنما يكون مـن نـورك يا مالك الملك ، وما جرأتى هكذا إلا لإكرامك لى وتفضيلك إياى ، لا بل أنت الذى أوحيت لـى بهـذا الدعاء وهذه الشفاعة (انظر دعاء الدقوقى وشفاعته فى الكتاب الثالث البيت ٢٢٨٣) وعن أن الدعـاء والاستجابة له (انظر الكتاب الثـالث الأبيـات ١٨٩-١٩٩ وشـروحها) إن هـذا الدعـاء وهـذه الشـفاعة إكرام من الحق لبعض عبده لكى يكون فخرهم حتى يصبح هذا الذى كـان ألمـاً بأجمعـه بلسـماً للخلـق وطبيباً لهم وشافياً لآلامهم (انظر الكتاب الثالث ٢٧٠) .

(٤١٧١ – ٤١٧٩) : لقد جعلت أنت يا الله من هذا المخلوق الشهوانى الجديد بجهنم كأنه ماء الكوثر يطفىء نيران الجحيم ، بل يعيد من احترقت جلودهم فى نار جهنم الدنيا وشهواتها ويجعلهم لائقين بالجنة مستعدين لها ، هؤلاء البشر هم ربيع هذا العالم يأخذون بأيدى من جردتهم رياح الخريف من الأوراق والثمار ويبثون فيهم الحياة ، كل منهم كأنه إسرافيل ينفخ فى صور المعنى فيحيا موتى الروح وكونك يا إلهى قد اصطفيت من عبادك من خصصتهم بهذا الكرم هو مصداق لحديثك { خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم"} (وردت أيضاً للإمام على رضى الله عنه : يقول الله تعالى يا ابن آدم لم أخلقك لكى أربح عليك إنما خلقتك لتربح علىّ فاتخذنى بدلاً من كـــــل شئ" (فروزانفر احاديث مثنوى ، ص ٥٨) .

(٤١٨٢ – ٤١٨٦) : إن عالم الغيب هو مصدر كل أحاسيسنا وعواطفنا وهو أيضاً مورده ، إن عفو الخلق مجرد صدى من عفوك أنت ، كلها سيول وجداول تفيض من بحرك وتعود إليك إنها كل صباح تطير صوبنا كأنها طيور وفى المساء تكون رجعتها إليك أنت ، إنها الأرواح ، تجعلها محبوسة فى الأبدان طيلة النهار فإن جن عليها الليل تحلق إليك بأجنحتها عاشقة لهذا الأيوان صائحة ﴿إنا إليه راجعون﴾ (البقرة ١٥٦) .

(٤١٨٧ – ٤١٩٩) : الحديث عن الرجعة الأخيرة ، لا رجعة طيور الأرواح عند نوم الأجساد (من هنا قيل النوم هو أخ الموت واليقظة هى الحشر الأصغر) وعندما يناديها الخالق : تعالوا وتكون الرجعة الأخيرة، فلا يبقى حرص ولا غم ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، عندئذ تنتهى الغربة ، غربة الأرواح فى الدنيا ، وبعدها عن منبتها الذى لا تزال تحن إليه منذ أن اغتربت عنه ، عندئذ تسترخى بعد الكدح ، كدح الدنيا وعنائها ، ويزوجون بالحور العين اللائى كن فى انتظار هؤلاء الصوفية السالكين يعودون من سفر الدنيا ، ومن رحلة الامتحان ، ومن مزبلة البشر ، ومن متربة الدنيا ، فلا أثر منها وقد صفاهم ربهم من الكدر ، لكن هناك قوما آخرين اثقلتهم الذنوب ، ورسبوا فى الامتحان ، لكنهم أيضاً أيها الإله طامعون فى عفوك ، راجون مغفرتك ، آملون فى لطفك ، فاغسلهم أيها الإله العظيم بالثلج والماء والبرد ، وصفهم فى عين المغتسل البارد (ص/٤٢) ، لكى يصطفوا فى صفوف الملائكة مصلين لك مسبحين بحمدك ، معترفين بفضلك ولطفك ، ترانى أستطيع أن أخط وصف هذه الحال فى بيان ، وهل يستطيع القلم أن يصف هذا الرضوان !!

(٢٤٠٠ – ٤٢٠٨) : لا يفتأ مولانا جلال الدين يتحدث عن البيان الذى لا يستطيع أن يستوعب المعانى الراقية السامية التى تدور فى ذهنه ، إن المعانى كالبحر والبيان كإناء فخار ، والمعانى كالأسد الهصور والبيان كالحمل الوديع ، ومن هو فى حجاب لا يستطيع أن يعبر عما هو وراء الحجاب ، فاخرج من احتجابك بالمادة حتى ترى عالم المعنى ، والسكارى بك أيها الاله يحطمون كؤوسهم دائما عند وجدهم ، وجد السكر لا يتم الا بعد أن يفيق الثمل ، وهؤلاء لا يفيقون أبدا ، فمن سكر بهواك لا يفيق .
(٤٢١١ – ٤٢١٦) : لا يزال فضلك يقول لهذا الثمل بك ، اذهب وامض ، استرح ، إنك قد سقطت فى المخيض ، إنك مخدوع (انظر ٢٧١٦ من الكتاب الثالث) ، إنك تظن نفسك ثملا ، لا ، إنك أنت الخمر نفسها ، فبك ثمل الناس ، إنك ضعيف لكن الأقوياء يثملون بك عندما تسوق مركبك نحو بحر معرفة الحق واللذائذ الروحانية ، إنك انت أيها الثمل بالعشق الإلهى برغم ضعفك محور الوجود وقطب المخلوقات (انظر ٢٣٣٩ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، ومن خمرك يا ثملا بالعشق الإلهى تصبح الجبال نفسها ثملة بالعشق (أيها العاشق ذاق الطور عشقا * رقض الجبل وموسى خر صعقا ، البيت ٢٦ من الكتاب الأول) ، وكل الجواهر إلى جوار مرتبة العاشق رخيصة الثمن لا تساوى شيئا ، وماذا أقول ؟! إن البيان قاصر عن وصف هذا الذى لا يوصف ، وأى فم يستطيع أن يتحدث وخمسمائة فم عاجزة وقاصرة ولا تستطيع أن تصفه ، وكلما أردت أن أصف روح العالم ، العشق السارى فى الأكوان ، والعاشق أو الإنسان الكامل ، أصبت بالخجل !!
(٤٢١٧ – ٤٢١٩) : إننى أشعر أمامك بالانكسار يا مليك العالم ويا عالما بالسر لأن بيانى قاصر ولغتى عاجزة ، لكن هل أكون أكثر انكسارا من العدم الذى قد تخلق بالله عوالما تصل إلى الوجود عالما بعد عالم؟! بلطفك ومنك وكرمك تأتى بالموجودات كلها فى عالم العدم إلى عالم الوجود ، وغير هذه العوالم التى خلقت هناك آلاف العوالم التى تنتظر الخلق ، وهناك سير مستمر ، حركة مستمرة تحرك العدم إلى الوجود فى مراتب وأطوار ، فمن الموت فى عوالم الهيولى يجذبه إلى عالم الجماد وبالموت فى عالم الجماد يجذبه إلى حيز النبات ثم إلى حيز الحيوان ثم يدخل فى أطوار الإنسانية ، تجدد مستمر بين الموت والحياة ، ثم مرة ثانية بمقتضى إنا إليه راجعون عودة إلى العالم الأصلى ، عالم العدم مصنع الإبداع ومنشئه ، وفى هذا التغير المستمر ، هناك ما لا يتغير ولا يتبدل ، وقدم الصانع وحداثة المصنوع هو الذى

يفصل كل مراتب الوجود عن اللاهوت ، ومرتبة يعبر عنها العرفاء بـ " هـاهوت " ، فجوة لا يمكن عبورها تجعل العارف السالك واقفاً على نقص وجوده واحتياجه وفقره ، بحيث يئن دائما وينوح من أجل أن يقوم بعبوره (سرنى ٥٥٧/١) (انظر أيضـاً مثنوى مولانـا جلال الدين ٦٩٠/٢ و ٧٦٢ و ٣٩٠١/٣-٣٩٠٦ و ١٨٨٩/١) .

(٤٢٢٠ - ٤٢٢٧) : كل هذا يصيب رأسي بالدوار فى طلبك ، أحس بأن كل ذرة من الحياة مصدرها أنت ، وأنا مجرد ميت أمامك ، والرغبة نفسها ، تلك الرغبة فـى أن تتكشف أمامى هذه الحجب ، أنت الذى خلقتها فى وصورتها فى نفسى ، وأنت محركها ، وأنفاسك السارية فى هذه الألوان ، ونفختك الإلهية التى هي أصل الخلق هي التى تحرك عالم التراب ، فهل يتحرك تراب دون ريح ؟! وهل تسير سفينة دون ماء ، إن ماء الحياة الذى يهب الموتى الحياة الخالدة وينقذهم من الموت إلى جوار ما تمنحه أنت من كدر ، فإن الموت منك أيها الإله هو بمثابة ماء الحياة (انظر لماء الماء البيت ١٢٧٤ من الكتاب الثالث) .

(٤٢٢٨ - ٤٢٣١) : وما الموت وما الحياة ، إن فى كل لحظة موتا ونشرا وحشرا (انظر سنائى الحديقة : الصوفية يقيمون فى كل لحظة عيدين) ، والعمر كالجدول يتجدد ماؤه أولا بأول (انظر الكتاب الأول ١١٥٣ والكتاب الذى بين أيدينا ، الأبيات ٧٩٥ - ٧٩٨) وهذا من جذباتك ومن كرمك ، وليس للماء وجود بدونك فأنت ماء الماء أى أصل الوجود وروحه السارية فيه ، وكيف يمكن لإنسان أن يجرؤ على استقبال الموت دون أن يكون عاشقا لك ، والا فإن الموت بمقياس العقل الدنيوى كريه ، ولا يجعله حلوا إلا العشق .

(٤٢٣٢ - ٤٢٤٣) : ها أنا قد قدمت إليك الكتاب الخامس من المثنوى المعنوى ، كوكبا درياً ينشر النور فى الأرواح ، وإنما يفهمه من هو أهله ، أما من ليس بأهل فإنه غافل عن طوالع السعد فيه واقتران هذه الطوالع ، إن هذا المثنوى كالشهاب الثاقب ، محرق للشياطين التى تسترق السمع إليه ، كأنه الرامى بالنفط ، نفس هذه النجوم التى تقوم بدور العقارب التى تلدغ الشياطين ، أو ذلك الكتاب الذى يجد فيه شيطانى النفس مثل لدغ العقرب ، يكون وليا باعثا للسعادة كنجم المشترى لمن هم يعتقدون " فيه " ويستمر مولانا فيدق على النجوم والبروج فهو " قوس " ، بالنسبة للشيطان و " دلو " ، بالنسبة للولى عند الزرع والثمر ، وهو كالشمس يمزق العدو كما يمزقه الأسد ، لكنه يربى الياقوت فى منجمه ، وهكذا ، كل أثر فكرى ، إنه قد يكون سماً فى فم أحدهم ، لكنه يكون شهدا بالنسبة للآخر ، فإنك إن كنت حبيباً تنال منه

الشهد ، وإن كنت عدوا فليس لك منه إلا السم ، وألم يشرب الفاروق عمر ﷺ ذلك السم الـذى وجد فى غنائم المدائن (والرواية أيضاً وردت عن خالد بن الوليد) (أو أرسل هدية مـن قيصـر الروم) ، ولم يمت !! (لم يقترب منها أى مفسر إيرانى !!!) وهكذا رجل الحق فإنه لا يصـاب بأدنى ضرر حتى من أى شئ يكون ضرره محتوماً .

فهرس محتويات المجلد الخامس

تطهير الماء لكل أنواع الدنس ، ثم تطهيرالله سبحانه وتعالى للماء من القذر ، فلا جرم أن الله سبحانه وتعالى هو القدوس

استعانة الماء بالحق جل جلاله بعد تكدره

دلالة الفعل والقول الخارجيين على الضمير والنور الداخلي

في بيان أن النور في حد ذاته مضيء من داخل المرء دون أن يفسره قول أو فعل ويدل على نوره

عرض المصطفى عليه السلام الشهادة على ضيفه ذاك

بيان أن النور الذى هو غذاء الروح يصبح غذاءً لأجسام الأولياء ، حتى يصبح قرينا للروح مصداقا لقول الرسولﷺ : أسلم شيطانى على يدى

إنكار أهل الجسد لغذاء الروح وارتجافهم من أجل الغذاء الخسيس

مناجاة

تمثيل اللوح المحفوظ وإدراك كل إنسانٍ من ذلك اللوح بالنسبة للأمر وقسمته ومقدار رزقه ، بإدراك جبريل عليه السلام كل يوم من اللوح الأعظم

تمثيل الأساليب المختلفة والهمم المتباينة باختلاف تحرى المتحرين للقبلة في الظلام ، وبحث الغواصين في قاع البحر

تفسيــــــر : يا حسرتا على العبـــــاد

سبب تسميــــة الفرجية بهذا الاسم من البدايــــة

وصف الطاوس وطبعه وسبب قتل إبراهيم عليه السلام إياه
في بيان أن كل إنسان يعرف لطف الحق وكل إنســـــان يعرف قهر الحق ، وكلهم متعلقون بلطف الحق هاربون من قهر الحق ، لكن الحق تعالى أخفى أنواعا من القهر في لطفه وأنواعـــــــا من اللطف في قهره ، فهو قلب للزهر، ومكر من الله حتى يميــــز أهل التمييز الذين ينظرون بنور الله من الناظرين إلى الحاضـــــر والظاهـــر ، مصداقا لقولــه تعالى :﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عمـــلا﴾

تفاوت العقـــول من أصل الفطرة خلافا للمعتزلـــــة الذين يقولون أن العقول الجزئيـــــة في الأصل متساوية ، وأن هذه الزيادة والتفاوت من التعلم والرياضـــــة والتجربــــــــــــة

حكاية ذلك الأعرابي الذى كان كلبه يموت جوعا ، بينما خرجه مليئ بالخبز ، وأخذ ينوح على الكلب وينشد فيه الشعر ، ويبكي ويلطم رأسه ووجهه ، بينما يبخل عن إعطاء الكلب لقمة من الخرج

في بيان أنه لا توجد عين مؤذية للإنسان بقـدر العيـن التـي ينظـر بهـا إلـى نفسـه بعجب ، اللهم إلا إذا بدلت عينه بنـــور الحق مصداقا لـ : بي يسمع وبي يبصر ، وصارت نفســــــــــــه
بلا نفس

تفسير ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصـــــارهم﴾

قصة ذلك الحكيم الذى رأى طاووسـا يـنـزع جناحـه الجميـل بمنقـــاره ، ويجعـل جسده عاريا أقرع قبيحا ، فسألـــــه متعجبــا : ألن تندم ؟ قال : لأنـدم ، لكـن الروح عندى أعـــــز
من الجنـــاح ، وهو عدو لروحـــــــي

في بيان أن صفاء النفس المطمئنة وبساطتها تصبح مشوشة من الفِكَر ، كمـا أنـك إن كتبت شيئا على وجه مرآة أو رسمت شيئا عليـــه ، يبقى أثر عليها ونقصـان، مهما قمت بمحــــــــــوه

في بيان قول الرسول ﷺ : لا رهبانية في الإسلام

في بيان أن ثواب عمل العاشق من الحقّ هو الحق نفسه

في تفسير قول الرسولﷺ : ما مات من مات إلا وتمنى أن يموت قبـل مـا مـات ، إن كـان بـرا ليكون إلـى وصـول الـبر أعجـل ، وإن كـــــان فاجـرا ، ليقـل فجـــــوره

في بيان أن العقل والروح محبوسان في الماء والطين مثل هاروت ومــاروت فـي جب بابل

جواب الطاووس على ذلك السائـــــل

بيان أن الفضائل والمواهب ومال الدنيا مثل ريش الطاووس أعداء للـــــــروح

في وصـف اولئك الذين انسلخوا عن أنفسهم فأمنوا شر أنفسـهم وفضـل أنفسـهم ، فهم فانون في بقاء الحق ، كالنجوم التـــــــي تفنى في الشمس نهارا ، ولا يكون عند الفاني خوف من الآفة والخطر

في بيان أن كل مـا سوى اللـه آكـل ومـأكول ، مثـل ذلـك الطـائــــر الـذي كـان يمضي لصيد الجراد ، وكان مشغولا بصيد الجراد غافلا عن البازي الجائع الـذي يقصد صيده من خلف ظهره ، والآن أيها الإنسان الصيـاد الآكـل ، لا تـأمن عـن صيـادك وآكلـك ، وإن لـم تكـن تـراه رأي العيـن ، فـداوم النظـر إليـه بـالدليل والاعتبار، إلى أن تفتح عين الســـــر

سبب قتل الخليلﷺ للغـراب وإشـارته إلـى قمـع أيـة صفـة مـن الصفـات الذميمـة المهلكة في المريـــــد

مناجـــــــاة

قال النبي ﷺ : إرحموا ثلاثا، عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر وعالمـــا يلعب بـه الجهـــال

قصة سقوط حشف غزال في حظيرة حمر ، وشتم تلك الحمر لذلك الغريـب حينـا على سبيل الشجار وحينا على سبيل السخرية ، وابتلائه بالقش الجاف الـذى ليس طعامه ، وهذه صفة العبد
المخصـــوص من اللـه بين أهل الدنيـا وأهل الهوى والشهـوة مصداقا لقـول الرسول ﷺ: الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء . صدق رسول الله

حكاية محمد خوارزمشاه الذى استولى بالحرب علـى مدينـة سبزوار وكـل أهلهـا من الروافض ، فطلبوا الأمان لأرواحهم ، فقال : أعطيكم الأمـان ، إذا أحضرتـم لي كهدية واحدا من أهل هذه المدينـــــة يسمـــى أبو بكـــــــر

بقية قصة الغزال واصطبل الحمير

تفسير ﴿ إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبــع عجاف ﴾ كـان اللـه تعـالى قد خلق تلك البقرات العجاف على صفة الأسود الجائعة ، حتى أنها كانت تـأكل تلـك

البقرات السبع السمان بشهية ،و بالرغم من خيالات صور البقر أبديت في النــــــــوم تأمــــل أنت في المعنـــى

بيان أن قتل الخليلﷺ للديك كان إشارة إلى قمع أية صفة من الصفات المذمومات المهلكات في باطن المريـــــد

تفسير ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين﴾ وتفسيــــر ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾

تفسير﴿ أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجــــر غير ممنــــــون ﴾

مثال لعالم الوجود الذى يبدو عدما ، وعالم العدم الذى يبدو وجودا

في تفسير قول المصطفىﷺ : لابد من قرين يدفن معك وهوحي وتدفن معه وأنت ميت ، إن كان كريما أكرمك، وإن كان لئيما أسلمك ، وذلك القرين عملك ، فاصلحه ما استطعت . صـــــــدق رسول اللـــــه

تفسير ﴿ وهو معكــــــــم﴾

في تفسير قول المصطفى ﷺ : من جعل الهموم هما واحدا ، كفاه الله سائر همومه ، ومن تفرقت به الهموم ، لا يبالى الله في أى واد أهلكه

في معنى هذا البيت :

إن مضيت في الطريق ، فإنهم يفتحون لك الطريق

وإن صرت عدما ، يتجهون بك إلى الوجـــــــــــــود

قصة ذلك الشخص الذى كان يدعي النبوة ، فقالوا له : ماذا أكلت حتى صرت أحمق تهذى ؟ فقال : لو وجدت شيئا آكله ، لما تحولت إلى أحمق ، ولما هذيت ، فإن أى كلام طيب لو قيل لغير أهله يكون من قبيل الهذيان ، وإن كانوا مأمورين بقول هذا الهذيـــــــــــان

سبب عداوة العوان لأولياء الله الذين يدعونهـــــم إلى الحق وإلى ماء الحياة الأبدية .. وعيشهم غرباء عنهم

في بيان أن الرجل الطالح عندما يتمكن في الشر ، ويرى آثار إقبال الطيبين ، ينقلب إلى شيطان ، ويصبح مانعا للخير من الحسد مثل الشيطان الذى احترق بيدره ، يريد أن يكون جميع الخلق محترقي البيادر ﴿ أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ﴾

مناجـــــاة

سؤال الملك مدعي النبوة هذا عن الرسول الصادق وماذا يكون معه يهبه لأتباعه وماذا يجدونه في حضرته وصحبته غير النصيحة التي يقولها بلسانه

قصة ذلك العاشق الذى أخذ يعدد لمعشوقه أنواع إخلاصه ووفائه والليالي الطويلة ليالي ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ وقلة الزاد و ظمأ الكبد في الأيام الطويلة . وأخذ يقول : لا أعرف وفاءً إلا هذا ، فإن كانت هناك خدمة أخرى وطاعة أخرى أرشدني إليها فأنا مطيع لكل ما تأمر به سواء كان الدخول في النار كالخليل ﷺ أو السقوط بين فكي الحوت كيونس ﷺ أو العمى من البكاء كشعيب ﷺ أو التعرض للقتل سبعين مرة مثل جرجيس ﷺ ، ولاحد لوفاء الأنبياء وتضحياتهم ولا حصر ... وجواب المعشوق عليه

سأل أحدهم عالما عارفا: إن بكى أحدهم في الصلاة بصوت مسموع وتأوه وناح، فهل تبطل صلاته ؟ فأجاب : إن إسمه ماء العين وهو مرتبط بما رآه الباكي ، فإن كان قد رأى الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ، أو بكى ندما على الذنب ، فإن صلاته لا تبطل بل تكتمل إذ لاصلاة إلا بحضور القلب ، وإن كان قد تذكر تعب البدن أو فراق الولد تبطل صلاته ، فأصل الصلاة ترك الجسد وترك الإبن مثل إبراهيم ﷺ الذى كان يضحي بابنه من أجل تمام الصلاة وأودع جسده نار النمرود، وقد أُمر المصطفى ﷺ بهذه الخصال في قول الله تعالى ﴿فاتبع ملة إبراهيم﴾ وقوله ﴿ كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾

دخل مريد في خدمة شيخ، ولا أقصد بالشيخ كبير السن بل شيخ العقل والمعرفة، وإلا فإن عيسى ﷺ كان شيخا في المهد ويحيى ﷺ كان شيخا في مكتب الأطفال ،

ووجد المريد الشيخ باكيا ، فوافقه وبكى ، وعندما انتهى وخرج ، خرج خلفه مريد آخر كان أكثر فهما لحال الشيخ مسرعا بسبب غيرته على الشيخ، وقال له: يا أخي يجب أن أقول لك ، ناشدتك الله ألا تفكر وتقول : مادام الشيخ يبكي فأنا أيضا أبكي ، إذ تلزم ثلاثون سنة من الرياضة التي لا رياء فيها ، وينبغي عبور عقبات وبحار مليئة بالتماسيح وجبال قاحلة مليئة بالأسود والنمور ، حتى تصل أو لا تصل إلى ذلك البكاء للشيخ ، فإن وصلت فكرر شطر " زويت لي الأرض كثيـــــرا "

قصة تلك الجارية التي كانت تقضي وطرها مع حمار سيدتها ، وكانت قد دربته كما يدرب الماعز والدب على جماع الآدميين ، وكانت تضع قرعة في عضو الحمار حتى لا يجاوز الحد ، وعلمت السيدة ذلك ، لكنها لم تر النقطة الدقيقة الكامنة في القرعة.. فصرفت جاريتها بحجة ما إلى مكان بعيد ، واجتمعت بالحمـــــار بلا قرعة ، وهلكت مفتضحة . وعادت الجارية فجأة وناحت عليها قائلة : يا روحي ويا نور عيني : رأيت القضيب ولم ترى القرعة.. رأيت الذكر ولم ترى الآخر. كل ناقص ملعون وإن كان الناقصون في عين الظاهر مرحومين وليسوا ملعونين ، فاقرأ﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾ فهي قد نفت الحرج ونفت اللعنة ونفت الغضب

تمثيل تلقين الشيخ للمريدين والرسول للأمة التي لاطاقة لها لتلقين الحق ولا ألفة لها مع الحق بالببغاء الذى لا ألفة له مع صورة الآدمي بحيث يلقن منه ، فالحق نتعالى يضع الشيخ كما توضع المرآة أمام الببغاء ويلقنه من خلف المرآة ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ و﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ وهنا

بداية مسألة لا نهايـة لهـا ، بحيث أن تحريك الببغـاء لمنقـاره فـي المـرآة والـذى تسميه خياله هو بـلا اختيـار ولا تصـرف منـه فـالصورة هـي قـراءة الببغـاء مـن الخارج وهو المتعلم لا صورة ذلك المعلم ذلك المعلم الذى وراء المرآة ، فقراءة الببغاء الظاهرة تحت سيطرة ذلك المعلم .. ومن ثم فهذا مثال لا مثل

رأى أحد أصحاب القلوب كلبة حبلى ، وكانت الجراء تنبـح فـي بطنهـا ، فتعجـب وقال لنفسه : إن الحكمة من نباح الكـلاب هـي الحراسـة، والنبـاح فـي بطـن الأم ليس من قبيل الحراسة ، كما أنـه ليس طلبـا للعـون أو الرضـاع أو مـا إليهـا ولا شيء يوجد من هذه الفوائد قط . وعندم عاد إلى وعيه نـادى حضـرة اللـه ﴿ ومـا يعلم تأويله إلا الله ﴾فكوشف أن هذه حالة قوم لم يخرجوا من الحجاب ولـم تفتـح منهم أعين القلوب ، لكنهم يدعون البصيرة ، ويتحدثـــــون بالمقالات ، فـلا قوة ولا عون تصل إليهم ، ولا تصل إلى مستمعيهم هدايـــــة ولا يصل إليهم رشـــــد

قصة أهل ضروان وحسدهم للفقراء قائلين : كان أبونـا مـن طيبتـه يعطـي أغلـب دخل الحديقة للمساكين ، فعندما كان العنب ينضج كان يعطـي عشـره ، وعندمـا كان يتحول إلى زبيب ودبس كان يزكي بعشره ، وعندما كان يصنـع منـه حلـوى وفالوذج كان يعطـي عشـره ، وكـان يعطـي مـن القصيـل " المحصـول بالسـنابل" العشـــر، وعندما يجهز حبوبه في البيدر يزكي بعشـرها ، وعندمـا كـان يفصـل القمح عن التبن ، كان يزكي بعشره ، وعندما كـان يطحنـه كـان يعطـي العشـر ، وعندما كان يعجنه كان يعطي أيضا العشر ، وعندمـا كـان يخبـزه ، كـان يعطـي العشر أيضا . فلا جرم أن الحق تعالى كان قد وضـع البركـة فـي هـذه المزرعـة

والحديقة ، بحيث صار كل أصحاب الحدائق يحتاجون إليه سواءً في الثمر أو في المال ، ولم يكن هو محتاجا إلى أحد منهم ، وكان أبناؤه يرون إخراج هذا العشر المتكرر ، ولم يكونوا يرون تلك البركة .. مثل تلك المرأة الشقية التي كانت قد رأت ذكر الحمار ولم تكن قد رأت القرعة

بيان أن عطاء الحق والقدرة ليسا موقوفين على القابلية ، لأن العطاء قديم والقابلية حادثة ، والعطاء صفة الحق والقابلية صفة المخلوق ، ولا يكون القديم متوقفا على الحادث ، وإلا استحال الحدوث .

في ابتداء خلق جسد آدم عليه السلام عندما أمر الحق سبحانه وتعالى جبريل بأن يمضي ويأخذ من هذه الأرض قبضة من التراب وفي رواية : من كل ناحية منها قبضة من التراب

إرسال ميكائيل لقبض حفنة من التراب من الأرض من أجل تصوير الجسد المبارك لأبي البشر خليفة الحق الذى سجدت له الملائكة الذين علمهم آدم عليه السلام

قصة قوم يونس عليه السلام بيان وبرهان على أن التضرع والنواح دافعان للبلاء السماوى ، والحق تعالى فاعل مختار ، ومن ثم يفيد التضرع والنواح لديه . ويقول الفلاسفة هوفاعل بطبع وعلة وليس مختارا، ومن ثم فإن التضرع لا يغير الطبع

إرســـــال اسرافيلﷺ إلـى الأرض قـائلا لـه : خـذ حفنـة مـن الـتراب مـن أجـل تركيب جسد آدمﷺ

إرسال عزرائيل ملك الحزم والعزم لحمل حفنة من التراب من أجل أن يسوى منها سبحانه وتعالى جسم آدم ﷺ على وجه السرعة

بيان أن المخلوق الذى يحيق بك ظلم منه هو في الحقيقة كالآلـة ، والعـارف هـو الذى يرجع إلى الحق لا إلى الآلة، وإذا رجع إلى الآلة فذلك في الظاهر فحسب ، ومن أجل مصلحة ، كما قال أبو اليزيد: لي سـنوات لـم أتحـدث مـع مخلـوق ولـم أسمع كلمة واحدة من مخلوق ، لكـن الخلـق يحسـبون أنـي أتحـدث معهـم وأسـمع منهم ، لأنهم لا يرون المخاطب الأكبر ، فهم عنـد حـالي بالنسبة لـه كـالصدى ، ولا يهتم المستمع العاقل بالصدى . كما يقول المثل المعروف قال الجدار للوتد لـم تشقني ، قال الوتد : أنظر إلى من يدقني

جـواب اللـه علـى عزرائيـل : إن مـن لاوجـه نظـره إلـى الأسـباب والأمـراض والطعن بالسيف فإنه لا يقع عليك أيضا ، لأنك سبب مهمـا كنـت أخفـى مـن تلـك الأسباب ، وربما يكون خفيا على المريض لقوله تعالى : (وهو أقرب إليكم ولكـن لا تبصـــــرون)

في بيان وخامة دسم الدنيـــا وحلوها ، ومنعـه لطعـام اللـه الـوارد فـي [الجـوع طعام الله يحيي به أبدان الصديقين] أى أن في الجوع طعـام اللـه ، وقولـه عليـه السلام [أبيت عند ربي يطعمنـــي ويسقينـــــي] وقوله تعالى ﴿ يرزقون فرحين﴾

الجواب على ذلك المغفل الذى قال : ما أحلى هذه الدنيـــا لو لم يكن مـوت ومـا أحلى ملكها لو لم يكن إلى زوال . وعلى هذه الوتيرة من " الفشارات "

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ، معطي النعم قبل استحقاقها ﴿ وهو الـذى يـنزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ ورب بعـد يـورث قربـا ، ورب معصيـة ميمونـة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم ، ليعلم أن الله يبدل سيئاتهـــم حسنات

قصة إياز وامتلاكه لحجرة ليحتفظ فيها بحذائه القديم وسترة الرعي الخاصة بـه ، وظن الحاشية أن له فيها كنزا مدفونا ، وذلك لإحكامه غلق الباب وثقل القفل

بيان أن ما نذكره هنا هو مجرد صورة القصة لكي تكون مناسبـــة لمن يـأخذون بالصـورة وجديرة بمرآة تصويرهم ، ومـن القدسية التـي هـي حقيقـة هذه القصـة يخجل النطق من مجرد التفوه بها ، ومن الخجل يضل الرأس واللحية والقلــــم والعاقـــــل تكفيــــه الإشــــارة

حكمة النظر في الحذاء القديم والسترة الجلديـــة مصداقا لقوله تعالى ﴿ فلينظـر الإنســـان مم خلـــق ﴾

﴿ خلق الجان من مارج من نار﴾ وقوله تعالى في حق إبليس ﴿إنه كـان مـن الجـن ففسق ﴾

في معنى [أرنا الأشيـــاء كما هي] ومعنى [لو كشف الغطاء ما إزددت يقينا] وقولــه : في كل ما تنظر إليه بعين الســوء إنمــا تنظـر إليه من كــوة وجـــودك و" الدرجة العوجاء تلقي ظـــلا أعــــوج"

بيان اتحاد العاشق والمعشوق على وجه الحقيقة بالرغم من أنهما متناقضان تناقض الاحتياج والاستغنـــاء ، كالمرآة الخالية ولا صـورة فيها ، وانعدام الصورة متناقض مـــع جودهـا ، لكن بينهما اتحادا في الحقيقة يطــول شرحه

والعاقل تكفيـــه الإشـــارة

سأل معشوق عاشقا : هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ؟ قال : لقد مت عن نفسي وصرت حيـا بك ، وفنيت عن ذاتـي وصفاتي وصرت موجودا بك ، ونسيت علمي وصرت عالما بعلمك ، ونسيت قدرتي وصرت قادرا بقدرتك ، فإن أحببت نفسي فكأني أحبك ، وإن أحببتك فكأني أحب نفسي : كل من تكون له مرآة اليقين * يكون ناظرا إلى الله وإن كان ناظرا إلى نفسه ،أخرج من صفاتك إلي خلقـي ، من رآك رآني ، ومن قصدك قصدني ، وعلى هذا المنوال

مجيء ذلك الأمير النمام مع القواد والعسكر في منتصف الليـل لفتح حجرة إياز ورؤيتهم للرداء الجلدى والحذاء القديم معلقين ، وظنهم أن ذلك حيلة ومكر وتعمية ،وحفرهم لأرضية الحجرة في كل ركن يعن لهم ، وحفر الحفر ونقب الجدران ، وعدم عثورهم على شيء ، وخجلهم وشعورهم بالخيبة ، كمن ســاء

ظنهم وتوهموا ما ليس بكائن عن الأنبياء والأولياء ، إذ كانوا يقولون أنهم سحرة صنعوا أنفسهم ، وتصوروا عليهم ، وبعد البحث والتفحص يخجلون ويندمون ، حيث لا يجدى الخجل والندم

عودة النمامين من حجرة إياز إلى الملك وهم خلاة الوفاض خجلين مثل أولئك الذين أساءوا الظن في حق الأنبياء عليهم السلام عند ظهور براءتهم وطهرهم ، مصداقا لقوله تعالى﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ وقوله تعالى﴿ وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾

تحويل الملك إلى إياز مسألة قبول توبة النمامين ومقتحمي الحجرة أو عقابهم ، بما يعني أن هذه الجناية قد حدثت في حق عرضه

قول الملك لإياز : اختر بين العفو والعقاب ، فكل ما تفعله من عدل أو لطف صواب هنا ، وفي كل منها مصالح ، ففي العدل أدرج آلاف من اللطف ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ وإن من يستكره القصاص إنما يأخذ في الحسبان حياة قاتل ، ولا ينظر في مائة ألف حياة سوف تعصم وتحقن في حصن الخوف من العقاب

تعجيل الملك إيازا قائلا : إفصل سريعا في الأمر ولا تُنظر ، ولا تقل : لتكن الأيام بيننا ، فالانتظار هو الموت الأحمر ، وجواب إياز على الملك

حكاية في بيان هذا الكلام : إنك قد جربت الكلام كثيرا فلتجرب الصبر والصمت فتـــــرة

في بيان الإنسان الذى يقول كلاما لا يناسب حاله أو دعواه ، مثل الكفرة ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وسم يقدسون الأوثان ويضحون من أجلها بالأرواح والأموال ، فأى تناسب بين هذا وبين الروح التي تعلم أن خالق السموات والأرض إله سميع بصير حاضر مراقب مستول غيور ...... إلى آخـــــــــــره

حكاية في بيـــــان التوبة النصوح التي تشبه اللبن الذى يخرج من الثدى وليعود إليه ثانيـــة .. فكل من تاب توبة نصوحا لا يذكر ذنبه أبدا فيميل إليـــه ، بل يزداد كرها له كل لحظـــــة ، وتلك الكراهية دليل على أنه قد وجد لذة القبول ، وأن تلك الشهوة الأولى قد صارت بلا لذة ، وحلت هذه اللذة محـــــل تلك اللذة كما قيـــــل :

لايقضى على العشق إلا عشق آخـــــر * فلماذل لا تتخذ رفيقـــــا أفضل

وذلك الذىيميل قلبه إلى ذلك الذنب مرة أخرى ، يكون دليلا على أنه لم يجـــــد القبول ، ولم تحل لذة القبـــــول محل لذة الذنب ، ولم تكن من نصيبه ﴿ سنيسره لليســــــرى ﴾ وبقيت عليه لذة﴿ سنيســــــره للعســــــــرى ﴾

في بيان أن دعاء العارف الواصل ، وطلبه من الحق ، مثل طلب الحق من نفسه مصداقا لـ [كنت له سمعا وبصــــرا ولسانا ويدا] وقوله ﴿ وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمـــــى ﴾ والآيات والأخبار في هذا كثيرة ، وشرح تهيئة

الحق للسبب ، حتى يأخذ بأذن المجرم جارا إياه إلى التوبة النصوح .

وصول الدور في التفتيش إلى نصوح ، ونداء : لقد فتشنا الجميع ففتشوا نصوح أيضا ، وفقدان نصوح الوعي خوفا ، وانفراج حاله بعد نهاية الشدة ، مصداقا لقول النبي ﷺ إذا أصابه مرض أو هم : [إشتدى أزمة تنفرجي]

العثور على الجوهرة واعتذار صاحبات الأميرة وجواريها لنصوح

استدعاء الأميرة لنصوح لتدليكها بعد ثبات التوبة وقبولها " من الله " وتعلله ورفضه

حكاية في بيان أن الذى يتوب ويندم ، ثم ينسى ندمه ، ويجرب المجرب يقع في خسارة الأبد إذ لايصل إلى توبته مدد من الثبات والقوة والحلاوة والقبول ، تكون كشجرة بلا أصل تزداد اصفرارا وتيبسا والعياذ بالله

تشبيه القطب العارف الواصل في اعطاء الخلق الرزق من قوت المغفرة والرحمة على المراتب التي يلهمه الحق إياها وتمثيله بالأسد الذى تكون الوحوش آكلة من قوته ومن بقاياه على مراتب قربهم من الأسد . ليس القرب المكاني بل قرب الصفة ، وتفاصيل هذا كثيرة ، والله الهادى

حكاية رؤية حمار الحطاب النعم التي فيها الخيول العربية الأصيلة في الإصطبل الخاص وتمنيه لذلك الإقبال ، وفي الموعظة أنه لا ينبغي التمني إلا في المغفرة والعناية ، فلو كنت في مائة شقاء وظفرت بلذة المغفرة تكون كلها حلوة ، أما فيما تبقى ، فكل حظ تتمناه بلا تجربة فهو قرين لشقاء لا تراه ، بحيث لا يظهر من كل فخ إلا الحب والفخ خفي وأنت في هذا الفخ تتمنى قائلا : ليتني أمضي إلى هذا الحب ، ظانا أنها حبوب بلا فخ

عدم قبول الثعلب قول الحمار " أنت راض بما قسم لي "

جواب الحمار على الثعلب

جواب الثعلب على الحمار

جواب الحمار على الثعلب

في تقرير معنى التوكل .. حكاية ذلك الزاهد الذى كان يمتحن التوكل فخرج من المدينة ومن بين الأسباب ، وابتعد عن أماكن تردد الناس وطرق مرورهم ، ووضع رأسه على حجر في سفح جبل مهجور مفقود وهو في غاية الجوع ، ونام قائلا لنفسه : توكلت على خلقك للأسباب ورزقك وانقطعت عن الأسباب ، حتى أرى أن التوكل سبب

جواب الثعلب على الحمار وحثه إياه على الكسب

جواب الحمار على الثعلب أن التوكل هو أفضل الكسب فكل إنسان محتاج إلى التوكل ، حي يدعو : اللهم هيء لي هذا العمل ، والدعاء يتضمن التوكل والتوكل كسب لا يحتاج إلى كسب آخر قط .... إلى آخره

ضرب الجمل للمثل في بيان أن المخبر عن دولة ونضرة ونعيم لا ترى أثرها عليه يكون موضع إتهامه بأنه مقلد في الحديث عنها

الفرق بين دعوة الشيخ الكامل الواصل وبين كلام الناقصين الذين يدعون الفضل لتعلقهم بفضلات العلم التحصيلى

حكاية ذلك المخنث وسؤال اللوطي له أثناء اللواطة ....

غلبة حيلة الثعلب على استعصام الحمار ...

حكاية ذلك الشخص الذى من خوفه على نفسه ...

أخذ الثعلب الحمار إلى الأسد ، وهرب الحمار من الأسد ...

في بيان أن نقض العهد والتوبة يكون موجبا للبلاء ...

جواب الأمير عليهم مرة ثانيـــــــة

تفسير هذه الآيـــة ﴿ وإن الدار الآخـــــرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ ...

استدعاء الملك لإيـــاز مرة أخرى قائلا له : فسر لنا عملك ...

تمثيـــل جسد الإنسان بدار ضيافة وأفكاره المختلفة بمختلف الضيوف ...

حكاية ذلك الضيف الذى قالت عنه ربة الدار : لقد انهمر المطـــر وبقى الضيف فى رقابنـــــا

تمثيل الفكر التي تحل كل يوم بالقلب بالضيف الجديد....

إكرام السلطـــــان لإيـــاز

وصية أب لابنتـــه قائلا : احتاطى لنفسك حتى لا تحملى من زوجك

وصف ضعف قلب صوفي منعم ووهنه ...

نصح المبارزين له قائلين : بهذا القلب وبهذه الجرأة بحيث يغمى عليك من تقليب كافر لعينيه ...

في تفسير ﴿ نحن قسمنا ﴾ ...

اعطاء الملك وهو وسط الديوان والمحفل جوهرة لأحدالوزراء وسؤاله :...

وصول الجوهرة من يد إلى يد إلى إياز في نهاية الدور ....

تشنيـــــع الأمراء على إيــــاز "وسؤالهم" إياه عن سبب كسرها ، وجواب إيــــاز عليهـــــم

هم الملك بقتل الأمراء وتشفع إيــــاز أمام عرش السلطان قائلا : العفو أولــــى

تفسيـــــر قول السحرة لفرعون عند توقيــع العقاب عليهم ﴿ لا ضيـــــر ، إنا إلى ربنــــا منقلبـــــون ﴾

اعتبار إياز نفسه مجرما في هذاالتشفع ...

الجزءالخامس

المجلس الأعلى للثقافة

مثنوي

مولانا جلال الدين الرومي

تصميم الغلاف : عماد حليم